

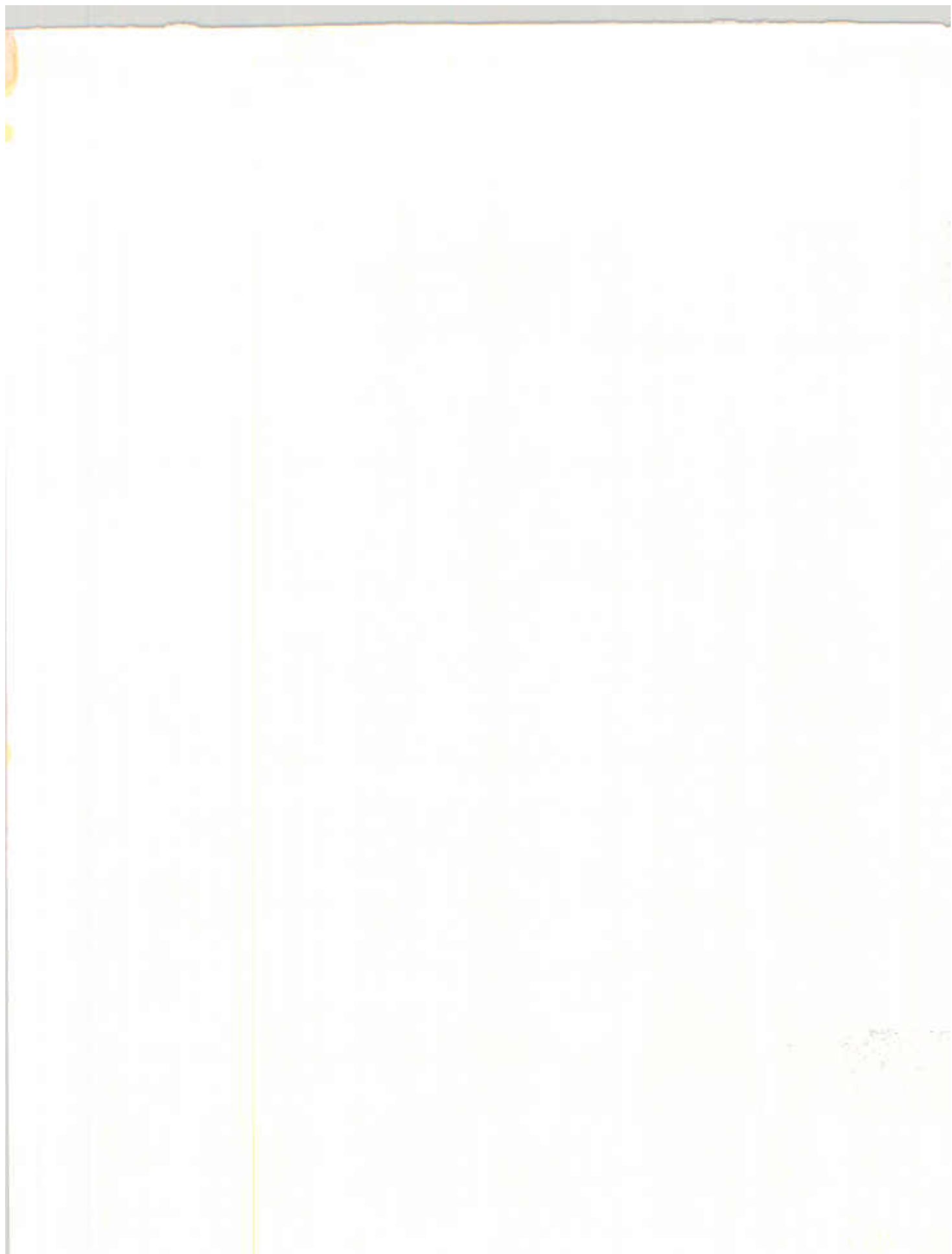
دعوة الحق

مجلة شهرية للمحامين والباحثين في
العلوم الشرعية والفقهية
والفكر الإسلامي
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية



عدد خاص
بإهداء العرشين المحمديين

العرش المغربي
عهد رسول الله وآل بيته



سنة

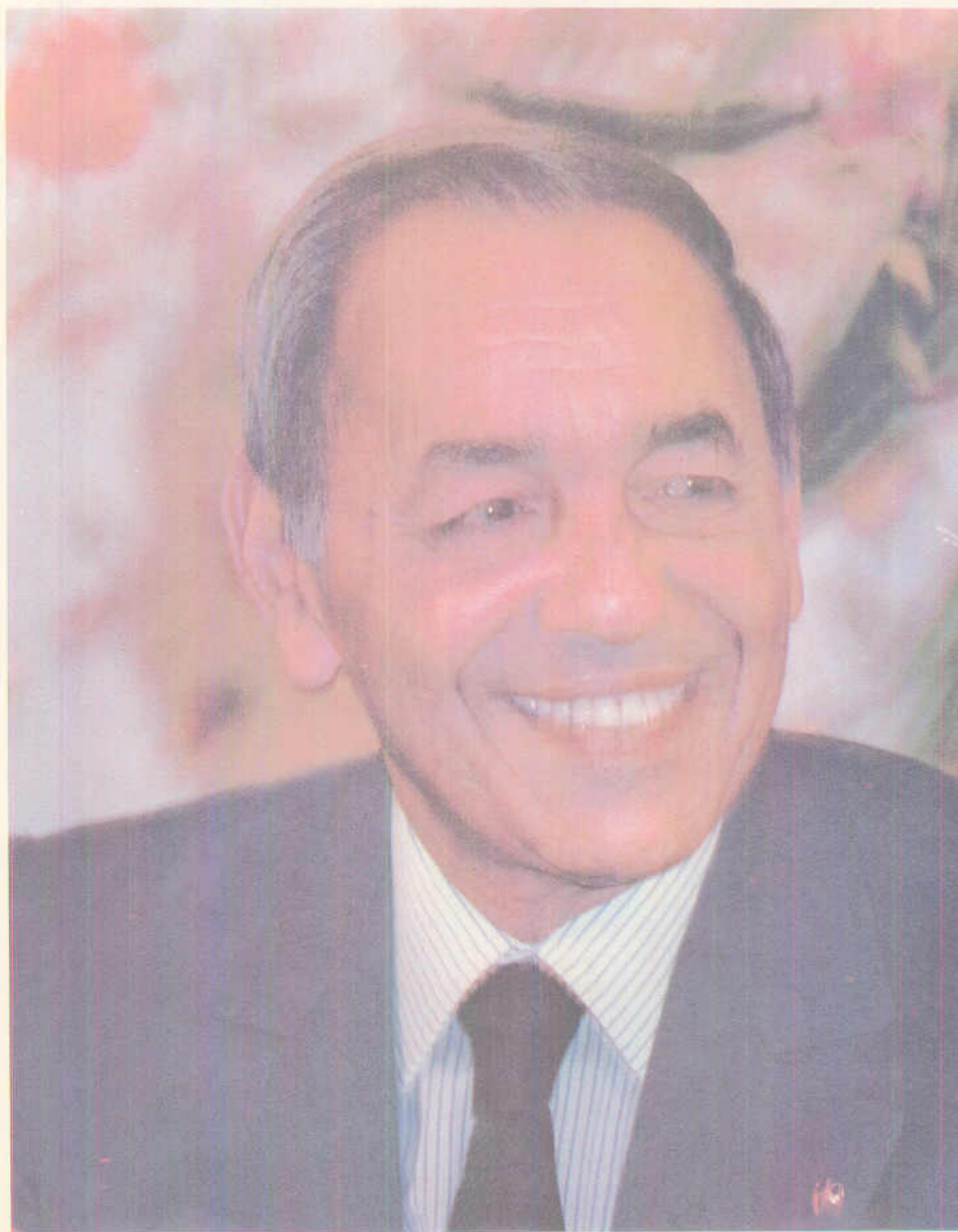
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيَهْدِيَنَّ لَكَ سَبِيلَ رِضْوَانِهِ
وَيَصْرَفْكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا
وَيَصْرِفْكَ اللَّهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

تهنئة

بمناسبة الظلمة البهية والإشراق السنوية
لعيد العرش المجيد، وحلول الذكرى التاسعة والعشرين
لترتبع صاحب الجلالة أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني
أيده الله ونصره وأعز أمره، على أريكة أسلافه المنعمين،
تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة مجلة
دعوة الحق، إلى المقام العالي بالله، برفع آيات الإخلاص
والولاء، والطاعة والوفاء، داعية العلي القدير
لجلالته بطول العمر وموفور الصحة والعافية، ومزيد
الهناء والسعادة، حتى يحقق على يديه الكريمتين ما يطمح
إليه شعبه الوفي من رقي ورخاء، وازدهار ونماء، وعز
وسؤدد لهذا البلد الأمين، وأن يبارك في خطواته
الواعدة لخير أمتة المغربية، والعالمين العربي والإسلامي،
ويقر عين جلالته بصاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب
الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد
وباقى أفراد الأسرة الملكية الشريفة. إنه سميع مجيب.





صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب
الأمير الجليل سيدي محمد حفظه الله



صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظة الله

عَهْدٌ وَمَسْئُولِيَّةٌ وَالتَّزَامٌ

شهر مارس، من كل عام ميلادي، هو أحلى شهور العام، لدى الأحياء، له دلالة ومكانة ومقام، يفتر وجهه على أحلى الابتسام، طلقا مع الربيع الذي يبعث الحياة والنضارة، ويحيي القلوب والأجسام، ويشفي الصدور من كل علة وسقام... ولو إلى حين...

في شهر مارس، وغب فصل متجههم عابس، تخرج الأرض أسرارها، وتظهر يد الغيث آثارها، وتبدي الرياض أزهارها، ويخلع رب العزة والجلال على مجالي الطبيعة المستفيقه من سبات الشتاء، نورا يسطع في ثناياها، وغلالات تكسوها كأحلى ثيابها، فإذا الأرض في كالأها الأخضر النامي، وعشبها الناضر الزاهي، تحاكي زرابي مبثوثة من سندس وإستبرق، وتتضوع، بالأرج الطيب، أرجاؤها، وتتبرج، في ظلل الغمام، صحراؤها، وتعارض، بغرائب النطق، أطياريها، وقد وشحتها لآئى الندى، فتبدت القطرات منه، كحبات اللجين توشي البساط الممتد فوق التراب... فإذا نظرت إلى الأشجار، رأيتها كالعرائس الحور في حليها وزخارفها يوم زفافها، والقيان في وشيها ومطارفها، وقد تباينت ألوان وشاحاتها، فهذه اكتست ثوبا أبيض صافيا، أتقى من قلوب الأطفال، وهذه صبغت الأزهار المتفتحة في أغصانها بلون الورد كخد عذراء يلفها الخجل والخفر والحياء.

ولقد تخففت الأغصان من بعض أزهارها، فمالت منها إلى الأرض
وريقات تحلقت حول أمها في دائرة تحيط بالشجرة في شتى
أطرافها، فما تشك في أن عباقرة الفن المغربي القديم قد قبسوا عن
الطبيعة صورة انطباع وجه الربيع على الأديم، ووجوه الناس...
ذلك وجه بلاد المغرب في شهر مارس، ومن كل عام ميلادي، إذا
ما أهل فصل الربيع، تهلل سره في قممات الوجوه، وشع نوره في
حنايا القلوب، وتألقت وميضه في جميع البيوت، فهو، دون بقية
الشهور والأيام، من أعياد العمر، وأعيان الدهر، حسن الشمائل، ممتع
المخايل، مونتق الأرجاء، تبسم عنه الربيع، وتبرج عنه الروض
المريع، وكأنه اقتبس أنواره وأسراره من محاسن أيامنا الجميلة،
وربوعنا المعطاء، ومن عبق العرش المغربي القائم على العهد
والمسؤولية والالتزام، والجالس عليه جلالة الملك الحسن الثاني الذي
ادخره الله لهذا الشعب العظيم الذي خرج منه، ونبغ فيه، واعتمد
عليه، وكافح دونه، فسعدت به الأيام، وزكت به الأرض، واطمأن له
الزمان، وأعطى لهذا الشهر معاني الجدة والخلود، فحاز ميزات وسمات
وصفات دون بقية الأيام والشهور.

قد يهون العمر، إلا ساعة، وتضييق الأرض، إلا موضعا

☆☆☆

في شهر مارس، موسم الربيع الريان، شباب الزمان، ومقدمة
الورد والريحان، وفي إطار هذه الباقة الفواحة التي تضيفها الطبيعة
الأنيقة الخلافة على المروج والروابي، حيث النبات خضيل ممطور،
يحتفل الشعب المغربي، بمبادئه وأخلاقه ومقدساته، ويستقبل عيدا
وطنيا من أجل أعياده شانا، وأبلغه في حياته أثرا، وأبلجه في نفسه
دلالة، يحمل تاريخا حافلا بالمفاخر والأمجاد، مليئا، بجلائل الكفاح
والبطولات، أينع فيه الغرس من أشلاء الضحايا، فكان أمة على وجه
الدنيا، تنشئ الحياة وتبني...

وما من أحد أحب بلاد المغرب التي لها من عناصر البقاء،
وحيوية الصمود، والتي جعلها الله مسرحا للحسن، ومعرضا للفن،

ومهبطا للسرور، وكعبة لأرض اللقآآت والفتوح، إلا عشق الطبيعة في ربوعها، وأحب أهلها، واطمآن إلى أمنها وأمانها، فابتدرها - إن استطاع - بزيارة ربيعية تجتمع فيها القلوب اجتماعها على أحلى الذكريات من أمرها وتاريخها.

☆☆☆

إن للعرش في المغرب حبا دفيناً وعميقاً في نفوس المغاربة جميعاً، منذ أن كان التأسيس الأول لهذا العرش العتيد على يد المولى ادريس الأول حين بايعه المغاربة عن طواعية، انبثقت عن رضى واختيار وحب لآل بيت رسول الله ﷺ.

وإن من تاريخ هذا البلد العظيم، أن اعتلى عرش البلاد فيها، رائد الأمة، وموحد ترابها الوطني، جلالة الملك المفدى مولانا الحسن الثاني الذي يجسم آمال المواطنين وأمانهم منذ أن تسلم مقاليد البلاد، وتحمل العهد والمسؤولية والالتزام، فهو الحصن الحصين للذياذ عن كرامة الأمة ومقدساتها، والدفاع عن وحدتها وصيانتها من العبث والتخريب، والتضليل والتخدير، وسوء المنقلب ومغبة المصير...

☆☆☆

ومن عقب الذكريات في هذا الشهر، ومنذ اعتلاء جلالة الملك على عرش أجداده الأمجاد، أن الشعب المغربي يقف في كل عام، وفي يوم الذكرى والمهرجان، صفا واحدا مترابعا لتجديد العهد، وتأكيد البيعة، وهو يعبر بذلك عن شديد التعلق، ومتانة الروابط، وشتى المشاعر والأحاسيس التي يختزنها في نفسه طوال أيام السنة، فهو يحتفل في هذه الأيام المشرقة الوضيئة، وفي كل مناسبة سعيدة، في حب صادق، ونشوة غامرة، ويخلد هذه الذكريات العذاب ليقف مع التاريخ في لحظاته الحاسمة، يحاسب النفس والشعور والوجدان، ويؤكد وفاءه للمبادئ الإسلامية السمحة، معتصما بحبل القرآن، و متمسكا بسنة سيدنا محمد عليه السلام، ومجددا ولاءه وإخلاصه للسدة العالية بالله أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني العامل على نصره الدين والحارس الأمين على مقدسات الشعائر الإسلامية الصحيحة...

ومن دلائل اليمن، وحسن الطالع والإقبال، أن السنة الماضية كانت من أحفل السنوات خيرا وبركة، وأغزر الأعوام نماء وعطاء، فقد استقبلنا بها أيام الصحة والعافية، وجنينا بها ما غرسنا، غلالا وثمارا بعد كد وجهد، إذ حقق المغرب في تاريخه الأزلي وتراثه الخالد مكاسب جديدة، ونهض بأعباء خطيرة سجلها التاريخ في ثبت الخلود في فصول وضاءة لامعة من الوطنية والعبقرية والبطولة لجلالة الحسن الثاني الذي يعتمد في تأثيل ملكه، وإنهاض شعبه - بعد الله - على الجد النزيه، والإخلاص العامل، والجهاد المخلص، والتفاني في طريق النفع العام.

وقد برهن الشعب المغربي في مختلف الظروف، وشتى المناسبات، ومنذ أن تسلمت دولة الأشراف مقاليد أمره، عن التفافه حول العرش، وتضامنه مع الجالس عليه، لا سيما في الأيام الحوالك، والظروف العصيبة التي تستلزمها نواميس الكون، وسنن الطبيعة، والتي تطفو فوقها نزوات النفوس، وتسلب الأهواء، وجموح الشرور بل إن الملمات التي تعترض سبيله تكون وقودا لإذكاء نشاطه، وجدوة تلهب حماسه، وتقوي عزمه، وتشد أزره، وتساعد على تذليل الصعاب، وتخضيد العقاب...

☆☆☆

والشعب المغربي نهض بمسئوليته، ووفى بعهده، وقضى التزاماته إزاء التاريخ، سواء داخل البلاد أو خارجها، وخاض غمار الحياة، فما عرف عن أبنائه البواسل الذين يتسعون بالحماس، وشبابه العامل الذين يتفجرون بالوطنية وقادته المخلصين الذين يهتفون بالتضحية والفداء، من بطولات وأمجاد، أنهم تركوا أعنتهم للقدر، وحماسيتهم للحليف، وثروتهم للغريب بل فهموا، قبل غيرهم، معنى الوطن، قبل أن يفهموا معاني الاستقلال والعزة والسيادة، فلما فهموها، وفهموا لوازمها من التضحية والإخلاص والإيثار، نالوا ما أمّلوا، وأدركوا ما أمّلوا، والسرفي ذلك يعود إلى أن الدولة العلوية الشريفة قد أطرت في إحكام وإتقان، وفي عهد ومسؤولية والتزام، هذا الشعب، فعلمته، وهذبته، وأشرعت له أبواب المعرفة والعلوم، وذادت عن حماه كل

خطر، وحمته من مغبة البلايا والرزايا، وأذكت حماسه للدفاع عن الوطن المحبوب، فكان لا يخرج ظافرا من معركة إلا ابتلته الأقدار بمعركة أخرى... وقد كتب الله له البقاء والاستمرار، وعقد له ألوية النصر المؤزر على جميع القوى التي تصدت له، واعترضت طريقه، وأجلبت عليه بخيلها ورجلها، وهو صامد كالجبل الراسي تتكسر على صفاته كل القرون، وقد انكشف للجميع، ولمن كانت أعينهم في غطاء من هو شر مكانا، وأضعف جندا، فكان بذلك آية الآيات في مجالدة الدهر، ومقارعة الخطوب، ومعانقة الأحداث...

هكذا صمدت الدولة العلوية المجيدة في صبر وجلد وثبات أمام المحن والبلايا.

وهكذا عملت على إذكاء النهضة العلمية والفكرية والوطنية عن طريق الجد الحازم، والعمل المثمر، والقوة المحركة، والذيادة عن الحمى، والدفاع عن الوطن، فقاومت الاستعمار الكافر في جبروته وطغيانه، ولم تغفل المواظبة والمراقبة، والمتابعة والملاحقة، كما لم تهمل المراجعة والمحاسبة، ولم تتخل يوما عن عهدتها ومسؤوليتها والتزامها، بل سارت، بخطى الواثق المطمئن، في طريق لا حب، ممتد الأفق، رحب الجنبات، وقادت الأمة في حزم الربان الماهر، والرائد المحنك البصير، إلى الدرب القاصد الذي تنكشف معه الحقيقة سافرة كفلق الصبح، فأقرت السلام في ربوع البلاد، وأحكمت النظام في المجتمع، فتعاطفت النفوس، وتكاثفت الجهود، وتعاونت القوى، وتضامنت الأمة، فكانت نموذج التضحية والوفاء. وطرزا فريدا في السهر واليقظة، والعزيمة والصدق والمضاء، والعهد والمسؤولية والالتزام، حتى تخطت الحواجز، وتجاوزت الأحداث، فوقفت بجانبها الأقدار، وعاد إليها الحظ باسم يتطارح على قدميها، ويتملقها ويحابيها ويعتذر إليها...

إنها المسؤولية والعهد والالتزام :

مسؤولية أمام الله...

وعهد وثيق بين العرش والشعب

والالتزام مخلص وأمين أمام الأمة والضمير...

وتلك هي المعالم الكبرى التي اتخذها جلالة الملك الحسن الثاني
نصب عينيه، واتخذها نبراسا في طريقه، والتزم بها، وسار على هديها
يستجيب بذلك لداعي الفطرة السليمة، ويشبع أشواق الأمة المشروعة،
ويصون حقوق الوطن المحبوب منذ أن ألقى الله بين يديه مقاليد
البلاد...

ولعل سر نجاحه وتوفيقه، حفظه الله، يعود إلى إيمانه بهذه
الأقانيم الثلاثة أولا، وإلى إيمانه بربه، ويقينه بأن لا سعادة للأمة إلا
بالتمسك بحبل الإسلام، والرجوع إلى أسس القيم الروحية، لقد جاء
في الخطاب الملكي السامي الأول لجلالة الملك حفظه الله بمناسبة
جلوسه على عرش أسلافه الغر الميامين: «يجب أن تكون شخصيتنا
الإسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة... وان تاريخ المغرب نفسه
ليشهد بأن أزهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالإسلام فيها
من أبرز المميزات، وان كل حركة تحريرية إصلاحية، إنما قامت على
أسس القيم الروحية، ففي إطار ديننا الإسلامي السمح سنصوغ كل عمل
وكل إصلاح، لأن المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها، لأنها
مكاسب محدودة أما المكاسب الروحية فليست لها حدود، لأنها هي
الوجود، ولأنها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه
الدنيوية، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة، حتى لا تكون في
المجتمع شحنا ولا تفرقة ولا بغضاء».

ذلكم هو العهد الوثيق، والميثاق الغليظ، والالتزام الملزم الذي
قطعه سيد البلاد على نفسه منذ أن تسلم مقاليد هذه الأمة، ومنذ أن
اعتلى على عرش أسلافه المقدسين، فهو عنه لا يحيد ولا يريم، وقد
أكد الله له من أسباب التوفيق والنجاح، وعقد له ألوية الظفر والنصر،
ما هو مسجل في صفحات الخلود...

أطال الله عمره لتحقيق الرغاب والظنون، وتوحيد الأمة وضم
شتاتها وجمع كلمتها، وحفظه في ولي عهده المحبوب الأمير سيدي
محمد، وصنوه الرشيد الأمير المولى رشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية
الشريفة، وشعبه العظيم.

دعوة الحق

من ظواهر التاريخ الفريدة :

العرش العلوي أقدم وأقوى عرش

في عالم العروبة والإسلام

للشيخ محمد المكي الناصري
الأمين العام لرابطة علماء المغرب
ومضوا كاديمية المملكة المغربية
ورئيس المجلس العلمي للحدوتين

كلهم في الماضي والحاضر على التمسك بالنظام الملكي تحت إشراف ورياسة نفس الأسرة العلوية الشريفة، التي جلست على العرش منذ أكثر من ثلاثة قرون تقاسم الشعب السراء والضراء. وهاهو شعب المغرب لا يزال متمسكا كل التمسك بمحبتها، مؤمنا من أعماق قلبه بضرورة استمرارها على هذا العرش، تسوس المملكة وتقودها، وترعى شؤونها العامة عبر القرون والأجيال.

إن الثقة التي تتمتع بها هذه الأسرة الكريمة ثقة عميقة الجذور في نفوس الشعب المغربي، وأن القوة الروحية التي تتمتع بها بين طوائف الشعب لمدينة بها قبل كل شيء للتقاليد الإسلامية الكريمة والعريقة، التي ورثها أبا عن جد، وللمقدسات الوطنية التي حافظت عليها

لعل من أروع ما يستوجب التأمل ويدعو إلى التفكير هذه «الظاهرة التاريخية» التي لا أعرف لها مثالا في التاريخ السياسي لأقطار العروبة والإسلام، تلك الظاهرة هي «ظاهرة العرش العلوي الشريف» الذي يعتبر بالنسبة لباقي العروش العربية الحالية أقدم عرش عربي على وجه الأرض، والذي هو بالنسبة لتاريخ الأثر الإسلامية التي ملكت بالشرق أو بالمغرب أطولها عمرا، وأدومها حياة، وأشدها مراسا، وذلك بالرغم من الهزات والأعاصير التي حاولت النيل من قوة هذا العرش، من نزوات الطامعين، إلى هجمات المغيرين، إلى احتلال المملكة وتقسيمها وتوزيعها غنائم وأسلابا بين الدول المتكالبة على المغرب. ولعل من مفارقات السياسة ومدعشاتها - وهذا ما يتلج صدور المخلصين - أن يجمع قادة المغرب الأوفياء



الحصين من دار الإسلام، ويحق لها أن تفخر بما أنجبتته من ملوك عظام يمثلهم في هذا العصر أصدق تمثيل جلالة الملك الحسن الثاني، الذي يعتبر بالإجماع «نموذجاً فريداً» بين قادة الدول، أطال الله عمره، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، وأبقاه ذخراً للدين والوطن، وأدام إمامة المغرب فيه وفي عقبه إلى يوم الدين.

ودافعت عنها حتى تبقى سليمة من الشوائب، فوق المساومات والمجاملات، ورغم كل التحديات. وفي اعتقادي أن الأسرة العلوية المالكة كلما اعتصمت بحبل الإسلام المتين، الذي هو الرباط الروحي، الأساسي والأول، بينها وبين شعب المغرب، فإنها ستظل بإذن الله «معجزة الإسلام» الباقية الخالدة في هذا القرن بهذا الحصن

الرباط - محمد المكي الناصري

عِيدُ الظُّرُوعِ الْجَمَائِعِي

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون
مستشار قانوني بالديوان الملكي

إن للشعوب أعيادا يتزايد عددها بنمو المناسبات التي تريد ترسيخها في أذهان أفرادها وأبنائها، والوقائع التي تسعى إلى التذكير بها، شكرا للخالق على نعمه وتوجيهاته، والأحداث التي أهلتها إلى تبوأ مقعدها ودرجتها بين الأمم، والمبادرات التي جعلت منها القلعة المنيعه الراسخة التي لا ترضى بالعزة بديلا، والظروف التي تمكنت فيها من محو العار وفرض الأصالة واستعادة شرف النفس وتقدير الغير.

وان لكل عيد وزنا خاصا وثقلا نوعيا وتأثيرا معيننا اعتبارا بما ترمز إليه الذكرى، واستنادا إلى ما تثيره في الخواطر من إحساسات، وما تذكر به من أمجاد، وما تدعو إليه من مواقف واختيارات، وما تعينه إلى الأذهان من مقاصد وأحداث دينية أو خلقية، بل إن من الأعياد ما تتزايد أهميته وتعظم مع مرور الأيام واستنطاق الوقائع وامتحان الملابس واستخلاص النتيجة وتقدير المجهود.

فالأمة القوية النشيطة تعزز بأعمالها ومنجزاتها وتفتخر بمقدساتها وتنتعش بالمبادرات البناءة التي تعزز كيانها، وتجد في إحياء ذكريات مراحل نموها وأشواط تقدمها، ومحطات إعلان سيادتها وفرض نفوذها ما يحثها

تحتفل الدول بأعيادها بصفة تلقائية لما تنطوي عليه كل مناسبة من معان مثالية وذكريات مثيرة خالدة، واشتياق إلى مزيد من الأمجاد، واعتراف بجميل أولئك الذين كتبوا صفحات التاريخ بمداد الفخر، وتطلع إلى استمرار التقدم والازدهار، وإيلاء يفرض الامتنان والاعتزاز، وتقدير للمجهود المستمر الذي يحقق النجاح، والتضحيات الجسيمة التي بدونها لا يتأتى بلوغ أسمى الأهداف والغايات، وتجسيد لمن خططوا حاضرهم بيقظة وإمعان، فضتوا لأنفسهم المستقبل الزاهر ولأبنائهم الحياة الكريمة.

وإذا كانت الأعياد فرصا للتذكر والتذكير، ووقفة للتمعن والتفكير، وأياما مشهودة لاعتزاز الأمم بوحدتها وتضامن أفرادها وجمع كلمتها، ومعجزة تثلج الصدور وتدفع المعنويات، فهي أيضا وبدون شك نَهْرٌ لامتحان الماضي على ضوء الحاضر، يتناسى فيها المواطن مشكله اليومي لينقاد إلى ما هو قمين بتبوئه المقام الرفيع وإضفاء حلة الكرامة على واقعه العادي، ومنحه ميزة اليقين بأنه مستحق لما خلده وطنه، ومحق لما ورثه عن آباءه وأجداده.

التضحيات لنصرة إخوانه ومواطنيه، فكان ذلك الجهاد المقدس الذي خاضه إلى جانب والده المنعم أسكنه الله فسيح جناته.

ولما عادت المشروعية للبلاد، والاستقلال للأوطان والعباد، تابع حفظه الله سيرته المظفرة، بتأييد جماعي كامل وتحبيد شامل، وزادت الأمة قناعة وإيمانا بتلك القيم والمزايا، والخصال وحسن النوايا التي طبعت نشاط ولي عهدها المحبوب، فلم تزد الآصرة إلا متانة وعمقا وصدقًا، وأصبح من خصائص نظامنا أن كل مواطن يكن لوارث سر ملكه كامل الإعجاب، ومتين التعلق، وفائق المحبة، وجزيل الشكر والامتنان.

فما جاء الأجل المحتوم، ولبى داعي ربه محرر البلاد جلالة الملك المقدس محمد الخامس، طيب الله ثراه كان طبيعيًا، خلقًا وأخلاقًا، وعاطفة وورعًا، وعزيمة وإباء، أن تهرع الأمة إلى الإعراب عن بيعتها للشبل المقدم الذي واكب مقاومتها فواكبت مجهوده ونضاله، وقاد جهادها فاقترنت بتفانيه، وعبأ صفوفها فاستنجدت بعقريته وبعد نظره، وسائر معنويتها فكانت في مستوى طموحاته، وأعطى كل من الطرفين المدلول الحقيقي للتلاحم، والمعنى الصحيح للتعلق المتبادل والتقدير المشترك.

لقد عاش الشعب المغربي ذلك اليوم المشهود الذي توجه فيه جلالة الحسن إلى شعبه، وكل الحزن، وكل الأسف يغمر صوته، وهو يقول: «أخاطبك شعبي العزيز، والجرح لا يزال طريًا، والنفوس ما فتئت تذوب حسرة وكندا على فقد جلالة ملكنا المقدس وأبينا المرحوم محمد الخامس أسكنه الله فسيح جناته...» في تلك الساعة التقى الشعور بالشعور، واللوعة باللوعة وساد التفاهم، وعمت المحبة الصادقة، والتعلق المتين، وتألمت الأمة مرتين: الأولى لمصابها والثانية لألم عاقلها.

واسترسل جلالته حفظه الله في خطابه، وكأنه في مناجاة مع شعبه، يوضح ويفسر، ويخبر ويعلم، إلى أن قال دام علاه: «أعلن لك شعبي العزيز أنني أمسكت

على المزيد من المجهود المبارك الذي كان سر توفيقها وعمدة عزمها على المضي قدما في تلك المحجة البيضاء التي أهلتها إلى تبوأ كرسي النجاح والسير جنبًا إلى جنب مع الدول التي صنعت تاريخها فأبدعت وحققت انطلاقتها فأصابته، وكبحت جماع الغيرة وذل التسلط الدينئ وعبت الخوصم، ونذالة المتطفلين.

☆☆☆

يعيش المغرب، يوم ثالث مارس، يوماً خالداً في حياته المجيدة إنه يوم تربع جلالة الحسن الثاني، أباه الله ذخرا وملادا لأمته، على عرش أجداده الميامين، وقبل بشجاعة وشغف أن يقود سفينة وطنه إلى شاطئ العزة وميناء الكرامة، ومرفاً المجد، وبوع فيه بامتنان، وحب وافتخار، فتكرست بكيفية تلقائية تلك الرابطة المقدسة بين سبط النبي الكريم وأمة الإسلام، بين عاهل مقتدر وعطوف، وشعب محب ومقتنع، بين قائد حنكته التجربة والتأهيل، ومواطنين موقنين ملتزمين.

إنه عيد العرش، ولكنه أيضا عيد الأمة، عيد كل عائلة وكل فرد من أفراد الشعب، عيد وطن ملكي بكل إيمانه وأفكاره وجوارحه، فخور بما أنجزه ملوكه عبر تاريخه العريق، وما حققوه من معالم، وما ضحوا به في سبيل صيانة البلاد ووحدتها ترابها، وجمع كلمة أفرادها والذود عن كيانها وتراثها، إنه عيد العروة الوثقى التي لم تعرف قط انفضاما، والتكامل المثالي الذي لم يعرف عبر القرون إلا الانسجام الكامل، والتوازن المطلق، والإيقاع المطرب، الذي يفرض الألفة ويحقق السعادة والإقبال.

في أيام المحنة وساعات المقاومة، عرف المغرب، بالقيادة الرشيدة لملكه المناضل، انطلاقة ثورية متطلعة، مختلفة الاتجاهات، متنوعة المواضيع والجوانب، وقد نجحت هذه الانطلاقة لعدة أسباب، وأهمها الروح النضالية لجلالة الحسن الثاني الذي أعرب منذ نعومة أظفاره عن غيرته على بلاده، وإيمانه بعظمة أمجاده، وعزمه على قبول كل

معتمدا على الله مقاليد الحكم، وتربعت على عرش أسلافي المنعمين، تلبية للإرادة الجماعية التي تمثلت في بيعتك لي، وتنفيذا لعهد جلاله ملكنا المرحوم وإرضاء للواجب الوطني المقدس». وإنها لعبارات بليغة وغنية، أعطت للحدث العظيم قاعدته الصلبة المتينة، وأبرزت حقيقته الثابتة، وأفصححت عما كان يومن به كل مواطن في قرارات نفسه، وذكرت غيرنا بقواعد تقاليدنا العريقة، وخصائص العرش المغربي الخالد، تجسيدا لمبادئ الخلافة الإسلامية.

ثم جاء ذلك الوعد الملكي السامي، حيث أضاف عاهلنا المحبوب : «إنني أعاهد الله وأعاهدك على أن أضطلع بمسؤولياتي، وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية، وتقالييدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدك على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول». وكنا، نحن المغاربة، ننصت لذلك الخطاب، في تأييد وتحيين وخشوع، وكلنا ابتهاج إلى العلي القدير أن يحفظ ملكنا الشاب وأن يلهمه الطريق السوي لتحقيق مقاصده، وكان دعاؤنا ينبعث من صميم الأثفة، ومن عمق الوجدان، لا رغبة في إسعاد الأمة فحسب، ولكن وقيل كل شيء، لأننا كنا نريد لقائدنا كامل التوفيق ومشمول النجاح، لكوننا على إيمان راسخ بأن في توفيقه انعتاق الأمة، وفي ظفره وفوزه تحقيق لطموحه الذي هو قصدنا وغايتنا.

ومرت السنون تلو الأعوام، واحتفلت الأمة كل سنة بذكرى عيد العرش بإرادة لا تلين، واعتزاز لم ينقطع، وافتخار مشروع ومستمر، ففي يوم الذكرى تزين الشوارع والأزقة، والدكاكين والساحات العمومية، ويجتمع أرباب التجارات وأصحاب الحرف، ويقيم كل حي بل وكل سوق حفلة خاصة به، فيأخذ الاحتفال مظهرها عائليا يلتقي أثناءه الصديق بالرفيق، والتاجر بزميله، والعامل بصديقه، في جويهمن عليه عنصر المحبة والوثام، والفضيلة الخلاقة التي

تستمد عناصرها من ذلك الإجماع المشالي على التأييد المطلق للملك المحبوب، الذي علم الوثام بالمشال، وحقق الوحدة بالتضحيات الجسام، وذكر كل سنة بما أنجزه مجهوده بعد أن خططته عبقريته فنال الرضى والعرفان.

في كل سنة نستمع بخشوع ويقظة إلى خطاب العرش فتطلع الأمة على ما حققه مجهودها بقيادة ملكها الطموح وتوجيهاته النيرة وعزيمته القوية وإبائه الذي لا يعرف الوهن، فتزداد قناعة بأنها على الطريق السوي وذلك ما يقوي معنويتها ويحثها على المزيد من التطلع وعلى المزيد من الالتحام وعلى المزيد من الشكر، ومن التعلق بقائد نهضتها ورائد انطلاقتها الميمونة. وهذا بالضبط هو ما يعطي لكل احتفال بذكرى عيد العرش بعدا أكثر، ومعنى أعمق، ودلالة أقوى، فيصبح التعلق بالعرش أزكى وأمتن، وحب الملك شغفا، والافتخار به طبيعة، والامتثال لتوجيهاته حقا قبل أن يكون واجبا.

وهكذا تعاقبت أعياد العرش، وهي تطلع كل سنة على أفراد الأمة المغربية بتلك الهدايا النفيسة التي نسجها ملكنا الهمام بحكمة ودراية ووضعها في قالب النماء الذي ارتضاه لأمتة الشكورة، فكانت في كل مناسبة باقة فيحاء تنعش الحواس ويتغنى بجمالها المطربون ويفتخر بيهاؤها المنصفون وينعم بعباءاتها الأغنياء والمعوزون لأنها من صنع الملك الماهر الذي ما فتئ يؤكد أن المسيرة المغربية تغني الفقير دون أن تفقر الغني.

إن عيد العرش عيد الملك وعيد الأمة، عيد الارتياح والتلاحم، عيد عائلي على المستوى الوطني، عيد الإخلاص والوفاء، عيد العز والكرامة، عيد الاعتزاز بالمقدسات، عيد الافتخار بالتقاليد والأمجاد، عيد الطموح الجماعي الذي يعترف بالجميل ويسعى إلى إرضاء مجتمع موحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويومن بالله، عيد الوحدة المتراسة بين المسؤول الأول، عاهل البلاد، ورعيته الشكورة.



صاحب الجلالة في المؤتمر الصحفي «الساعة
الحقيقية»

الناجعة، واحتل مكائته المرموقة بين الدول بفضل حنكة
ودراية ملكه. وإذا احتفل بعيد عرشه فمن باب الشكر
للعلي القدير الذي هداه لكل هذا، وما كان ليتهدي لولا أن
هداه الله.

الرباط - أحمد مجيد بن جلون

إن المغرب قلعة المبادئ الخلقية والقيم الإسلامية،
خاض معركة الكرامة بقيادة ملكه الهمام الذي تحمل
التضحيات الجسام في سبيله، وأعلنها حرباً ضروساً ضد
التخلف بتوجيهات عاهله الحكيم فحقق أعلى المقاصد،
وفرض أسس نظام ديمقراطي قويم، بعد أساليب التوعية

وسام الأكاديمية

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المعظم

لأستاذ بهجت الأثري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

يا ابن رأس المجاهدين (محمد)
في الصببا الغضّ جاهداً تتوقّد
أنفٍ شهماً، والغزو يجفني ويطرد
موحشاً عن بلادٍ مُلكك مُبعد
علماً في الشمانيل الزهر أوجد⁽¹⁾
ل، وسدّدت مثمما هو سدّد⁽²⁾
ت زكياً مبراً ومحمداً!

منهما في جلاهما تتميد⁽³⁾،
فضل ما يبده الرجال ونهده⁽⁴⁾

م، فخصّته بـ (المقام المحسّد)⁽⁵⁾
فضل فضلاً من الشناخ محمد⁽⁶⁾
عنده ترخص اللائي وتكسّد،
ثم من بعد عند نسلي متلد⁽⁷⁾

منك يأتي ما يستطاب ويحمد
أنت شاركته بذود العوادي
دافعاً مثله الغزاة، حمى الك
وكما ذاق، ذقت بأساً، ونفياً
وكما كان، كنت شرواه حقاً
ولقد كنت كاسمك (الحسن الفع)
أي فضل أتاه، لم تأتبه أذ

لك عندي يدان .. أسلفت كلاً
بادناً، لا معقياً، وكمال الك

فيدة كرمته جهادي في (العبد
شم أريت مته، فكسوت الك
في (كتاب) زاهي الجلال كريم
سوف يبقى أعلى الكرائم عندي،

(1) شرواه : مثله . (2) سدّد الشيء تسديداً : قومه ورفقه للسداد ، وهو الصواب من القول والفعل
(3) اليد : الإحسان تصطنعه - تتمد : تنشئ وتتميل
(4) بادناً لا معقياً : يشير إلى بدء الملك بتكريمه من غير أن يسبق منه إليه ما يدعو إلى التعقيب
عليه بتكريمه - ويدهه بأمر : استقبله به أو بدأه به ، وبدأه أمر : فعله .. نهذا الهدية : عظمتها
(5) هو كرسي عضريته في (الأكاديمية) التي استحدثها الملك . (6) أريت : زدت .
(7) المتلد : كل مال قديم يورث عن الآباء ، وهو التائد والتلاد .

ويده .. أعقبت فأسدت (وساماً إلى
العلو .. في زهائه تتجلى ،
حفل (القصر) بالنجوم أولي العدا
من أفاصي البلاد من كل جنس
قد تصببتهم بصنيعك حتى

علم) ، فيها يداك ، في أي مشهداً⁽⁸⁾
والسنا .. من لألانه يتوقد⁽⁹⁾
م ، وقد كنت بينهم أنت فرقد⁽¹⁰⁾
عليه جل شأنهم وتمجد⁽¹¹⁾
كاد كل منهم لصنيعك يحفد⁽¹²⁾

* إن (تكريمي) المحبب ، كرمي
كم رأيناك تستخفك ذكرا
وكذا كان قبل والدك السم
إن رعي القرني حناناً وحفظاً
عندها نلتقي القلوب وبحفي ،
.. نال قوهي ونالني من أيادي
استطاب الفعل الجميل المزكي
وهما النسغ للحياة دواماً ،
ليس بعد الفعال والعلم إلا

(للعراق السامي) ، وحب مؤكده
ه ، فتحفي به وترهي وتسعد ،
ح حقيقاً صدق الهوى يتودد
في ضمير الأشراف عقد مؤبد
وعليها هوى الضمائر يعقد
به زيان أذكي الهوى وتعهد
واستطبت العلم الجليل المقلد⁽¹²⁾
بهما نعمة الجنى تتجدد
زخرف يخدع العيون وينفذ

* أنت يا أوحد الأعظيم ، لإسد
صنهما من عداهما ، تحفظ المد

لام عضد ، وللعروبة مسند
ك بلاداً وأمة تتأبد

(8) العلم : العلم
(9) الزهاء : الزهو
(10) الفرقد : نجم يهتدى به
(11) تصبأه : شاقه وفتنه
(12) النسغ : ماء الشجرة

مسيرة المجد

للشاعر
الأستاذ محمد الحلوي

والرياح الهوجاء تقصف عصفاً؟
تتحدى وتقذف الموج قذفاً؟
— يد يلبون داعي المجد صفاً!
وحشود إلى الشهادة لهفى
وهي عزلاء لا تعانق سيفاً
هب في سيرها المظفر حتفاً
موت أو ترك الطرائد خوفاً؟
— وكانت مسيرة المجد خسفاً
شامخ الرأس راضياً مستخفاً؟!
في سراه الطويل أم سوف يحفى
ل ولا تشتكي مع العجز ضعفاً
كل شهم منهم يعادل ألفاً!
م الذي صار بالإرادة طيقاً
قوة الغاصيين حربياً وعنفاً
أهلنا المبعدون ظلماً وعسفاً
فمددنا نحو «العيون» الأكفاً!
في سماء لم تبد كالأيوم أصفى

هل رأيت الجبال تركض زحفاً
هل رأيت البحار وهي غضاب
إنها كالأحرار في موكب المجد
بقلوب إلى الأحبة ظمأى
تتخطى كالليل وهم حدود
لا تبالي بما ستلقى ولا تر
ومتى كانت الأسود تهاب الـ
زلزلوا الأرض تحت أقدام مدريد
من رأى الشيخ لا هثا وهو يمشي
ينهب الأرض لا يبالي أيظمأى
والعجوز الشمطاء تسبح في الرم
وشباباً في عنفوان شباب
عبروا الرمل والحواجز والسه
واستعونا بالسلم ما أخذته
وتولى عهد تحمل فيه
وجرت نحونا «العيون» اثيقاً
وتهاوت عرائس النخل جذلى

مطرق الهام لا يقلب طرفا !
مطمحا شئتة تلقيت لطفنا
ودرب الصعاب بالأمن حفا
أي عرس به التوحيد زفا !
بالتهاني وفاح طيبا وعرفنا
من جديد ولم يكن قط جفا !
سرا ولا رصف الكلام المقفى
هو أحلى من ذائب الشهد رشفنا
ض وكالعصن في ندى الفجر رفا
ع، وهمس ينساب لينا ولطفنا
رصف اللفظ في ثناياه رصفنا
ذوبان الأصباغ ما كان يخفى !
نذر العمر للنضال ووفى
هي في الدرب مشعل ليس يطفى

تطوان - محمد الحلوي

وقفت ترقب الدخيل يولي
وإذا ما إرادة الله شاءت
ووجدت الطريق بالورد مفروشا
أي بشرى لأمتي يوم عادات
رقص الكون فرحة وتغنى
وجرى الحب في شرايين شعبي
وشدا بالقريض من لم يصغ نش
صغت فيه من البيان رحيقا
كعبير الزهور يعبق في الرو
ومن الشعر جنـدل يقرع السم
ومن الشعر معجم ليس شعراً
كالعروس الشوهاء يكشف عنها
بارك الله في بلادي مليكا
وبنى من شوامخ المجد آيا

أحياء ضياء السنة السَّماوي

للشاعر الدكتور مختار الوكيل

كان الشاعر الكبير المرحوم الدكتور مختار الوكيل مدير معهد إحياء المخطوطات العربية، ورئيس الوفد الدائم لجانبة الدول العربية «بجنييف»، لما زار المغرب، وأعجب بجمال مدنه، قد سلم لمجلة «دعوة الحق» هذه القصيدة الجميلة الخفيفة يحي فيها المغرب وملكه... والدكتور مختار الوكيل من فحول شعراء الأمة العربية، وآخر جماعة «أبولو» الأدبية، ومن أعلام الأدباء المرموقين في الأمة العربية رحمه الله.

تقديم

جئنا رباط الفتح في المساء
فيا لها من بلـدة زهراء
الليل فيها ضاحك الأضواء
والشعب، شعب المجد والإباء
ذو هممة عالية قعاء
يختال في أمجاده الفراء
ويزدهي بحاضر معطاء
دين ودينا، في تقى وضاء
غرب وشرق، جمعنا للرائي!
سبحان ربي جامع الأشياء
في بلـدة القرآن والقراء!

☆☆☆

جئنا نغذ السير في الأجواء
من بلدة (المعزة) ذي الآلاء
(الفاطمي) ذي اليد الوظفاء
من بلدة (بأنور) نوراء
غب انتصار بـأهر اللألاء
شاركت فيه بلدة العلياء...!
... جئنا نغذ الريح في الهواء
(للعلوي) الشامخ العلاء
... (الحسن) العالي، بلا استعلاء
من يبرم الأمر بلا إبطاء
أحياء ضياء السنة المحياء!
وقاد مسراك إلى العلياء

مصر : الدكتور مختار الوكيل

تحليل و تنظير نقدي للمصادر العربية والأجنبية لتاريخ إفريقيا

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

...المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية، امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأروبي...
إن المغرب يحترز من أن يعيش في الماضي، ولكنه مع ذلك يأخذ من ماضيه العبر الكبيرة، والدروس التي تقوده في الحاضر، والتي يمكن أن ترمم خطاه في المستقبل.

- الحسن الثاني -

الاجتماعي، بل هنالك قضايا يتحاشى المؤرخون الحديث عنها كالإسرائيليات النابعة عن الجالية اليهودية في المنطقة، أو ما جريات تتعلق بأشخاص لم يكونوا مناط رعاية من طرف سلطات قائمة أو ابتكارات علمية وفتية يخفى بعدها الحضاري عن بعض الفقهاء الذين كانوا يوجهون الفكر العام، ويتحكمون أحيانا في القضايا المصيرية، مثل ما وقع في عهد الموحدين ضد تطور الفكر الفلسفي والإبداعات العلمية وخاصة الطببية التي سجن

يميل البعض إلى القول بأن بعض الأقطار الإفريقية كالمغرب قليلة العناية بالتاريخ، بل تهمله كلاً أو بعضاً، ولعل في هذا الزعم جانبا من الحقيقة لأن بعض ما وصلنا من الكتابات والوثائق في الموضوع هو دون المستوى كما وكيفاً، بل إن من حاول توثيق هذه المواضيع، أغفل الكثير من الأحداث التي تحيد عن نطاقات خاصة، وقد تشير إلى جوانب فكرية أدبية ترمم صورها نثرا وشعرا مهملة جوانب أخرى لا تقل أهمية كالمجال الثقافي والاقتصادي

* (هذا البحث وضعناه أسالة باللغة الفرنسية بطلب من منظمة (اليونسكو) مرفقا بمسرد مطول عن المصادر المختلفة لتاريخ إفريقيا مرتبة على الحروف الأبجدية.

ونفي بعض أقطابها لم نعرف عنهم إلا القليل مما تفضل به المؤرخون الغربيون من فتات، في حين بدأت مخطوطات مصنفا تهم التي تم الكشف عنها، تطالعنا بالتيار الخلاق الذي حركت أمواجه هذه الإبداعات...

☆☆☆

على أن بعض المؤرخين المغاربة الذين عاشوا في الخارج مثل عبد الواحد المراكشي صاحب (المعجب) شعروا بحرية أكثر في دراساتهم النقدية لتاريخ المغرب، مما جعل شهادتهم أجدر بالثقة وأقرب إلى الحقيقة، وهنالك مؤرخون أو رجالون آخرون مثل (ابن جبير السبتى) عاشوا فترة في الخارج ولكنهم ظلوا مع ذلك يتزلفون إلى بعض ولاة الأمر بإضفاء طابع خاص على بعض الأحداث، ويتنافى مع الحقيقة مثل تنبؤاته باحتمال سيطرة الموحدين على مصر ودول أوربية وهنالك مصنفا ورسائل ومذكرات عربية مغربية أندلسية أو شرقية تحدثنا عن أشخاص نجهلهم أو وقائع نسعها لأول مرة أولا نعرف عنها إلا القليل وأحيانا القليل المشوه فلذلك توجد مصادر عربية مختلفة تتكامل فتستحق التحليل والتنظير ومهما يكن فإن القدامى من المؤرخين والرحالين بصورة تكاد تكون عامة لم يولوا كبير عناية بالشعبة الثقافية لتاريخ العالم الإسلامي ومنه إفريقيا عامة، والمغرب الكبير خاصة، بل إن الجانب الاجتماعي لم يحظ منهم إلا برعاية جد محدودة إذ لم يهتموا فعلا إلا بالمجالس السياسية وبعض مؤثراتها أو لوازمها وتناجها الاقتصادية فأصبح التاريخ مقصورا بذلك على مجاذبات ومواجهات عسكرية جعلت من التاريخ وصفا لحروب ومعارك تتخللها عند الحاجة استطرادات ذات طابع أدبي أو وجه اجتماعي غامض كل الغموض فمن الصعب - والحالة هذه من انعدام وثائق ومستندات دقيقة ومعلومات أكيدة - أن نرسم لوحة ولو مكبرة واضحة المعالم جلية المفاهيم عن السمات العامة التي يجب أن تطبع المبادئ الاجتماعية والاقتصادية أو الثقافية والعلمية، فلا نجد في الواقع سوى عناصر مبعثرة، هنا وهناك، قد جمعها مؤرخونا تجميعا

كتليا لا يسمح لنا بتوليف كامل ترتب على مرآته انعكاسات قد تفيدنا حتى ولو كانت ناقصة ونحن لا ننكر أن بعض المؤرخين والرحالين العرب قد استطاعوا أن يلقوا لنا ضوءا كاشفا على بعض الجهات التي زاروها من العالم الإسلامي وغير الإسلامي أمثال ابن خلدون وابن بطوطة وعبد الواحد المرڪشي والإدرسي والحسن الوزان (ليون الإفريقي) من المغرب أو زملائهم المشاركة كإبن خرداذبة وإبن حوقل وإياقوت الحموي والاصطخري وغيرهم ولكن تقولهم وأوصافهم لا يمكن تقويم أبعادها ومدى دقتها إلا بعد مقارنتها في دراسة نقدية دقيقة بمعطيات واردة في مصادر أخرى أجنبية أو عربية غير تاريخية مثل مصنفا علمية تندرج ضمن المخطوطات الغيبية التي لم يقدر لها بعد الخروج إلى النور والتي تبادرنا مطابع بتحقيقات عنها بين الفينة والأخرى فنستغرب من انطوائها على ابتكارات تبنها غربيون بعد ذلك وبالعكس من ذلك نجد مؤرخين آخرين يضمون بعض مظاهر الحضارة الإسلامية والعربية التي لا يمكن استجلاء الغث منها إلا بمقارنات موضوعية نزيهة.

فلذلك يعتبر تحقيق جوانب تاريخ إفريقيا رسالة هامة يجب الاضطلاع بها وتركيب أجزائها المتناثرة - القيام بدراسة مقارنة تتوجه فيها النصوص وتتكامل مع محاولة استقراء كل ما يتوفر من مستندات داخل أقطار إفريقيا من جهة أو خارجها كالأندلس والبلاد الشرقية.

☆☆☆

ويمكن أن نعتبر في هذا الصدد أن العناصر الأولية للحضارة الإفريقية تكمن في وثائق ذاتية إقليمية أو محلية تستمد من احتكاكات أو تبادل عطاءات كما وقع بين صنهاجة إفريقيا وجنوب آسيا وخاصة اليمن وإن كان هنالك انعكاس أولي للعنصر الشرقي على المغرب الكبير أو إفريقيا عموما بواسطة حضارة (القيروان) التي ظلت تأثيراتها غير واضحة خلال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الإسلام تلك التي وصفها (كوتبي) Gautier بالعصور الغامضة في المغرب غير أن الصحراويين الأفارقة من

ولعل بعض المصادر العربية تهتم بالجزئيات وأحيانا بالتوافه مغفلة الجوهر إلى حد أن المؤرخين الأجانب مثل (كوتبيي) gautiés و(مارسي) marçais لم يروا في ذلك سوى أدب روائي وأهمين لأن مؤرخ القرن العشرين يجب أن لا ينظر بمنظار عصره الخاص لأحداث العصور السالفة حيث يحتم عليه النقد التاريخي ومقارنة النصوص وسبر أغوار ما بين السطور والتعرف على الخلفيات السيكولوجية التي تطبع بعض الشعوب أو طبقات من هذه الشعوب حتى لا يفرق الفكر العربي بخصوص التاريخ الإفريقي في خضم من الأنظار الساذجة التي تعم الأحكام بقدر ما تستعجل في إبدائها وإن كان هنالك حقائق أغفلتها الوثائق التاريخية المغربية أو مرت عليها مر الكرام دون استيفاء ولا تمحيص مثل إهمال ذكر الكثير من رجالات المغرب الذين قضوا حياتهم في الشرق والذين تحفل مصنفات المشاركة بوصف مآثرهم وأمجادهم أمثال عبد الواحد المراكشي ومحمد بن محمد ابن سليمان الروداني الذين تعرفهما بغداد أكثر مما يعرفهما المغرب بلدهم الأصلي بل هنالك مغاربة انتقلوا إلى المشرق وأصبحوا مجتهدين في المذاهب الثلاثة فأغفلتهم طبقات المذهب المالكي وهنالك بصورة عامة أحداث مغربية ذات طابع تاريخي (ثقافي أو سياسي أو عسكري) تعوز المصادر المغربية أو العكس ومن جهة أخرى يمكن القول بأن التأكد من صحة بعض المعطيات في مراحل محددة من التاريخ يستلزم مقارنة من نوع آخر بين نقول القدامى ووصفات المحدثين حتى من البلد الواحد ذلك أن قسما من تاريخ إفريقيا يتبلور موضوعيا في صور ما زالت قائمة في كل بلد إفريقي يكفي تسجيلها أو تسجيل نوعية تطورها عند الاقتضاء وهي تشكل في الواقع مصدرا حيا يعطينا صورة عن ماهية تبادل الأقاليم أو القبائل وهي مبادلات موصولة في التاريخ أذكتها حركات الفرق البدوية الرحالة التي نقلت مثلا هوارة⁽¹⁾ إلى صعيد

مرايطين وموحدين قد عرفوا منذ القرن الخامس الهجري كيف ينفخون روح الحياة في معاشات وفنون امبراطوريتهم الإفريقية الشاسعة مستمدين من العطاء الشرقي الذي انتقل إلى إفريقيا عن طريق القيروان، هنالك تكونت حضارة يانعة عرفت بحضارة (المغرب الإسلامي) قام فيها أولئك الصحراويون بدور فعال وخاصة المغرب الأقصى الذي اعترف المؤرخ الفرنسي (طيراس) بأنه حقق أروع معطيات هذا (المغرب الإسلامي).

☆☆☆

فإذا أردنا إذن أن نتعرف على تاريخ القارة الإفريقية في جميع سياقاتها ومجاريها بدقة وموضوعية فالواجب يقضي بالارتكاز على ثلاثة مصادر اتضح تكاملها والتي تتبلور في سير العلماء والصوفية ولذلك العناصر التاريخية الصرف المستمدة من المصنفات الشرقية والمغربية والأندلسية بالإضافة إلى عنصر رابع إفريقي بحث وبذلك يجب أن تندرج وتنصهر في هذه البوتقة كل المستندات مهما تكن ميزاتها وطابعها مع العلم بما قد يندس بين السطور أو بمحتويات مخطوطات لم يكشف بعد عنها في الخزانات الخاصة بمقاطعات إفريقية خارج نطاق المغرب الكبير أو مصر، على أن هذه المعطيات تكون أحيانا مشتركة المصدر والاتجاه بين الأفارقة كافة كتاريخ الحركة الصوفية القادرية أو الشاذلية منذ القرن السابع الهجري أو التجانية منذ أواخر القرن الثاني عشر بالإضافة إلى تاريخ تطور المذهب المالكي (أو غيره من المذاهب بصورة أقل) الذي أضفى على أعراف إفريقيا وعاداتها واختياراتها الحضارية اقتصادا وثقافة واجتماعا صبغات خاصة تتبلور أحيانا حتى في الأمثال والملاحين الشعبية وأبسط مظاهر الحياة لدى المواطن الإفريقي البسيط ككلمة أروع مصدر حي للتاريخ الإفريقي.

☆☆☆

(1) قبيلة بربرية من فخذاتها الهكار وهم طوارق الشمال وانتقال الواو إلى الكاف معروف في البربرية.

مصر وصنهاجة إلى اليمن في مناقلات مكوكية وتتجلى الهندسة المعمارية البربرية من جهة أخرى بفضل مطايطتها وثيقة الصلة - كما يلاحظ الأستاذ طيراس (2) بمعماريات الواحات المصرية التي ربما أشاعتها بلاد الكنانة في عهود الفراعنة إن لم تكن قد أبدعتها ويمكن أن تشير هنا إلى مظاهر التجانس الملحوظة في البنيات المعمارية اليمنية والمغربية وهي مظاهر تنطوي على كثير من المجالي الدقيقة التي تطبع الحضارتين نابعة من التحركات الصنهاجية الآسيوية الإفريقية.

أما الثروات الباهظة التي تضمها بعض المكتبات الإفريقية الكبرى فإنها ما زالت في طي الغيب لم يكشف بعد عن كنوزها خاصة منها الخزائن الخاصة الفردية أو الأسرية التي يرض بها أصحابها ولعل بعض التقارير التي وضعها قناصلة غريسون أو مراقبون مديونون في عهد الاستعمار في كل الجهات الإفريقية لا تخلو من فائدة لأنها تستمد فعلا من ثلاثة مصادر محتملة هي :

(1) التحقيقات والتنقيبات الشخصية.

(2) شهادات سكان البلد.

(3) معلومات منتشرة في غياهب الوثائق العائلية تم الكشف عن قسم قليل جدا منها، ولذلك تندرج كل هذه المعطيات في لائحة المصادر العربية بالإضافة إلى ملاحم الملحون وقصص الجهاد ضد الاستعمار التي تتغنى بالأمجاد وهي أيضا مشحونة بمعلومات - ولو في شكل إشارات عابرة - عن جوانب اجتماعية واقتصادية وتشمل هذه الإشارات أحيانا جهات تأقلم في فيا فيها بدو رحل فوصفوها في أمثالهم وأحجياتهم ومعلوم أن الإفريقي يجول ثم يعود إلى أخته كالجياذ العربية حيننا إلى مسقط رأسه وإن كان يعتبر مجموع القارة السمراء وطننا له لوجود أشقات كل

قبيلة في مجموع هذه الأنحاء وقد نجد في بعض الأحيان كلمة أو عبارة مشحونة بعناصر تاريخية ذات مغزى فاسم إبراهيم عليه السلام قد اختزل في مناطق إفريقية إلى (بريم) وهو الاسم الأصلي للخليل أضيف إليه حرفان إثنان للتفخيم هما الألف والهاء (3).

فنحن نرى إذن أن بعض العناصر الهامة التي تسهم في رسم لوحة واضحة حول المسار الحضاري الإفريقي سواء داخل القارة أو خارجها - وفي الأندلس خاصة - تكمن في العطاء الصنهاجي الصحراوي فكلمة صنهاجة التي تنفرع عنها زناجة وزنجي وسنغال - هي سر ذلك التلاحم الدقيق بين اللهجات الصنهاجية واللهجات العربية في جنوب آسيا لا سيما منها اليمن وقد شاهدنا في قلب الأطلس المغربي أوائل الستينات رقاصين ومغنين يعننين يلحنون أناشيد باللهجات متقاربة يفهمها الأطلسيون كما يفهمها العرب اليمنيون.

والواقع أننا نعثر في المصادر العربية للطرفيين على معطيات غميسة لم تنشر حول تاريخ المغرب.

وقد كان لإفريقيا من خلال أبنائها صنهاجة المرابطين الذين انحدروا من أقصى الجنوب أثر فعال على الحضارة المغربية والأندلسية معا فهناك وثائق عربية جمة لا يزال بعضها غميسا تصف لنا أبعاد هذه الآثار الصحراوية على حضارة من أروع حضارات العالم ولاشك أن دراسة تقديرة لهذه النصوص ستفند بعض الأطروحات مثل مزاعم المؤرخ (دوزي) Dozy الذي يرى أن الفتوح المرابطية أسفرت عن ثورة، مفاجئة. حيث قامت الوحشية مقام الحضارة والتطير مقام العقلانية والعصبية الدينية مقام التسامح، (4) غير أن مستشرقا إسبانيا هو (كديرة) Cadera قام برد الماء إلى مجراه (5) والحق إلى نصابه، والواقع أن المصادر

(5) في كتابه الموسوم ب «تتهقر وانحدر المرابطين في إسبانيا» - طبعة سرقطة.

عام 1889 ص 191.

(2) تاريخ المغرب ج 1 ص 19 H. Terrasse.

(3) مختصر تذكرة القرطبي للشعراني - الطبعة الثانية - دار أسامة 1383 هـ ص 28.

(4) كتاب «أبحاث حول التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا» - الطبعة الثانية ج 1 ص 343.

أرباع القرن قشتالة بالأندلس والجزائر بالمغرب الكبير وتجاوز صيتهم مجموع أوروبا ليشع في أقاليم شاسعة امتدت إلى المشرق وقد اتمت الحضارة الأندلسية بعد ذلك بفضل البذور الصحراوية - بروعة وازدهار لا سيما وأنها تزامنت - كما يقول أندري جوليان⁽⁹⁾ A. Julien مع الانضباط الذي نقله الموحدون إلى الأندلس وقد لاحظ ابن جبير في رحلته⁽¹⁰⁾ أن الحياة الاقتصادية والفكرية لم يلحقها أي خلل في عهد المرابطين والموحدين بل إن المؤرخ ميللي mille⁽¹¹⁾ الذي عاش في الشمال الإفريقي يلاحظ بخصوص النظام الجيائي أن إفريقيا تنفست الصعداء لأول مرة منذ عهد سحيق ويساند المؤرخ الفرنسي ميشو بيلير - michaux Bellaire هذا الرأي عندما يؤكد أن الفينيقيين والقرطاجيين وحتى الرومان لم يعملوا قط على إقامة النظام والانضباط والقضاء على الفوضى والاختلال بل استنزفوا البلاد وانتزعوا من خيراتها كل ما استطاعوا مهتمين بمنتجاتها أكثر من عنايتهم بسكانها الذين أخضعوهم لأقسى المتاعب وأشد التحملات على أن المؤرخ (بلين) Pline نفسه وهو روماني أكد «أن إفريقيا الرومانية بكاملها كانت في ملك خمسة أشخاص رومانين» فأمتت آنذاك بمثابة مستعمرة كبرى تستغل استغلالا كليا (أندري جوليان) ولذلك تقبل الأفارقة الدين الجديد وهو الإسلام كخلاص مما عانوه من بؤس وتحملوه من جبايات مرهقة...

☆☆☆

كل هذه النقول التي قصدنا استقائها من مصادر أجنبية - تدل على وجود نقص - مع استثناءات محدودة - في معظم المصادر العربية حيث يطفى سرد الأحداث السياسية على الجانبين الثقافي والاجتماعي الاقتصادي ولذلك يجب القيام بتوصيلات وتقطيعات تنظيرية مع محاولة قراءة ما بين السطور وتقد ادعاءات بعض المؤرخين

العربية نفسها هي منبع هذه الأوهام لأن بعض المؤرخين المسلمين وخاصة المغاربة لم يروا في شخص باعث ومحرك الفورة المرابطية : ابن تاشفين ورفاقه عدا رجال اتسموا بسمات الولاية الروحية ضاربين صفحا عن شمائلهم ومزاياهم الحضارية ولعل أقل ما امتاز به ابن تاشفين هو احتضانه ورعايته لرجالات أفذاذ كالذين وجدهم في بلاطات ملوك الطوائف وكذلك نجله علي الذي تحدث لنا عنه وعن والده مؤرخ عاش خارج المغرب وهو عبد الواحد المراكشي⁽⁶⁾ فأبرز شيم حاشيتهما وما احتوته من كتاب وأدباء وعلماء عباقرة لم يعرف لهم نظير في أي عصر من العصور فقد ظهر في هذه الفترة علماء وشعراء أو فلاسفة وأطباء أمثال ابن زهر وابن طفيل وابن باجة وابن خفاجة وابن قزمان بل إن الإيواء والاحتضان ذهباً أبعد من ذلك حيث اتخذ أبو بكر بن إبراهيم المسوفي أمير غرناطة وصهر يوسف ابن تاشفين عام 500 هـ / 1106 م ابن باجة وزيرا له في سرقسطة وقد كان المسوفي هذا زعيم قبائل صحراوية⁽⁷⁾ فهؤلاء الصحراويون المرابطون والأفارقة الأقحاح قد أقاموا إذن فترة انتقال لا تخلو من شرف ونبل بين عهد ملوك الطوائف والعصر الموحد بل كانوا صلة وصل بين اسبانيا أي أوروبا الغربية وغربي البلاد البربرية⁽⁸⁾ ولعل فضل نشر العربية بالأندلس يرجع إلى (سعيد بن القزاز) الصحراوي البربري الذي تطلع في علوم اللغة العربية - إلى حد أنه قام بتصفية لغة الضاد بالأندلس وقد وصف ابن بشكوال الصلة ص 208 هذا الصحراوي الإفريقي بأنه انطلق في نقد مر لصاعد البغدادي حامل لواء العربية في الشرق وصاحب كتاب (الفصوص).

وفي هذا السياق فرض الفن الأندلسي نفسه على مجموع القارة الإفريقية ضمن مبادلات ثرية بفضل هؤلاء الغزاة الصحراويين الذين بلغت حدود مملكتهم طوال ثلاثة

(6) في كتابه (المعجب).

(7) (الإحاطة) لابن الخطيب - طبعة عبد الله عنان م 1 ص 412.

(8) كتاب (جورج مازري) G. marçais الموسوم ب : (مجمل الفن الإسلامي) م 1 ص 297 - 301 manuel d'Art musulman.

(9) تاريخ إفريقيا الشمالية - الفصل الخاص بالموحدين.

(10) التي ترجمها إلى الفرنسية كودفروا دومونيين G. Demombynes عام 1949 ص 5.

(11) في كتابه (الموحدون) ص 84 طبعة 1923.

سفير الأمير صلاح الدين الأيوبي (أسامة بن منقذ) بطل الحروب الصليبية يستجد بأسطول يعقوب المنصور.⁽⁷³⁾

وقد ظل المغاربة يحملون طوال أزيد من ثلاثة قرون كأفارقة رسالة الإسلام في البحر الأبيض المتوسط فلذلك تنطوي الوثائق المغربية الأندلسية والمستندات الإفريقية الإقليمية أو المحلية على عناصر هامة من تاريخ القارة فهنا لك مجموعة من المصنفات الأندلسية تتحدث لنا بإسهاب عن المغرب وإفريقيا الغربية إلى ثخوم السنغال كما هنالك رسائل وكتب نبعت من إفريقية (تونس) لسد فراغات في هذا المجال حيث تصف لنا (ككتاب المؤنس) أحداثا وأشخاصا لم ينشر عنهم في بلادنا إلا القليل وليس ذلك بيدع لا سيما بالنسبة للفترات التي ظل فيها الشمال الإفريقي خاضعا لنفوذ ملوك المغرب الأقصى المرابطين والموحدين والمرينيين حيث توثقت صلات متينة رصعت الكيان الإفريقي المغربي الأندلسي فليس إذن من العبث في دراستنا هذه حول المصادر العربية لتاريخ إفريقيا أن ندرج بعض ما يتعلق بتاريخ هذا الكيان وتطوره في عهود محدودة وربما أيضا في أعقاب هذه العهود ! أو ليس إدارة السودان من سلالة مولانا الإمام محمد بن علي الإدريسي حفيد مولانا محمد بن سليمان فهذا الأخير هو آخر المولى إدريس الأول الذي ورد قبله إلى تلمسان عقب (وقعة الفخ) وإن كان ابن خلدون قد وصف لنا هذا الحدث في تاريخه بينما أكد على العكس في القسم المخصص للعباسيين - أن المولى سليمان استشهد في الواقعة المذكورة ومهما يكن فقد أشير إلى وجود هذه الشعبة من الإدارة في أرض السودان⁽⁷⁴⁾ على أن شعبة أخرى من نفس السلالة استقرت في (توات) بالصحراء الشرقية ويقال بأن المولى سليمان هو الذي بنى قصر (آيت أوثن) في تيمي حيث أقبر جثمانه.⁽⁷⁵⁾

(74) (الدرر البهية) للفضيلي م 2 ص 183.

(75) (الواحات الصحراوية) - القبطان مارتان - الجزائر 1908.

الذين حداهم التزلف إلى قادة بلادهم أو رؤسائهم المباشرين إلى تقليص العطاءات الحضارية التي نبعت من أسر مالكة سابقة وهذا الملحظ لا يصح مصنفات التاريخ وحدها بل هنالك كتب علمية لم تخل من هذا التحريف فكتاب (التيسير)⁽⁷²⁾ لابن زهر (Avenzoar) مليئ بما يستهدف الرفع من قيمة وصيت الموحدين على حساب المرابطين فهذا الخلل الذي تلاحظه أحيانا في مصادر عربية يثير شيئا غير قليل من الحيرة والاندھاش لدى قراء لم يستأنسوا بذلك ولم يدركوا أن الكشف عن الحقيقة يستلزم التنظير بين المصادر وهو خلل لا تخلو منه أيضا المصادر الأوربية.

فالمغرب الصحراوي المرابطي والموحدي هو الذي استطاع إذن أن يحتل مكانة الزعامة في إفريقيا خلال هذه الفترة الزاهرة التي عرفت أروع التحام بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط بل إن إشعاع المغرب امتد إلى المحيط الأطلسي مما ظفر بوصف جلي دقيق في المراجع الأوربية أكثر منه في المظان العربية فإذا ما تحدث لنا ابن أبي زرع في (روض القرطاس) عن الأربعمائة قطعة في الأسطول الموحدي فإن المؤرخ الفرنسي (أندري جوليان) الذي قارن بين هذا الأسطول والقطع البحرية في الغرب قد ذهب أبعد من ذلك فوصف الأسطول المغربي بأنه «أول أسطول في البحر المتوسط» وكان جبل طارق قد أحيى في سنة الأخماس وهي عام 555 هجرية إلى مركز إستراتيجي عظيم في المنطقة فلذلك أصبح للأسرة المالكة الموحدية الصحراوية أي الإفريقية الصميعة صيت واسع بفضل ثرواتها وجيشها وأسطولها مما حدا أفارقة آخرين مثل سكان القاهرة والأسكندرية إلى الطموح للانصياع لحماية موحديه كما يلاحظ ابن جبير في رحلته - وقد ورد إلى مراکش

(72) كتاب تقوم الآن أكاديمية المملكة المغربية بتحقيقه مع مقدمة لعضو الأكاديمية السيد عبد العزيز بن عبد الله.

(73) البيان لابن عذاري ج 4 ص 144 / فجع الطيب للمقري ج 1 ص 419 ابن خلدون ج 6 ص 246.

ومن المعلوم أن أبا بكر بن عمر بن تلاكاكين⁽¹⁶⁾ أمير الصحراء قد نصبه على أريكتها الخليفة يوسف بن تاشفين فأدخل السنة وأثبت معالمها في تارودانت أو (ردانة) عاصمة سوس حيث وجد بقايا مذهب الرافضة الذي نشره هناك على يد عبد الله البجلي مثل شيعة إفريقية من العبيديين وهو الذي أسس مدينة مراكش عام 461 هـ / 1068 حسب جماعة من المؤرخين.⁽¹⁷⁾

وقد أدى إدريس أمير (برنو) قسم البيعة عام 990 هـ / 1582 م إلى ملك المغرب المنصور السعدي بفاس ملتصبا نجدة المغرب لمحاربة مشركي السودان والسلطان التركي عثمان مراد هو الذي أوصاه باللجوء إلى بلاط فاس⁽¹⁸⁾ وقد عاش بالمغرب علماء أفارقة أفذاذ في عصور مختلفة تقتصر على ذكر بعضهم أمثال :

- أحمد بن الأمين السوداني الفقيه المهندس أستاذ الرياضيات بمراكش والصدوق الحميم⁽¹⁹⁾ لسلطان المغرب المولى محمد بن عبد الرحمان إبراهيم السوداني بن المجاهد الكبير سيدي عمر الفوتي الذي كان يسكن بمراكش وكذلك إبراهيم بن محمد الذكراني.⁽²⁰⁾

☆☆☆

نعم إن إفريقيا قامت بدور رئيس في غزو الأندلس ونشر معالم الحضارة في ربوعها إذ منذ عام 92 من الهجرة كان على رأس جيش بربري إفريقي قوامه عشرة آلاف رجل قائدان إفريقيان اثنان هما طارق بن زيادة وطريف ويحمل جبل أندلسي اسم أحدهما وهو جبل طارق كما تحمل مدينة إسبانية اسم القائد الآخر وهي طريف وفي هذا الخضم من الأفارقة لم يتجاوز الجند العرب ثلاثمائة رجل⁽²¹⁾ مؤطرين بقيادة إفريقية على أن الأفارقة ظلوا بعد

ذلك العنصر الجوهرى في الجيش الأندلسي حيث ضم جيش الخليفة الأموي عبد الرحمان الثالث رجالا أفارقة استنفرهم من طنجة.⁽²²⁾

على أن ابن جبير قد تحدث في رحلته⁽²³⁾ عن بحارة مرابطين كأبطال في أسطول صلاح الدين الأيوبي.

وخلاصة القول إن مظاهر مختلفة تطبع الحضارة المغربية الأندلسية والإفريقية تتداخل بصورة ينعكس معها تاريخ الأندلس على جوانب من أحداث المغرب وإفريقيا والعكس نفسه وارد إذ لا يقل واقعية إذا اعتبرنا الدور الإفريقي في العدو الشمالية من خلال الأمراء المرابطين والموحدين فهؤلاء هم الذين شادوا (مرصد الخالدة) Géralda أو منارة جامع اشبيلية وكلا من جامعي حسان بالرباط والكتيبة بمراكش حيث تساوقت عناصر معمارية رائعة تجمع بين ضخامة الهيكل ودقة الجزئيات البنيوية وغير خاف أن السكن في إفريقيا لم يكن يتجاوز مجموعات مداشر أو «قصور» بسيطة لأن المتمدنات المتماسكة كانت بعيدة عن عالم البدو وإنما بدأت تتكون تحت تأثير (الخوارج الإباضية) بالجزائر والأدارسة بفاس والأفواج الصنهاجية التي انحدرت من ضفاف نهر السنغال إلى الشمال أوائل القرن الخامس الهجري ذلك أن الإسلام استطاع أن يحد من التفتت القبلي بإفريقيا ومن الانفصالات التي مزقت أوصاله - تخلق متمدنات متلاحقة بين قبائل التف رؤساؤها حول أمير تقبلوا قيادته عن رضى وبذلك انبثقت الروح الإفريقية لأول مرة عن إحساس جديد تلقائي بلوره الإيمان ووحدة العقيدة لم يسبق أن عرفته المصادر العربية أو غيرها من قبل فقد وجد قسط من بدو القارة الإفريقية في الإشعاع المحمدي والشريعة الإسلامية بما تنطوي عليه

(20) الإعلام أيضا ج 1 ص 181 - 191 (طبعة الرباط).

(21) الاستقصا ج 1 ص 45.

(22) (دوزي) - تاريخ مسلمي إسبانيا ج 2 ص 137.

(23) القسم الفرنسي منها ص 66 - طبعة 1949.

(16) يسميه البعض تاكلين الذي كان أحد أجداده أميرا للصحراء وتوفي عام 222 هـ / 836 م.

(17) الاستقصا ج 1 ص 102 البيان لابن عذاري ج 1 ص 430.

(18) الاستقصا ج 3 ص 49.

(19) الإعلام - عباس بن إبراهيم المراكشي ج 2 ص 409 - طبعة الرباط عام 1974.

بأوروبا وظل كذلك قرابة أربعة قرون إلى القرن الحادي عشر الميلادي وكان أيضا هو العملة المتداولة بين إفريقيا والشرق الأدنى كما سنراه في تحليلنا للمعطيات الاقتصادية من خلال بعض المصادر العربية ولكننا نبادر فنقول من الآن إن أول درهم إفريقي عرفناه هو الدرهم المسكوك في عهد الإدارة بفاس عام 185 هـ (801 م) كما يؤكد ذلك الحسن الوزان (ليون الإفريقي) ويدعمه وجود قطعة فضية منه في متحف (كاركوف) بالاتحاد السوفياتي.

☆☆☆

ومن جهة أخرى نتحدث مصادر عربية عن أصناف أخرى من هذه المعالم الحية مثل المدرسة الإدارية التي أسسها بمرآش عبد المومن الموحي والتي بلغ عدد طلابها ثلاثة آلاف أغلبهم صحراويون شكلوا الأطر الأولى للجهاز الإداري المغربي آنذاك حيث كانت تلقن بالإضافة إلى بعض علوم العصر - إسلامية وغيرها - تدريبات على الفروسية والرماية والسباحة والجذف وقد برهن الأفرقة حتى في قلب الصحراء عن عبقرية في هذا المجال مما حدا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إرسال ستمائة شاب من (آيت عطا) بالصحراء وأربعمائة من صحراويين (تافيلالت) إلى طنجة لممارسة مناورات بحرية على ظهر الأسطول المغربي.⁽²⁷⁾

☆☆☆

وتاريخ المذهب المالكي يشكل من جهته مصدرا لا يقل أهمية في تاريخ القارة الإفريقية لما طبعه من سمات إسلامية عميقة على حضارتنا المشتركة فقد برهنت إفريقيا التي تدين بالمذهب المالكي عن مثالية نادرة واستقامة ونزاهة وصدق في السلوك والمعاملة لم يتخلل أعمالها ما يشينها من قرصنة وأشباهاها من وجوه السطو ومظاهر الخلل

من مرونة وتسامح حوافز الوحدة وبواعث التآلف التي لم تكن النفس الإفريقية تستيعفها قبل أن تخالط القلوب بشاشة الإيمان وترصصت هذه الوحدة بهجرات واسعة بين القارتين الإفريقية والأوروبية سجلت معالمها مصادر أندلسية ومغربية وإفريقية شكلت مع تواصل الأزمنة قسما هاما من المراجع والمظان العربية التي وضعنا عنها للذكرى فقط لائحة طويلة وإن كانت ناقصة وهكذا انضافت إلى العامل السيكولوجي الذي رسمت خلجاته المصنفات الإسلامية في مجالات الفقه والأخلاق جواذب لماعة لحضارة جديدة ينبعث من رصيدها الروحي إشعاع تفتقت أنواره فأضاءت أركان وزوايا الحياة الحضرية في القارة الإفريقية فقد انحدرت من قرطبة إلى فاس عام 199 هـ / 814 م بعد (وقعة الرض) ثمانمائة أسرة عربية بربرية كما هاجرت بعد ذلك إلى فاس ثلاثمائة عائلة أخرى من مدينة القيروان التي كانت تعتبر إذ ذاك أعظم حاضرة إفريقية وبذلك «تتلذذت أقدم عاصمة لرجال الفكر الإسلامي وهي القيروان - كما يقول ماري - لمدرسة برابرة إفريقيا الغربية»⁽²⁴⁾ ومن المقيد أن نشير هنا إلى أن أبا إسحاق الساحلي المعروف بتويجان وهو شاعر أندلسي توفي بتبكتو عام 747 هـ (1346 ميلادية) - قد لقي سلطان مالي منسا موسى في مكة المكرمة أيام الحج فاصطحبه إلى (مالي) حيث شاد له قصرا على الطريقة المعمارية المغربية (من تقوش على الجبس والخشب وتلوينات مشبعة).⁽²⁵⁾

وهناك مصادر حية تكمن في نتائج الخفريات والتنقيبات التي أجريت حول حواقر عتيقة فقد عثر في (وليلي)⁽²⁶⁾ على 231 درهم أموي من الفضة ودينار ذهبي وكتلة من الدراهم الأندلسية يرجع تاريخ سكها إلى عام 79 هـ و125 هـ - 699 م - 743 م) وكان الدرهم يعتبر آنذاك تقدا معياريا monnaie-talon في عالم التجارة

(26) مجلة هيريس م 37 ص 133 عام 1956.

(27) كتاب (المؤسسات والأعراف البربرية Institution - للمؤرخ سوردون من Surdon ص 85.

(24) كتاب (محمل الفن الإسلامي) ج 2 ص 469.

(25) الاستقصا نقلًا عن ابن خلدون (ج 2 ص 74 / نفع الطيب ج 2 ص 393.

والفوضى وما تلك الشردمة من القراصنة الأفارقة الذين استحلوا الدماء والأعراض والذين تتحدث عنهم المصادر الأجنبية سوى ثلثة من الخوارج الذين كانوا يعتقدون أنهم يحسنون صنعا عندما يقتنصون المسلمين ويبيعونهم إلى المسيحيين كما لاحظ ذلك التجاني في رحلته إلى تونس عام 706 هـ / 1306 م وقد حدد مواقع هذه الشردمة الشريفة في بجاية وعنابة وجربة وهي فئة شاذة لا تمس كرامة ونبيل هذه الحواضر على أن هذه المجموعة لم تكن حتما إفريقية لما سطره المؤرخ (لاطري) Latrie من شواهد وتقول تؤكد أن القرصنة إنما تطورت في إفريقيا بسبب انتصار المسيحية بالأندلس التي كانت تزج على شواطئ المغرب بجماعات قد لسعها الاستعمار الإيبيري فلم يسع المغرب مع ذلك إلا إيوؤها كما فعل في مختلف العصور مع من طردتهم أوروبا من أبنائها أو من الإسرائيليين الذين وجدوا الملجأ الرحب رغم ما تقلوه معهم من عادات وأعراف لم تكن دائما تتواءم مع السلوك الإسلامي في هذه البلاد وقد أبرز (لاطري) مسؤولية الغربيين في تطور القرصنة خلال العصور الوسطى بالبحر الأبيض المتوسط مؤكدا أنه بمجرد ما انتزعت من قبضة العرب جزر متوسطة مثل سردينية وكورسيكة وصقلية واللبليار فإنها أصبحت موئلا للقرصنة الأوربيين الذين لم يكونوا أقل خطرا من كبار قطاع الطرق ويؤكد المؤرخ الفرنسي دوكاستري De Castries مقولات الرحالة التجاني ملاحظا هو أيضا أن الأفارقة لم تكن لهم على وجه العموم هواية للقرصنة بل يمكن القول بأن قرصنة طرابلس وتونس والجزائر وسلا - إذا اقتصرنا على مراكزهم الكبرى - لم يكونوا من أهل المغرب بل كانوا في الغالب من أعلاج أو أبناء أعلاج اعتنقوا الإسلام فسكنوا في أرض الإسلام وقد أساءوا كثيرا إلى إفريقيا لأن المجال المعتاد لعملياتهم القرصنية كان هو المحيط الأطلسي من جزر الخالدات إلى (بريست) Brest و«تيرنوف» (Terre Neuve) وكان هؤلاء القراصنة محميين من طرف بعض الدول الأوربية في تحالفاتهم مع شردمة من

المرتزقة المختلفة الجنسيات ضد السلطات الإفريقية وقد وصف (دوكاستري) هذه المقرفات بأنها «عمليات دبلوماسية غير لائقة» مددت ضد المسؤولين الأفارقة فوضى الأعلاج الخارجين عن القانون وما خلقوه من خلل واضطراب لتبرير التدخل الأجنبي في القارة وذلك أحد أسباب نشوء الاستعمار بإفريقيا وهي أسباب تمر بها المصادر العربية مرا خفيا لاقتصارها على موضوعات تبلور في وقائع ظاهرة لا تتعمق للكشف عن بعض الخلفيات ومع ذلك فبعض مصنفات طوائف مخصوصة كالخوارج حافلة بمعلومات أصيلة حول بعض التطورات التي طرأت على الفكر السياسي القانوني وحتى الاجتماعي الاقتصادي في غير منطقة من المناطق الإفريقية ففي سجلماسة نفسها أحد منافذ الصحراء الكبرى شرقا وغربا قام الصفرية من (بني مدرار) بسدور بارز إلى منتصف القرن الرابع الهجري ولا تزال (الإباضية) المتحمسة تذكى منذ أزيد من ألف عام في الجزائر وتونس (جربة) وليبيا (جبل نفوسة) تيارا قويا من الأفكار الثورية التي تتخلل المسار الكلاسيكي الوديع الذي ييئه مذهب الإمام مالك حيث تنطلق الأحكام الفقهية والماجريات اليومية في ضوء مبادئ إمام الأئمة ونجم السنة لاستتصال كل انحراف عن السنة المطهرة التي تطبع الاختيارات المالكية في تأسلها العميق وتجذرهما البعيد المدى في القارة الإفريقية فهي اختيارات تشمل كل مناحي الحياة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية على الخصوص وتشكل مصدرا آخر لتاريخ إفريقيا يرسم لنا صورا لامعة لهذا التاريخ في تطور موصول منذ القرن الثاني الهجري إلى اليوم ولعل هذا هو سر وأس ذلك التجانس الفكري وتلك الوحدة العارمة التي تبلورت في كثير من مجالي القطاعات الإسلامية الإفريقية ويعتبر (معيار الونشريسي) موسوعة تحلل خلفيات اجتماعية واقتصادية في المغرب الأقصى لا تخلو من عناصر ثرية تكشف لنا عن اتجاهات ارتضاها الأفارقة كأعراف وعادات في طول القارة وعرضها وربما تأثرت بها مع الزمن حتى الطوائف غير الإسلامية.

حظي بها أهل المغرب بالقاهرة عام 577 هـ مع منح شهرية وحياء مستقلة ضمنت لهم تسيير شؤونهم بأنفسهم وإسناد الأحكام إلى قضاة منهم ووضع كل ما من شأنه أن يكفل التآلف والسلام بينهم (ص 56) وهذا النوع من التضامن يرجع الفضل فيه إلى مبرات الأوقاف الإسلامية التي تسلسلت معالمها عبر القارة لرعاية المساجد والكتاتيب القرآنية ومجالس العلم والقراءات القرآنية السبع علاوة على إمداد الفقراء بما يخفف من لأوائهم ومن الغريب ما لاحظته ابن بطوطة من الشبه بين أشكال مؤسسات الوقف في المغرب والشام كالأرباع المخصصة لتبليط الأزقة وإقامة الأسوار وحفر الآبار على أن مجالس الجماعات قد قامت في بعض الأقاليم الإفريقية لنفس الدور فكانت الزوايا في البداية تتكفل بأوجه البر والإسعاف وتنشيط الحياة الثقافية والدينية إلا أن بعض الحواضر بالمغرب الثلاثة والأندلس عرفت مبرات من نوع آخر⁽³⁰⁾ حيث وصف لنا (ابن أبي زرع) في (القرطاس) ما شاهده يعقوب المنصور الموحي من معاهد ومساجد ومدارس قبل يعقوب المريني وما أقامه عبر أفريقيا من سوس الأقصى إلى سويقة ابن مذكود في تخوم طرابلس الغرب - من قناطر وآبار ومنازل لاستراحة عابري السبل مع ضمان الأمن والأمان.

ولذلك حاول (ابن جبير)⁽³¹⁾ التنظير بين الامبراطورية الموحدية الإفريقية وباقي البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى فأكد أنه لا يوجد إسلام حقيقي إلا في أرض المغرب ولا عدل ولا إيمان ولا حق على ظهر البسيطة إلا في ظلال الموحدين على أن المراكشي صاحب (المعجب) قد رسم لنا لوحة في خصوص الجانب الاجتماعي أبرز فيها روعة ذلك المستشفى الذي بناه الموحدون بمراكش والذي قال عنه ميليي milles⁽³²⁾ بأنه بلغ من العظمة ما جعل منه مرستانا خلف وراءه بعيدا كل البعد

ولعل إفريقيا وخاصة المغرب الكبير قد شملت أعراف من صميم الإسلام تركز الدعوة إلى الله وتقيم مراكز دينية حول أضرحة كبار العلماء وربما امتدت هذه الأعراف من نهري النيجر والسنغال إلى النيل في الجانب الشرقي من الشمال الإفريقي حيث كان الشيخ أبو محمد صالح دفين أسفي ينظم كل سنة منذ أوائل القرن الثامن الهجري، فافلة للحجيج تنطلق من أسفي عبر مراحل ونزلات أقيمت على شرفها لإيوائها وتبادل الغنم بين أفرادها وأفواج المستقبلين من أصلاء هذه المراكز فتكون فرصة للتعارف والتلاحم⁽²⁸⁾ وذلك بالإضافة إلى مواكب الحجاج التي تنطلق من أقصى جنوب السنغال لتلتقي في سجنماسة مع مواكب فاس ومراكش والصحراء في ملتقيات متحركة تتجدد كل سنة.

ويتعزز هذا التواصل والتبادل برحلات صوفية أخرى كالتي حدث الشيخ أبا الحسن الشاذلي إلى الانتقال من غفارة إلى شاذلة إلى مصر وكذلك تلة من زملائه أهل الله أمثال سيدي أحمد بدوي دفين طنطا وسيدي عبد الرحيم القنائي دفين الصعيد وعشرات الرحلات الأخرى حجازية أو غير حجازية لعلماء نشروا الفكر الإسلامي والوعي الديني وتبادلوا الرأي والمشورة في قضايا أثرت العطاءات الإسلامية في القارة ومن هؤلاء العلماء من يجاور في الديار الشرقية فيواصل العطاء وينقل نتاج إفاداته وإنشاداته ووجداداته إلى مناطق شتى من البلاد ومنهم من اضطلع برسالات علمية كأطباء ومحدثين كما اضطلع رجال عاديون برسالات اجتماعية واقتصادية وقد وصف لنا ابن جبير في رحلته⁽²⁹⁾ أحد أمناء الأوقاف في دمشق من حفدة المسوفيين المرابطين كما أبرز ثقة المشاركة بالمغاربة وهي ثقة لم يحظ بها غيرهم في مختلف مجالات الحياة وقد خصص صلاح الدين الأيوبي للجاليات الإفريقية ومنها المغاربة دورا خاصة في دمشق وغيرها لا سيما تلك التي

(31) الرحلة ص 29.

(32) في كتابه عن الموحدين) ص 129 طبعة عام 1923.

(28) ملوة الانفاس ج 2 ص 42 الديباج المذهب ص 132.

(29) الطبعة الفرنسية 1949 ص 320.

(30) (الذخيرة السنوية) (ص 100).

وقد لاحظ (كوتبي) بإعجاب هذا الالتفاف القبلي العارم حول المولى إدريس الأول ملاحظنا أن التوغل الإدريسي جنوبي الحدود الرومانية قد فتح أبواب المغرب على مصارعها أمام الموحدين فارتفعت بذلك حواجز التمزقات القبلية بين المغرب والصحراء على امتداد القارة الإفريقية وذلك لأول مرة في تاريخها فلم تعد هنالك أية فواصل تحول دون اتصال قسوي مكين من نهري النيجر والسنغال إلى البحر الأبيض المتوسط وأصبح للمغرب الكبير دالة وأثر بعيد المدى إلى حد أن طريق القوافل التي كانت في القرن الثالث الهجري تصل مباشرة بين مملكة غانة ومصر أمست مهجورة - كما يلاحظ هنري طيراس في تاريخه - وقامت مقامها قوافل تمتد جورا جديدة بين الشرق والقارة السمراء مارة بالصحراء الغربية الأطلنطيكية عبر المغرب وحاضرة سجماسة كمركز تجاري للعالم الإسلامي ومنذ ذلك اعتلى المغرب منصة الزعامة كوسيط بين الشرق العربي وإفريقيا المسلمة وقد تبلورت هذه الوجهة بقيام أول جامعة في العالم هي جامعة القرويين التي تأسست عام 245 هـ / 859 م ولم تكن في الواقع سوى جامع تنظم في رحابه حلقات العلم وصفه (دلفان)⁽⁴²⁾ كأول مجد جامع في الدنيا تنحدر إليه من أركان إفريقيا فئات الطلبة لمتابعة دروس علمية عالية يشهد بسوها إسهام عالم كبير هو جيلبير (Gilbert) اعتلى كرسي البابوية عام 999 م باسم (البابا سلفستر الثاني) (Sylvestre II) فهذه الحركة المكوكية بين فاس ومختلف الحواضر الإفريقية قد خلقت تنافسا تمخض عن قيام كتاتيب قرآنية (مسايد أو خلوات كخلوات السودان) بسلكيها الابتدائي والثانوي أصبحت روافد لثلاث جامعات هي بالإضافة إلى القرويين كل من جامعة الزيتونة بتونس وجامعة الأزهر بالقاهرة وقد حدثتنا عن إشعاعات جامعة القرويين إلى القرون الأخيرة مصادر عربية من بينها ابن بابا السوداني الذي درس

مصحات أو مرضيات أوروبا المسيحية بل إنه يعد إلى الآن (أي عام 1923) مثار استحياء لأهل باريس إذا ما قورن مع مستشفياتهم وتؤكد مصادر مصرية حديثة أن رجلا من أهل فاس اسمه محمد بن عبد الكريم استطاع أن يخلق بمصر في القرن الثاني عشر الهجري ثورة مبدعة في فنون الرسم المصرية ولا تزال روائعها محفوظة في متحف القاهرة.

على أن مؤرخي المغرب لم يتقاعسوا عن الاستفادة مما كتب زملاؤهم بالمشرق عن أوليات الفتح الإسلامي وما أعقبها خلال ما عرف بالعصور الغامضة بالمغرب فقد زعم مؤرخون أن الفاتح العربي (عقبة بن نافع) وصل إلى السودان (غانة) مما حدا للعالم المؤرخ الإفريقي سيدي (أحمد بابا) إلى القول بأن عاصمة غانة أمست تحتوي بعد مغادرة ابن نافع لإفريقيا العربية على اثني عشر سجدا وقد أكد (ابن أبي زرع) (القرطاس ص 7) أن الإسلام وصل إلى تخوم السنغال منذ أواسط القرن الأول للهجرة ومعنى ذلك أن ما كتبه المشاركة عن هذه الفترة يعتبر أول مصدر عربي لتاريخ القارة وقد لاحظ (كوتبي) في كتابه (المغرب في العصور الغامضة) أنه بمجرد ما اتصل العرب بالمغرب تغيرت معالم وأعلام واستعاض الأفارقة عن كلمة إفريقيا بكلمة مغرب ولم يعد هنالك (توميدون) ولا (مور) Maures وبرزت مجموعة كاملة من القبائل عددها ابن خلدون كنموذج لتلك الوحدة الكبرى المغربية الصحراوية فمنذ عهد المولى إدريس الأول ملك المغرب أي عام 175 هـ اتسمت هذه الأرض بأول طابع وحدوي كان على طرفي نقيض مع الانفصال الذي كان يمزق القبائل فلأول مرة في تاريخ الحوليات الإفريقية شاهدنا تكتل قبائل بربرية (ذكر منها ابن خلدون زواغة وزناتة وسدراتة وغياثة ونقرة ومكناسة وغمارة علاوة على أوربة ومظفرة ومغيلة وبني يفرن ومغراوة) حول المولى إدريس سليل الرسول عليه السلام ورمز الإسلام.

والشيخ حسن العطار المتوفى عام 1246 هـ 1830 م على أن علماء وفقهاء المغارب الثلاثة قد حظوا بصيت واسع وسمعة ناصعة في مجموع الأقطار الإفريقية وقد ازدادت هذه الهالة لمعانا بفضل العطاءات المنعشة النابعة من الفكر الإسلامي الذي تألق في كل من قرطبة والقيروان ليثع في وارثة سرهما فاس الإدريسية من حيث كانت تنطلق ركبان الحجيج منحدره إلى قلب المغرب الأقصى عبر القارة تنضاف إليها قوافل الطلبة ورجالات التصوف من سنغاليين وماليين وغنبيين ونيجيريين انجذابا إلى ضريح الشيخ سيدي أحمد التجاني الذي أصبح منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري مزارا تلتقى في رحابه مآت الزوار في كل سنة ولا بدع في ذلك فإن الطريقة التجانية - وكذلك الطريقة القادرية السنية قد انتشرت في القارة من أقصاها إلى أقصاها مما حدا بالأمير شكيب أرسلان إلى التنصيص في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) (ج 2 ص 398) - نقلا عن المؤرخ الفرنسي (بوني موري) (G. Bonet maury) في كتابه (الإسلام والمسيحية بإفريقيا، على أنه لو لا تلك الضربة التي أنزلتها فرنسا بنفوذ الطريقة التجانية لانتشر الإسلام في إفريقيا بكاملها ثم قارن بين ذلك وبين الزحف الإسلامي الذي أوقفه بأوروبا (شارل مارتيل) في بلاط الشهداء (بواتي) (Poitiers) والألوفأ أشياخ نشروا أيضا تعاليم الإسلام في الربوع الغربية للقارة بعد أن نهلوا من معين العلوم الإسلامية في جامعات مصر وتونس والمغرب فاقتبلهم سكان القارة بمزيد من الترحاب شارك فيه غير المسلمين ممن تأثروا فاعتنقوا الدين المحمدي السمح وقد أقاموا كتابات ومعاهد لتعليم القرآن ومبادئ الإسلام باللغة العربية واللهجات المحلية وخلفوا وثائق ذات أهمية اقتبس منها المؤرخون الغربيون أنفسهم⁽³⁴⁾ ومن جهة أخرى فإن الرحلات الحجازية⁽³⁵⁾ وغير الحجازية⁽³⁶⁾ التي قام بها

العلوم في رحابها فنقل أصناف المعرفة من فاس إلى (مالي) وما وراءها وقد أكد (ابن مرزوق) في (المسند الصحيح) انبثاق مدارس ومعاهد من المغرب الأقصى إلى الأوسط حيث لا تجد حاضرة من حواضرهما إلا وقد زودها أبو الحسن المريني وأسلافه أو سلالته بهذه الأحياء الجامعية التي كانت تؤوي الطلبة الأفارقة وغير الأفارقة والتي لا تزال بعض معالمها قائمة خاصة بسلا وفاس ومكناس مزهوة بهندامها الرائع وزخارفها الثرية مما ألهب قرائح كبار الفنانين في وصف روائها.⁽³³⁾

فهذه المساجد والمدارس التي بدأت تنتشر آنذاك في جميع أنحاء القارة السمرية قد زودت بمكتبات حفلت بمخطوطات ومصنفات علمية لم يقتصر على العناية بها العلماء والأدباء وحدهم بل سرت عدوى اقتناء المخطوطات وإقامة المكتبات إلى أفراد من العوام زينوا رفوف خزاناتهم بوثائق عائلية علاوة على المؤلفات الأدبية والعلمية مساهمين بذلك في نشر الثقافة الإسلامية والحفاظ على المستندات الجهوية والمحلية سواء في الحقل الفقهي والقانوني أم في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية فتشكل بذلك مصدر أصيل لتاريخ القارة المشتركة وقد تأثرت مصر نفسها بهذا التيار لأن تونس كانت أول قصر مغربي أنشأ جامعة منذ القرن الثاني الهجري أعقبها جامعة القرويين في منتصف القرن الثالث ثم جامعة الأزهر في منتصف الرابع وقد تبلور هذا التأثير في شخصية المشرقين على هذه الجامعات حيث اعتلى إدارة الأزهر الشريف العالم الجزائري يحيى الشاوي المتوفى عام 1096 هـ / 1684 م والشيخ الخضر حسين التونسي حوالي منتصف القرن الرابع عشر الهجري في حين ازدوجت ريادة المغرب الأقصى في شخص عالمين هما أبو أمامة محمد بن علي المتوفى عام 763 هـ / 1362 م

(33) راجع البحث الذي قدمته إلى مؤتمر تاريخ الجزيرة العربية الذي انعقد عام 1981 بالرياض وهو منشور في مجلة المؤتمر.
(36) راجع دراسة شخصية مخطوطة (في مكتبتنا الخاصة).

(33) - مجلة هسبريس - 1952 ص 15 (Hesperis).
(34) راجع كتاب بليدن E. W. Blyden حول (المسيحية والإسلام) والسلالة الزنجية - لندن 1888 (ص 18 و 202).

مغاربة حافلة هي أيضا بمعلومات أصيلة حول البلدان الإفريقية التي زاروها أو مروا بها خلال رحلاتهم وهي تحتوي في الغالب على أوصاف دقيقة ومقارنات قيمة بين المغرب ومختلف أنحاء القارة ومن جملة هؤلاء الرحالين (الشريف الإدريسي) الذي وضع أول خريطة جغرافية للعالم وبالأخص القارة الإفريقية التي وصف لنا منها مقاطعات شتى حتى منابع نهر النيل التي لم يكشف عنها إلا في قرون لاحقة وهي جبال (القمر) وما زال علينا أن نقوم بدراسة تقذية تحليلية لكل رحلة وتوليفية بين جميع هذه الرحلات نظرا لما بينها من اختلاف أو تنافر أحيانا أو نقص في المجالات الاجتماعية والاقتصادية التي قد نجد ما يملأ بعض فراغاتها في مصادر شرقية.

ونحن لا نقتأ نساءل عن سبب هذا النقص الفادح الملحوظ في كثير من المصادر العربية لا سيما في الميدان الاقتصادي أو المالي فالمعلومات بهذا الصدد نادرة تأتي عرضا في وسط نصوص تاريخية مكثفة وأملنا أن تكون المصادر العربية التي ما زالت غميسة (لم تنشر بعد) وافية ولو جزئيا حيث بدأنا نعثر بين طياتها على عناصر تمكننا من تصور الجوانب الغامضة أو المجهولة في تاريخ القارة وإن كان معظمها لا يخلو من خصائص في التحليل وعدم تماسك في النقول وغياب لكل فكر توليفي مقارن مما يضطرنا أحيانا إلى الاستناد إلى مصادر أجنبية غير عربية لملء بعض الثغرات ورفع الستار عن آفاق أوسع.

وليس معنى هذا أن كل المصادر العربية موسومة بهذا النقص وذلك الخصائص إلا أن ندرتها وعدم توافق معطياتها تثير كثيرا من الشك في نفس القارئ الناقد ومع ذلك فإن العلاقات الموصولة التي استوثقت منذ القرون الأولى للفتوح الإسلامية بين إفريقيا وآسيا قد حدث مؤرخين وجغرافيين عرب وغير عرب إلى شحن «مسالكهم وممالكهم» بعناصر متكاملة فالصلات قد تساوقت بين الخليج والعراق وسجلماصة باب الصحراء المغربية عبر النيجر والتشاد والسودان وجنوب الجزيرة العربية ضمن قوافل

تجارية كانت تنحدر منذ القرن الثالث الهجري من قرطبة عاصمة الأمويين بالأندلس لتصل إلى كبل من البصرة والكوفة أو إفريقية ومصر مروراً بعدن وحضرموت فقد لاحظ (ابن خرداذبة) وهو من رجال القرن الثالث أن التجار الصقالبة كانوا محور تبادل تجاري تبدأ حلقاته بسوس الأدنى (وهو إقليم طنجة وما حولها) ولعله ينطبق جزئيا على ما عرف قديما باسم موريطانيا الطنجية) وقد وصف لنا (ابن حوقل) في نفس الفترة مراحل هذه المسالك خلال الأقطار الإفريقية مع ارتساماته حول بعض المقومات الحضارية في حياة هذه المناطق دون إغفال بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وقد أقيمت على طول هذه «المنازل» مراكز تجارية محلية تسهم على طول هذا المسار في دعم التواصل باحتكاكات ومبادلات كان لها أثر قوي في تكوين بنية أو هيكلية إفريقية في ظل العطاءات والأعراف الإسلامية وقد حكى لنا (ابن حوقل) من بين ما حكى ووصف أنه شاهد في حاضرة سجلماسة حوالة (مصرفية) قيمتها أربعون ألف دينار أصدرها تاجر سجلماسي لفائدة تاجر آخر من نفس المدينة يتاجر في أحد تلك المراكز النائية (المسالك ص 70) وقد لاحظ ابن سعيد المغربي نفس الإجراء الاقتصادي بعد ذلك بقرون مما يشهد بنوع من الاستمرارية كما أكد (ياقوت الحموي) في (المعجم) أن أنسجة سجلماسة كانت أجود من المنتجات المصرية ولعل هذه الرصانة التي اتسمت بها سجلماسة في ميدان التصنيع قد أسهمت بجانب موقعها الجغرافي في اعتبارها الموطن المركزي للمبادلات التجارية بين المشرق والمغرب حيث استقر تجار وردوا من البصرة والكوفة وبغداد وفي هذه النقطة المركزية كانت القوافل تنطلق شرقا وغربا لنقل مذكراتها إلى القارتين على أن هذه المصادر الشرقية لم تنم بأهمية خاصة إلا بالنسبة للقرون الأربعة الأولى من الهجرة وإلا فإن المصادر المغربية قد بدأت تهتم منذ القرن الخامس أي في عهد المرابطين بهذا التواصل بين شقي الإسلام في آسيا وإفريقيا كما انتظم

التبادل الفكري والحضاري والاقتصادي بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط وخاصة بين المغرب والأندلس حيث جعل الموحدون حدا للفوضى المالية التي كان يتخبط فيها (ملوك الطوائف) وشجعوا الزراعة دون إهمال التصنيع ولو في شكله التقليدي الذي أصبح يعرف منذ ذلك بالصناعة التقليدية وتمتد أوراثة ومعامله ومشاغله إلى الصحراء عبر سبتة وبصرة الكتان (على بعد حوالي 18 كلم من سوق أربعاء الغرب بشمال المغرب وفاس ومراكش وسجلماسة التي لم تنقل أهميتها إلا أواسط القرن الثالث عشر الهجري هنالك أصبحت إفريقيا تتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي في شكل تكامل بين أجزائها لم تخل من التنميص على مقوماته مصادر عربية تنسم أحيانا بدقة تبعث على الدهشة فقد ذاع آنذاك صيت حاضرة سبتة بما كانت تنتجه من ورق عرف بالورق السبتي بالإضافة إلى الورق الشطبي (نسبة إلى شاطبة الأندلسية) أو الورق الفاسي الذي توفر لإنتاجه بفاس في القرن السابع الهجري حسب ابن أبي زرع أربعمائة رحى وكان نوعا جيدا من الصنف القطني الذي عرفته إفريقيا والأندلس قبل أن يعرف في أوروبا بنحو القرنين (حسب شهادة المستشرق الإسباني قديرة Codera الذي استند إلى مخطوط عربي في الأسكوربال) وكان بفاس أيضا اثنا عشر معملا لتذويب الحديد والنحاس واحد عشر مصنعا للزجاج ومائة وثلاثون فرنا لصنع الجير وعدد كثير من مصانع الصابون والمطاحن ومعاصر الزيت دون باقي مشاغل الصناعة التقليدية التي ذكر منها الجزنائي في (زهرة الآس ص 81) 3094 مصنعا للنسيج و86 مدبغة و116 مصبغة و120 فخارة الخ وهذه المظاهر الحضارية القائمة في قلب إفريقيا لم تخل من أثر على أنحاء القارة نظرا للتواصل التي امتدت جسوره آنذاك بين مختلف المناطق لا سيما وأن المبادلات التجارية تضاعفت مرات ومرات في عهد الموحدين الصحراويين مما جعل للعملة

المغربية قيمة وصفها (طيراس) بالجودة والاستقرار وقد استمر ذلك قرونا أصبح خلالها للدينار المغربي رواج كبير في السوق العالمية حدا للتجار الأنجليز والهولنديين أيام السعديين إلى التهافت على اقتنائه بعد هزيمة البرتغاليين في (وقعة وادي المخازن) وتطور مبادلات الأنجة الأوربية بالذهب والسكر وملح البارود ووبر الجمال والزيوت والمعادن (مثل الرصاص والزنك والكبريت السخ) في المغرب وقد أهل هذا الثراء المملكة المغربية إلى مقعد الوساطة بين أوروبا وإفريقيا وإن كانت صراعات الدول الأوربية لسيط نفوذها على القارة قد شجعت بعض التمردات التي أدت إلى تقليص المبادلات داخل القارة بين الشمال أي المغرب بما كان ينتجه من مواد مصنعة والجنوب أي باقي أقطار إفريقيا التي كانت تصدر المواد الأولية والبضائع الخام فكنت تشاهد آنذاك طوال عدة شهور من السنة ما بين ألف وألف وخمسمائة من الجمال والمهاري تقطع «معديات» وادي أبي رقراق يوميا حاملة قموح «الغرب» وجسوبه إلى أقصى الجنوب⁽³⁷⁾ ونحن نلمس أن مصادرها العربية ضئيلة بالمعلومات الدقيقة حول الأسواق مثلا وهي المراكز المحورية في كل المبادلات فقد كانت هنالك في باب الصحراء مثلا (جزولة) معارض سنوية تنظم فيها أروقة تبعا لأصناف البضائع وتتهادن القبائل فيما بينها على غرار الأشهر الحرم في الجزيرة العربية ضمانا لحرية الصفقات التجارية وتأمينا للمتاجرين وقد أعجب (مارمول) بروعة النظام الملحوظ في هذا المعرض بالخصوص - وهو صورة لباقي الأسواق السنوية الكبرى - حيث «تسوارد من السودان وغير السودان - كما يقول مارمول - نحو العشرة آلاف تاجر وقد قرأنا في رحلة شيخ تاساوت (التي قام بها عام 1125 هـ / 1713 م) لمحة بسيطة عند هذا السوق الذي يشكل مع ذلك كما يقول (سوردون)⁽³⁸⁾ «أحد العناصر الجوهرية في الاقتصاد» مما حداه إلى تأكيد «أن إفريقيا

(37) تويريخ الرباط - كايي Caille ص 54.

(38) في كتابه (المؤسسات والأعراف... ص 165 - 168.

وقد أحصى (ابن أبي زرع)⁽⁴⁰⁾ في عهد السلطان عبد المؤمن الموحيدي أربعمائة قطعة بحرية ترابط في مراسي العدوتين: مائة وعشرون منها في ميناء المعمورة أو المهديّة (بمصّب نهر سبو) ومائة في طنجة وسبتة وبادس وباقي مرفأ الریف ومائة بتونس ووهران وثمانون بالأندلس وكان هذا الأسطول الذي وصفه المؤرخ (أندري جوليان) بأنه الأول في البحر المتوسط - يشكل شبكة دفاعية شديدة البأس في استعداد موصول للذب عن حوزة وأمن الشواطئ الإفريقية خاصة منها شواطئ المتوسط التي كانت عرضة للأخطار.

على أن شواطئ المحيط الأطلسي قد نالت حظها من هذا العتاد الوقائي حيث ذكر لنا ابن مرزوق⁽⁴¹⁾ أنه كان في عهد السلطان أبي الحسن المريني بين أسفي وعاصمة الجزائر معاقل ومراكز تشعل على أعلامها نيران تؤذن بالخطر وتكرر هذه الأنوار في الليلة الواحدة أو جز منها على مسافات تقطعها القوافل في شهرين وقد عبأ الموحدون مختلف الأجهزة لضمان حسن استعمال آلات الحرب فأقاموا القناطر والجسور فوق الأنهار لنقل العتاد الثقيل وانتقال القوافل المحملة بالبضائع فقد بنوا جسرا متحركا على وادي أبي رقرق بين سلا والرباط وصفه صاحب (الاستبصار) وهو شخص مجهول من معاصري السلطان يعقوب الموحيدي - كمعديات يوصل بعضها ببعض ما لبثت أن أحييت إلى قنطرة من الحجر والخشب - حسب رواية عبد الواحد المراكشي في «المعجب».

وتواصلت هذه التجهيزات العسكرية والحضارية في حواضر أخرى تشجعا للواردين على إفريقيا من خارج القارة وخاصة من أوروبا لإقامة المتاجر الكبرى وتأمين مختلف أصناف المصدرات والمستوردات وقد خول سلطان المغرب محمد الثالث هذه الدور التجارية الأجنبية - دعما

الشمالية يمكن تعريفها كمجموعة متألقة من الأسواق» ولعل في هذا المثل صورة عن ضالة عطاءات المصادر العربية بالنسبة للمصادر الأجنبية وهنالك ملاحظ أخرى لندرة المعلومات الاقتصادية في مظان ومراجع المؤرخين العرب ففي عهد السلطان المريني أبي عنان مثلا عاش المغرب عن بكرة أبيه أزمة عسكرية ومالية أمسى معها مصير الأسرة المالكة عرضة لأشد الأخطار حيث عرفت جانبا من السوق الإفريقية تضخما ماليا ارتفعت معه قيمة وسائل العيش حتى أصبح ثمن السكن بفاس يساوي ألف دينار ذهبي وهو مبلغ باهظ بالنسبة لذلك العصر الذي كان الدينار الواحد يعادل ما بين أربعة وخمسة غرامات ذهبية ومع ذلك فقد عرف السلطان أمام هذا التيار العارم من المشاكل والصعاب كيف ينقذ الموقف المتأزم فخفف وطأة المصائب على المزارعين الذين أثقلت الأزمة كواهلهم بتوزيع الحقول الشاسعة من الأراضي والأعداد الوافرة من رؤوس المشاية مجانا وبدون مقابل وقد تفضل ابن بطوطة فأتحفنا بهذه المعلومات عن فترة عاشها من تاريخ بني مرين.

☆☆☆

وتتكامل هيكلة هذه المعلومات بما نقله لنا ابن خلدون - عن هذه الفترة التي عاشها أيضا بفاس - حيث واجه المغرب الاضطرابات الاجتماعية وتمردات أدياء العرش بما توفر لدى الدولة آنذاك من رجالات أفذاذ محتكين في الفنون العسكرية وضبط العتاد الحربي بمهارة ربما تعتبر نادرة بالنسبة لذلك العصر وقد أتحفنا ابن خلدون بتفاصيل كوصفه للحصار الذي ضربه السلطان أبو يوسف يعقوب المريني على سجلماسة عام 672 هـ واستخدامه لرعادات ومجانيق⁽³⁹⁾ ومختلف الأعتدة الفتاكة وقد أشار صاحب (الحلل الموشية ص 55) إلى استخدام كل من ابن تاشفين وابن عباد في الأندلس لهذا العتاد عام 481 هـ.

(39) راجع أيضا كتاب (التخيرة السنية) ص 158.

(40) روض القرطاس ص 28.

(41) في المسند الصحيح الحسن راجع ترجمته بقلم ليفي بروفنسال في مجلة (هسبريس) ص 61 عام 1925.

من إفريقيا في ظل السلطان أبي الحسن كانت قد أدبرت وولت بروائعها ومبادراتها التي أشارت انتباه الكثير من المؤرخين المغاربة والأندلسيين وهي عصر وصفه المؤرخ الفرنسي (أندري جوليان) بأنه يشكل «ذروة القوة المرينية» التي جعلت من السلطان بالنسبة لمجموع القارة الإفريقية «أقوى عاهل في القرن الرابع عشر الميلادي».

☆☆☆

أما في الميدان الزراعي فإن ثلاثة عناصر أساسية قد طبعت الإنتاج الفلاحي والحيواني الإفريقي وهذه العناصر هي :

1) تجميع بعض الأراضي المشتتة في شكل حقول جماعية (أي في ملك الجماعة) أو ضيع تجريبية في بعض الحواضر⁽⁴²⁾ تخضع لفلاحة موحدة واسعة حيث بلغت أشجار الزيتون الجماعية بمراكش وحدها خمسة عشر ألف شجرة وقد زار رجال أنجليزي هذه المنطقة عام 1741 م / 1160 هـ فوصفها (حسب دوكاستري في وثائقه الغميسة) بأنها «أجمل موقع في إفريقيا».

2) الخطاطير أو سواقي الري التقليدية ذات المنافذ المتحركة التي يخضع مجراها لتشريعات دقيقة تضي سمة الانضباط على النظام الزراعي بخصوص التوزيع العادل المنتظم للمياه وهو نظام ما زال قائما إلى الآن بالأندلس وتعرفه معظم أنحاء القارة مما ينم عن مدى التطور الزراعي في بعض هذه المناطق على أن الشمال الإفريقي قد عرف بالإضافة إلى هذا الجهاز التقليدي وسائل أخرى لتنظيم السقي «تعد - كما يقول طيراس - من بين المنجزات الكبرى للأسر المالكة الإسلامية» ويؤكد المؤرخ «دوتي»⁽⁴³⁾ أن البادية كانت في بعض العصور مغطاة بأصناف المزروعات تكسوها أشجار وترويهما أجهزة للسقي تعالج بعناية كما تمتد جنان في حقول لا نرد فيها اليوم سوى

لتموين المغرب بما يحتاجه من مواد ومصنوعات - قروضا لاقتناء وبيع هذه المنتجات بأثمان معتدلة إنعاشا للأسواق الشعبية وضمانا لأقوات الجماهير وقد وزع السلطان العلوي المذكور وهو محمد بن عبد الله الأقوات الوافرة إبان أزمة اقتصادية أعقبت جفافا أتى على الأخضر واليابس وقد حكى لنا الأمير العلوي صاحب (درة السلوك) هذه العطاءات التي يدل على مصداقية تقولها ما أورده مؤرخون آخرون عن هذه الفترة التي توافرت خلالها من طرف العرش المغربي الاسعافات الضخمة في الحواضر والمنح الجزيلة لمساعدة الفلاحين والمزارعين في البادية.

تلك معلومات قيعة تساوقت فيها تقول المؤرخين المغاربة وإن كانت لا تمثل إلا جانباً من الواقع التي تظل بعض أركانه وزواياه قاتمة تحتاج إلى مزيد من النور للكشف عن خباياها لأن عناصر مقطعة كتلك التي أوردتها مصادر عربية تنم عن وجود خلفيات أوسع.

☆☆☆

وهناك مصادر عربية ذات موضوع فقهي صرف ولكنها تحفل بمعلومات عن أحداث ووقائع اقتصادية وحالات اجتماعية فالإمام الوثرسي) يشير في معياره إلى وثائق وعقود عدلية وصفقات تجرى في أسواق كل قبيلة وهي أسواق أسبوعية تستقطب سكان الإقليم ولا يخلو منها أي يوم عدا يوم الجمعة من كل أسبوع وهنا تتدخل الجماعات ومجالسها نظرا للدور العظيم الذي تقوم به في المجالين الاقتصادي والاجتماعي (سور دون ص 215) غير أن الرحالة المغربي (ابن بطوطة) لم يتخلف هو أيضا عن إعطاء إحصاءات في هذا الصدد وأن يرسم لنا لوحات تنظيرية تلقي بعض الضوء على معطيات مثل القوة الشرائية للعملة المغربية المرينية في القرن الثامن الهجري حيث تضاعفت ثلاث مرات بالنسبة للعملة المصرية ومع ذلك فإن العمود الزاهرة التي عاشها المغرب الكبير وجزء

(42) مثل (المنارة) بمراكش و(حمرية) بمكناس و(أكال) بالرباط.

(43) في كتابه (مراكش) - ص 203.

محاصيل زراعية وينصب هذا الوصف على ناحية دكالة بالمغرب الأقصى التي «بلغت حالة من الازدهار لم تعرف مثيلا - على ما يظهر - إلى الآن».

(3) وجود مطامير أو مخازن جوفية (تحت الأرض) يذخر فيها الفسائض من حبوب القبيلة لسد العجز في سنوات الجفاف أو عند انتقاص المحاصيل وقد بلغت هذه المطامير أهمية أقامت حول بناياتها قرى أو مساكن حقيقية.⁽⁴⁴⁾

ومعلوم أن العالم القروي يكاد يكون واحدا بإفريقيا عدا بعض الاستثناءات في جهات خاصة كما أن أساس الاقتصاد كان ولا يزال ثلاثي الأثافي حيث تتعزز تربية المواشي بزراعة الحبوب والقموح وغراسة الأشجار فكانت العرصات اليبانة والغابات الكثة تشغل مساحات شاسعة عدا السهوب القاحلة وقد وصف لنا مؤرخون كابن خلدون هذه المميزات التي سميت الشبكة القبلية الإفريقية والأوضاع الاجتماعية في بعض الفصائل والفخذات وما ينتج عن ذلك من أحوال اقتصادية مختلفة في هذا التجمع القبلي أو ذاك فنحن نجد في هذه المعطيات مقومات جوهرية لم تتلحظها الكامل من التحليل بينما تنطوي على عناصر تكشف لنا بدقة موضوعية عن أسباب بعض الاختلافات بل والمنافرات في القارة على أن بعض اللوحات التي رسمها المؤرخون وبعض الانطباعات التي عبروا عنها تكاد تكون واضحة لا تحتاج إلى مزيد من التحليل ولعلنا - عندما نستمع إلى ابن خلدون وهو يصف لنا سلسلة جبال الأطلس يخيل إلينا أننا نتلقى صورا حية من خبير معاصر مختص في الاقتصاد والاجتماع فقد كان ابن خلدون⁽⁴⁵⁾ رائعا دقيقا وهو يرسم لنا تدفقات عيون الماء والسحب الكثيف الذي يغطي الأرض بأشجاره والأجمات التي تبسط ظلالها على الأودية والحقول التي تمتد في الأفاق كروافد ومنابع لثراء

زراعي تتطور قطعان الأنعام والأغنام في مراتعه ومراعيه ويعطينا عبد الواحد المراكشي أيضا في (المعجب) تفاصيل عن روعة التقسيمات الجهوية في المغرب الكبير والأندلس من إفريقية إلى الشاطئ الغربي الإسباني تسمح بإقراء نظام إداري وجبائي متكامل وينتظم الجنوب الأقصى للمغرب في هذه المجموعة بواحاته وصحرائه وقد أبي (المراكشي) إلا أن ينعت مملكة فاس - أثينة إفريقية - بأنها أكثر بلدان المعمور خصبا وأوفرها أنهارا وتكاثف أشجار وحبوب وكروم.

ويتحدث لنا اليوم جغرافي معاصر هو الأستاذ (سيليري) Célérier بنفس اللهجة مؤكدا ملاحظ المؤرخ المغربي.⁽⁴⁶⁾

ونلاحظ هنا أننا إذا ما عرفنا أحيانا على مصادر عربية أوروبية فما ذلك إلا للتنظير والمقارنة بينها وبين المصادر العربية فقد بدأنا نلمس مثلا طبيعة ومستلزمات (معركة وادي المخازن) من خلال المصادر الأجنبية أو مصادر عربية مجهولة نقلها (دوكاستري)⁽⁴⁷⁾ في مصادره الغميسة لتاريخ المغرب حيث لاحظ أن المغرب كانت له في الماضي علاقات موصولة مع أمم بحرية كبرى بأوروبا وأن دراسة صلات من هذا القبيل لا تخلو من فائدة لخصب ما تنطوي عليه من معلومات فهي تعطينا بوجه خاص صورة عن جانب من ثرواتها لم تكن لدينا عنها سوى معطيات غامضة وبهذا يمكن القول بأن مواد تاريخ المغرب وجزء كبير من إفريقيا منتشرة في دور الوثائق ومكتبات أهم الدول الأوروبية.

ومصادر (دوكاستري) هذه كانت مقسمة على أربعة وعشرين جزءا منذ البداية تضم وثائق بلغات أجنبية ومستندات بلغة الضاد عن الفترة المتراوحة بين سنتي 1530 و1845 م أي طوال نيف وثلاثة قرون.

(46) المغرب ص 62.

(47) السلسلة الأولى - السعديون ج 1 ص 1.

(44) (سوردون) في كتابه المؤسفات ص 257.

(45) التاريخ الطبعة الفرنسية ج 2 ص 158.

ذلك فلتنرم غالبا بتجميع سفنها وقطعها البحرية للعمل المشترك ضد القرصنة وقد نصت معاهدة (سيبو) (Cibo) في بندها التاسع عشر على أنه إذا ما وجه الموحدون سفنهم لمطاردة قرصان جنوى فإن جمهورية جنوة تكون ملزمة هي أيضا لتسليح بعض قطعها للمساهمة في هذه المطاردة وقد أمضيت معاهدة مؤرخة بعام 1323 م / 723 هـ (أي في عهد بني مرين) بين أراكون (Aragon) وتونس «تعتبر القرصنة كوسيلة حرب عادية ومشروعة لدى المسيحيين والمسلمين على السواء» ويرى (لاطري) ان عمليات القرصنة كان ينظر إليها كأعمال لصوية.

وفي عام 1355 م / 756 هـ (وهو عهد انبسط فيه نفوذ بني مرين من تونس إلى مالي هاجم أسطول جنوي حاضرة (طرابلس الغرب) فأسر الجنوبيون كما يحكي لاطري - سبعة آلاف ما بين رجال ونساء وأطفال فشعرت إفريقيا المسلمة بالألم الشديد يحز في نفوسها ويمس كرامتها من جراء هذه الغارة الواضحة فبادرت بإجراء اكتتابات واسعة لافتكاك هؤلاء الأسرى وقد أسهم سلطان المغرب أبو عنان المريني في فداء (طرابلس) نفسها وفي تحرير عدد كبير من الأفارقة من الأسر.

وعلى كل فإن المصادر العربية والأجنبية تتكامل حيث تتم هذه تلك بما قد تحتوي عليه بعضها دون بعض فقد قرأنا مثلا في كتاب (الإتحاف) لابن زيدان⁽⁴⁸⁾ ما يفيد وجود مدرسة متعددة التقنيات أسسها المولى محمد بن عبد الرحمن بفس الجديدي وتابع خريجوها دراستهم بمعاهد أنجليزية (مثل الجياص الذي تولى بعد ذلك الصدارة العظمى) أو مدارس إيطالية (مثل محمد بناني العلمي) ولكن المؤرخ الفرنسي كايي⁽⁴⁹⁾ يضيف إلى ذلك أن شبانا رباطيين قد وجههم إلى كل من (السويد) وإنجلترا قبل ذلك المولى محمد بن عبد الله للتخصص في فن الأوراش وبناء السفن.

ومن أسباب انعدام هذه الوثائق باللغة العربية مع وجودها في خزانات وزارات الخارجية الأوربية أن ملوكنا وخاصة في العصر العلوي كانوا يسجلون أجوبتهم في ظهر بعض الرسائل التي يتلقونها من سفراء أوربا بالمغرب دون الاحتفاظ بنسخة منها في الوثائق الملكية ومن حسن الحظ أن هذه الطريقة كانت نادرة بحيث ما زالت مديرية الوثائق الملكية في خزانات القصور الملكية تعثر بين الفينة والأخرى على ما يسد جانبنا كبيرا من هذا الفراغ أضف إلي ذلك المحاولات القائمة الآن لاستنساخ صور المستندات المحفوظة في الخارج والتي تشهد - كما يلاحظ لاطري بوجود رصيد ثري بالنسبة لسنة ضرب بها مثلا وهي سنة 1076 م / 469 هـ أي أوائل العصر المرابطي وبأغرب نموذج للمراسلات السهلة الودية التي استوتقت آنذاك بين الجالسين على كراسي البابوية وبعض سلاطين إفريقيا بهذه المراسلات التي لا تزال مخزونة في المكتبات الخارجية بأوربا تشكل مصادر عربية لتاريخنا ومثلها موجود ضمن الرسائل المتبادلة بين ملوك أفارقة ورؤساء أوربيين لم يكونوا راضين عن ملوكهم فاحتضنتهم إفريقيا منذ ذاك (كلاجين سياسيين قبل أن تعرف أوربا تشريعات اللجوء السياسي فانفتح لهم المجال لخدمة قادة القارة السمراء (لاطري) وقد أشار (لاطري) أيضا إلى معاهدات لنفس العهد مكتوبة بالعربية في كتابه (المعاهدات) كما أشار إليها مؤرخ أوربي آخر هو (باردوسو) (Pardessus) في كتابه (مدونة القوانين البحرية).

وهكذا «كانت تعقد صلات سياسية سرية بين أمراء مختلفي الأديان والعقائد» مثل «تلك المعاهدة المزدوجة التي أمضيت بين المغرب من جهة وكل من «بيزة» «ومايروكا» من جهة أخرى والتي تحظر القرصنة على رعاياها وتقرر تعويض الأجانب الذين تلحقهم أضرار من جراء هذه القرصنة» بل كانت هذه الدول تذهب أبعد من

(48) ج 3 ص 367.

(49) في كتابه «توبريخ الرباط».

خصبة وتفاعلات تبلورت في مراسلات وعقود ومكاتيب مختلفة وكانت لغة القرآن والحديث بالنسبة للأفارقة هي اللغة العربية التي يقيمون بها مناسكهم وصلواتهم ودعواتهم ويسجلون بها تعاقباتهم ضمن (أحوال شخصية) إسلامية تخضع للفقه المالكي وحتى الأعراف العامة منها كانت مقتبسة من تشريعات الإسلام عدا (العرف الخاص) الذي لم يكن يعدو جنائيات أو اجتماعيات محدودة - كما نص على ذلك ملاحظون غريسون أمثال (سوردون) و(مونتيني) .montaigne

وقد عثرنا في كنانيش أو سجلات ديوانية (أي جمركية) محررة من طرف أمناء المراسي خاصة في شواطئ المحيط الأطلنطيقي المفتوحة للتجارة مع الخارج - على معلومات قيمة تخص (الميزان التجاري) ونسب التعريفات الجمركية ووسائل الأداء وأصناف البضائع المستوردة أو المصدرة الخ وكانت مراسي المملكة قد أصبحت مراكز لنشاط عارم فتطورت بها المبادلات التجارية منذ القرن السابع الهجري مع جمهوريات متوسطية حرة مثل جنوة وبيزة والبندقية ومرسيلية وقد ترجم لنا المؤرخ (مأس لاطري) وثائق تتعلق بهذا العصر ولم يتخلف (أنسدي جوليان) هو الآخر عن الاعتراف بأن المغاربة كانوا أول من أخضع أصناف تجارتهم لأنظمة معلومة طبقا لمقتضيات التجارة الدولية وقد كان لحواضر المغرب - حتى الداخلية منها البعيدة عن السواحل - دور فعال في بلورة الأعراف الاقتصادية الإفريقية حيث كانت حاضرة فاس - من بين باقي الحواضر - في العهد العلوي «مخزنا عاما لمجموع النواحي الغربية من القارة» إلا أن جملة من الدسائس والمناورات ما لبثت أن اثبتت عن دول لاتينية أوروبية مجاورة دفعت بالمغرب بقرار من سلطانه المولى محمد بن عبد الله إلى تغيير وجهته نحو دول بروتستانتيية مثل إنجلترا والسويد والدنمارك فأمضى معها معاهدات تجارة

وكان أجاناب من أصل أوربي يعيشون في حواضر إفريقية تربطهم صلات حميمة بمشوليين من بين الملوك والأمراء أو رؤساء القبائل فلم يكونوا يتقاعسون عن تسجيل كل ما يشاهدون من أحداث أو يسمعون من أقوال من بعيد أو قريب فمن ذلك أن شخصا يسمى أبا بكر الغنجاوي ملحقا ببلاد السلطان الحسن الأول بمراكش - كان يبرق يوميا لسفيره الأنجليزي بطنجة يحكى كل شادة وفادة ويعتبر كتاب (تاريخ المغرب وصحرائه) للضابط مارتان (martin) نموذجا حفل بفسيفساء من المعلومات الثمينة المستقاة من أفواه الرجال أو من المستندات التي وقعت بيد الضابط المذكور ونص عليها بدقة وقد كان القنصل الفرنسي (ميشوبيلير) يسجل في جولاته بين فاس والقصر الكبير وسلا وحواضر أخرى - محتوى مخطوطات ووثائق عربية يعثر عليها في مكاتب خاصة لرسم صور توليفية تنظر وتقارن مثلا بين عطاءات المسيحية وتعاليم الإسلام في القارة الإفريقية مؤكدا أن مثلي دين سيدنا المسيح (عليه السلام) لم ينقلوا إلى إفريقيا - على ما يلوح - سوى الحروب الدينية والاضطهادات والتمزقات الطائفية (كتاب الاعترافات ص 246) ويصاعد (بيلير) أحيانا إلى قرون ماضية ليقتبس من مصادر شرقية معلومات كهذه التي يلاحظ فيها أنه بعد احتلال (السلطان المغولي هو لاکو) لبغداد عام 658 هـ / 1258 م جعل (شريف مكة المولى محمد بن نوراي) الحرمي الشريفين تحت حماية (المستنصر الحفصي) سلطان تونس وخوله الخلافة بالشرق والمستنصر هذا هو الذي ورث الموحدين في خلافة الغرب الإسلامي.⁽⁵⁰⁾

☆☆☆

وقد مارس المسيحيون مدة طويلة بالمغرب وإفريقيا تجارة هادئة فاحتكوا بالأفارقة وعاشوهم في ود وإخاء - عدا اصطدامات نادرة - فاستوثقت بين الطرفين مبادلات

(50) (ميشوبيلير) - (الاعترافات) - (الوثائق المغربية) عام 1927.

وصداقة كالتي تمت مع الولايات المتحدة الأمريكية لمدة خمسين سنة انطلاقاً من سادس عشر يوليو 1786 (موافق 1201 هـ أي قبل وفاة السلطان محمد الثالث بثلاث سنوات) فتجددت عام 1836 م / 1252 هـ ويعتبر النص العربي لهذه الاتفاقات مصدراً هاماً في الحقلين السياسي والاقتصادي ولذلك يمكن إدراج مصادر أمريكية صرف مثل المراجع الأوربية ضمن لائحة المظان العربية لتعزيز هذه في حالة انعدام النصوص العربية بين الوثائق الملكية المغربية على أن المكتبات العمومية الأمريكية تضم علاوة على المستندات المذكورة (كالمعاهدات والمراسلات) مكاتيب عن رحلات أو سير رجال أفارقة أو مغاربة على الأخص هاجروا إلى العالم الجديد أو تناسلوا في ربوعه وقد حكى لي زميل من كبار أساتذة المغرب الذين زاروا هذه المكتبات - عن ثرائها في هذا المجال حيث نعثرت على أسماء شخصيات علمية مغربية لا وجود لها في مصادرنا العربية على أن بعض المؤرخين العرب يحدثوننا عن هجرات إفريقية إلى أمريكا قبل اكتشافها من طرف (كريستوف كولومب) الذي اعترف مع ذلك طبقاً لما رواه مؤرخ فرنسي بارز هو (إيرنيست رومان) E. Renan في كتاب (ابن رشد ومذهبه) - بأنه (أي كريستوف) لم يشعر بوجود قارة يابسة وراء المحيط حتى قرأ كتاب (الكليات) لابن رشد في طبيعته اللاتينية وقد عاش ابن رشد فترة من حياته في بلاط مراكش الموحدية ونجهل ما كتبه هذا الفيلسوف الفذ في كتاب آخر حول (الهبوط) أي إقليم (القصر الكبير) من حيث انطلقت على ما يظهر نحو أمريكا قطع بحرية مغربية منذ العهد الفينيقي أي منذ أسس هؤلاء مدينة (ليكسوس) (Lixus) في نفس المنطقة عام 1101 قبل الميلاد وقد حكى لنا (الشريف الإدريسي) في (نزهة المشتاق) قصة (الفتية المغربيين) الذين انطلقوا من مرسى (أسفي) بالشواطئ المغربي بحثاً عن جزيرة في (المحيط

(51) كتاب أنواء على التاريخ الإسلامي بالجزائر - توفيق المدني - القاهرة 1959.

الأطلسنطريقي) وقد عثر بين المخطوطات التي عرضت أخيراً في إيطاليا ضمن مكتبة (كريستوف كولومب) على نسخة من (نزهة المشتاق) للشريف الإدريسي وقد صدرت في أمريكا الثلاثينات دراسات بالإنجليزية والاسبانية تؤكد هذه الأطروحة التي تستند إلى عناصر إيجابية كوجود مفردات عربية في لهجات الهنود الحمر بأمريكا وأثار زنجية مع أعراف وعادات إفريقية ومواد أولية مستخرجة من جوف التراب الإفريقي.

ومن بين هذه المصادر الأمريكية حول إفريقيا :

(1) كتاب (مجيء الأفارقة إلى العالم الجديد قبل كولومب) بقلم الأستاذ (إيفان فان سيرتيمبا) Ivan Van Sertima (1977) - جامعة رونجيرس Rutgers والأستاذ تل (Tell) بجامعة هارفارد.

(2) كتاب (أمريكا قبل كولومب) بقلم الأستاذ (باري تل) Barry Tell (1977).

(3) كتاب (إفريقيا واكتشاف أمريكا) بقلم الأستاذ (ليس فينير Les Weiner) (1923).
وهناك مصنفات أخرى ككتاب (البربر في أمريكا) بقلم كوفي Couvet (الجزائر 1932).

وقد ذهب البعض إلى حد نسبة كلمة (برازيل) Brésil إلى كلمة (بريزلة) أو (بني برزل) وهي قبيلة جزائرية هاجرت إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) (360 هـ / 971 م) ومن هناك إلى أمريكا⁽⁵¹⁾ والواقع الذي لأمره فيه هو أن المغاربة والقرطاجيين الذين هجروا حاضرة (قرطاج) Carthage بعد تهديمها عام 146 قبل الميلاد من طرف (سيبيون) الإفريقي الروماني قد قطعوا المحيط الأطلسنطريقي ليصلوا بعد ثلاث سنوات إلى سواحل (البرازيل) حيث عثر على كتابة حجرية تحمل تاريخ 125 ق.م. مكتوبة باللغة البونية التي يظهر أنها لم تكن تختلف عن اللهجة العامية بقرطاج أي تونس والمغرب

كافة (راجع كتابنا : «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث» طبعة المعهد العربي بالقاهرة).

☆☆☆

أما المرأة الإفريقية فإن لها مركزا هاما في المجتمع رغم أميتها ودورها بارز سواء في المغارب الثلاثة أو الصحراء شرقا وغربا حتى في المحافل الفكرية أحيانا غير أنها تعتبر دائما ربة البيت وراعيته ومربية الأطفال الأمينة أما رسالتها في الشرق فإنها في مستوى المكانة السامية التي يخولها إياها الإسلام⁽⁵²⁾ وقد أوردت أسماء مآت النسوة اللواتي كن أستاذات محاضرات يمنحن الإجازات لكبار العلماء ولكن الذي يهمنا هنا بالذات هو المرأة المغربية الأندلسية وكذلك الصحراوية التي أفردت لها قسما خاصا من بحثي المذكور وقد خصص (المقري) في (فتح الطيب) شعر المرأة صفحات نقل عنها (دوكا) Dugat في (مجلة الشرق) وعدد منهن خمسا وعشرين شاعرة كن ينظمن الشعر الجيد ويشغلن المقام المرموق في هذا الفن وقد ذاع صيت بعضهن في فن الخطاطة مثل السيدة (لدى) وقد أحصى المراكشي في (المعجب) في حي واحد من أحياء قرطبة مائة وسبعين منهن مهن في هذه المهنة التي كانت تقوم مقام الطباعة قبل نشوئها وبذلك كان فن الخطاطة يضطلع برسالة سامية في عالم الفكر ومعلوم أن جامعة القرويين بفاس يرجع الفضل في بنائها إلى فاطمة أم البنين الفهرية القيروانية كما يرجع الفضل في بناء جامع الأندلس بفاس إلى أختها وقد كانت الأميرة (حسنى) زوجة المولى إدريس الأول ملك المغرب مستشارته السياسية⁽⁵³⁾ وتحفل كتب السير في المغرب وشنقيط بعشرات التراجم لنساء إفريقيات ضربن أروع مثل عن ضلعة المرأة وتعمقها في العلوم الدينية وفي الشعر واللغة غير أن هذه المصادر ومنها (سلوة الأنفاس) للشيخ محمد بن جعفر الكتاني قصيرة النفس في هذا المجال نظرا لسرية واحتشام المرأة في

(52) راجع كتابنا «التيارات الكبرى في حضارة المغرب» باللغة الفرنسية - جامعة محمد الخامس - الرباط 1960.

المجتمع الإسلامي فامرأة مثل (العالية) بنت الشيخ الطيب بن كبيران لم تشر المصادر العربية إلى مكاتبتها علما وتحقيقا ولم يجرؤ على ذلك سوى مؤرخ أجنبي هو (مولييراس)⁽⁵⁴⁾ المولieras الذي تحدث لنا عن دروسها في جامع الأندلس بفاس حيث كانت تتأخر حلقة علم المنطق مما حدا هذا المؤرخ الأسباني إلى القول متعجبا : «امرأة عربية أستاذة في المنطق ! فما هو رأي علمائنا في الجغرافية وعلم الاجتماع الذين رددوا في رنات قاتمة أن المغرب غارق في غياهب وحشية عارمة ومحيط من الجهل المدقع ! امرأة مغربية تحلق في أجواء عليا للعلم والمعرفة ! عجبا !

☆☆☆

ويتبلور مصدر آخر فيما صنفه يهود المغرب باللغة العربية من مصنفات حول مختلف مظاهر الحضارة الإفريقية وهنالك (صفر يون) Safarides وهم يهود أفارقة أقحاح كتبوا بالعبرية والعربية معا ووصفوا لنا حياتهم في المجتمعات الإفريقية وعلاقاتهم بطبقاتها وتدرج هذه المصادر في جملة المصادر العربية لأنها كانت تحرر غالبا بلغة الضاد لا في الأندلس وحدها بل حتى في حواضر المغرب مثل مدينة فاس قبل عهد الموحدين وإلى ما بعد تاريخ سقوط غرناطة وهجرة يهود الأندلس إلى إفريقيا وأقتصر على مثالين هما رسالة (دليل الحائرين) لموسى بن ميمون maïmonide وكذلك كتب الحبر إسحاق بن الكوهن المعروف بالفاسي (497 هـ / 1103 م) ومع ذلك فإن يهود المغرب - حتى الذين يعيشون اليوم في إسرائيل أو كندا - ما زالوا يتداولون اللهجة المغربية في أحاديثهم المنزلية وربما كتبوها بالحروف العبرية ويشكل هذا التراث أحد المصادر العربية في تاريخ القارة غير أن استعمال العربية من طرف يهود الأندلس والمغرب والصحراء أصبح يتقلص

(53) كتاب (الدرر السنية) ص 8.

(54) المغرب المجهول ج 2 ص 742.

منذ بدأ يهود أوروبا يهاجرون إلى المغرب وما وراءه⁽⁵⁵⁾ ولعل بعض الطلبة الأوربيين الذين درسوا في جامعة القرويين كانوا يعرفون العربية مثل (جيلبير) الذي اعتلى كرسي البابوية ونقل الأرقام العربية من فاس إلى أوروبا والراهب الإسباني الذي عمل أستاذا في الجامعة⁽⁵⁶⁾ بل إن علماء غربيين من مسيحيين ويهود ترجموا إلى اللاتينية والفرنسية والإسبانية مصنفات فقدت نصوصها العربية أو لحقها نقص في بعض أجزاءها ككتاب (الكليات) في الطب لابن رشد الحفيد.

ومعلوم أن الموسوعة الإسرائيلية المكتوبة بالإنجليزية تضم أجزاء مخصصة ليهود المغرب كما أن العمل الفقهي المالكي بالمغرب كالعمل الفاسي والسجلماسي والرباطي والسبتي كان له أبلغ الأثر على الماخرات اليهودية انطلاقا

من فاس إلى سائر نواحي إفريقيا الناطقة بالعربية سواء في المجال القانوني أو الاقتصادي والاجتماعي وهنالك وثائق تشهد بهذا التأثير وقد صنف إسحاق بن الكوهن الفاسي المذكور ثلاثمائة وعشرين فتوى اقتبس منها التلمود فأمت أحد مصادر الفكر القانوني اليهودي في العالم.

فمن هذا العرض النقدي التنظيري يمكن أن نستخلص أن هنالك بجانب المصادر العربية المنشورة مصادر أخرى غنية مختزنة في المكتبات العمومية والخصوصية بإفريقيا وكذلك ضمن مخطوطات مكتبات أوروبا أو دور الوثائق الرسمية ويشكل البحث عن هذه المصادر وتجريدها وتحليلها عملا طويلا النفس يقتضي منا منذ الآن المبادرة بالدراسة الجادة والنقد العلمي المقارن لرسم لوحة حية موضوعية عن تاريخ القارة الإفريقية.

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

(55) توارد اليهود من إنجلترا عام 1290 م ومن فرنسا عام 1395 م (حسب كودار في تاريخ وصف المغرب ص 15) أو إيطاليا (1242 م) وهولندا (1350 م) والنبرتنال (1476) (راجع رينو في دراسته حول الصحة والطب بالمغرب ص 6).

(56) نقل ذلك دو طوريس ديمازيرير ص 27 Des mazières.

نماذج من المصادر الرئيسية

تتبع الخلل للدولة العلوية (*)

للأستاذ محمد المنوني

وبهذه المبادرات، مضافا لها أعمال خواص المؤلفين، تجمعت ثروة مصدرية ضخمة، وهي التي يحاول هنا العرض أن يلم بنظرة سريعة على خطتها، فنشير - أولا - إلى مؤرخين يقدرون مهمتهم، ومنهم الزباني في «الترجمان» ومشتقاته، ثم الناصري في «الاستقصا».

بينما كان معظم الباقي من المؤرخين، علماء مرموقين ولا معين في تخصصاتهم، غير أنهم لم يزاولوا مهنة التاريخ، فلما ألفوا في هذه المادة لم يسيروا على خطة واضحة، وضخمو أعمالهم بالاستطرادات المنوعة، ومع هذا نصفهم بأنهم حافظوا على مجموعة مهمة من الإفادات الموضوعية، وكانت تضع لو لم يدونوها.

وملاحظة أخرى: أن غالب هؤلاء المؤرخين اهتموا بالجانب السياسي، وأهملوا الالتفات إلى بحث المجتمعات.

☆☆☆

وإلى هنا: نشير إلى أن هؤلاء المؤرخين ينقسمون - مبدئيا - إلى رسميين وأشباه الرسميين: الزباني، وأكنسوس، وابن الحاج، والسباعي، وابن زيدان. ومن فريق غير الرسميين نذكر الضعيف، والجعيدي مؤلف الابتسام، ثم الناصري والحاج المشرقي وسواهم.

تعتبر الدولة العلوية أكثر الدول المغربية مصادر تاريخية، اعتبارا بانفساح أيامها، واعتبارا - أيضا - بمعاشتها لمرحلة نهضة أوربا وخصوصا القرن التاسع عشر، حيث ازدهرت كتابة التاريخ بأوربا، وفي فرنسا بصفة أخص.

وقد بدأ تدوين المصادر العلوية مع أيام السلطان مولاي إسماعيل، ثم ازدهرت كتابتها - فيما بعد - عبر أيام ثلاثة من الملوك، انطلاقا من العاهل سيدي محمد بن عبد الله، ويتوجبه كان تدوين سفراته لرحلاتهم، حتى يجلوا بها ارتساماتهم عن الدول التي سفروا إليها.

وبعد محمد الثالث، فإن حفيده السلطان محمد الرابع، هو الذي اقترح على أكنسوس تأليف «الجيش العرمم».

ثم تصاعد هذا الاهتمام مع السلطان الحسن الأول، وهو المشير على شيخه أحمد بن الحاج العالم الفاسي، بتدوين «النذر المنتخب المتحسن»، وفي مراكش نذب عالمها محمد بن إبراهيم السباعي، إلى تأليف «البتستان الجامع لكل نوع حسن».

(*) كان هذا البحث بين الموضوعات التي قدمت لندوة الريضاني بإقليم الرشيدية - دجنبر 1989.

الرحلات :

1 - رحلة الوزير في افتكناك الأسير، وكلمة الوزير الواردة في العنوان هي اللقب العائلي للمؤلف : محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي ثم الفاسي، ت 07/1119 - 1708.

كتبها عن رحلته إلى إسبانيا، سفيرا عن السلطان مولاي إسماعيل إلى كارلوس الثاني عام 90/1102 - 1691. من منشورات مؤسسة فرنكو بالعرائش 1940.

2 - رحلة الإسحاقى : محمد الشرقي بن محمد. تاريخ وفاته غير مضبوط. وحج عام 1143 هـ، في رفقة الأميرة خناتة أم السلطان مولاي عبد الله. خ. س 1428 ز : المجلد الأول.

3 - «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد» تأليف الغزال : أحمد بن المهدي بن محمد الحميري الأندلسي الفاسي ت 77/1191 - 1778. سجل بها ارتساماته عن الرحلة التي قام بها إلى إسبانيا، سفيرا عن السلطان محمد الثالث إلى كارلوس الثالث. عام 79 - 1766/1180. منشورة في تطوان ثم في بيروت.

4 - «الإكسير في فكناك الأسير» : اسم رحلة سفارية لابن عثمان : محمد بن عبد الوهاب المكناسي، ت 1799/1214. ألفها عن سفارته الأولى عن السلطان العلوي محمد بن عبد الله عام 1779/1193، وكانت إلى ملك إسبانيا كارلوس الثالث، في شأن تجديد الصلح، وافتكناك الأتري الجزائريين بإسبانيا. منشورة بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي.

5 - ولابن عثمان «البدر السافر، لهداية المسافر، إلى فكناك الأسارى من يد العدو الكافر».

كما أن هذه المؤلفات تنفرح إلى كتب في عموم تاريخ الدولة، وأخرى في سيرة ملك بمفرده، وثالثة تتناول العلويين ضمن تاريخ المغرب العام، كواقع «الاستقصا»، ويمكن أن يضاف له «الترجمان». وفي اتجاه آخر : يأتي التاريخ العلوي خلال مؤلفات التراجم : «نشر المثاني»، و«التقاط الدرر»، و«سلوة الأنفاس»، و«إتحاف أعلام الناس»، و«الإعلام» المراكشي، وغيرهم.

☆☆☆

والآن : نشير إلى مؤلفات ملحقة بهذه المادة، ومنها الرحلات العلوية، اعتبارا بأنها تؤرخ للوجه الدبلوماسي للدولة، ومثلها في ذلك الوثائق الدولية.

وثالثا : المؤلفات في تراجم الموظفين الرئيسيين : الوزراء والكتاب ومن إليهم، مثل «قواصل الجمال» وما ضاهاه.

ثم المجموعات الشعرية والقصائد في مديح الملوك، مع التحفظ من تجاوزات الشعراء.

فضلا عن كتب الأنساب التي تؤرخ للأسرة العلوية. وهذه الأنماط، سيقدم العرض التالي نماذج منها على الترتيب الآتي :

- الرحلات كوجه للدولة دبلوماسيا.

- الوثائق.

- تاريخ عموم الدولة.

- تاريخ الدولة ضمن التاريخ العام للمغرب.

- سير الملوك.

- تراجم الموظفين بالبلاط.

- مؤلفات الأنساب.

- المجموعات الشعرية.

- مؤلفات موضوعية للملوك والأمراء.

فهي تسعة أقسام تستوعب 104 من نماذج المصادر العلوية.

10 - «رحلة» الصفار : محمد بن عبد الله بن عبد
الكريم الأندلسي ثم التطواني، ت : 1881/1298.
ذهب إلى فرنسا عام 1845/1261، كاتباً لسفارة قائد
تطوان الحاج عبد القادر البخاري عن السلطان مولاي عبد
الرحمن، إلى الملك لويس فيليب الأول، وعن هذه السفارة
سجل الرحلة المنوه بها.
خ. س 113.

11 - «تحفة الأخبار بفرائب الأخبار»، تأليف
الجمعاييدي : إدريس بن محمد الحني السلوي،
ت : 90/1308 - 1891.

سجل فيها ارتساماته عن الرحلة التي ذهب فيها كاتباً
لبعثة الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبيدي الرباطي،
سفيرا عن السلطان الحسن الأول، إلى فرنسا وأنجلترا
وإيطاليا وبلجيكا عام 1876/1293.

منها مخطوطة ناقصة في الخزانة العلمية الصبغية
ببلا.

12 - «التفحة السنية للحضرة الحنيفة
بالمملكة الاصبنيولية»، تأليف الكرودودي : أحمد بن
محمد بن عبد القادر الكلاي الفاسي، ت : 1900/1318.

وهي عن رحلته أميناً في السفارة التي أوفدها
السلطان الحسن الأول إلى ملك اسبانيا القونزو 12 عام
1885/1302.

من منشورات المطبعة الملكية بالرباط.

13 - كناش عن رحلة السلطان الحسن الأول
إلى سوس عامي 1399، 1303 هـ.
من مصورات خ. ع 21. «فيلم»

14 - «رحلة شمال المغرب» تأليف المشرفي :
الحاج العربي بن عبد القادر الحني المعسكري الغريسي
نزير فاس، ت : 1895/1313.

كتبها عن سفارته الثانية، وكان فيها سفيرا عن نفس
العاهل لدى حاكم مالطة ثم أمير نابولي، عام 1781/1195،
قصدا لاقتداء الأسرى المسلمين بالولايتين.
خ. س 12523.
خ. ع. ح 52.

6 - ولابن عثمان «إحراز المعلى والرقيب، في
حج بيت الله الحرام، وزيارة القدس الشريف
والخليل، والتبرك بقبر الحبيب».

وهو عن رحلته الثالثة سفيرا عن السلطان المنوه به
إلى إسطنبول ثم الحرمين الشريفين، عام 1785/1200.
خ. س 5264.
خ. س 12307.

7 - «الترجمانة الكبرى، التي جمعت أخبار
المعمور برا وبحرا» للزياني : أبي القاسم بن أحمد بن
علي نزير فاس، ت : 1833/1249.

جمع فيها مقيداته عن رحلاته المشرقية الثلاث، وكان
في الثانية منها سفيرا عن السلطان محمد بن عبد الله إلى
إسطنبول عام 1200 هـ.
منشورة باعثناء الأستاذ عبد الكريم الفيلالي.

8 - «الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية»،
مؤلفها هو الفاسي : محمد الطاهر بن عبد الرحمن بن محمد
الرضي الفهري، ت 1868/1285.

سفر فيها كاتباً للبعثة التي وجهها السلطان محمد بن
عبد الرحمان، إلى فيكتوريا ملكة بريطانيا، عام
1859/1276. منشورة.

9 - «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز»
للمعمروي، الحاج إدريس بن محمد بن إدريس الفاسي،
ت : 1878/1296.

وهي عن رحلته لفرنسا عام 1859/1276، وكان فيها
سفيرا عن السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى نابليون
الثالث. منشورة.

وهي عن رحلة العاهل المنوه به عام 1379/1960 إلى
المشرق العربي : مصر وسوريا والسعودية وعمان والكويت
والعراق وبيروت.

خ. س 10341.

20 - «مع جلالة الحسن الثاني في باريس»
(1970) تأليف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ
المملكة.

المطبعة الملكية بالرباط سنة 1970.

21 - مع جلالة الحسن الثاني في فاس وتازة
ووجدة وتلمسان (1970 لنفس المؤلف).

المطبعة الملكية بالرباط سنة 1970.

22 - مع جلالة الحسن الثاني في نوا ذيبو
(1970) للمؤلف ذاته.

المطبعة الملكية بالرباط 1970.

23 - ولنفس المؤلف : مع جلالة الملك الحسن
الثاني في حاضرة الفاتيكان (1980).

المطبعة الملكية بالرباط 1980/1400.

24 - مع جلالة الملك الحسن الثاني في
نيروبي وجدة ومكة (1981) للمؤلف نفسه.

المطبعة الملكية بالرباط 1981/1401.

25 - الرحلة الملكية إلى المملكة المتحدة
البريطانية (1987) للمؤلف المنوه به.

المطبعة الملكية بالرباط 1987/1407.

26 - «التحفة السنوية بالرحلة الملكية الحسنية
إلى العاصمة الجزائرية» (1988).

تأليف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ
المملكة.

المطبعة الملكية بالرباط 1988/1408.

27 - دفاعا عن الوحدة الترابية للمملكة
المغربية.

للدكتور عبد الهادي التازي.

كتبه عن رحلة صاحب السمو الملكي.

دون فيها مسار الرحلة الحسنية إلى هذه المنطقة،
ابتداء من 17 شوال 1306 هـ.

خ. س 2420.

15 - «رحلة تباشير الفرح» اسم رحلة حسنية من
نظم الخالدي : خليل بن صالح العامري الحسني التلمساني
نزيل فاس، ت : 1908/1326.

أرجوزة بها 605 بيتا، نظم فيها مراحل وأخبار الرحلة
الحسنية إلى تافيلالت عام 1311 هـ.

منشورة في المطبعة الحجرية الفاسية في حجم
صغير.

16 - «رحلة السلطان مولاي يوسف إلى
فرنسا»، دون أعمالها كاتب فرنسي اهتم فيها بالرسيمات، ثم
عربها عبد السلام بن يوسف المترجم الممتاز.

نشرت عام 1927 موضحة بالصورة، في المطبعة
الدولية بباريس في حجم كبير عريض.

وجاء عنوانه «اقتبال جلالة مولاي يوسف
سلطان المغرب الأقصى بقصر البلدية بباريس،
وافتحاح المعهد الإسلامي ومسجد باريس».

17 - «رحلة الجلالة المحمدية إلى طنجة»
تأليف الكردودي : أحمد بن محمد الحسني الكلاي الفاسي
نزيل الرباط، ت : 1971/1391.

وصف فيها الزيارة الملكية التي قام بها المغفور له
جلالة الملك محمد الخامس إلى طنجة عام 1947/1366.

خ. س 10339.

18 - «رحلة الجلالة المحمدية إلى الولايات
المتحدة»، للمؤلف نفسه.

وهي عن رحلة العاهل ذاته إلى الولايات المتحدة
سنة 1957، أيام الرئيس إيزنهاور.

خ. س 10340.

19 - «رحلة الجلالة المحمدية إلى الشرق
العربي» لنفس المؤلف.

ولي العهد الأمير سيدي محمد، في أول مهمه سياسية بإفريقيا (1980)، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي.

الوثائق

صنف أول :

28 - الاتفاقات الدولية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

نشرها الأستاذ كايي بالرباط سنة 1960.

29 - «كناش شروط الأجناس»، به عقود ومعاهدات بحرية وتجارية بين الدولة العلوية ودول أوروبا : ابتداء من عام 1180 هـ إلى عام 1310 هـ. خ. ع، د 1694.

30 - «كناش في شؤون بحارة العدوتين».

يبتدئ من شعبان عام 1769/1183.

خ. ع. د 1409 : مصور من المكتبة الناصرية بلا.

31 - «أربع وثائق عن العلاقات الفرنسية المغربية».

قدم لها ونشرها بالفرنسية الأستاذ حانون هوست رينو : من سنة 1794 إلى سنة 1810. مجلة هيسبريس.

32 - رسالة - بالانكليزية - من الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن، إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وفيها يتوسل الرئيس الأمريكي بالعاهل العلوي، لاستخدام نفوذه على باشوات تونس وطرابلس، للسماح للسفن الأمريكية بالملاحة في حوض الأبيض المتوسط...

الرسالة منشورة - في نصها الأصلي بالانكليزية مع ترجمتها الفرنسية - في كل من جريدتي «ماروك سوار» و«لوماتان الصحراء» في تاريخ موحد : الأربعاء 27 فبراير 1985 / 6 جمادى الثانية 1405.

33 - «وثائق لدراسة تاريخ المغرب».

إصدار المكتبة العامة بتطوان في ثلاثة أجزاء، من إعداد الأساتذة أحمد المكتاسي، ومصطفى الكوش، ومحمد الغازي الرويفي والمهدي الدليرو.

وهدف مؤلفوها إلى فهرسة الوثائق التاريخية في المكتبة العامة بتطوان، وبذلك عرفت المجموعة بـ 1704 وثيقة عن عصر السلطان الحسن الأول.

34 - «الوثائق» هو عنوان المجموعة الدورية التي تتابع إصدارها مديرية الوثائق الملكية بالرباط، من إعداد الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور، مدير المؤسسة، ومؤرخ المملكة.

صدر منها ست مجموعات تتوعب 873 وثيقة عن المطبعة الملكية بالرباط.

35 - «انبعاث أمة».

مجموعة كبرى لتسجيل متنوع الوثائق عن النشاط الملكي أيام المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، وامتدادا مع عصر جلالة الملك الحسن الثاني، صدر منها 33 جزءا موزعة على السنوات، آخرها عن عام 1988 المطبعة الملكية بالرباط.

36 - نص البيعة التي رفعها سكان مدينة الداخلة وإقليم وادي الذهب إلى صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني - أيده الله - بالقصر الملكي بالرباط.

إصدار مديرية الوثائق الملكية - بالرباط.

المطبعة الملكية بالرباط 1979/1399.

37 - «ملف الصحراء المغربية الغربية».

إعداد الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة. المطبعة الملكية بالرباط 1984/1405.

38 - «تاريخ المغرب الدبلوماسي»، تأليف الأستاذ

الدكتور عبد الهادي التازي.

موسوعة مغربية لمصورات الوثائق الدبلوماسية الوطنية الغميسة، مع تعريف بها، ودراسة عن عصورها، مما

45 - «رسائل من السلطان مولاي إسماعيل» إلى الشيخين أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري وولده أبي عبد الله محمد الفاسي. عددها 41 رسالة، يتصل كثير منها بإجراءات عبيد البخاري.

نشرها الأستاذ محمد الفاسي في مجلة «تطوان» : عدد خاص سنة 1962.

مع مجلة هيسبريس تمودا : عدد خاص سنة 1962.

46 - «رسائل إسماعيلية» صدرت عن السلطان مولاي إسماعيل إلى ولده الأمير المأمون، وعددها خمسة. المطبعة الملكية بالرباط 1967/1387.

تحقيق الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور.

47 - دفتر هدايا وصلات السلطان محمد الثالث، ويتعلق الأمر بهدايا وصلات العاهل العلوي لأشراف الحرمين الشريفين واليمن، ولأشراف العلويين بتافيلالت، ويرسم السلطان العثماني عبد الحميد الأول. خ. س 591.

48 - «دفتر هدايا وصلات السلطان محمد الثالث» ويتعلق الأمر بهدايا العاهل المنوه به للحرمين الشريفين واليمن ومصر والشام، ولأشراف العلويين بتافيلالت، مع جيش مدينة الصويرة عن عام 1199 هـ. خ. ع : ضمن مصورات جائزة الحسن الثاني سنة 1982 : حرف ر.

49 - «دفتر إحصاء الأشراف العلويين بتافيلالت» مع موضوعات أخرى. خ. س 107.

50 - دفتر إحصاء الأشراف العلويين بتافيلالت.

ويشتمل - أيضا - على بيان ما ينوب كل واحد منهم من الصلة السلطانية عن عام 1204 هـ. خ. س 2823 ز.

جعل هذا العمل إسهاما فريدا في البحث التاريخي المغربي، فضلا عما يكشف عنه من جهد بذله المؤلف في التنقيب عن الوثائق وهي متناثرة ودفينة أحيانا في مراكز الأرشيفات بالبلاد الإسلامية والأجنبية.

ومن جهة أخرى فإن «تاريخ المغرب الدبلوماسي» يعتبر تنمة وافية لما لم يدونه دوكاستري، ومن جاء بعده، على أن تاريخ المغرب الدبلوماسي سيتكامل أكثر بالإضافات التي وعد المؤلف بإنجازها استقبالا بعد ما نشر منه عشر مجلدات.

صنف ثان من الوثائق :

39 - الرسالة الكبرى لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، ت : 1691/1102.

40 - الرسالة الصغرى لنفس المؤلف. وهما - معا - برسم السلطان مولاي إسماعيل، منشورتان ضمن مجموعة «رسائل أبي علي اليوسي».

41 - مراسلات بين أطراف متعددة، والمعني بالأمر جملة رسائل متبادلة بين الأمير العلوي مولاي محمد الأول من جهة، مع الرؤساء الذين تقاسموا النفوذ بالمغرب في فترة ظهور الدولة العلوية. خ. س 1296، 1322، 4485، 10898.

42 - «مجلد من دفاتر جيش عبيد البخاري». خ. ع. ك 394.

43 - «مجلد آخر».

خ. ع. ج. 5.

44 - «جنى الأزهار، ونور الأبهار، من روض الدواوين المعطار».

هدف به مؤلف - غير مذكور - إلى تلخيص الوثائق الشاهدة، المدونة بدفاتر جيش عبيد البخاري. خ. س 1064 ز.

تاريخ الدولة العلوية :

51 - «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي»، للأفراني : محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي ثم المراكشي، استمر بقاء الحياة إلى عام 1742/1155.

تشتمل على 81 مبحثاً، منها 75 لأيام السعديين، والباقي لتاريخ بدايات الدولة العلوية إلى عصر السلطان مولاي إسماعيل.

وكانت أول نشرة لنزهة الحادي في باريس سنة 1888.

ولهذه الطبعة مصورة صدرت بعناية مكتبة الطالب بالرباط.

وفي فاس نشرت بالمطبعة الحجرية دون تاريخ.

52 - «تاريخ الدولة العلوية»، تأليف الحاج عبد الكريم بن موسى الريفى، كان حيا عام 1740/1153. يتناول تاريخ الدولة العلوية من بدايتها إلى منتصف رجب 1153 هـ.

حققته الأستاذة آسيا بنعدادة.

د. د. ع. كلية الآداب بالرباط :

السنة الجامعية 88 - 1989.

53 - «تقاويد تاريخية» للقادري : عبد السلام بن عبد الله الخياط بن محمد الحسني الفاسي : ت : 1813/1228.

أوجز فيه تاريخ الدولة العلوية إلى عصره، وذيل بلمحة عن تاريخ السعديين.

خ. س 248 : في جزء يشتمل على 24 ص.

خ. س 11485 : ضمن مجموع.

ح. ع. ح 111 : ضمن مجموع.

54 - «تاريخ الدولة العلوية» للضعيف : محمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي، كان حيا عام 1818/1233.

منشور

55 - «البيستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف» للزياني : أبي القاسم بن أحمد بن علي نزيل فاس، ت 1833/1249.

خ. س 242 : في سفر.

خ. س 11542 : في سفر بعضه بخط المؤلف، إلى مخطوطات أخرى.

56 - «الروضة السليمانية، في ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية...» للزياني المذكور آنفا.

وهي في الواقع نسخة من البيستان مع بعض الإضافات إلى عام 1823/1239.

خ. ع. د 1275، مع نسخة بنفس الخزانة، وأخرى في خزانة كلية الآداب بالرباط.

57 - «الدر المنضد الفاخر، بما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر» للكرودوي، محمد بن عبد القادر بن أحمد الحسني الكلالي الفاسي، ت 1852/1268.

كتب منه ترجمة السلطان مولاي إسماعيل، وحالت منيته دون إتمامه.

خ. س 11676 : بخط المؤلف.

خ. ع. د 1584.

58 - «الجيش العرمزم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي» تأليف أكنوس : محمد بن أحمد بن محمد المراكشي، ت : 1877/1294.

توسع في القسم الرابع منه في تاريخ الدولة العلوية حتى أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، في حوليات متتابعة إلى عام 1282 هـ.

منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية في جزءين.

59 - «الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية» للحاج المشرقي : محمد بن محمد بن مصطفى الحسني الفاسي، ت : 1915/1334.

64 - «ألفية السلوك في وفيات الملوك»

للزياني.

أرجوزة من ألف بيت، أوجز فيها تاريخ دول الإسلام مشرقاً ومغرباً إلى عام 1222 هـ.

65 - ولنفس المؤلف أرجوزة ألفية أخرى نظم فيها

تاريخ الدول السابقة للإسلام وعلق المؤلف نفسه على الألفيتين بشرح سماه : «بغية الناظر والسامع، والهيكل الجامع، لما في التواريخ الجوامع».

خ. س : 1250 في سفر، مع مخطوطات أخرى.

67 - «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»

للناصري : أحمد بن خالد السلوي ت : 1897/1315.

نشر - للمرة الثانية - بمبادرة دار الكتاب بالدار البيضاء، وصدر في تسعة أجزاء : الأجزاء السابع والثامن والتاسع : ثلاثها في تاريخ الدولة العلوية إلى مبايعة السلطان مولاي عبد العزيز.

تراجم الملوك ومن إليهم:

68 - «روضة التعريف بمفاخر مولاي إسماعيل

بن الشريف» للأفراني سابق الذكر.

المطبعة الملكية بالرباط 1962/1382.

69 - «زهر البستان في أخبار أخوال مولانا

زيدان» تأليف محمد بن العياشي المكناسي، ت : 26/1139 - 1727.

به - إلى جانب موضوعه - أخبار عن السعديين والعلويين إلى عصر التأليف.

خ. ع. د 2152، مع مخطوطتين بالخرانة الحسنية.

70 - «جمهرة التيجان، وفهرس الياقوت

واللؤلؤ والمرجان في أشياخ أمير المومنين مولانا سليمان»، للزياني.

عرض بها أشياخ وأسانيد وإجازات السلطان مولاي سليمان، وصفها في صياغة منظومة على بحر الرجز، ثم

شرح فيه قصيدة في سلاطين الدولة العلوية نظم محمد الغسالي بن المكي ابن سلمان الفاسي، وانتهى في بعض نسخه إلى أيام السلطان مولاي عبد العزيز.

خ. س 1020.

خ. س 12489.

خ. ع. د 1463.

60 - «نزهة المجتلي في أبناء أبي الحسن

علي».

نظم غريط : محمد بن محمد المفضل بن محمد

الأندلسي الفاسي، ت : 1945/1364.

أرجوزة أرخ فيها للدولة العلوية من بدايتها حتى عصر السلطان مولاي يوسف، وتجاوزت 3000 بيت.

خ. ع 57 : مصورة على الشريط.

61 - «الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين

بفاس الزاهرة» لابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي الإسماعيلي الحسني المكناسي، ت : 1946/1365.

منشور في المطبعة الاقتصادية بالرباط.

62 - «العز والصولة في معالم نظم الدولة» لابن

زيدان.

من منشورات المطبعة الملكية بالرباط في سفيرين

بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور.

تاريخ الدولة العلوية ضمن التاريخ العام للمغرب :

63 - «الترجمان المغرب عن دول المشرق

والمغرب» للزياني : أبي القاسم بن أحمد بن علي نزيل فاس، ت : 1833/1249.

خ. ع. د 658 : إلى مخطوطات أخرى بنفس الخزانة.

وطبع منه القسم الخاص بالدولة العلوية في باريس

1886.

76 - «مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن» مؤلفه هو السملالي : علي بن محمد السوسي نزيل فاس، ت : 1893/1311.
أرخ فيه لأيام العاهل المنوه به إلى منتصف أيامه.
خ. س 81.

77 - «الصدر المنتخب المتحسن، في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن» تأليف ابن الحاج : أحمد بن محمد بن حمدون السلمى الفاسي، ت : 1899/1316.

خلافا لعنوان الكتاب صنفه مؤلفه في تاريخ الدولة العلوية، وتوسع - كثيرا - عند عصر السلطان الحسن الأول.
خ. س 12184 : الأجزاء 1، 4 مكرر 5، 6، 7، 8، 9، مع أجزاء مفردة.

78 - «الدرر الجوهريّة في مدح الخلافة الحنّية» لابن الحاج : أحمد بن محمد بن حمدون السلمى الفاسي، سابق الذكر.
تناول فيه سيرة السلطان الحسن الأول، واهتم - أكثر - بتسجيل أعداد من نصوص الظهائر الصادرة عن المترجم، مع مجموعة من القصائد التي مدح بها في مناسبات مختلفة إلى عام 1308 هـ.
خ. س 512 : في سفرين.

79 - «الدرر الإبريزية في المناقب العزيزية».
وهو خاص بالسلطان مولاي عبد العزيز إلى عام 1316، حيث حالت وفاة المؤلف دون إتمام الكتاب.
خ. س 4107.

80 - «البتان الجامع لكل نوع حن، وفن مستحسن، في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن»، تأليف السباعي : محمد بن إبراهيم بن محمد التكرور الحسني المراكشي، ت : 1914/1332.
خ. س 12432.
خ. ع. د 1346.

علق عليها بشرح وضح فيه نقطها الموضوعية، بسلاسل مرسومة في مربعات أو دوائر.
خ. س 3771.
خ. س 6778.
خ. س 11485.
خ. ع. ك 1220 خالية من الرسوم التوضيحية.

71 - «التاج والإكليل، في مآثر السلطان الجليل» سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل. للزياني.
خ. س 616.
خ. س 2953.
خ. ع. ك 241.

72 - «عقد الجمان، في شمائل السلطان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن» للزياني.
خ. س 1/126.
خ. س 4791.
خ. ع. ج 40.

73 - «تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن» للزياني.
خ. س 2/126.
خ. س 2746.

74 - «الابتسام، عن دولة ابن هشام» تأليف إدريس الجعايدي، كان حيا عام 49/1266 - 1850.
خ. س 12490.

75 - «الفتوحات الوهبية، في سيرة مولانا الحسن السنية، ومفاخر اختراعاته البهية»، مؤلفه هو السملالي : حسين بن محمد بن عبد الرحمن السوسي نزيل فاس، ت : 1891/1309.
من مخطوطات مؤسسة علال الفاسي بالرباط : قطاع الخزنة.

81 - «المفاخر العلية والدرر السنوية في الدولة الحسنية العلوية» تأليف اللجائي : عبد السلام بن محمد العمراني الحسني الفاسي، ت 1914/1332 .
خ. س 460 .
خ. س 12068 .

82 - «المنزوع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف» لابن زيدان .
خ. س 10821 .
خ. ع. ج 595 .

83 - نضال الملك محمد الخامس .
لمحمد الرشيد بن محمد بن عبد الله ملين الرباطي .
نشرته جزاءن في المطبعة الملكية بالرباط .
84 - «الحلل البهيجة في فتح ثغر البريجة» .

تأليف المسلماني : محمد بن القاسم بن محمد المراكشي، كان حيا عام 1778/1182 .
وصف فيه إجراءات فتح مدينة الجديدة بمبادرة السلطان العلوي محمد الثالث .

تراجم الموظفين بالحاشية السلطانية :

85 - سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليعمدي .

تأليف الزرويلي، علي بن أحمد بن قاسم بن موسى مصباح الحمصي، المتوفى عام 1718/1130 .
من مخطوطات الخزانة الحسنية في نختين 521 ،
20 ز .

86 - «تقييد في ترجمة الوزير الصفار» لمؤلف غير مذكور .

ترجم فيه لمحمد بن عبد الله الصفار التطواني، وزير الشكايات أيام السلطان محمد الرابع، وصدر أيام السلطان الحسن الأول .
خ. س 12419 .

87 - «الدرة السنوية في ذكر الدولة الحسنية» .
لابن داني : محمد بن أحمد بن محمد الحسني المدرومي المراكشي، ت : 1913/1331 .
أرخ فيها للعصر الحسني عن طريق مجموعة من التراجم لعيون الحاشية الحسنية .
خ. س 481 .

88 - «فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان» .
لمحمد غريط سابق الذكر .

ترجم فيه لزمرة من الوزراء والكتاب الراحلين، عبر أيام السلطان مولاي عبد الرحمن، وانتهاء عند الدولة الحفيفية .
منشور في المطبعة الجديدة بفاس .

مؤلفات الأنساب :

89 - شذرات من الديوان الإسماعيلي، وهو يميز الأشراف من غيرهم .
يشتمل الموجود منه على سبع صفحات بنذيل مخطوط في حجم صغير .
خ. س 3402 .

90 - «الدرة المكنونة في وصف أهل الدولة الميمونة» : (الدولة العلوية)، تأليف ابن دفين طيبة : العربي بن عبد السلام الفركلي، كان حيا عام 1729/1136 .
خ. س 4492 .

91 - «أرجوزة في الفروع العلوية»، ناظمها هو الحسني : محمد التهامي بن عبد الله بن الشريف بن قاسم العلوي اليوسفي الشاكري، ت : 1795/1210 .
خ. س 4777 .
خ. س 12305 .

92 - «المطالع الزهراء الجامعة لأسماء بني الزهراء» .

ومن شروحها : «فتح المنان في شرح قصيدة ابن
الونان» تأليف الحاج العربي المشرفي سابق الذكر.

خ. س 12427 في سفرين.

خ. ع. ج 629 في سفر.

وثانيا : شرح أحمد بن خالد الناصري سابق الذكر،

باسم : «زهر الأفنان، من حديقة ابن الونان منشور
بالمطبعة الحجرية الفاسية في سفرين.

وثالثا : شرح الأدوزي : عبد العزيز بن محمد
السوسي اليعقوبي (ت : 1336 هـ/1918).

خ. ع 93 : فيلم.

ورابعا : اقتطاف زهرات الأفنان، في دوحة قافية ابن

الونان للبطاوري : المكي بن محمد بن علي الرباطي :
(ت : 1354 - 1936).

خ. س 1277 ز في سفرين.

97 - «ديوان للحوات» : سليمان بن محمد بن عبد

الله الحسني العلمي الشفشاوني نزيريل فاس،
ت : 1816/1231.

جمع فيه مدائحه الشعرية في السلطان مولاي
سليمان.

خ. س 101.

خ. ع. د 753.

98 - «النوافح الغالية في الأمداح السلمانية»

اسم ديوان لابن الحاج : حمدون بن عبد الرحمن بن
حمدون السلمي المرדاسي الفاسي، ت : 1817/1232.

دون فيه أشعاره في مديح السلطان مولاي سليمان.

خ. س 222، مع نسخ أخرى كان موضوع الأستاذ
أحمد العراقي في رسالته دبلوم الدراسات العليا.

مؤلفات موضوعية للملوك والأمراء :

99 - «مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين

تعليمه للصبيان».

تأليف الحسني : محمد الزكي بن هاشم بن الكبير
العلوي المدغري، ت : 1853/1270.

ألفه في فروع المولى علي الشريف دفين سجلماسة
بالريصاني.

خ. س 148.

خ. س 656.

خ. س 5063.

93 - «الدرر البهية» والجواهر النبوية، في
الفروع الحسنية والحسينية»، تأليف الفضلي :
إدريس بن أحمد العلوي الحسني الفاسي،
ت : 1898/1316.

موسوعة كبرى للأنساب الهاشمية بالمغرب، صنفها في
سفرين : الأول خاص بالعلويين، والثاني للإدارة
والحسينيين.

منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية.

الجموعات الشعرية :

94 - أزجال المنهاسي : سعيد بن عبد الله
التلمساني نزيريل المغرب، ودفين قصر الرتب بإقليم
الرشيدية.

بين هذه الأشعار قصائد في مديح السلطان مولاي
إسماعيل.

خ. ع. ك 1644 : أول مجموع ص 2 - 71.

95 - «ديوان أشعار زجلية في مديح السلطان
محمد الثالث»، ناظمها هو الأفراني : أحمد بن إبراهيم بن
علي السوسي الأقصوي، تاريخ وفاته غير المذكور.
خ. س 10680.

96 - «القصيدة الشمقمقية»، نظم ابن الونان :
أحمد بن محمد الحميري التواتي ثم الفاسي.
وهي الأرجوزة التي نظمها في مديح السلطان سيدي
محمد بن عبد الله.

101 - رحلة الأمير العلوي عبد السلام بن
السلطان سيدي محمد بن عبد الله، نافذ الذكر.
وهي رحلة حجازية عام 1185 هـ.
خ. س 12392.

102 - «إمتاع الأسماع بتحريير ما التبس من
حكم السماع»، تأليف السلطان مولاي سليمان بن السلطان
محمد بن عبد الله العلوي الحسني ت : 1822/1238.
خ. س 6040 مع نسخ أخرى متعددة.
103 - الخطبة الإصلاحية للسلطان مولاي
سليمان. منشورة

104 - «داء العطب قديم» اسم مذكرات سجلها
السلطان مولاي عبد الحفيظ بن السلطان الحسن الأول
ت : 1937/1356.
خ. س 11400.
خ. س 1260 : مخطوطتان شبه متكاملتين،

الرباط : محمد المنوني

تأليف السلطان العلوي محمد بن عبد الله بن إسماعيل
بن الشريف الحسني، ت : 1790/1204.
قصد بتأليفها توعية معلمي الكتاتيب القرآنية حتى
يتفقهوا في العقائد والشعائر، وبالتالي يلقنوا ذلك لصبيان
الكتاتيب.

خ. س 3747 إلى مخطوطات متعددة.

100 - «درة السلوك، وريحانة العلماء
والملوك» تأليف الأمير العلوي : عبد السلام بن السلطان
سيدي محمد بن عبد الله الحسني، ت : 1813/1228.

دون به منوعات من العلوم، ووزع ذلك بين سبعة
أقسام وخاتمة، وكان موضوع القسم السادس في وقائع
الملوك وأثارهم، فيقدم المؤلف عروضاً عن الدول، التي
تعاقبت على المغرب إلى عصره، وبذلك يقدم معلومات
عاصرها عن الدولة العلوية.

خ. س 237 : إلى مخطوطات أخرى.

جَوَانِبُ مِنْ

إِحْيَاءُ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ

فِي الْعَهْدِ الْحَسَنِيِّ

للأستاذ سعيد أعراب

وبمناسبة عيد العرش المجيد الذي يصادف هذه السنة الذكرى التاسعة والعشرين لتريع صاحب الجلالة الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين، ارتأيت أن أعود إلى الموضوع، وأذكر ما جد في هذا الباب، وأبادر إلى القول بأن هذا ميدان فسيح الأرجاء، متعدد الجنبات؛ يحتاج إلى بحث مستفيض، ورصد شامل؛ ومهما يكن، فهذا جرد لبعض ما أصدرته وزارة الأوقاف، وما ناقشته بعض الكليات والمعاهد العليا من رسائل وأطروحات تتصل بموضوع إحياء التراث، مع إشارة إلى إصدارات لبعض المؤسسات الحرة. فمما أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - ضمن سلسلة كتب التراث - في سنوات (1984 - 1989) :

19 - (المحرر الوجيز، في تفسير كتاب الله العزيز) - لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : الجزء العاشر - تحقيق المجلس العلمي بفاس سنة (1987).
والجزآن : الحادي عشر، والثاني عشر - تحقيق المجلس العلمي بمكناس - سنة (1988)، والجزآن : الثالث عشر والرابع عشر بتحقيق مجلس تارودانت (1989).

تحدثت في مقال سابق⁽¹⁾ عن بعض جوانب إحياء التراث الإسلامي في عهد جلالته الحسن الثاني، وذكرت من مراكز إحياء التراث :

1 - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية :

أ - مصلحة إحياء التراث.

ب - الصندوق المشترك.

2 - وزارة التربية الوطنية :

أ - المعهد الجامعي للبحث العلمي.

ب - كلية الآداب بالرباط.

ج - كلية الآداب بفاس.

3 - وزارة الشؤون الثقافية :

4 - وزارة الأنباء.

5 - دار الحديث الحسنية.

6 - المطبعة الملكية.

7 - أكاديمية المملكة المغربية.

ورصدت ما نشر بهذه المراكز خلال نيف وعشرين

سنة (1962 - 1984).

(1) انظر مجلة «دعوة الحق» ع 246 ص 43 - 50 - مارس 1985.

25 - «تحرير المقالة، في شرح نظائر الرسالة» لأبي عبد الله محمد بن محمد الخطاب - دراسة وتحقيق د. أحمد سحنون (1988).

27 - «أقرب المسالك، إلى موطأ الإمام مالك» - لأبي عبد الله محمد التهامي كنون، قدم له الأستاذ الكبير عبد الله كنون (1988).

28 - «إرشاد اللبيب، إلى مقاصد حديث الحبيب» لمحمد بن غازي المكناسي - دراسة وتحقيق عبد الله محمد التميماني (1989).

□ وزارة التربية الوطنية :

أ - معهد الدراسات والأبحاث للتعريب⁽²⁾ :
- «زهرة الأكم، في الأمثال والحكم» للحسن اليوسي 3 أجزاء - بتحقيق د. محمد حجي - محمد الأخضر (1983).

ب - المعهد الجامعي للبحث العلمي :
- «الفريد، في تقييد الشريد، وتوصيد الوبيد» لأبي القاسم الفجيجي - تقديم وتحقيق : د. عبد الهادي التازي (1983).

ج - كلية الآداب بالرباط :

ومما ناقشته الكلية من رسائل وأطروحات :
- التحقيق العلمي لكتاب «التقاط الدرر» للقادري - تقديم هاشم العلوي (1979).

- «المنتقى المقصور، على متأثر الخليفة المنصور» لأحمد بن القاضي - دراسة وتحقيق محمد زروق (1980).
- كتاب «المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل» لأبي عبد الله محمد الصغير الأفراني، تحقيق العمري محمد (1981).

- شعر أبي عبد الله محمد بن الطيب العلمي - جمع وتحقيق الراجي عبد الرحيم (1982).

- شعر عبد العزيز الفشتالي - جمع وتحقيق ودراسة : المريني نجاة (1983).

20 - «التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لأبي عمر بن عبد البر القرطبي : الجزء الخامس عشر بتحقيق سعيد أعراب : (1985)، والجزآن : 16 - 17 بتحقيق د. عمر الجيدي - محمد بوخيزة - سعيد أعراب (1986)، والأجزاء : 18 - 19 - 20 - بتحقيق سعيد أعراب (1987 - 1989).

وتحت الطبع الجزآن : 21 - 22 - لنفس المحقق، والجزآن : 23 - 24 - قيد التحقيق، وبهما ينتهي الكتاب - بالإضافة إلى جزء أو جزءين للفهارس العامة.

وبإخراج هذا الكتاب - بكامل أجزائه - وهو أكبر موسوعة في فقه السنة والخلاف العالي - على مستوى المذاهب الثلاثة عشر أو الستة عشر - بدءاً بالحسن البصري، وانتهاء بابن جرير الطبري - يكون المغرب قد قدم إلى العالم الإسلامي أكبر هدية في عهد الحسن الثاني، وهو من حسناته التي ستبقى خالدة إلى الأبد.

21 - «دليل الرفاق، على شمس الآفاق» - للشيخ ماء العينين، صدر منه جزآن بتحقيق أحمد يكن البلعمشي : الأول سنة (1982)، والثاني (1985).

22 - «الناسخ والمنسوخ في القرآن» - للقاضي أبي بكر بن العربي - في جزئين - دراسة وتحقيق : د. عبد الكبير العلوي المدغري (1988).

23 - «الفوائد الجميلة، في الآيات الجليلة» لأبي علي الحسين الشوشاوي - دراسة وتحقيق ادريس عزوزي (1989).

24 - «إضاءة الراموس، وإضافة الناموس، على إضاءة القاموس» لأبي عبد الله محمد بن الطيب الشركي - تحقيق عبد السلام الفاسي - د. التهامي الراجي الهاشمي، صدر منه - لحد الآن - ثلاثة أجزاء : الأول والثاني سنة (1983)، والثالث سنة (1985).

(2) فاتني الحديث عن إصدارات هذا المعهد في القسم الأول من هذا البحث فاستدركته هنا.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه : لابن رشيق - تحقيق وشرح محمد قرقزان (1984).

- «التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي» لأبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان التادلي - تحقيق محمد التوفيق (1984).

- مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية - دراسة وتحقيق أحمد عزاوي (1985).

- تاريخ الضعيف الرباطي - دراسة وتحقيق محمد الموزيدي الشيعي (1985).

- ديوان أبي الحسن مصباح الزرويلي - دراسة وتحقيق الحسن محمدي (1985).

- ديوان أبي عبد الله محمد بن ادريس العمراوي - دراسة وتحقيق التهامي شهيد (1985).

- مرث وأشعار وأخبار ولغة عن أبي عبد الله محمد بن العباس الزبيدي - تحقيق ودراسة محمد نبيل الطريفي (1985).

- ديوان ابن الصباغ الجذامي - دراسة وتحقيق محمد عبد اللاوي (1985).

- «إتحاف ذوي الأرب، بمقاصد لامية العرب» لأبي جمعة الماغوسي - تحقيق وتقديم محمد أمين المؤدب (1988).

- كتاب الخرائطي : «اعتلال القلوب» تحقيق أكتطاي صفية.

- شرح لامية الأفعال لمحمد بن عبد السلام الفاسي - تقديم وتحقيق أحمد ادريس.

- ديوان الصباية لابن أبي جحلة - دراسة وتحقيق عبد الكريم مؤمن.

- شعر محمّد بن الطاهر الأفراني - جمع وتحقيق ودراسة محمد بصير.

- كتاب «الدر المنظم، في مولد النبي المعظم» لأبي العباس العزفي السبتي - تحقيق وتقديم فاطمة اليازدي.

- كتاب «إئتمد العينين، وبهجة الناظرين في مناقب الأخوين» لابن تيجلات - دراسة وتحقيق محمد رابطة الدين.

- مخطوط «مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار» لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولاوي - دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب.

- مخطوط «الابتسام، في مآثر مولانا عبد الرحمان بن هشام» لأبي العلاء ادريس - دراسة وتحقيق محمد المذكور.

- مخطوط «كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج» لأحمد بابا - دراسة وتحقيق محمد مطيع.

- «اقتفاء الأثر، بعد ذهاب أهل الأثر» لأبي سالم العياشي - دراسة وتحقيق نقيسة الذهبي.

- مخطوط «الإكليل والتاج، في تذييل كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج» - دراسة وتحقيق مارية دادي.

- الرسائل الكبرى لابن دهاد الرندي - تحقيق عبد السلام الشكيطي الأنصاري.

- «الروضة المقصودة، والحلل الممدودة، في مآثر بني سودة» لسليمان الحوات - دراسة وتحقيق عبد العزيز تيلاني.

- «مجموعة وافية، بالرسائل السعدية» - دراسة وتحقيق مصطفى بنعلة.

- مخطوط «المفاخر العلية، والدرر السنية، في الدولة الحسنية العلية» - لعبد السلام البجائي - تحقيق محمد الدريدي.

د - كلية الآداب بفاس :

- «تلخيص السماء والعالم» لابن رشد - تحقيق جمال الدين العلوي (1984).

- شعر الأمداح السليمانية لأبي الربيع سليمان الحوات - دراسة وتحقيق عبد الحق الحيمر (1985).

- «لمح السحر، من روح الشعر» للسان الدين بن الخطيب - دراسة وتحقيق سعيد بلحشر (1986).

- شرح شعر المتنبي لابن الافليلي - السيفيات -
دراسة وتحقيق محمد بن سعيد محمدي (1986).

هـ - كلية الآداب بالدار البيضاء :

- «ناصر الدين، على القوم الكافرين» لأفوقاي أحمد
بن قاسم الحجري - تحقيق محمد زروق (1987).

القصر الملكي :

أ - دار الحديث الحسنية :

ومما ناقشته هذه الدار من رسائل وأطروحات في
السنوات الأخيرة :

- «فتح المجيد، لكفاية المرید» لعبد السلام اللقاني -
دراسة وتحقيق داود علي الفاضل (1984).

- شرح فصول الأحكام لأبي الوليد الباجي - دراسة
وتحقيق : الباتول بنعلي (1985).

- أجوبة أبي الفتح اليعمري - دراسة وتحقيق
د. محمد الراوندي (1986).

- «البرهان، في ترتيب سور القرآن» - لأبي جعفر بن
الزبير - دراسة وتحقيق محمد شعباني (1986).

- إرشاد اللبيب، إلى مقاصد حديث الحبيب» لأبي
عبد الله محمد بن غازي المكناسي - دراسة وتحقيق عبد
الله محمد التسماني (1987).

- كتاب «التعديل والتجريح، لمن خرج عنه البخاري
في الصحيح» لأبي الوليد الباجي تحقيق ودراسة أحمد ليزار
(1987).

ومما فاتني أن أذكره في القسم الأول من هذا
البحث :

- «الوضع الجديد، لفن المخارج والصفات مع ما والاه
من فني الفواصل والتجويد» - دراسة وتحقيق أحمد محمود
مسكه (1978).

- الحلال والحرام لابن راشد الوليدي - دراسة وتحقيق
عبد الرحمان العمراني الإدريسي (1979).

ب - أكاديمية المملكة المغربية :

ومما صدر لها في موضوع إحياء التراث :
- «الذيل والتكملة، لكتابي الموصول والصلة» لمحمد
بن عبد الملك المراكشي - في قسمين - تحقيق د. محمد
بنشريف (1984).
- الماء وما ورد في شربه من الآداب للأوسي محمد
شكري - في جزءين - تحقيق بهجة الأثري (1985).

ج - المطبعة الملكية :

من إصداراتها :
- «بلغة الأمتية ومقصد اللبيب، فيمن كان بسية في
الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب» لمؤلف مجهول
- تحقيق عبد الوهاب بنمنصور (1984).
- «ملعبة» للكفيف الزرهوني - تقديم وتعليق وتحقيق
محمد بنشريف (1987).

د - مديرية الوثائق الملكية :

ومما يتعلق بإحياء التراث : نشر الوثائق التاريخية،
فالوثيقة لا تقل أهمية عن الكتاب المخطوط، والمغرب
غني - ولله الحمد - في هذا الباب، فالقصور الملكية،
والخزانات العامة - ملأى بأكداش من الوثائق؛ وتعد
بعشرات الآلاف، يرجع تاريخ بعضها إلى أزيد من سبعة
قرون، وقد أنشئت لهذا الغرض بالقصر الملكي العاصر
بالرباط - مديرية للوثائق الملكية تحت رئاسة مؤرخ
الدولة الأستاذ الكبير عبد الوهاب بنمنصور.

وأصدرت المديرية - لحد الآن - خمس مجموعات -
ابتداء ممن سنة (1976)، وتضم كل مجموعة طائفة من
الوثائق حسب تسلسلها التاريخي، وقد بلغت أرقامها نحو
ألف وثيقة، ويوجد تحت الطبع المجموعة السادسة.

- وفهرس قسم الوثائق والمحفوظات بالمكتبة العامة
بتطوان نحو عشرة آلاف وثيقة، وأصدر منها ثلاث
مجموعات، تحدثت عنها بتفصيل في القسم الأول من هذا
البحث، ولا يفوتني أن أذكر في هذا الصدد - جائزة

□ دار النشر المغربية - الدار البيضاء :
ومن إصداراتها :
- «فصل التفرقة، بين الإسلام والزندقة» لأبي حامد
الغزالي - تحقيق حكيم مصطفى (1983).
- رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة - تحقيق جمال
الدين العلوي (1983).

- مقالات في المنطق لأبي بكر بن باجة - لنفس
المحقق (1983).
- تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط - من
كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري.
- تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد (1983).
- كتاب الاستبصار، في عجائب الأمصار» لمؤلف
مجهول (1985).

- «نفاضة الجراب، وعلالة الاعتراب» لابن الخطيب
السلماني - تحقيق أحمد المختار العبادي (1985).

□ دار الغرب الإسلامي - بيروت :
ومما أصدرته من كتب التراث :
- «توشيح الديباج، وحلية الابتهاج» لشهاب الدين
القرافي - تحقيق أحمد الشتيوي (1983).
- ثبت أبي جعفر البلسوي - تحقيق د. عبد الله
العمراني (1983).

- «البيان والتحصيل» لابن رشد - في 20 جزءا -
شارك في تحقيقه : د. محمد حجي، أحمد الخطابي، أحمد
الحيابي، أحمد الشرقاوي إقبال، محمد العراشي، سعيد
أعراب - (1984 - 1987).
- المقدمات لابن رشد - 3 أجزاء - تحقيق د. محمد
حجي - سعيد أعراب (1988).

□ مطبعة النجاح الجديدة :
- «الحلل الموشية، في الأخبار المراكشية» لمؤلف
مجهول - تحقيق د. سهيل زكار، د. عبد القار زمامه
(1979).

الحسن الثاني لمعرض المخطوطات والوثائق، وتقوم
مديرية الشؤون الثقافية بهذه المعارض كل سنة، وتصور
كل مخطوطة أو وثيقة لها أهميتها، وهو عمل جليل يفتح
آفاقا جديدة لاستكشاف تراثنا الدفين، ولا سيما ما كان منه
بيد الأفراد والعائلات.

المؤسسات الحرة :

بقي أن نشير إلى بعض إصدارات لمؤسسات حرة،
نذكر منها :

□ الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر -
بالرباط :

ومما أصدرته من كتب التراث :

- المحاضرات في الأدب واللغة للحسن اليوسي - في
جزءين - تحقيق وتعليق د. محمد حجي وأحمد الشرقاوي
إقبال (1982).

- «نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني»
لمحمد بن الطيب القادري - 4 أجزاء.
- تحقيق د. محمد حجي، وأحمد التوفيق (1982 -
1986).

- «البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب» -
قسم الموحدين - لابن عذاري المراكشي.
- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت،
عبد القادر زمامه، محمد زنبير (1985).

- مختصر «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة» لأبي
بكر بن العربي، نشر ضمن كتاب «مع القاضي أبي بكر بن
العربي» - بعناية سعيد أعراب (1987).

- «ملئقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت» ليوسف
بن عبد الله الإدريسي الفاسي.
- تحقيق أمين توفيق الطيبي (1988).

□ مطابع الشويخ - ديسبريس - تطوان :
- فتح التأييد، في مناقب الجد وأخيه والوالد -
للحسن بن ريسون - نشر وتصحيح علي الريسوني (1985).

□ مطبعة الوفاق :
- «الحلل البهيجة، في فتح البريجة» لمحمد بن أبي
القاسم المراكشي - بعناية عبد الكريم كريم (1986).

□ مطبعة النور - بتطوان :
- «الإشراف، على أعلى شرف» للقاسم بن عبد الله بن
الشاط - تحقيق اسماعيل الخطيب (1986).

□ شفشاون :
- موجز تاريخ شفشاون لمحمد الصادق الريسوني -
إخراج وتقديم علي الريسوني (1986).

□ دار الفرقان لنشر الحديث - الدار البيضاء :
- «النصيحة، في الأدعية الصحيحة» لعبد الغني
المقدي (1985).

□ مؤسسة عكاظ :
- آداب الصحبة لأحمد بن عرضون - دراسة وتحقيق
د. عمر الجيدي (1987).

□ دار الثقافة - البيضاء :
- نقد الإمام الذهبي لـ «بيان الوهم والإيهام» لابن
القطان الفاسي - دراسة وتحقيق د. فاروق حمادة (1987).

□ دار طيبة للنشر والتوزيع :
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم
الطبري - جزآن - تحقيق أحمد سعد حمدان (1985).

- «فضائل الصحابة» لأحمد بن شعيب النسائي -
تحقيق د. فاروق حمادة (1984).

- «كتاب الضعفاء» لأبي نعيم الأصبهاني - لنفس
المحقق (1984).

- «دليل الخيرات» لمحمد بن سليمان الجزولي -
طبعة جديدة (1984).

- «الشهب اللامعة، في السياسة النافعة» لابن رضوان -
تحقيق علي سامي النشار (1984).

□ مطبعة المعارف الجديدة :
- رسالة آداب المواكلة لبدر الدين محمد الغزي -
تحقيق عمر موسى باشا (1983).

- العمل السوسي : نظم أبي زيد عبد الرحمان
الجشيمي - شرح ومقارنة الرحماني عبد الله الجشيمي
(1984).

- نصيحة الهلالي - تعليق رشيد المصلوت (1985).

□ الرباط :
- «مجالس الانبساط، بشرح تراجم علماء وصلحاء
الرباط» لدينية محمد بن علي (1986).

- «الاعتباط بتراجم أعلام الرباط» لمحمد بوجندار
(1987).

- مناقب البعقلي - تحقيق المختار السوسي (1987).

□ الدار التونسية :
- ديوان ابن الأبار - تحقيق د. عبد السلام الهراس
(1985).

□ الخزانة العلمية الصبيحية :
- الاتحاف الوجيز «تاريخ العدوتين» لابن علي
الدكالي اللاوي - تحقيق مصطفى بوشعراء (1986).

□ طنجة :

- كتاب الأربعين لأبي اسماعيل الهروي - تعليق عبد له بن الصديق (1987).
- كتاب «الدرر اللآلي، في ثبوت الشرف البقالي» لسكيرج العياشي - بعناية محمد البقالي (1987).

□ مؤسسة التغليف والطباعة والنشر :

- ما لم ينشر من «الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن لخطيب - تحقيق عبد السلام شقور (1988).

□ مراكش :

- «تنبية العارف البصير، على أسرار الحزب الكبير» لشيخ مرتضى الزبيدي - بعناية الشراوي إقبال (1986).

□ الدار البيضاء :

- قصيدة ابن جابر الأندلسي الضرير - تعليق رشيد لملصوت (1986).

□ مركز إحياء التراث المغربي :

- كتاب الأموال لأحمد بن نصر الداودي - تقديم وتحقيق رضا محمد سالم شحادة (1988).
- «الوثائق المختصرة» لأبي إسحاق الغرناطي - إعداد مصطفى ناجي (1988).

على أن هناك إصدارات لم يذكر مكان طبعتها
أمثال :

- «فيض العباب، وإفاضة قداح الآداب، في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب» لابن الحاج النميري - تحقيق محمد بن شقرون.

- «الإمتاع والانتفاع، لمسألة سماع السماع» لابن الدراج السبتي - إعداد نفس المحقق.

- «الروض المرعب، في صناعة البديع» - لابن البناء المراكشي - تحقيق رضوان بن شقرون (1985).

وبعد : فهذه جولات لم أقصد بها إلى الإحصاء الشامل، وإعطاء الأرقام المحددة، وإنما أردت فقط - إطلاع القارئ الكريم على بعض جوانب إحياء التراث الإسلامي في العهد الحسني، ولنا عودة إلى الموضوع في فرصة أخرى - بحول الله.

تطوان : سعيد أعراب

جَامِعَةُ الْقُرُونِ

فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّرِيفِيَّةِ

للككتور مولاي إدريس العلووي العبدلأوي
رئيس جامعة القرويين

الحضارة والعمران، وما حياه الله به من نعمة العلم والعلماء الأفاضل المبرزين، استطاع أن يحافظ على ثقافة وطنية أصيلة راسخة الجذور والمقومات، وأمكنه بحكم ماله من حصانة ذاتية مستمدة من هذه الأصالة، أن يجابه شتى التحديات الفكرية الأجنبية، التي واجهته على مر العصور. وأن يؤكد ذاتيته في معترك الثقافات والحضارات المختلفة، وأن يبرز شخصيته على هذا الصعيد، ناصعة الملامح غنية بدلالاتها وما تنم عنه من إحياءات خلاقية مبدعة. وهكذا واستمرارا لتأكيد قيمة الشخصية المغربية وتعميق أصالتها، يقف التاريخ المغربي وقفة إجلال وإكبار، أمام عظمة الدولة العلوية الشريفة، التي يحمل اليوم مشعلها الساطع، ويجسم مجدها الرائع، ويحقق أملها الواسع، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأطال عمره، سليل دوحته العلوية العالية، وأن من جميل مآثرات هذه الدولة العظيمة، وكرام مفاخرها ما دأب عليه حفظه الله، ودأب عليه أجداده من بذل محمود العناية بالثقافة والعلم، وما سار عليه من نهج رشيد في إذكاء شعلة الفكر وإغناء رصيده، وما أولاه حفظه الله من موصول الحذب والرعاية لأهل العلم وإعلام المعرفة

الحمد لله الذي شرف الإنسان بنور العلم والعرفان، وغمره بألطافه ولطائفه كي يستطيع أن يتحمل أمانة معرفته الكبرى انطلاقا من مشكاة دينه القويم، وصراطه المستقيم، والصلاة والسلام على خير العباد الذي بكرم سببه وشريف واسطته حصل لنا الشرف التليد، وبموصول محبته من ربه دخلنا في رحاب المحبة العظمى لخالقنا على جهة التأييد، فصلاة وسلاما على سيدنا محمد وآله وصحبه ما توالى الجديدان وتعاقب الملوان، متجاوزة المدى فوق الزمان والمكان لا يعلم كنهها ولا يحيط بها إلا ذو الجلال والاکرام.

وبعد، فقد شاءت عناية الله أن يقيض لهذا البلد الأمين من يأخذ بأسباب أمنه وأمانه، والمحافظة على أصالته وتراثه، والتشبت بأهداب رعايته وأمانته، فمنذ أن أنعم الله على هذه الديار بقدوم المولى إدريس الأكبر الذي تلقاه المغاربة بالبشر والترحاب، وفتح له المغرب بابه وإذا أراد الله شيئا هيا له أسبابه.

إن الدارس المتعمق للتاريخ المغربي ليجد أنه بفضل ما أتاه الله من قيادة حكيمة رشيدة في شتى ميادين

شحننا لهمهمم على الإسهام في إغناء الثقافة بالجيد المفيد من الأعمال، واستنادا لمواهبهم وقرائحهم كي لا تتي عن موصول العطاء في هذا المضمار وهكذا نجد أن عناية جلالة حفظه الله بالثقافة والفكر في شتى حقول المعرفة، ليست محصورة في ما تحقق من بناء الجامعات والمعاهد العليا والمدارس المتخصصة، والكليات المختلفة المنتشرة في أنحاء المملكة التي تهتم بتدريس مختلف العلوم والفنون، من آداب وقانون، وطب، وهندسة، وغيرها من العلوم بل أن اهتمامه حفظه الله كأمر للمؤمنين وقائد مسلم ترتكز بالدرجة الأولى على تعميق الثقافة الإسلامية الأصيلة، والعمل على تطبيق أهدافها ومقاصدها النبيلة، إيماناً منه حفظه الله إيمان المؤمن الصادق بصلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان وأهليتها للقيادة والهيمنة على جميع مرافق الحياة.

توالت البركات وسرت النفحات على هذه الأرض المعطاء وشع نور الكتاب المبين على هذه الأرجاء، وهبت أنسام السنة المطهرة يحملها سليل الدوحة النبوية الذي فر من البلاد المشرقية فجاء معه الخير والنور، وهب يسعى بين يديه كل جميل، فأحيا الله به معالم للدين قد درست، وفجر ينابيع من العلم كانت قد نضبت وجدد معاهد للهدى والإيمان، وتأسست في ظل أركان دولته الرشيدة مدارس العلم ومعاهد العرفان، وعم الأمن والرخاء، وأحس الناس بالطمأنينة القلبية والسعادة العرفانية.

وكان أكبر حدث في ذلك العهد الزاهر، وفي تاريخ الإسلام تأسيس معقل من معاقله، وركن ركين من صروحه تألق نجمه في سماء الصالحات، وأثار بقبسه دجى الظلمات، فاعترف بفضل القاصي والداني وسار بخبره الركبان، ألا وهو جامع القرويين، الذي أسس على هدي من الله فأصبح ملاذاً يأوي إلى كهفه القاصدون ومعينا لا يغور، يرتوي من حياضه الطالبون.

وانبثقت عن ذلك الجامع السعيد جامعة القرويين التي أصبحت شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي

أكلها كل حين بإذن ربها وارفة الظلال يتفياً تحتها كل باحث ومتطلع للمعرفة وعينا جارية يرتشف من رحيق مختومها المرتشفون، ويرتوي من مائها العذب الزلال كل من به الصدى حسا ومعنى.

جامعة القرويين التاريخية العريقة الأصيلة التي دوى إسمها عبر القرون والأجيال حافلا بالأمجاد والمفاخر، وكلما تحرك اللسان لينطق بها ذاب الشعور في نشوة الفخر والاعتزاز.

«جامعة القرويين» ذلك الجسر الشامخ الذي ربط بين الثقافتين الغربية والشرقية، ومهد السبيل لحركة فكرية ما تزال إشعاعاتها تنير عقول الباحثين والمفكرين المعاصرين.

«جامعة القرويين» التي تكسرت على أسوارها القرون والأعوام وما زادها تقادم الزمان إلا روعة وجمالا. وبلغت شهرة جامعة القرويين آفاق أوربا، فقصدتها من ساقه سياط المعرفة، وأرقه سهاد الجهل منهم إلى حقول المعارف، وحدثت العلوم التي تفتحت أزهارها، وأبنت ثمارها في ظل رحاب جامعة القرويين.

وتضافرت الجهود لملوك وأمراء جاؤوا بعد دولة الإدارة الماجدة التي في كنفها تم تأسيس المعلمة الخالدة، والجوهرة الفريدة النفيسة التي لم تزده على مر الأيام إلا لمعانا وإشراقا ووضوحا وانطلاقا فأخرجت من فطاحل العلماء، وجها بذة الفنون وجوهرة الأدباء، ممن ضربوا في كسل فن بنصيب، وأبلسوا البلاء الحسن في كسل ميدان، مصابرين على الدرس والتلقين، ومثابرين على فتح أبواب الاجتهاد والتحصيل بعزم لا يلين، فجمعوا بين كل طارف وتليد، وأنتجوا في عالم التأليف ما يشهد بحنكتهم وسمو آفاقهم وبلغ تجربتهم وأخرجوا للوجود كل نقيس للمعارف، ما زال محل الصادر والوارد، ومحط الباحث والناظر.

وما أن بزغ البدر السعيد للدولة العلوية الشريفة يشع نوره فوق هذا القطر المجيد، وانتظم في سلك الزمان من سعودها عهد جديد، حتى بادر ملوك هذه الدولة المنيفة

وهم من أصل أصيل ممن يقدر للعلوم حرمتها، ولنورانية المعرفة قدرها، تسلسل فيهم عن وراثة نبوية، ووطنية علوية هاشمية، فسرى مجد الأجداد في أنفاس الأحفاد وتجلت في اللاحقين خصال السابقين، وظهر تقلبهم الحميد، في مجال العلم والعليا ما أصبح ماثلا كالشاهد عند الخاص والعام.

وكان من هؤلاء الحفدة الملوك الأماجد أمثال المولى رشيد والمولى اسماعيل والسلطان المولى عبد الله، وسيدي محمد بن عبد الله والمولى سليمان، والمولى الحسن الأول، وجلالة السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه، ممن كان لهم الاثر البعيد، والشأو العظيم في العناية بجامعة القرويين شكلا ومضمونا، وتجديدا وإحياء، وعناية ورعاية.

فمنهم من جدد البناء وزاد المرافق وبنى المدارس والروافد كالمولى الرشيد، والمولى اسماعيل.

ومنهم من أنشأ الخزائن العلمية وجلب الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة كالسلطان المولى عبد الله وابنه سيدي محمد والمولى سليمان والمولى الحسن الأول.

ومنهم من وضع المناهج العلمية الناجعة لسير الدروس فيها كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله والملك الهمام محمد الخامس طيب الله ثراه.

وهكذا نجد عهد السلطان المولى رشيد عهد ازدهار لهذه الجامعة حيث أولاهها عناية خاصة، فجلب لها كبار العلماء من مختلف أنحاء المغرب، وبنى مدرسة الشراطين المشهورة لكسنى الطلبة، كما تميز عهده بأحداث تقليد جامعي طريف، عرفت به جامعة القرويين ويفصح عن مدى العناية والتقدير الذي كانت تحظى به هذه الجامعة وطلبتها، هو (مهرجان سلطان الطلبة) وهو مهرجان كان يقام خلال عطلة فصل الربيع كل سنة منذ إنشائه ريكتسي مظهرا ممتعا، حيث يؤسس فيه الطلبة دومتهم الموقته لمدة سبعة أيام وتتكفل الدولة برعايته والاشراف على تنظيمه، ويستهدف خلق موسم ثقافي ونشاط ترفيهي في الأوساط الطلابية تقام فيه المناظرات العلمية والمساجلات الفكرية

وتلقى فيه القصائد الأدبية، ويكون له دور عظيم في تشجيعهم على الاقبال على الدرس والتحصيل وبعث نهضة فكرية ثقافية.

كما نجد من أبرز مظاهر التطوير والتجديد لهذه الجامعة إدخال التنظيمات على سير الدروس بها حتى تنسجم مع مختلف المستويات الطلابية التي تفد عليها.

وكان أول من وضع اللبنة الأولى لهذه التنظيمات هو السلطان المولى محمد بن عبد الله حين فتح ملفا خاصا يتعلق بجامعة القرويين وأصدر منشورا ملكيا في هذا العدد سنة 1203 هـ (1789 م) وخصص الفصل الثالث منه للدراسة بالقرويين وفروعها وأمر بتدريس مواد معينة، وتقرير كتب خاصة.

ثم تلاه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي وجه خطابا بتاريخ 12 محرم 1261 هـ إلى قاضي القضاة بفاس يأمره أن يجمع المدرسين ويرشدهم إلى ما فيه خير الطلبة وخدمة العلم. واستمرت هذه العناية متواصلة إلى عهد السلطان المولى يوسف الذي طلب من العلماء في رمضان 1330 هـ (سنتبر 1912 م) اثر توليته بتقليل - أن يهيشوا تقريرا في شأن إدخال بعض المواد في التدريس وأمر بإنشاء مجلس علمي يتولى شؤون الجامعة، كان على رأسه الفقيه العلامة أحمد بن الخياط.

وفي 20 جمادى الأولى 1333 هـ (1915/4/5) وبعد سنة من تأسيس المجلس العلمي وردت رسالة مخزنية تحمل الأمر بجعل الانخراط في صفوف العلماء متوقفا على النجاح في الامتحان واجتياز مباراة.

وفي 16 ربيع الثاني 1346 م (1927/10/13) صدر ظهير يفيد أن رواتب العلماء قد زيد فيها، وأنه قد تأسس بالرباط مجلس أعلى برئاسة السلطان المولى يوسف وعضوية الصدر الأعظم ووزير العدلية والأوقاف والحاجب، وتقضي بتعيين أمين ورقيب وكان يعد المجلس بمثابة هيئة عليا تراقب المجلس العلمي بفاس.

وهكذا تدرج إصلاح جامعة القرويين بعدة تنظيمات في فترات مختلفة من هذا العصر العلوي حتى وصل هذا الإصلاح إلى تنظيم محكم وبناء متقن مع جلالته المغفور له محمد الخامس.

لقد كان عهد محمد الخامس - قدس الله روحه - عهدا دقيقا وظرفا عصيبا في تاريخ المغرب وحياته التحريرية تميز بمرحلتين مرحلة الاستعمار ومرحلة الاستقلال.

ففي المرحلة الأولى وجد جلالته أن المغرب يزرع تحت نير الاستعمار، ويئن تحت وطأة الاستغلال ويريد الانعتاق من وضع استعماري متعدد الأجناس والمكاييد، أحاط بالمغرب من كافة أطرافه، ويستغل خيراته ويستنزف ثرواته، ويحرم الشعب من حريته وكرامته وشخصيته وأمجادته التي عرف بها عبر قرون وأجيال، فكانت هذه المرحلة من حياة جلالته مرحلة كفاح مرير، وجهاد طويل، وصبر مستميت، استلزم التضحية بكل غال وثمين، ونفيس، حتى أقتد المغرب من برائن الاستعمار، وحرره من ربة الاستغلال. وعادت له حريته وسيادته كاملة غير منقوصة واسترجع مكانته بين شعوب الأمم المتحررة الناهضة.

وفي مرحلة ما بعد الاستقلال واصل جلالته جهاده الأكبر دونما كلل أو راحة ولا ملل أو سامة، فاتجهت عناية جلالته وطاقته المبدعة إلى بناء المغرب الجديد، وتركيز استقلاله وتثبيت دعائمه على أسس سليمة قوية، تضمن له دوام نعمة الحرية والوحدة، وتكفل له تحقيق السعادة المنشودة التي ضحى في سبيلها أبناءه ورجاله، وتحصنه بسياح حديدي يحول دون أن يطمع فيه - بعد الحرية - طامع أو يتسرب إليه بعد الاستقلال دخيل غريب، وذلك بمواصلة خلق الوعي الوطني الإسلامي وتركيزه في الأمة، والعمل على تنمية الاقتصاد المغربي وتحريره من التبعية، وإصلاح المجتمع وإبراز معالم شخصيته في مختلف مرافقه وتحقيق الديمقراطية العلمية سي أجلى مظاهرها وأوضح

صورها، حتى يتأتى للمغرب أن يقوم بنهضة سريعة شاملة تجمع بين الحفاظ على المقومات المغربية وأصالتها وبين مواكبة التطور وعموم التقدم والرخاء.

وفي كلتا المرحلتين كان جلالته يرى بشاقب فكره وبعد نظره أن تحقيق الغايات المنشودة وبلوغ الأهداف البعيدة يتطلب تزويد أمة بسلاح معنوي من تركيز قوة الإيمان وأخلاق الإسلام، والثقة بالحق ومستقبل الوطن، على أساس من التثقيف والتكوين وتوسيع دائرة العلم والعرفان في سائر أنحاء البلاد، فاتجهت عنايته إلى تأسيس المدارس والمعاهد بصفة عامة، وإلى تقوية جامعة القرويين وتنظيمها في كلياتها ومعاهدها بصفة خاصة.

وانطلاقا من هذا الأساس وحتى تصبح الجامعة مساندة لركب التطور، كان لا بد من إعادة النظر في الدراسة بجامعة القرويين، ووضع نظام جديد يجلب أكبر عدد ممكن من رواد العلم والمعرفة، ويسير وفق روح العصر الحديث وتطوره، وتقديره للمعارف والمستويات العلمية على أساس من الدراسة المنهجية المنتظمة التي تتوج بشهادات علمية تكون معترفا بها لدى المحافل الثقافية والأوساط الجامعية والوظيفة العمومية، مما يضمن لحاملها حقوقهم المادية والمعنوية، ويؤهلهم للعمل في كثير من الميادين الحيوية والوظائف المناسبة.

وفي هذا الصدد صدرت عدة ظهائر وقرارات تتعلق بإدخال التنظيم الجديد على جامعة القرويين.

(1) ففي 26 ذي الحجة 1348 هـ (25 مايو 1930) صدر ظهير شريف يعين المدرسين ويرتبهم ثلاث مراتب وينفذ لهم رواتبهم.

(2) وفي 10 ذي القعدة 1349 هـ (29 مارس 1931) صدر ظهير شريف يسند تعيين الفنون والعلوم المدروسة والتأليف التي تدرس بها للمجلس الأعلى إلى جانب سن ضابط بتنظيم التعليم وتحسين طرقه بالقرويين.

(3) وفي 16 ذي الحجة 1342 هـ (14 مايو 1931) فتحت إدارة المجلس العلمي أبوابها في وجه الطلاب الذين

يريدون الانخراط في النظام، وهدنت الدروس النظامية
في 8 شوال 1350 هـ (16 يبرابر 1931).

(4) وفي 10 ذي الحجة 1351 هـ (31 مارس 1933)
صدر الضابط المسنون في إحد عشر فصلا، يتضمن تقسيم
الدراسة إلى ثلاث مراحل :

ابتدائية - ومدتها ثلاث سنوات - وثانوية - ومدتها
ست سنوات - وعالية - ومدتها ثلاث سنوات - وتحتوي على
شعبتين : شرعية وأدبية، وتنتهي بتخويل المتخرج شهادة
«العالمية» وهي أعلى شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين.
كما نص هذا الظهير على تحديد المواد المدروسة،
وتعيين الكتب المقررة، وعلى الزيادة في عدد العلماء
المدرسين، ورفع رواتبهم، وتحديد مهمة المراتب، والعطل
الأسبوعية والفصلية، ونظام الامتحانات، والوظائف التي
تخولها مختلف الشهادات، إلى غير ذلك من التنظيمات
التي كانت من أعظم مكاسب جامعة القرويين في عهد
جلالته، وأساسا للمكاسب والإصلاحات التي تمتعت بها
هذه الجامعة بعد الاستقلال.

وبمجرد ما زال عن المغرب عهد الحماية والاحتلال
وبزغ فجر الحرية والاستقلال نالت جامعة القرويين من
جلالته ما كان قد وعد به من الرعاية والاهتمام، ومواصلة
إصلاح نظام الدراسة وتحسين أحوال العلماء والطلبة
وتمتعهم بحقوقهم المشروعة، وكان ذلك تقديرا من جلالته
لهذه الجامعة التي كافحت بعلمائها وطلبتها في سبيل
حرية الوطن وعزته، والحفاظ على مقوماته وأصالته،
ورجوع الجالس على عرشه الذي يعتبر رمز وحدته وضمان
استقراره، فكانت سبابة إلى إذكاء روح الوعي والنضال في
تاريخ الحركة الوطنية ضد الاستعمار، ومعقلا للبطولة
النادرة والجهاد المستمر، ومرآة خصبا للشجاعة والشهامة
وحصنا حصينا لحفظ اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، ونشر
حضارتها وإشاعها في كافة أنحاء البلاد، مما جعل
المستعمر الفرنسي إذ ذاك يضيق بها ويكيد لها ويحسب لها
ألف حساب.

وكان من بوادر الاهتمام ومظاهره زيارة جلالته
جامعة القرويين وثناؤه على علمائها وطلبتها في خطبته
الجامعية التي حيا فيها المنبر الذي عاش في حداد طيلة
غيابه في المنفى، وأخذ وعده بالعمل على إصلاح هذه
الجامعة حتى تتبوأ المكانة اللائقة بها وتتمكن من تحقيق
أداء الرسالة المنوطة بها. وفي هذا الصدد أسست لجنة عليا
للسهر على إصلاح التعليم بصفة عامة، وجامعة القرويين
بصفة خاصة، وأنشئ لها قسم خاص في وزارة التعليم يعنى
بكلياتها ومعاهدها وروافدها الابتدائية والثانوية، سواء تلك
التي كانت موجودة منها قبل الاستقلال والتي أنشئت بعده،
وخصصت لها بنايات خاصة نقلت إليها الدراسة من
المساجد، حتى تستوعب الطلبة المتكاثرين وتتلام مع
تدريس العلوم العصرية بطريقة حديثة من رياضيات وعلوم
تجريبية ولغات أجنبية إلى جانب تخصصها وتعمقها في
الدراسة الإسلامية، مما كان له أثر على النهوض بالتعليم
الأصيل وتمكينه من الجمع بين القديم والحديث.

نالت جامعة القرويين في عهد جلالته الحسن الثاني
حفظه الله ما كانت بحاجة إليه من مزيد الرعاية
والاهتمام، وما كانت جديرة به من تحقيق مكاسب هامة
تعود بالتقدم والازدهار على هذه الجامعة الأصيلية، وتبقى
معها خلدة مدى الدهر والأيام.

فقد سار جلالته على نهج أسلافه الأكرمين وأجداده
المنعمين الذين كانوا يولون هذه الجامعة في كلياتها
ومعاهدها عناية فائقة واعتبارا خاصا، ويكبرونها
ويقدرونها في شخص علمائها وطلبتها إيماننا من جلالته
بأهمية التعليم الذي تحتضنه هذه الجامعة، وبالدور الذي ما
فتنت تضطلع به في تكوين علماء الشريعة الإسلامية
والحفاظ على الثقافة والأخلاق الإسلامية، ونشر إشاعها
في كثير من البلاد.

وتبرز هذه الرعاية المستمرة في عدة مظاهر وفي
كثير من المناسبات في الجلسات واللقاءات التي يعقدها
جلالته مع السادة العلماء قصد التعرف على سير التعليم

فَحْدَةُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ

من خلال الوثائق الدبلوماسية

للككتور عبد الهادي التازي

العرض الذي ألقاه د. عبد الهادي التازي يوم الأحد
18 شعبان 1409 = 26 مارس 1989 على متن سفينة
الوحدة (مراكش) التابعة للشركة المغربية للملاحة - قاعة
أكداال - أمام لجنة المؤسسات أثناء الرحلة البحرية التي
نظمتها جمعية فاس سايس تحت الرعاية السامية لجلالة
الحسن الثاني...

سوف لا أتحدث هنا عن الآثار التي خلفتها تلك
النوازع والطموحات التي استهدفت بناءنا واستقرارنا نحن
أبناء المغرب العربي الكبير، كما لا أستعرض هنا تلك
الأيادي الخفية التي كانت تحرك هذا الفريق على ذلك أو
ذاك على هذا... ولكنني سأقصد إلى إبراز بعض المحاولات
التي بذلها المغرب من أجل تجسيد هذه الوحدة وجعلها
ملموسة، إيمانا منه بأنها الطريق الذي لا بديل له إذا كان
القادة يهتمون بقضايا الازدهار والتقدم في بلادهم...
ولا بد من الإشارة منذ البداية إلى أننا نتحدث عن
فترة محددة هي الفترة التي تبتدئ من أواسط القرن

إذا كان المغرب قد حافظ بجدية وفعالية على صلاته
ببلاد المشرق عبر التاريخ، فإن حفاظه على علاقاته
بإيالات المغرب الكبير ظل حقيقة قائمة ثابتة. ولم يكن
مرد ذلك راجعا فقط إلى الإيمان بوحدة الواقع الجغرافي
والسلالي واللغوي، ولكن المغرب ما انفك يعتبر هذه
الوحدة قدرا ومصيرا يجب أن تتضافر الجهود من أجل
الاستجابة لها والاقتران بضرورتها، وهو حكم كان وليد
تجارب قرون خوال بلغت فيها بلاد المغرب الكبير قمة
عزها وأوج عظمتها عندما كانت موحدة قبل أن يتناثر
عقدها وتبدد كلمتها.

لحادي عشر الهجري = أواسط السابع عشر الميلاد، بل عن
مض الجوانب فقط من هذه الفترة، وإذا كنت صادقا مع
رثائقي فإنني أمام مجرد إشارات وومضات ولكنها إشارات
يومضات دالة وعميقة تعطي البرهان بالوسيلة الواضحة على
ن بلاد المغرب جميعها كانت، وما تزال، مقتنعة بفكرة
لمغرب العربي...

ودعونا نستخلص الصورة لهذه الأقطار المغربية التي
ظلت على ما أشرنا حريصة على تحقيق فكرة الوحدة في
ظل عروبة شاملة...

إن القيام بإحصاء دقيق لهدف السفارات الأجنبية التي
تواردت على المغرب الأقصى في صدر دولة العلويين كان
هو نفس الهدف الذي كان للبعثات الدبلوماسية التي وردت
على المغرب وأواخر الدولة السعدية التي حكمت المغرب
قبل الدولة العلوية...

ككل الدول التي شعرت بمتابعة أو مطاردة من
القسطنطينية العظمى قصدت المغرب أملا في أن تجد منه
حليفا ضد تركيا سيما وقد كان المغرب من الجهات التي
برهنت على صلابته وعودها وقوة شكيمتها إزاء المد العثماني.
وجدنا في المغرب سفارات من دولة فارس التي
تجاور تركيا، ومن امبراطورية النمسا أيضا، ووجدنا
سفارات من هولاندا ومن اسبانيا... كل يريد أن يصور
لخطر الذي يكمن في الوجود التركي، وكل يريد أن يبرر
ضربهم والإلقاء بهم في البحر !!

وبودي لو كان لنا متسع من الوقت لكي نستعرض
جميع التقارير التي رفعها السفراء الأجانب المعتمدون في
لمغرب إلى حكوماتهم، سواء فيهم من كان يتمتع بصلات
خاصة بالبلاط أو من كانت له دالة على بعض رجال الدولة
و من كان منهم محترفا يباشر مهامه بموضوعية... ولكن
لا بد أن أذكر مع هذا أن في هذه التقارير ما كان يهتم
بنوع الإغراء الذي كان يقدم للمغرب حتى يقوم بحركته

الفاصلة ضد الأتراك في الإيالات المجاورة، وأذكر - على
سبيل المثال - من بين هذه الاغراءات تمكين المغرب من
منطقة شاسعة تصل حدود طرابلس...! ولكن تلك التقارير
كانت تضطر أصحابها الأجانب للتعقيب قائلين :

«إننا مهما بذلنا من عروض للمغرب فسيظل
عطفه على الإيالات العثمانية هو نفسه بالرغم مما
يلحقه من مضايقات من الأتراك، إننا عندما
نتحدث إلى المغرب بما يبببت له من طرف الأتراك
لا يتردد في القول بأنه باستطاعته أن يقف أمام
كل تحرك يستهدف النيل منه، ولكنه لا يستطيع
أن يمضي حلفا ضد إخوانه في الدين»...

في استطاعة كل واحد أن يقرأ في تقارير من هذا
النوع تلاحم أسرة المغرب العربي وعملها في باب المحافظة
على المبادئ الأساسية للتعامل...

دعونا نتبع قليلا سفارة السير أنطوني شيرلي
(A. Sherty) إلى الديار المغربية أوائل القرن السابع عشر...
لقد كان الأمر يتعلق - كما نعرف - بتحرك دولي، في
البداية من الشاه عباس الكبير في أعقاب ما كان يبلغه عن
المراسلات المغربية التي كانت تهنيئ الباب العالي
بانتصاراته ضد الصفويين... ذلك التحرك الذي لم يلبث أن
تعزز أيضا بتكليف أنطوني شيرلي من طرف رودولف
الثاني امبراطور ألمانيا ثم من طرف البابا كليمان الثاني
لدى ملك المغرب وأخيرا من طرف فليب الثاني ملك
اسبانيا الذي كسنت تراوده فكرة كسر الحلف العثماني
الفرنسي المبرم عام 1536 = 942⁽¹⁾ بين سليمان القانوني
وبين فرانسوا الأول.

نحن أمام رسالة حررت في مدينة مراكش بتاريخ
16 دجنبر 1605 من طرف كوي (Coy) الوزير الهولاندي
المعتمد في العاصمة المغربية :

الأصيل وتدارس حاجاياته ووسائل النهوض به ماديا وتربويا، وحثهم على مواصلة أداء رسالتهم العلمية وإبلاغها للأجيال الناشئة غضة طرية كما نزل بها القرآن الكريم وبينها الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

وفي الخطب السامية لجلالته، والظهائر الملكية، والمراسيم الوزارية التي تستهدف النهوض بجامعة القرويين ومعاهدها، وتزويدها بالإمكانات الضرورية وإعادة النظر في برامجها ومناهجها، وتحديد الدراسات التي تختص بها كل كلية من كليات هذه الجامعة، مما يجدد شبابها ويعطيها نفسا جديدا يساعد على تخريج العلماء المتضلعين في علوم اللغة العربية والفكر والحضارة والشريعة الإسلامية، وعلى بعث حركة ثقافية ونهضة علمية شاملة تنعكس آثارها على التكوين المتين والتثقيف لتؤدي الجامعة رسالتها التاريخية داخل المغرب وخارجه.

وفي هذا الصدد كان جلالته قد أصدر ظهيرا شريفا بتاريخ 12 رمضان 1382 (6 يراير 1963) بإعادة تنظيم جامعة القرويين تنظيما جديدا يتلاءم وروح العصر الحديث شكلا وتربويا، بما يحقق النهوض بهذه الجامعة، ويكتمل معه إطارها العام بمختلف الكليات، ويستجيب لتحقيق الغاية المنشودة منها بتكوين علماء متخصصين في فروع العلم والمعرفة، يشغلون وظائف هامة في الدولة ويقومون بخلق نشاط فكري وثقافي وحركة علمية في هذا المضمار.⁽¹⁾

إن أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني نصره الله وأيده سليل أولئك الغر الصيامين، الذي حاز المجد من أطرافه وله النصيب الأوفى في موازين العقل والنبيل، والقندح المعلى في ميادين الفضل جوهره هذا البلد الأمين، ليس له في مجده نظير ولا مثيل، فهما وعلما وأدبا وسلوكا وتديبرا ورأيا قويمًا، لا يضع رأيه إلا مواضع الأصالة ولا يصرف تديبره إلا على مواقع السداد والأصابة، يعرف من بادئ الأقوال خواتم الأفعال، فهو بحق الدرّة الثمينة في عقد هذه

(1) جامعة القرويين - وزارة التربية الوطنية سنة 1978.

الدولة الشريفة والنجم المتألق الذي أرصده الله سبحانه لهذا العصر الذي تلاطمت أمواجه وتشابكت فجاجه.

وجلاله الملك الحسن الثاني حفظه الله، العالم الموهوب الذي ورث من أجداده محبة العلم والعلماء، وكزع من حياض المعرفة حتى الشمال، لا غرابة أن تحين من جلالته الشريفة التفاتة جيد كريم لإعادة تنظيم رئاسة جامعة القرويين، ولا غرابة أن يظهر في جليل عنايته وحكيم رعايته، الاهتمام بجامعة القرويين جملة وتفصيلا.

إن المنزلة والحظوة الرفيعة لجامعة القرويين هي التي حدثت بأمر المؤمنين جلاله الحسن الثاني الهمام أيده الله ونصره أن يعيد لهذه الجامعة غصارة شبابها، ونضارة اهاياها، وتجديد عهدا ومجدها وأن تحتل المقام اللائق بها من بين الجامعات الإسلامية مثيلاتها، في عصرنا الحاضر بعد أن تلاقت الحضارات وتقدمت العلوم وأينعت أشجارها جامعة بين الحاضر والماضي، وحتى تواصل إشعاعها العلمي والثقافي المتجدد، وترسل نورها كشمس الضحى عبر الآفاق في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي بالخصوص كما كانت في سالف عهدها، وحتى يتخرج من بين جنباتها ورحابها من يواصل حلقات المجد وكعمال السؤدد ونورانية العلم المحمدي ممن يتحقق فيهم قوله عليه السلام :

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ممن يحملون أمانة الدعوة إلى الله، الفاهمين أصول الدين الدائبين عن حماه، وممن يكونون في مستوى الدعاة الواعين لروح الشريعة العالمين بعصرهم والشبه الرائجة فيه، والأفكار السائدة بين جنباته حتى يردوا الأمور إلى نصابها، ويقضوا على كل فكر هدام ويثبتوا الخير والصواب مصداقا لقوله تعالى :

﴿فأما الزبد فينهذب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

وحتى يتخرج من هذه الجامعة عالمون بكتاب الله وتفسيره وعارفون بأوجه تأويله، ناظرون في معانيه حق النظر، فاهمون له حق الفهم، وحتى يكون من هذا الرعيل محدثون يجمعون بين الرواية والدراية والافتقار من الأنوار المحمدية، ما يستطيعون به مواجهة الشكوك والشبهات وإبراز النور الوضاء في حلك الظلمات.

وحتى يكون من بيننا فقهاء يقدرون معنى فقههم الإسلامي الأصيل وتراثهم الزاخر، عن وعي ودراسة متأنية يعرفون كيف يوقفون بين النصوص والواقع في التطبيق، ويدركون مقاصد الشريعة الإسلامية السامية.

وحتى ينطلق من رحاب هذه الجامعة علماء مهتمون بأداب لغتهم، مدركون لأسرار هذه اللغة، إذ اللغة العربية هي لحمه هذا الدين وسداه.

وهكذا سوف يمثل هذا الجيل الرعيل الأول لجامعة القرويين الذين شرفوا بلادهم، وأعطوا المثل الأعلى والقذوة الحسنة لمن جاء بعدهم فكانوا غرة في جبين هذه الجامعة الزاهرة وراية خفاقة في سائها الصافي الأديم.

وكلما هل علينا عيد العرش المجيد تتجدد آمال الغد الباسم وترسم من جديد خضراء يانعة، تفوح فتوة وأصاله تعطر الأفاق وتحمل في ثناياها عطر الخير والنماء والعباءة.

في مثل هذا العيد تحققت مشاريع ومشاريع وأصبحت أكاليل يزهو بها مجدنا الشامخ. في مثل هذا العيد سطرت الأقلام بمداد الفخار أنبل المواقف وأروع البطولات التي شهدتها مغرب الشباب، مغرب الأصالة والتجديد مغرب الديمقراطية والوطنية الحققة.

في مثل هذا العيد السعيد، وفي مثل هذا اليوم المشهود من تاريخ المغاربة نقف جميعا وقفة وفاء وولاء، وقفة إجلال وإكبار للأدوار والمهام الجسيمة التي اضطلع وما فتئ يضطلع بها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على مستويات عديدة تتمثل فيها العبقرية الفذة التي أوتيتها جلالته والتي هي في الواقع نتاج كفاح متواصل

وثقافة عميقة، وذكاء متوقد، وجهاد مستمر، وصبر دؤوب على مواجهة المحن والملمات بإيمان كبير وثقة في الله وتمسك عميق بالمسؤولية وواجبات الأمانة وحقوق الرسالة.

ذلك أنه عندما تبدو بشائر طلائع الذكرى تلوح تقتضي بوادرها المشرقة من الفكر الوطني أن يغوص في أعماق التاريخ المغربي سايرا أغواره، مكتشفا أسراره ودرره وأن يتجول بالخصوص في أطوار تاريخ العرش العلوي المجيد منذ النشأة، ومرورا بكل الممارك والمواقف والأحداث والنوقائع التي عاشها المغرب في ظلال هذا العرش المكافح الذي ليس كالعرش لأنه ينفرد بالعبقرية المبدعة وبالنضالية المثالية وبالاستمرارية في الجهاد المقدس من أجل أمجاد الشخصية المغربية ولأنه ميثاق ديني وروحي وعقائدي، ولأنه قائم على رباط البيعة والولاء بين الملك والشعب في علاقة محبة صوفية وروحانية صنعت معارك الاستقلال والتحرر والتشييد والبناء وصنعت عطاءات الخير والبركات، ولأنه شعار الاستمرار والقوة والتحدي والصمود ورمز العمل المتواصل من أجل إقرار العدل والحق وخدمة مصالح الرعية والبلاد.

وإذا ما ذكر الذاكرون إسم هذا العرش العلوي المجيد واسم هذا البلد العريق المتميز بشخصيته الأصيلة وقيمه المثلى، وحضارته الفنية، وتحدياته الحكيمة، ذكروا مرآة الشخصية المغربية المجسد للفكر والسلوك المغربيين الحريص على استمرار الأصالة المغربية في شتى المناحي جلالة الملك الحسن الثاني المحفوظ بالسبع المتاني فلقد عمل حفظه الله منذ توليه قيادة هذه الأمة على خدمة المكاسب القومية، معاهدا على بذل أقصى جهده لتحقيق تقدم هذه الأمة ورفاهيتها وما يفتأ جلالته في كل مناسبة يجدد العهد ويذكي الطموح، ويوقد العزائم والرغبات، ويحث على ضرورة التماسك والتلاحم من أجل الاستمرار في البناء بناء المغرب الموحد وكسب الرهان في كل ميدان والتزم جلالته بالعهد الذي أعطاه، وأفنى الشعب روحه وطاقاته في خدمة المساعي الحميدة التي خطط لها

مليكه المفدى، فكان التلاحم بين العرش والشعب صورة من صور الأصالة المغربية.

إن الأمم لتظل حية ببطولاتها وانتصاراتها وتظل باقية في صدارة التاريخ بإنجازاتها ومكاسبها، وهكذا تشع بروحها كأنها النجمة المضيئة ترشد السائرين على درب الحياة والأصالة والحرية والمجد والكرامة، لذلك كانت أعياد الأمم وذكرياتها هي العلامة المميزة التي تتجلى فيها بطولة الأمة وانتصاراتها على الاختيارات التاريخية، وهي الرموز الحية التي تدل على مكانة الأمة وتظهر حضارتها وحضورها وأصالتها ورسوخ تاريخها وهي قبل هذا وذاك تعكس إلى أي حد تتحقق مفاخر الأمة وإلى أي حد تمضي هذه الأمة في طريق العزة والكرامة والشرف إذا تجاوزت مع قيادتها واستجابات لندائها، وتردد نبض واحد في قلب الأمة وتجاوبت أصداؤه في وجدانها وضميرها المشترك.

ولا أدل على ذلك من ذكرى عيد العرش المجيد، والتي كلما هلت علينا الا وتشع في قلوبنا الفرحة وتذكي في مشاعرنا الحماس وحينما تقيم الأفراح والمباهج من أجلها احتفاء واحتفالاً وتعظيماً لروعيتها وجلالها وسوها فإنما نحتفل في الواقع بذكريات وأمجاد وصفحات مشرقة من تاريخنا العريق صنعها التلاحم المتين بين العرش والشعب، والحب المتبادل بين الراعي والرعية وتقاني قائد الأمة في إسعادها، وتضحياته من أجل استقلالها وراحتها وازدهارها.

وإذا كنا نتسابق لإحياء هذه الذكرى الغالية ونسعى لنكون في الاحتفال بها في مستوى ما يستحقه صاحب العرش المكين، المؤيد بنصر الله وسؤده، المحفوظ بحفظه ونعمائه، سليل الدوحة النبوية، ومشعل الأسرة الشريفة العلوية، فإن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد تعبير تلقائي عما تضره قلوبنا لهذا الملك من حب لا يضاهي وإخلاص لا يحد، وطاعة صادقة قد تولدت في أعماقنا منذ أن عرفناه أميراً وبعد أن أصبح قائداً ورائداً وزعيماً، تعلمنا منه الصبر والإخلاص والثبات والجد والتضحية والعزم الأكيد

والحرص على الوحدة، وخبرنا فيه الملك المسلم الذي حمى أمته ودينه فأخلص الطاعة لله ولرسوله واهتدى بهدي الإسلام، واحتمى بدستور الإسلام، وتخلق بأخلاق القرآن فكان إماماً عادلاً، وأميراً مخلصاً، وقائداً محنكاً، ورائداً عظيماً.

وكم يحلو لنا ويطيب أن نحتفل بهذه الذكرى الغالية ذكرى عيد العرش المجيد التي تشرق علينا هذه السنة. فهي ذكرى التعلق المتين والالتحام المتبادل والمحبة الصادقة واعتزاز شعب كامل بحامي حماه، ومحرر الوطن ومحقق انطلاقة ومنسق أهدافه وغاياته، وضامن وحدته، والساھر الأمين على حدوده وكيانه ومقدساته الدينية والوطنية.

ففي هذه الذكرى تتجسد بصدق الروابط الوثيقة التي تربط الشعب بالعرش برباط البيعة والطاعة والولاء ذلك الميثاق الديني والروحي والعقائدي.

هذا الشعب القوي يايمانه المؤمن بمقدساته، الفخور بإنجازاته بلده، المتطلع إلى غد مشرق تلوح بشائره في كل ركن من أركانه.

هذا الشعب القوي بقواعده وفكره، وطموحاته، السائر دوماً وأبداً وراء ملك الطموح الغيور على أرضه ووطنه ودينه، المتباهي بترائه وأصالته، الفخور بأمجاده في ماضيه وحاضره ومستقبله.

إن العرش المغربي نجم علوي يرف في سماء بلادنا سنا وسناء وقلوبنا أبداً به خافقات، تراه ذاخراً ونوراً ورجاء، فله منا ما امتد العمر، وطالت السنون، أكبر الحب والإخلاص والوفاء، فصاحب الجلالة الحسن الثاني من سلالة الدوحة النبوية الشريفة، وقطب من أقطاب الدولة العلوية المنيفة، فهو شعار حياتنا، وعنوان سعادتنا، بوجوده نستظل، وبنوره نهتدي، وأننا في كل مناسبة سعيدة، وذكرى عظيمة مجيدة، وفي كل وقت وحين، نضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وجل وعلا أن يحفظه لنا، ويديم أفراحه علينا، ويمد في عمره لصالح الشعوب العربية

والإسلامية والإنسانية جمعاء، ولصالح أمتنا وشعبنا حتى نضيف في عهده الزاهر أمجاداً إلى أمجاد، ونعيش في ظلّه الوارف أعياداً في أعياد، ونكون بعون الله دوماً في طليعة الشعوب التي لا تعرف سوى المسيرة إلى الإمام، بحب فيه وطيء، وعزم بهمته شديد.

إن جلالته الملك الحسن الثاني الملك الملهم الذي تربع على عرش القلوب، كما تربع على عرش المغرب بالصدق والإخلاص والتضحية فاستحق أن ينال رضا ربه، وحب شعبه، واستحق أن يكون الزعيم الظافر، والقائد المسلم المنتصر، إذا دعا لبنت دعوته، وإذا خاطب عانق خطابه القلوب والوجدان قبل أن تتلقاه الأذان.

هنيئاً لمولانا أمير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني بهذا العيد السعيد، ودام هلال كل عيد، تحفظه رعاية الله، وتحرسه رعايته وأدام الله على جلالته نعمة التوفيق والولاء والتأييد... ومتعه بالصحة والعافية والعمر المديد... ومتع شعبه في ظل عرشه المجيد... بالهناء والعيش الرغيد... وجعل عهده الزاهر دائم الإشراق والتجديد.

وصفوة القول فإن جامعة القرويين ظلت وسوف تظل إن شاء الله تعالى الحصن الحصين للإسلام، والمدافع الأمين عن لغة الضاد، ومنشأ العز والفخار، ومنار العلم والهدى في هذه الربوع وفي جميع الديار والأقطار وستبقى المعين العذب الصافي الذي ينهل منه القاصي والداني وتتوطد به أركان الأمجاد الوطنية والعربية والإسلامية.

ومسك الختام أننا نرجو من الله تعالى أن يسد خطى هذه الجامعة ويزيد في إشعاعها وعطائها ومددها لما

فيه خير الإسلام والمسلمين تحقيقاً لمقاصد راعيها وحامي حماها الأمين جلالته الملك الحسن الثاني حفظه الله سليل الملوك الأشراف العلويين المنعمين الذي يريد لها أن تبقى تلك الجامعة التي أسهمت بحفظ وافر في حفظ التراث وأصول الحضارة العربية والإسلامية والمنافحة عنهما. وذلك الدرع الصامد من دروع لغة الضاد، والمركز الموطد الأركان الزاخرة بالعطاء للدراسات الإسلامية ولا بد لجامعة القرويين المجاهدة الصامدة التي صارت الجهل والتأخر والجمود أن تستأنف بإذن الله السير نحو بناء جيل مؤمن متفتح في ظل الرعاية المولوية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني العاهل العظيم نصره الله وأعزه وأبده ملكه صانع الأجيال وباني المغرب الجديد.

أحيا الله مولانا الإمام منارا للعلم والعرفان ومنبعا للرفقة والحنان، وجعل هذه المملكة السعيدة في ظلّه ممتعة بالأمن والأمان.

وبارك في ولي عهده الممجد سمو الأمير الجليل سيدي محمد وفي صنوه السعيد المولى الرشيد وأقر عينه بجميع الأمراء والأميرات الجليلات وباقي الأسرة العلوية الشريفة.

وهنيئاً لجلالته بهذا العيد السعيد، عيد الأمجاد والمفاخر عيد العرش المجيد.

وليديم الله علينا هذه النعمة بحفظه، وليبقى بلادنا دار عروبة وإسلام وسلام وليكفل جهوده بالنجاح بما فيه الخير والهناء والصلاح.

مراكش : ادريس العلوي العبدلاوي

«...لقد كانت مهمة شيرلي تتركز على إقناع المغرب بمناهضة الأتراك وطردهم عن الشمال الأفريقي... وقد استنتج السفير الهولندي من هذا أن المطلوب لا بد أن يجاب بالرفض من طرف العاهل المغربي الذي اعتاد على أن لا يحالف أحدا من المسيحيين ضد المسلمين... اللهم إذا كان الأمر يتعلق بدفاع عن كيانه... ومع ذلك فقد كان يهدد ولا ينفذ!!».

هذه رسالة أخرى من الدبلوماسي الفرنسي الدكتور أرنول دوليسل (A. De Lisle) الذي كان طبيبا للأمة الملكية قال: إنه علم بواسطة الأميرة المغربية لالة صفية أخت السلطان أبي فارس، أن شيرلي (Sherly) ورد من طرف إسبانيا لتأليب العاهل المغربي ضد تركيا على امتداد الساحل الأفريقي، من جبل طارق إلى تونس، وأن ملك إسبانيا سيعد العاهل المغربي بمساعدته على هذه الحركة على أن يتم الإتفاق بعد النصر النهائي على توزيع الشمال الإفريقي بين ملك المغرب وملك إسبانيا، فيصبح الساحل لملك إسبانيا والداخل كله لملك المغرب حتى تونس!؟».

ويضيف التقرير الفرنسي بأن إسبانيا - منذ أن ارتبط الأتراك باتفاقيتهم مع فرنسا - أخذت تخطط لهذا المشروع وأنها من أجل تحقيقه عدلت عن وعدها بمناصرة ملك البرتغال في وقعة وادي المخازن، وأن هذا المخطط لم يمت بوفاة السلطان المولى عبد الملك وجلوس أخيه أحمد المنصور على العرش بل إنها، أي إسبانيا، ما انفكت تستغل حوادث الحدود الشرقية مع الأتراك في الجزائر لتجعل العاهل المغربي أكثر اقتناعا بقبول الحلف المذكور، بيد أن ملك المغرب - يقول التقرير الفرنسي، ظل يتملص من اتفاق من هذا النوع... أن المغرب غير متحمس للتحالف مع المسيحيين ضد الأتراك ولو أنه بالمرصاد لهؤلاء عندما تحدثهم أنفسهم بالتعدي على التراب المغربي، وقد كان مما يشجع إسبانيا - يقول التقرير الفرنسي - على مفاتحة المغرب حول هذا المخطط اقتناعه بالكره الذي يكنه أيضا

أهل الجزائر وتونس للأتراك وميل السكان في المنطقة المذكورة لتكوين وحدة ضد الأتراك الذين ظلوا يعتبرون بعيدين عن المنطقة...

ويضيف التقرير الفرنسي أن نجاح مثل هذا المشروع من شأنه أن يلحق ضربة قاسية بمصالح فرنسا بقدر ما هو في صالح إسبانيا سواء أيام الحرب أو أيام السلام، ويختم التقرير بذكر انطباعات المبعوث الفرنسي على هذا النحو: «إنه، حسب التجربة التي يتوفر عليها طوال المدة التي قضاها بالمغرب لا يعتقد أن المسؤولين المغاربة يخذعون أبدا لعروض إسبانيا التي تقتل العدو المشترك لكلا الفريقين!!»

وقد ورد هذا التقرير في مجموعة دو كاستري المعروفة تحت عنوان (مصادر لم تنشر من تاريخ المغرب) (القسم السعدي الفرنسي) السلطة الأولى، المجلد الأول ص 108 التعليق رقم 2...

وإن المرء ليشعر بالغبطة العارمة وهو يسمع في تلك الأيام عن الصلات المنتظمة التي كانت للجزائر مثلا بالمغرب...

ولنتقل بعد هذا إلى نوع آخر من الوثائق الدبلوماسية التي يزخر بها الأرشيف الأوروبي وبخاصة الفرنسي والإسباني والتركي.

لقد كانت تركيا - على ما علمنا - مرتبطة مع فرنسا باتفاقيات وأحلاف كان أقدمها ما عقد بين السلطان سليمان القانوني وفرانسوا الأول سنة 1536...

الاتفاقية كما أثرت تهدف ضرب إسبانيا... لا لهدف إلا لأنها تتخالف مع فرنسا حول قضايا تتصل بوراثنة العرش...

ولا بد أن تسير الولايات التابعة للباب العالي مع خط أهداف تلك الاتفاقيات، وحيث إن المغرب ظل الصخرة التي تحطمت عليها مطامع الأتراك في الامتداد، فقد كان على فرنسا أن تحاول بشتى الوسائل الدبلوماسية الحصول



صور من مؤتمر المغرب العربي الكبير الأخير
بتونس



من المغرب على اتفاق يشبه ما عقده مع الباب العالي في شأن مضايقة إسبانيا...

وهنا ألفت النظر مرة أخرى إلى ملف زاخر حافل بما كان يجري على ساحة المغرب الكبير من اصطدامات واحتكاكات ومواجهات لم تكن في الأصل من صنع محلي داخلي بقدر ما كانت من صنع أجنبي خارجي، أي إن هناك أذمغة بعيدة عن المنطقة من حيث المسافة ومن حيث المعتقد، ومن حيث الهدف، تلك الأذمغة هي التي تدبر، وعلى «الإخوة» أن يتقاتلوا فيما بينهم لتنفيذ ما دبر !!

نحن نعيش أيام المفاوضات الجارية بين السلطان المولى إسماعيل وبين الملك لويز الرابع عشر، من أجل الوصول إلى اتفاق... لكن المغرب قبل أن يقبل السير قدما في التوقيع على المعاهدة المشار إليها كان يريد أن يعرف عن فوائد الاتفاق وعوائده منه قبل كل شيء، إن مضايقة إسبانيا لأجل المضايقة فقط أمر لا يهم المغرب، سيما وقضية وراثته العرش لا تتصل به ولا بتقاليده، ولكنه مع ذلك يقبل أن يجلس للمناقشة على أساس... وقد كان السؤال الذي وضعه المغرب على مفاوضيه الفرنسيين : هل ما إذا كانت فرنسا جاهزة لمساعدة المغرب على استرجاع مدينة سبتة ؟ لقد كان السلطان المولى إسماعيل قد حرر المعمورة ووطنجة والعرائش وأصيلا... ولكنه أمام سبتة التي يحتاج فيها إلى عون وأي عون !!

إن سبتة تشكل كما هو معلوم شبه جزيرة... ولذلك فإن السيطرة عليها إنما تتم لمن يتوفر على أسطول قوي، ومن ثمة كان القائد داود ابن عائشة، قائد الجيش المرابطي قد اشترط على الذين استنجدوا بالمغرب من الأندلس أن يوافوه بأساطيل ابن عباد لتحيط بسبتة قبل أن ينزلها هو من البر..!

ومن ثمة أيضا وجدنا السلطان المولى إسماعيل يستخدم في فترة من الزمن ورقته الدبلوماسية مع إنجلترا عندما احتلت جبل طارق، على نحو ما سيفعله السلطان

المولى سليمان بمناسبة ظهور نابليون على الساحة الدولية...

لقد ظهر أن الملك لويس الرابع عشر كان يريد الحصول على توقيع اتفاقية بدون مقابل ! ومن هنا شاهدنا تشنجا في العلاقات بين البلدين : فرنسا والمغرب... لم يلبث أن استحال إلى توتر... ومن العادي أن يقع بين الدول مثل ذلك التشنج أو التوتر عندما لم تصل تلك الدول إلى اتفاق فيما بينها... ولكن الشيء الغريب أن يتحول القلق الدبلوماسي إلى المواجهة المسلحة، بل إن الأغر من كل ذلك أن تكون هذه المواجهة على حدودنا ومع إخواننا العثمانيين، وأن الأكثر غرابة من كل هذا أن نجد آثارا تدل على أن الحلف العثماني الفرنسي كان يقوم بواجبه بكل نشاط في الناحية الشرقية من المغرب !!

ولا بد أن نشير بصفة خاصة لصورة من تلك المواجهات المؤسفة التي عرفتها سنة 1103 = 1692 قبل ثلاثة قرون حيث نجد خطابات مكتوبة موجهة من العثمانيين إلى لويز الرابع عشر تشكو من اتفاق مزعوم بين المغرب وتونس لتصفية الوجود التركي في المنطقة ! ونجد في الوقت ذاته خطابات تهديد للمملكة المغربية من الباب العالي الذي يتساءل عن السبب في عدم تحرير بقية الثغور المغربية والانشغال بوجود الأتراك في أفريقيا !! الأمر الذي لم يتردد السلطان المولى إسماعيل في الجواب عنه مخاطبا العثمانيين بما مفاده : وماذا منعكم أنتم من تحرير وهران إلى الآن مع أنها في متناول اليد، وعض تخليصها تمحون لأنفسكم يا ذايبة الأعراب هناك... ومرة أخرى نجد الأتراك يرفعون الشكوى للباب العالي بأمر «حلف» جديد موجه ضد وجودهم بأفريقيا الشمالية، وهذا الحلف المزعوم هذه المرة يضم علاوة على المغرب كلا من طرابلس وتونس... وقد جاء هذا الوهم من كون المغرب كان يتوسط في كثير من الأحيان بين الإيالتين المتجاورتين تونس وطرابلس لإصلاح ذات البين فيما بينهما !

وابتداء من هذا التاريخ أخذ الباب العالي يفكر في تغيير موقفه المعادي إزاء إسبانيا... حتى لا يكتر من خصومه في منطقة الشمال الإفريقي حيث رأينا العثمانيين يتوجهون إلى العاهل المغربي الملك محمد الثالث يطلبون إليه التوسط لدى الداى محمد عصمان باشا والي الجزائر حتى ينضم إلى الصلح الذي أبرمه مع إسبانيا... وهذا ما يفسره الاسترعاء الذي وجهه 1199 = 1785 المغرب إلى بعض الدول الأوروبية التي كانت تهدد بمهاجمة السواحل الجزائرية إذا ما استجاب محمد عصمان باشا لرغبة الباب العالي...!

«فالذي قبل منهم كلامنا ورجع ولم يدخل الجزائر وغيرها من مراسيهم فنحن معه على الصلح والمهادنة كما كنا، والذي أراد منهم دخول الجزائر ومراسيهم ولم يمتثل ما أمرناه به فنحن معه على المحاربة» على حد تعبير التصريح الملكي الذي يحتفظ به أرشيف فيينا.

ولا ينسينا اهتمام المغرب بإخوته العثمانيين، التعرض للمشكل القانوني الذي وضعه الفصل العاشر من المعاهدة المغربية النمساوية سالفة الذكر 1198 = 1784... إن هذا الفصل ينص على أنه «إذا وقعت الحرب بين الملة النصرانية وبين الملة الإسلامية فإن العلاقات بين الطرفين المغربي والنمساوي لا تتأثر بهذه الحرب بل تبقى المحبة والمودة بين الجانبين». إذا ما قارنا هذا الفصل بما ورد في نص الشعار الذي رفعه المغرب آنذاك : «نسالم من يسالم تركيا ونحارب من يحاربها»⁽²⁾ وإذا قارناه بما ورد في خطاب العاهل المغربي لملك فرنسا، فن نجد أن هناك تناقضا بين هاتين المواد...

والواقع أن المغرب ظل يتجاهل، وبكل بساطة، سائر البنود التي تحد من اتصالاته بإخوته في الدين مهما كانت

قد تتساءل عن مدى الصلة بين المغرب وبين تونس وطرابلس حتى يقوم المغرب بعلاج مشاكلهما... وهو سؤال موضوع حقيقة، وفيه نجد بدورنا جوابنا عن الشعور الذي يخامر المغرب الأقصى بالاحتفاظ بالمغرب الكبير عربي القلب واللسان... وأنه، أي المغرب، بالرغم من تقديره للعثمانيين كمجاهدين مناضلين إلا أنه لم يخف استنكاره لشعورهم المعادي في بعض الأحيان للعرب على ما يقال... وإن من المهم أن نشير لرسالة إسماعيلية إلى لويس الرابع عشر بتاريخ 14 جمادى الأولى 1122 = 22 يولييه 1709 يعرض المغرب فيها على فرنسا المساعدة العسكرية له ولحليفته تركيا ضد النمسا...

وقد جاء في هذه الرسالة قول العاهل المغربي : «إنه بالرغم من نظرة تركيا للعرب... وخوفها من وحدة كلمتهم... فإننا على أتم الاستعداد للوقوف إلى جانب فرنسا ما دامت تعمل يدا واحدة مع تركيا.

ومن المهم هنا أن نذكر بالاتفاقية الخطيرة التي أبرمها السلطان عبد الحميد الأول مع روسيا بتاريخ 21 يولييه 1774 = 12 جمادى الأولى 1188 والتي تحتوي المادة الثانية عشر منها على أنه :

إذا رغبت دولة روسيا أن تعقد معاهدة تجارية مع الأفارقة : أي حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فإن دولتنا العلية تتعهد ببذل اعتبارها وجهدها لحصول دولة روسيا على مرغوبها وتضمن حكومات الإيالات المذكورة بأنها تحافظ على المعهود المرسومة... وشعورا من المغرب بما أخذ يظهر على الساحة الإفريقية، وحوض البحر المتوسط، وخاصة بعد هذه الاتفاقية العثمانية الروسية... فقد رأى المغرب أن يتوجه بسفارته إلى ملك النمسا جوزيف الثاني حليف الامبراطورة الروسية كاثرتين حيث أبرم هناك اتفاقته مع النمسا (10 رجب 1198 = 30 مايه 1784).

النتائج، على نحو ما سيقع مثلا بالنسبة للاتفاقية المغربية الأمريكية... ومن الأمانة للتاريخ أن نحضر حوارا بين العاهل المغربي وأحد وزرائه (أبو القاسم الزياني) ممن كانوا لا يرون جدوى في إغداق المساعدات على العثمانيين، لقد سأل العاهل وزيره عما يقوله الناس حول مساعدته المادية للأتراك، فأجابته الوزير بصراحة زائدة : إنهم يقولون : لو صرفت هذه الأموال في الجهاد بالمغرب لكان أولى... ولكن العاهل المغربي أفتع وزيره بأن الأمر يتعلق بالتخفيف عن الإخوة من الضربات الموجهة التي تتوالى عليهم من أعداء الإسلام - على حد تعبيره ..

ومن جهة أخرى يجب أن نرحل إلى الأرشيف الفرنسي لنجد من جهة أخرى رسالة احتجاج قوية للمهجة تصدر عن المغرب إلى فرنسا بصدد الاعتداء الذي وقع على تونس من طرف الجيش الفرنسي...

ويتعلق الأمر بالقلق الشديد الذي عم المغرب وهو يسمع عن قصف المدفعية الفرنسية لسوسة... بعد أن امتنع الباشا علي باي من إرضاء المطالب الفرنسية الملحة. وهكذا نجد رسالة تحمل تاريخ 6 ذي القعدة 1184 = 3 مارس 1770 موجهة من العاهل إلى لويس الخامس عشر... وقعها عنه الوزيران المعروفان : أحمد المهدي الغزال، وعبد الهادي السلاوي...

لقد أعطى السلطان سيدي محمد بن عبد الله مهلة أربعة شهور لكي تعيد فرنسا النظر في سياستها إزاء تونس وإلا فإنه مضطر لإشهار الحرب عليها... الأمر الذي جعل فرنسا تجيب عن الإحتجاج معتذرة وموضحة الأسباب التي دفعت بها لقصف المدينة، وتم الاتصال عندئذ بالقتل الفرنسي بالمغرب الذي عبر عن الرغبة في أن تعود المياه إلى مجاريها.

وماذا عن الإحتلال الإسباني الذي تجدد لوهران ؟ لقد كتب السلطان محمود الأول إلى العاهل المغربي يطلب إليه الاستمرار في مساعدته للعثمانيين الموجودين بالجزائر من أجل تخليص الثغر... وكانت فرصة اغتنامها

السلطان سيدي محمد بن عبد الله بعقد اتفاق سري يهدف إلى العمل يبدأ واحدة لتطهير السواحل المغربية من الإحتلال الإسباني «من وهران إلى مبنقة» على ما ترجمه الرواية الأروبية نقلا عن الرسالة التي كتبها الملك محمد الثالث بخطه...

وهنا نفتح ملفا من الملفات الحزينة التي تكشف عن جوانب أخرى من المعوقات الخارجية التي كانت تقف دون الخطوات نحو الوحدة، بعد أن سمعنا عن المعلومات السابقة...

ويتعلق الأمر بالتناور الذي كانت تقوم به إسبانيا أيضا لكسر كل شكل من أشكال الوحدة !!.. إن إسبانيا - كما قلنا - كانت تبسط نفوذها على بعض الثغور الجزائرية على نحو ما كان عليه الأمر بالنسبة للمغرب، وفي كل مرة كانت إسبانيا تشعر بعزم صادق من إحدى الجهتين لمديده في يد الجهة الأخرى، تعتمد إلى هذه الجهة أو تلك لتمنى وتغري، وهنا كنا نشهد الكوارث... ولا بد من العودة إلى الوثائق الإسبانية لنقرأ مئات الدلائل على ضروب الموارد والمناورات التي كانت توجه في الخفاء ضد التقارب بين أقطار المغرب العربي لضرب كل تضامن يهدف لتصفية الإحتلال الإسباني على سواحل بلاد المغرب...

وهل نحن بحاجة للتذكير بما حصل والعاهل المغربي يحاصر العرائش... ويجهز جيشه نحو شمال المغرب... إن كلنا يعلم أن هذا الوقت بالذات هو الذي اختير للمناوشات التركية على الحدود الشرقية... بل إن كلنا يعلم أن الأمر لم يكن مجرد (صدفة) ولكنه كان وليد (وصفة) استعمارية أو بهذه المناسبة أرجو أن تسمحوا لي أن ألفت النظر إلى أن المؤرخين الذين يكتبون بالحديث عن «اصطدام هذا الجانب بذاك أو تحرش ذاك بهذا» أو يتحدثون عن فشل هذه التجربة بوجود فلان أو فلتان كانوا، - في نظرنا - مؤرخين قاصرين سطحيين... إن عليهم أن يبحثوا عن أسباب الفشل ليس فقط فيما تناقله مؤلفاتنا المتداولة العادية، ولكن فيما يوجد على الأقل

بأرشيقات اسطانبول وفرنسا واسبانيا... ومن المؤسف حقا أن نظل في هذه الحلقة المفرغة بالرغم من ظهور المصادر الدفينة والوثائق المعاصرة...

وما بالننا نروح بعيدا... دون أن نقف قليلا مع السلطان سيدي محمد ابن عبد الله أثناء حصاره لمدينة مليلية في أعقاب الإتفاق الذي تم بينه وبين محمد عصان باشا والذي أشرنا إليه.

فلقد تحدثت المصادر المغربية عن فك الحصار بصفة مفاجئة... وأخذت تتساءل عن الأسباب التي كان عليها أن نجدها في المصادر الاسبانية وفي المصادر الانجليزية... بل - وهذا شيء مطرف - أن نكتشفها في كتب النوازل الفقهية الذي قد تعثر بعيدا عن المصادر التاريخية!! لقد كان الأمر يتعلق بخذلان نتيجة لوقعة اسبانية بين المغرب والجزائر!!

إن الذين يتجاهلون الجوانب المضيئة في تاريخ التعاون بين الايالات، كانوا هم الاخرين يتحركون من منطلقات غير موثقة وربما مفرضة، وكيف نفسر اطباق المصادر العثمانية ذاتها، وعلى رأسها المؤرخ التركي والنائب البرلماني عزيز سميح في كتابه (كتاب الأتراك في شمال إفريقيا) الذي يقول فيه، في المجلد الثاني منه (ص 45) بالحرف الواحد: «لقد كان الغرض من حصار العاهل المغربي السلطان المولى يزيد لسبته هو مضايقة اسبانيا حتى تخضع لضغط مجاهدي الجزائر...» وكيف نفسر تهافت عرب الجزائر أيضا على ساحات القتال إلى جانب إخوانهم المغاربة لتخليص البلاد من نير الإحتلال الأجنبي؟

ثم كيف نفسر التصريح الملكي السذي وزعه الدبلوماسي المغربي السيد محمد القادري على أعضاء السلك الأجنبي بتاريخ 5 رمضان 1192 = 7 شتنبر 1778 والذي يعطى، حسب الفصل الخامس منه، الحماية الكافية للمراكب الجهادية الجزائرية التي ترسو بالساحل المغربي والذي يزودها بكل ما يدفع عنها غيلة المطاردين

والمتتبعين من الاسبان أو من غيرهم. إنها وثائق تحمل أسماء معروفة وتواريخ محددة...

ويتأكد من ناحية أخرى أن التقارب بين المغرب والجزائر كان محل تنبع واهتمام زائدين من الباب العالي لأنه كان يرى في تلك الوحدة نذيرا على وجوده بالشمال الافريقي! وأظن أنه من المفيد لتصوير الموضوع أن نستعرض هنا تقريرا سرييا رفعه السفير التركي إسماعيل أفندي سنة 1199 = 1785 بعد مهمة له لدى الملك محمد الثالث، حيث ورد يشكر العاهل على المساعدة القيمة التي قدمها للإمبراطورية العثمانية في أعقاب صلحها مع اسبانيا وطلبها من واليها بالجزائر أن «يجعل حدا لحربه مع اسبانيا على ما أسلفنا» لقد جاء في تقرير السفير العثماني لحكومته حسبما وقفت عليه في أرشيف رئاسة الحكومة في اسطانبول، هذه الأفكار التي نلخصها فيما يلي:

لقد حضرت مع العاهل المغربي صلاة الجمعة بمسجد السنة، حيث دعى في الخطبة لسلطان عبد الحميد. وتعليقا على موضوع خطبة الجمعة ذكر الخطيب بما يتم من ظلم ضد العرب من قبل العثمانيين، وبعد حوار بين العاهل والسفير خلع عليه الملك رداءه... تقرير طويل يخلص فيه إلى القول: بأن الذي يظهر لي أنه، أي ملك المغرب، يكن للدولة العلية الحب وإنه مستعد لتقديم جميع ما في خزائنه من مال للقضية الإسلامية... إلا أنني فهمت من المولى محمد أنه عاتب على الباب العالي ضعفه أمام الظلم الذي يقع على العرب والفقراء والعلماء والأشراف من ولاته بالجزائر مما قد سيؤدي إلى انهيار مملكة السلطان عبد الحميد على حد التقرير الدبلوماسي... وإن على السلطان أن يسمح بتنصيب ولاية في الجزائر من أصل جزائري يختارهم الشعب الجزائري دون تدخل العسكر العثماني على نحو ما في تونس وطرابلس... وفي أثناء إقامتي - يقول السفير إسماعيل أفندي - ورد وفد على المغرب من اعراب الجزائر

يحكون ما يلقونه من عنت ومظالم يمجهما العقل
ويرفضها الشرع... .

وهكذا فإلى جانب التقارير التي تحدثت عن
«خميرة» الوحدة، وجدنا التقارير التركية بدورها لم تخف
شعورها بما يسود من آراء إزاء هذه الوحدة... .

ولنترك أوروبا وآسيا ولننتقل إلى أمريكا
الشمالية، إلى الولايات المتحدة بالذات التي نراها وقد
تأزم الوضع فيما بينها وبين إيالة طرابلس وإيالة تونس -
تقدم بعد مصادقة الكونكريس على الاتفاقية المغربية
الأمريكية - تقدم على إرسال خطاب بإسم الرئيس جورج
واشنطن إلى الملك محمد الثالث بتاريخ 15 ذي القعدة
1202 = 17 غشت 1788 تطلب إليه أن يقوم بمساعيه
الحميدة لدى الايالتين من أجل بناء علاقات أفضل بين
أمريكا وتونس وطرابلس. إن هذه الرسالة بما تبعها من
أجوبة ملكية مغربية تعبر عن كثير من الحقائق
التاريخية... فهي من ناحية تعكس الروح الطيبة السائدة
بين بقية أقطار المغرب العربي كما تدل على أن فكرة
الوحدة في طريقها إلى التحقيق، وهي الحقيقة التي
تؤكدها المبادرة الأمريكية التي بعثت لايالة الجزائر بالمستر
جوهن لامب (John Lamb)...

وإن في أبرز ما يجسد هذه الحقيقة تعاون العاهل
المغربي مع حاكم طرابلس وتونس على الحد من تحرك
الأسطول الروسي في المنطقة الذي كان في الواقع نتيجة
للاتفاقية التركية الروسية عام 1774 السالفة الذكر...
وخاصة منع الأسطول من الاقتراب من بوعغاز جبل طارق
في محاولة للتخفيف عن الباب العالي من ضربات
الروس... وهذا يكون أيضا عنصرا واضحا من باب بناء
المغرب العربي.

بل هناك بادرة تدل في مضمونها على الحاجة التي
أخذت تشعرها الايالة الجزائرية، ويتعلق الأمر بطلب
تقدم به داي الجزائر إلى السلطان المولى سليمان أن يبعث
بوقادة مغربية لإصلاح ذات البين بين داي الجزائر وبين

طائفة دينية، لقد كان النزاع في الواقع بين عرب تلمسان
وبين تركيا على نحو ما نراه اليوم في قبرص بين الأتراك
واليونان!..

وقد ظهرت في الأفق سحابة خطيرة في سماء
العلاقات المغربية الأمريكية كادت أن تؤدي - إن لم تكن
قد أدت فعلا - إلى إشهار الحرب من طرف المغرب على
الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1218 = 1803، وقد
يظهر أنه من باب المبالغة والتهويل القول بأن السلطان
المولى سليمان يعلن الحرب على الرئيس الأمريكي
طوماس جيفرسن!

ولكن الواقع هو ذلك على ما نقرأه في المصادر
المغربية والليبية والوثائق الأمريكية على السواء... وليس
المهم هذا ولكن المهم أن نعرف عن أسباب هذا التوتر الذي
لم يكن غير استجابة المغرب لطلب الوفد الليبي الذي ورد
يطلب امداد طرابلس بما تحتاج إليه من مواد، ولم يكن
غير مساعدة طرابلس وهي تحاصر السفينة الأمريكية فيلاد
لفيا! اعتبر الجانب الأمريكي ذلك خرقا للبند السادس
من الاتفاقية الثنائية وهو ينص على عدم تقديم تقديم
المساعدة من جانب أحد الطرفين لعدو الطرف الآخر...
ولم تتصور أمريكا كيف يستطيع مركب مغربي يحمل اسم
(مبروكة) بقيادة الرانس ابراهيم لوساريس أن يحجز
مركبا أمريكيا يحمل اسم (Celia)!

وكما وجدنا المغرب لا يعجز عن تقديم التفسير
عندما احتجت النمسا بالأمس على مساعدة تركيا، كذلك
وجدناه اليوم يعتمد على تفسير الفصل السادس من
المعاهدة المغربية الأمريكية بأن مفهوم «المور Maures»
بالنسبة إلى المغرب شامل لجميع الأسرة الإسلامية سواء
كانت في المغرب أو المشرق!!

وهكذا وبعد مفاوضات صعبة بين وزير الخارجية
المغربية محمد السلاوي وبين المبعوث الأمريكي سيمسون
توصل الطرفان إلى تسوية بالإفراج عن السفن المحتجزة
لكل من المغرب وأمريكا...

ومما نجله على هامش استيلاء الأسطول المغربي على قطعة من الأسطول الأمريكي... أن وفدا من تونس برئاسة الشيخ ابراهيم الرياحي كان يوجد في حضرة العاهل أثناء وصول البشريات بحجز المركب الأمريكي فأنشده قصيدة ميمية طويلة يهنئ العاهل فيها، وكان مما ورد في قوله :

دلائل فضل الله فينا تترجم
وان غفلت عنها طوائف نوم
ومن أكرم النعماء ولاية من له
علينا وفينا حكمة وتحكم !

وهكذا وجدنا أن هذه الفترة عرفت بقطة جماعية... في سائر الايالات بضرورة التثام الصف، وكان مما عكس هذا الشعور إرسال وفادة من المغرب إلى الجزائر كانت برئاسة الأمير مولاي ابراهيم لتقديم المواساة والاسعافات في أعقاب مدهامة الأسطول الانجليزي للساحل الجزائري التي تحدثت عنها مخطوطة الإبتسام عن دولة ابن هشام...

وبالرغم من الأمر العثماني الذي صدر لولاية الجزائر في تاريخ 15 ربيع الأول 1245 = 14 شتنبر 1829 بعدم مساندة المغرب الذي وقف ضد بحرية النمسا، بحجة أن هذه الأخيرة في حالة سلم مع تركيا، فإن المغرب مع ذلك أعلن الحداد الشامل عندما تمكنت فرنسا من انتزاع الحكم من الأتراك في الجزائر، الأمر الذي أعقبته الكوارث والأهوال بالنسبة للمغرب الذي أصيب في أسطوله بعد أن كان أسطورة البحار... للمغرب الذي اصطدم مع فرنسا في حرب إبلي التي قصت ظهر المغرب وكانت فاتحة الشرور التي توالى على البلاد من كل حدب وصوب على ما نعلم...

☆☆☆

تلکم ومضات حول فكرة وحدة المغرب الكبير من خلال الوثائق الدبلوماسية وعن معوقاتها الحقيقية التي كانت - كما رأينا - تحمل هويات أجنبية عن الساحة المغربية، فمرة باباوية ومرة إسبانية ومرة ثانية فرنسية ومرة ثالثة جهة أخرى أمريكية ومرة أخرى تركية... كانت جميعها تستهدف كما رأينا أن تبقى بلاد المغرب مفتتة مجزأة منهوكة القوى في حين كانت فيه هذه الايالات تسعى جاهدة للتواصل فيما بينها بشتى الطرق والوسائل على ما رأينا - سلفا - من تنقل الوفود عبر بلاد المغرب لإحياء أسرة الود والأخوة فيما بينها...

وسأقف عند هذا الحد تاركا الفرصة لاجترار تلك الأحداث ربما كان في ذلك ما يساعدنا على أن نكون أكثر وعيا وأكثر استفادة من التاريخ !

إنما علينا أن تقتنع بالحقيقة التالية التي ظهرت وتظهر من خلال كل مراحل التاريخ المشترك. تلك أن قيادة المغرب، ما فارقهم أبدا الأمل في الوصول إلى الوحدة، وإذا ما اختلفوا فإنما كان إختلافهم ناتجا عن فشلهم في الوصول إلى صيغة مناسبة تمكنهم من الاتحاد في الوقت الذي يحتفظون فيه بكيانهم.

وهكذا فإنهم لم يستفيدوا في معظم الأحيان من المعوقات التي كانت تقف دون تحقيق ذلك الأمل المنشود سواء أكانت تلك المعوقات من صنع داخلي أو عمل أجنبي على ما يكون الحال عليه في غالب الحالات.

لقد مرت فكرة المغرب الكبير بفترات تعثر لم تكن الايالات مسؤولة عنها بحال، ومن حسن الحظ أن نسجل أن نسبة فترات اللقاء كانت أوفر وأكثر... أن شعور المسؤولين بوحدة مصيرهم كان يهيمن على كل شعور، وهكذا فقد ظلت هذه البلاد جميعها تنشأ اليوم الذي تصبح فيه وحدة مترأصة ضد الاطماع الخارجية ولصالح إزدهار المنطقة...

الرباط : عبد الهادي التازي

عيد الوحدة

بمناسبة الذكرى الأولى
لمؤتمرة الوحدة المنعقد بمراكش
في 15 فبراير 1989، والذي أسفر
عن اتحاد المغرب العربي
المبارك:

للساعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقايي

وأفعم القلب منا فرحة وهنا
ودلل السبل المستعصيات لنا
فصار واقعنا ما كان محض منى
إلى لقاء أذاب الوجد والشجنا
والفرح عم قره السمر والممدنا
أسمى وأعظم مما كنته وطننا
بلا حدود عن الأحباب تفضلنا
في العد ستين مليوننا، ومنه أنا!
بل صار خمسة أقطار تفيض هنا
سور بخمسة أبراج يحيط بنا
مع الجماعة لا توهي لها رسنا

☆☆☆

فاستيقظوا، خاب من للنوم قد ركنا
فاسعوا إليه، فإن الله قد أذنا
وفجر الحب فيها منبعها حسنا

☆☆☆

أضاءت الكون نورا حولنا وسنى
قلوب ما ضامها من حسرة وضنى

الحمد لله عنا أذهب الحزنا
أضاء من نوره الوهاج ساحتنا
وألهم القادة الأبرار شرعته
تسابقوا، ورياح الشوق تدفعهم
المغرب العربي اليوم مولده
فسبح الله شكرا، صرت، يا وطني
من «موريطانيا» إلى «ليبيا» نسير غدا
بشراي! أصبح شعبي بعد وحدته
ولم يعد وطني قطرا بمفرده
فكيف نخشى عوادي دهرنا ولنا
حتى المصائب تبدو غير موجعة

فيا شباب بلادي، طاب فجركم
مع العظائم والتاريخ موعدكم،
صفي القلوب، وتقاها، وطهرها

يا قادة المغرب الأبرار بمتكم
من العيون مسحتم أدمعنا، ومن الـ

نسير والحب والإيمان يدفعنا
أطرافه، وامتلأت أرجاؤه مدننا
بالشرق، والعقل منه للشمال رنا
مشاعلا قيسوها من أئمتنا
وخلفونا نعاني الكرب والمحنا
وحان بعثي، وخطوي بالعلا اقترنا
جيراننا بعض ما أعطيتهم زمتنا
منا استقوها، ولم نطلب لها ثمتنا

☆☆☆

توحد، أو زوال ماحق وفنا !
تلوكها في نوادي الفكر السننا
تكاد سيارة الإسعاف تنقلنا
لشعب مغربنا الموعود، لو فطنا
بمجلس شرعوا فيه الطريق لنا
وضم مصر إلى الأردن واليمننا
مضيئة فاقتفوا آثارها علنا

☆☆☆

على الطريق إلى توحيد أمتنا
قدس النبوات نحيا حفل وحدتنا

☆☆☆

في جمعكم بركات سوف تشملنا
وستره من عيون الحاسدين لنا
بشدة أذهبت شيطان فرقتنا
لولا توحيدها، أن تقهر الوهنا
إننا دفناه واليغضاء والإحنا
عليه مطبقة إن قد أو طعنا
وهو امتحان عسير للذي امتحنا
والكل للفرد في إجماعهم أمتنا

على الطريق إلى أمال أمتنا
بمغرب عربي واحد شعت
جذوره في ثرى إفريقيها، ومهجته
إلى الذين استعاروا من حضارتنا
إلى الذين اقتفوا آثارنا، ومضوا
والآن يا أمتي، هاساعتي أزفت،
وجاء دوري لكي أحيها وأخذ من
علمنا، وفنا، وأدابنا، وفلسفة،

لنا خيار وحيد واحد أحد،
لم تبق وحدتنا حلما ولا ترفنا
بل أصبحت مطيلا متعجلا، وله
وفي اتحاد (أوروبيا) أسوة حسنت
وفي الخليج رجال للعلا سبقوا
وفي العراق اتحاد ضم أربعته،
رأوا بنور إلهي محجته

أعظم بها خطوة عملاقة بدأت
من الخليج إلى شط المحيط وفي

يا أيها الخمسة الأطهار، إن لكم
أنتم علينا «حجاب» لن يفارقنا
كقبضة اليد أنتم قوة ضربت
وجندلته، وما كانت بقادرة،
فلن يعود إلى الوسواس في أذن،
والسيف أقطع في كف أصابعها
قلوب ستين مليوننا بكم علقت
الفرد للكل يغنيهم بقوتهم،

وازينت بسناء باهر وسنا
مثل العروس، فهذا عرس وحدتنا
صدرا لهم بضروب الحب محتضنا
مشاعر الحسن المنصور سيدنا
حب الأشقاء في أحشائه سكتنا
في لبح بحر عباب يغرق السفنا
وأغرقت كل آمال لنا معنا
بر السلامة مأمونا ومؤتمنا

☆☆☆

يا رب زدها لظي في قلب أمتنا
تحرم من الهدف الأسمى أحببنا
واجعله جما قويا ناميا مرنا
لجمعنا وتلاقينا بإخوتنا
إذ جاهدوا النفس حتى أطفأوا الفتنا
وعى الشعوب لنور الله ومض سنى
يضيئه وعيها، أرشد به سننا

الرباط : أحمد عبد السلام البقالي

مراكش لبست للحفل زخرفها
تعطرت وتجلت في مباهجها
ورحبت بضيوف العز فاتحة
تقمصت في تجليها وبهجتها
موحد الصف، راعي الشمل جامعها،
قدمت سفيتتنا والحب رائدكم
وكم سفينة توحيد بنا غرقت
إلا سفينتكم هذي، فقد وصلت

عدوى التكتل والتوحيد سارية
واشرح لدعوتها باقي الصدور، ولا
واجمع موزعة الأعضاء في جسد،
وبارك الله فيمن صالحوا، وسعوا
وبارك الله في الأبطال قادتنا
وليبق رائدنا وعى الشعوب، ففي
فلن نضل إذا سرننا على سنن

أول إضراب مدرسي بالمغرب سنة 1920

أستاذ
محمد الفاسي
عضو أكاديمية
المملكة المغربية

أخبت المستعمرين وكانت له يد طويلة في قضية فصل البرابرة عن باقي المغاربة وعن الإسلام مما يعرف في التاريخ بالظهير البربري أقول كان هذا الشخص يدرس تاريخ الإسلام وكان من بين تلاميذ السنة الأولى تلميذ يسمى حمزة ونسبت اسم عائلته فعندما كان الأستاذ يلقي درسه سمع منه كلاما يمس بالنبي ﷺ أو ظهر له أنه مس بالنبي عليه السلام فما كان منه إلا أن قام من مقعده وتوجه نحو الأستاذ ولطمه لطمه شديدة على وجهه فقامت قيامة الأستاذ وطلب من المدير أن يعاقب التلميذ عقابا شديدا. وكان القائم بأعمال الإدارة بالنيابة شيخنا الأستاذ عبد الرحمان بوري رحمه الله وكان من الفرنسيين الذين أسلموا وحسن إسلامهم وكان يلبس اللباس المغربي وكان محبوبا عند جميع التلاميذ وكان مؤهلا لأن يصبح مديرا فحاول تهدئة الأستاذ ولكن هذا الأخير ألح في أن يلقي القبض على التلميذ حمزة ويقدم للباشا ابن البغدادي فاضطر المدير أن يوجهه مع مقدم الحومة والعة إلى دار أبي علي مقر الباشوية فأمر الباشا بسجنه بحبس المدينة القديمة بأعلى حومة القطانين.

وكان تلاميذ السنة الرابعة هم عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي، وعمر ابن عبد الجليل، وابن أعرج السليمان

أحدث الفرنسيون بفاس أول مدرسة ثانوية أطلقوا عليها اسم المولى إدريس، وذلك حوالي سنة 1914 وأدخلوا لهذه الثانوية التلاميذ الذين درسوا في مدرسة ابتدائية كانت أسستها بعثة فرنسية قبل الحماية وجعلتها بدار واقعة في درب الهكّار ثم التلاميذ الذين درسوا بالمدارس الابتدائية الأخرى القليلة التي أسست بعد ذلك.

وجعلوا ثانوية مولاي إدريس بدار الوزير السابق «المنهبي» وكان كل أمل تلاميذ مدرسة زنقة الرطل التي كنت بها أن يطلعوا لدار المنهبي.

وفي أكتوبر سنة 1919 طلعت بدار المنهبي ولكن عوض أن أدخل للسنة الأولى من الثانوي أدخلونا لقسم أحدث تلك السنة وأسموه الطبقة المتهيشة بين الابتدائية والثانوي وجعلوها في ثانوية مولاي إدريس التي تم بناؤها في آخر تلك السنة ودشنوها في يناير 1920 وكنا فيها ثلاثين تلميذا أما السنة الرابعة فهي أعلى ما وصل إليه عدد الطبقات التي وصلت بعد سنتين إلى ست يحصل فيها التلميذ على شهادة دبلوم نهاية الدراسات الثانوية الإسلامية. وفي ربيع 1920 وقع حادث هو الذي أريد أن أؤرخ له في هذا المقال وهو: أن أستاذ التاريخ بها وهو المسمى «بيسون» الذي صار بعد ذلك مديرا لثانوية أزرو وكان من

رحمهم الله ومحمد بردلة. ولكن ابن الأعرج كان وظف ببلدية فاس فلم يشارك في الأحداث التي أقصها، فاتفق الثلاثة على القيام بإضراب شامل. ولما خرجنا للاستراحة أوغزوا إلينا قائلين : عند الرجوع إلى الأقسام اخرجوا من النوافذ - وكانت تفضي إلى شارع أبي الجنود - وتوجهوا إلى المدرسة البوعنانية فامتثل الجمع الأمر وذهبنا إلى المدرسة المذكورة ولما تم جمعنا خطب فينا الحاج عمر بن عبد الجليل وكان حج مع والده صغيرا وقال : إننا نأتي للمدرسة للتعلم لا لسباع النذم في ديننا، وفي نبينا عليه السلام ولا لأن يزج بنا في السجون، وعليه فيجب أن تقوم بإضراب شامل إلى أن يطلق سراح رفيقنا. وطلب منا أن نخرج من ديارنا في الصباح الموالي بعد أخذ كتبنا ودفاترنا كأننا ذاهبون إلى المدرسة ونتوجه إلى ملعب الكرة بباب الساكنة ولا نخبر عائلتنا حتى لا يمنعونا من الإضراب وكلفوا ثلاثة من التلاميذ الصغار وكنت أحدهم بالذهاب إلى المدرسة والنظر من ثقب سورها الخارجي إلى ساحة الاستراحة هل فيها أحد من تلاميذ فعلنا ورأينا ثلاثة منهم صغارا يلعبون في الساحة المذكورة فأخبرنا قادة الإضراب بذلك.

وفي الغد صباحا قصدنا ملعب الكرة ولا أزال أتذكر أن التلاميذ الكبار كانوا يلعبون الكرة قبل أن يتم الجمع فصادفتني رمية الكرة بكيفية شديدة في رأسي أوقعتنني ساقطا على الأرض، ثم قمت وانتظم الجمع فقام خطيبا فينا سيدي عبد الكبير الفاسي وألقى خطابا حماسيا كرر فيه التنديد بالعمل الشنيع الذي تعرض له رفيقنا حمزة بسبب مخالفة أو سوء أدب يعاقب عليه عادة بالطرق التربوية لا

كما يعاقب به المجرمون، ثم طلب منا أن نستمر في الإضراب وأن نجتمع في اليوم الموالي بباب المحروق المسمى في كتب التاريخ «بباب الشريعة» وأن نعمل مثل اليوم الأول من التحايل في الخروج من منازلنا بكيفية طبيعية.

وكان زعماء الإضراب المذكورون قد بدأت الإدارة الفرنسية المخابرة معهم لحل الإضراب وكانوا مصرين على إطلاق سراح التلميذ حمزة.

وفي اليوم الثالث توجهنا إلى باب المحروق، وأخبرنا رفقاؤنا الكبار أنهم اتصروا وتقرر إطلاق سراح حمزة وطلبوا منا أن تقصد جميعا «سجن القطنين» لإخراجه والتوجه به إلى المدرسة ففعلنا وسرنا في تجمع كبير مخترقين الشوارع الفاصلة بين باب المحروق والقطنين. ولما وصلنا إلى السجن أخرجوا لنا التلميذ حمزة فحمله التلاميذ الكبار على أعناقهم كبطل مقدم واتجهنا نحو بباب أبي الجنود ونحن ننشد بصوت عال وحماس هذا البيت :

الله ينصرنا ما دام رائدنا
حب الإسلام، وحب العلم والوطني

ولما وصلنا للمدرسة وجدنا مديرنا الأستاذ عبد الرحمن بوري رحمه الله في انتظارنا.

وهكذا نجح هذا الإضراب المدرسي الأول من نوعه في عهد الحماية بنجاح، ولكن الإدارة الفرنسية اشترطت لإطلاق سراحه أن يطرد من المدرسة وقد علمنا بعد ذلك أنه اشتغل في صناعة رابحة ولم أعلم عنه شيئا بعد ذلك.

الرباط - محمد الفاسي

عَظِيمٌ حَقُّ الْعِيدِ وَالسَّلَامِ

للدكتور محمد آتي شبيبهنا ماء العينين

هذا باختصار عن الدور الخارجي، بينما صاحبه عطاء لا مثيل له داخليا تجلت باكورتته الأولى في أقدم جامعة في الدنيا من حيث تنظيم مناهج الدراسة، إضافة إلى وثبة حضارية عملاقة استقطبت كل العطاءات الإنسانية، فبامتزاج التراث المغربي بالفكر الإسلامي، تكون مجتمع عالي التفكير عرشفه الحس، بعييد الإدراك، طموح التطلعات، صلب الإرادة.

وبهذه المميزات أصبح مستهدفا أكثر من غيره ممن في مستواه من الدول وفي إطار هذا الواقع المليء بيواعث الأمل، والتشبث بمبادئ التضحية صقلت التجارب وجدان هذا الشعب الذي ظل متميزا حتى في طريقة تقبله للإسلام، بمعنى أنه شعب بقي يرفض العنف، ويقتلع جذور تحكم الغير في أرضه، وينمي القدرات العالية في كل جيل من أجياله مما أكسبه القدرة الخلاقة على جمع شتاته واسترجاع كرامته في أوجز ظرف عندما تسلطت عليه أيدي الاستعمار لتوزعه أقاليم ممزقة، وشرائح شعبية لا تخل الإدارة الاستعمارية بيت كل السموم التي تفرقتها وتوهن من قوتها.

لقد وجد الشعب نفسه، مطوقا بهذا الواقع الأليم، وقد كاد يحجب عنه ما يمكن أن يلوح في أفق المستقبل من

عندما تطل علينا ذكرى عيد العرش المجيد، ترجع الذاكرة بكبارنا، إلى تلك الأيام الخالدة، التي خاض فيها المغرب امتحانات صعبة، ومعقدة، فخرج منها ناجحا، بعد أن واجه تيارات عاتية، كادت تعصف بكيانه كدولة، وبعقيدته كجناح أساسي ومؤثر، للأمة الإسلامية، إلا أنه تميز عبر التاريخ بتوهج إشعاعه الفكري والحضاري من خلال التصك بقيم الإسلام، والدفاع عنه، ونشر تعاليمه، ليظل الإنسان الأمن والعدالة سمو التفكير.

ولعل القارئ الكريم لا يحتاج إلى كثير من الحجج لتبرير أسباب استهداف المغرب أكثر من غيره في هذا الجناح من الأمة الإسلامية إذ بمجرد إلقاء نظرة ولو وجيزة على سجل مفاخر المغرب المسلم سيجد أن العطاء، والتطلع والحكمة، والنضال بشجاعة، كانت مصدر تخوف غيرالمسلمين من أن يعيد المغاربة للإسلام عن طريق الأحقاد ما سبق أن حققه الأجداد في الضفة الشمالية للبحر الأبيض عند تأسيسهم للمجتمع المسلم هناك، الذي أنجب دولة الأندلس، يضاف إلى ذلك زحف المجاهدين إلى الجنوب متوغلين في أدغال القارة السوداء لاقتلاع جذور الوثنية من مجتمعات برغم تأخرها، لم تلبث أن ارتفع بها الإسلام إلى مكانات حضارية لائقة.

بارقة أمل مما أخذ يهتم سماء الأمة العربية، من تحكم الأيادي الأجنبية في مختلف أراضيها، واتخاذ الكبار لكل الوسائل الكفيلة بتنفيذ «وعد بلفور» فوق رقعة ما من الأراضي العربية، إلا أن الشعور بالإحباط، لم يدم طويلا، إذ أتى الفرج من حيث ظن المستعمرون أنه كبل المغاربة بقيود تسلطه، فقبل أن ينتهي أمر المقاومة في آخر حبيب من الجيوب التي فتحها المغاربة في الشمال والجنوب لمهاجمة المتسلطين، في هذه الفترة اختير ذلك الشاب المسلم الهادئ، عميق الفكر، دقيق الملاحظة، المتحلي بالصرامة في جلباب الحكمة، لينصب على عرش المغرب ملكا شرعيا، أنه محمد الخامس طيب الله ثراه الذي أصبحت تدين له جميع الجهات، والأشخاص والمنظمات بالولاء، وسرعان ما ترجم هذا الولاء الديني إلى محبة سياسية، لا ينتزعاها من خلجات التفكير إلا الإعجاب، وذلك عندما ألقى جلالة محمد الخامس خطاب توليه للعرش عندما قال: «إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل تنمية سعادته وحدها ولكن لنكفل له أيضا الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة».

بهذه الكلمات رسم القائد العظيم خطة كفاح أمة، وبرنامج استقلال شعب عندما تولى عرش أسلافه المنعمين سنة 1927، فأسس بناء دولة عصرية تحتاج في أول ما تحتاج إليه إلى أجيال متعلمة قادرة على التفكير والتخطيط والتوجيه، وبهذا الإدراك رأى الملك الصالح المجاهد أن عليه أن يقدم النموذج من داخل أسرته فبدأ بنفسه، وأعطى ولده البار أقصى برنامج للتعليم حتى يستطيع أن يتحمل جسامته والد على ولده، وما خيب الله أملا للوالد في مؤهلات الولد، إذ أصبح يستوعب شتى أنواع المعرفة بشكل خارق للعادة، حتى أصبح المستعمرون مدركا أن الأمير الشاب، سيكون منقذ المغرب بحسب التربية التي

يوفرها له والده الملك المخلص الذي يدرك نوايا المستعمرون، كما أصبح الأمير الشاب يقر عين الشعب المقهور، وتلاحق المشاكل ويحبل المغرب بالتوراث نتيجة عوامل نفسية تحفزهم إلى العمل من أجل الانعتاق، وأخرى خارجية استفزازية تأتي نتيجة حب الحكام الفرنسيين إلى تطبيق نفس الحكم المباشر المفروض في الجزائر وغيرها من المستعمرات، على هذا البلد الذي أذاقهم الأمرين في مواجهتهم طيلة الأجيال التي قضوها في محاولة السيطرة عليه، وما هم آنذاك يتجرعون غلغم مقاومته ويتوجسون كل خيفة من الجماعات التي وقعت منه تحت أيديهم.

وكلما امتدت بهم الأيام الا واستحدثوا أساليب جديدة تصعب مهمة العرش، وتثقل كاهله، أمام التحديات، التي أصبح شعبه، وهو الجيش الاحتياطي المعتمد عليه لمواجهة نتائجها، قد أصبح موزعا إلى مناطق نفوذ أخضعت لطبيعة أحكام مختلفة لتضعف القوة، وتنشأ الوجدان من خلال معطيات متباينة لتمد بأفكار متشاكسة تجعل أصحابها لا ينظرون إلى مشاكل مستقبلهم بنظرة موحدة، إضافة إلى ما ينجم عنها من تباين في العادات والعيش، واللغة، والتفكير والتطلع، وعندما ظنت السلطات الحاكمة لأكثر جزء من المغرب الموزع أنها تمكنت من غرس هذه الرواسب بشكل يمكنها من الوصول إلى الهدف، بادرت عندها بإصدار الظهير البربري سنة 1930، ظنا منها أنها بواسطته ستحدث شرخا في جسم الأمة لا يمكن للعرش أن يتلافى عواقبها، أو يستدرك ما يمكن أن ينجم عن مقتضياتها من تفرقة تسهل على الفرنسيين تنصير طائفة من المغاربة لتجتث غيرها بوسائل أخرى، ومن ثم سيكون أصعب بلد في مسلسل مواجهة الاستعمار، أضعف وأجهت ستقف في وجه مخطط ابتلاع الشمال الأفريقي، كبوابة تنزع الأشواك من طريق تكريس الحكم إلى الأبد في مختلف أقطار غرب إفريقيا.

هذا التمهيد انطلقنا إليه من مسلمات دخلت في التراث التاريخي الذي لا يمكن محوه من الوجود، ولو بالغ

الناس في تناسيه، ويجنب هذه المسلمات هناك أشياء أخرى لا يستطيع أي مكابر أو منكر نكرانها، ونعني بها أن شخصية محمد الخامس طيب الله ثراه كانت هي الطود الشامخ الذي فوت على المستعمر كل آماله، وأفضل كل تخطيطاته ابتداء من الظهير البربري وحتى استرجاع طرفاية، وتصفية مخلفات المؤامرات الاستعمارية على الشمال، وتأسيس أول حكومة عصرية تعرفها البلاد، وما صاحب ذلك من تشييد المنشآت اللازمة لدولة تأخذ طريقها إلى البناء وإعطاء الاستقلال مفهومه المتوخى منه، عندما ضحى الملك بعرشه وأسرته، وأعطى نفسه للجيش المدجج بأحدث الأسلحة ليعبث بمقدسات ما أثار عليه حفيظة المغاربة شيئا أكثر من المس بها، فدخلوا معها في كفاح ظل يدفعهم إليه ذلك الأمل الباسم، والمجسد في رجوع جلاله الملك وأسرته، وانتهاء عهد الحماية، وما صاحبه من حجر فرض على شعب لا يعرف إلا الحرية، وما خيب محمد الخامس أملا، ولا أتى دون ظن، ولكن فوق ما طلب وأحسن مما أمل.

وإذا كان القضاء والقدر عاجل حياة محمد الخامس الملك الصالح المصلح فاختره الله للقاءه لينزله منزلة الشهداء والأولياء بجوار جده عليه الصلاة والسلام، والذي لا شك أنه أتاه وهو عليه راض، إذا كان ذلك أيضا من المسلمات، التي تثبتها كل الدلائل، فإن انتقاله إلى الرفيق الأعلى في ذلك الوقت كان كارثة نزلت ببلد يصد جراح التمزق، ويرم خراب الأيدي الأجنبية، ويعمل لاسترداد ما اختزل منه ويمرن أبناءه على التكيف مع تسيير أنفسهم والتعامل مع غيرهم، باحترام جميع الآراء، وتعايش كل التيارات مما يجعل الانفجار سهل الوقوع، إذا لم تكن شخصية القائد هي الرمز الذي ينس معه كل تيار أو فرد، أو حزب مشاكله، ويثق به لتحقيق رغباته، ومن خلال هذا الواقع أيضا نجد أن العرش شكل حبه قلما مشتركا لدى جميع المغاربة تنصر في بوتقة الاخلاص له كل متناقضات شعبنا، فترجع إلينا عامل وحدة، وباعث حماس

وحبل أمل يشد إلى المستقبل بمتين الثقة وعظيم الأمل. لكن في هذه المرة كان الندهول أقوى من الصبر وأصعب من التحمل، إذ لولا معرفتهم بولي العهد وخبرتهم بعمله لصالحهم لعصف بهم أثر المصيبة، ولنال من إجماعهم شغور عرش أعظم ملك عرفه تاريخ الكفاح الإنساني، في تلك الفترة التي لازال كل شيء ممكنا فالأجنبي الحقود يترص بنا الدوائر ويحبك لنا المؤامرات ليجعل من الاستقلال، ومتطلبات البناء بداية حرب أهلية تعصف بكل قيمنا.

ومن هنا بدأ التاريخ المغربي يعرف تحولا، مهما كانت عظمة مرحلة الكفاح صعبة وشاقة، فإن وصف الرسول الأعظم عليه صلاة الله وسلامه لمرحلة البناء يكفي لمعرفة كنه صعوبتها وذلك عندما قال عليه السلام :
«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

والحقيقة أن جلاله الملك الحسن الثاني عندما اعتلى عرش أسلافه المنعمين وجد مغربا ضعيف الاقتصاد، قليل الامكانيات مجزأ من حيث الوحدة تتجاذبه تيارات عاتية، أفرزتها تناقضات الساحة العربية، وخلفتها السياسة الاستعمارية، ويحاول الاستعمار أن يذكي نارها انطلاقا من الجزائر الثائرة بفضل دعم الشعب والعرش في المغرب، إضافة إلى ما أصبح يشكله المغرب من خطر على كل مصالح الاستعمار في القارة الإفريقية، وخلاصة القول إن الحسن الثاني الملك الشاب المثقف الشجاع الجرئ المفكر والذي ظل مخططا لمراحل الكفاح بجنب والده المنعم، حتى تبوأ مركز الصدارة في إنجاز كل المكتسبات التي حققها عهد الاستقلال في ظل والده المرحوم، هذا الملك الذي يجسد آمال كل المغاربة، لم يجد المهمة سهلة، ولا الطريق مفروشا بالورود، بل عليه أن يبني الفكر، بوضع خطط التعليم الطموحة، ويضع اللبنة الأساسية لنهضة اقتصادية عملاقة تعطي للشعب أكثر من إمكانيات عائدات أرضه، في الوقت الذي ينتظر منه شعبه تمكينه من ديمقراطية تكفل تحمل المسؤولية في التسيير والتخطيط

والبناء عن طريق مؤسسات عصرية، ينظمها دستور يماثل أو يفوق نظم أعرق الدول في الديمقراطية.
وقبل كل ذلك استرجاع الأرض واستكمال الوحدة، وتمكين المغرب من مكانة دولية تعيد إليه سابق مجده، وغابر عظمته.

واننا نحن جميعا أبناء المغرب الذين أسعدهم الحظ بمواكبة هذه الظروف، ما منا إلا وكان يرى أن مواجهتها في أن واحد لا يخلو من مجازفة، إن لم يكن من المستحيل، وإذا كنا جميعا نفخر بعظمة القائد وموهبته، وقدرته، فإن الجدل آنذاك كان يرى أن حل الأمور يتطلب ترتيبها على ساحة العمل ليبدأ الأهم فالأهم، ومن هنا أصبحنا نحن أبناء الشعب المغربي نقاجأ كغيرنا من الأجانب على المغرب، بتحقيق الإنجاز تلو الإنجاز، من خلال خطة عمل متكاملة، والآمال والأهداف، تدرس في أن واحد، وتوضع جميعها في أولويات مسيرة الدولة، فأصبح المغرب يحرر الأرض، ويشيد الجامعات ويبنى المصانع، ويحرث المساحات الشاسعة، ويقود المؤتمرات، ويخوض الحرب لصد المتسلطين، ويحقق الديمقراطية، ويركز العقيدة بنفس الخطى المتوازية، وكأنما كل واحد من هذه المكاسب هو الهدف الأول عند القائد الموجه، وهو الواجب المرتب على رأس لائحة الإنجاز عند المنفذين، ولا يستطيع المرء أن يمسك جميع عناصر المعادلة لتحقيق هذه الأهداف في مرحلة زمنية واحدة، ثم يخرج بنتيجة مركزة مبنية على تطبيق الإمكانيات على المنجزات، إلا ووجد أن اختلالا أساسيا حاصلا ولا مجال لتعويضه إلا عن طريق عبقرية الملك الباني والمخطط والأمر بالتنفيذ، والمنتج للناتج.

إن جسامه هذه المنجزات لا يمكن أن نجد أعظم منها في عمل أي عظيم إلا ما كان من نقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها في الفكر الحسني إنها حب جلالة الملك للسلام وعمله من أجله. وكونه لا يعادي في الدنيا إلا ثلاثة : الفقر، والجهل، والمرض.

وإذا أردنا أن نقيم الدليل على ذلك لرأينا الأمثلة كثيرة تمتد بنا مسلسلة من عنفوان شباب هذا الملك العظيم إلى اليوم، ففي سنة 1963، ولم يمر على توليته سوى سنتين وشهور، تدهور الأمن بمنطقة المغرب العربي، فواجه الاعتداء بالشجاعة، والقوة ليبرهن للعالم عن قوته، وشجاعة وبسالة قواته المسلحة، وقدرتها على استرجاع حقوق المغرب في وحدة أراضيه، والحفاظ على أمته وسلامة كل أجزائه من أي اعتداء مهما كان مصدره وسببه، ولما انتصر الجيش بفضل حنكة القائد الأعلى وحسن تسييره وتوجيهه دعت طبيعته الثابتة إلى حب السلم فأوقف الحرب، وترك الأمر للتفاوض وللاستجابة إلى رغبات الأصدقاء، تجاوبا مع تطلعات الأمة العربية إلى اليوم الذي تمنحي فيه الحدود، وتحل محلها الوحدة العربية الشاملة التي تجد جميع مقوماتها في المواطن والأرض والتاريخ واللغة، وتشابه المصالح والرغبة في العيش المشترك ومواجهة التكتلات الأخرى.

وتجلت أمام ملك السلام فكرة تمتيع شعبه بأول دستور عرفته الأمة المغربية عبر التاريخ، فتغلب حب الصفع والسلم على التناقضات التي أصبحت تعرفها ساحة الوطن، دون إغفال لمختلف الأيدي الأجنبية التي لم تنفك عن تغذيتها وتحريكها لفائدة زعزعة الأمن، أو إضعاف رباط الوحدة، ولكن ملك السلام، لم ينظر الأمر من زاوية تطبيق القواعد الزجرية على المخالفين، وجزاء السيئة بالسيئة، بل بالرحمة واللين والرفق والقوة والصرامة في الحق، استل من نفوس المغرر بهم غلظهم، وراجع للمتدردين صوابهم، وبسط لواء السلام، والأمن على شعبه.

وراهنت السلطات الاسبانية على مدينة إيفني، وأعلنت أنها على استعداد للدخول مع المغرب في حرب عليها وأثقلتها بمختلف الأسلحة، وأوصدت أذانها عن كل حوار، أو مفاوضة تهم المدينة المغربية السليبة وكاد ينفد صبرنا نحن المغاربة جميعا، وأصبح الرأي الراجح عندنا هو إشعال نار المقاومة من جديد لاسترداد إيفني والصحراء،

يسيرة ومليلية من الجار، الذي لا يهيمه الا بقاء سيطرته على أرضنا من منطلق قوة، إذا كانت لا تزعجنا، فإن عواقب المواجهة ستكون قاسية على هذا الجناح من دول العالم، وبالسلم والعبقرية ونبذ استنزاف طاقة الإنسان إلا في البناء، استرجع جلالته مدينة إيفني، دون إراقة أية قطرة من دم المغاربة، والاسبانيين.

وتعجرف الحكم الفرنكاوي وزمجر واستحدث كل الوسائل التي تمكنه من ابتلاع الصحراء إلى الأبد، وأحبك المؤامرات مع بعض الجهات على حساب المغرب كبلد مستقر، وعلى صحرائه كجزء منه، وطال الحوار، وتجلى صبر القائد العظيم أمام إلحاح شعبه وحماسه لخوض المعركة، مهما كان ثمنها غاليا حتى يسترد الحق الثابت المقدس، والذي لا يقبل التفويت، ولا النسيان ولا الترك ولا التنازل، وحتى يشهد الرأي العام الدولي على شرعية مطالب المغرب، أحال جلالته الملف على محكمة العدل الدولية، وما أن اطلعت على الحجج حتى أعلنت بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب عن طريق البيعة التي ستتكم نظريات القانون الدولي عنها لتثبت أنها هي أقوى عوامل وحدة الدولة آنذاك.

ورغم كل المعاكسات، والتهديدات، والتسللات العسكرية، فإن الملك الصالح المصلح صانع السلم ومحبه فضل صرف جهود المغاربة إلى بناء الصحراء، بدل الزج بهم في حرب بين الأشقاء، لن يستفيد منها إلا أعداء المغرب العربي.

إننا عندما نتذكر الوضع الذي أصبحت عليه الحالة السياسية بالشمال الإفريقي آنذاك، لابد أن نحكم كغيرنا بأن الصحراء أصبحت، ميدانا إما لحرب سيخوضها المغرب مع عدة جهات، وأقل أثارها تحطيم مكتسبات هذا الجناح من الأمة العربية خلال أجيال قادمة ان لم يكن إلى قرون، أو ان لم تكن ميدانا لحرب، فان استرجاعها أصبح يشبه

المتحيل نظرا لتعقيدات المؤامرات، التي حيكّت على حساب المغرب في شأنها، وامام جهود الاستعمار وتحركات المفرر بهم، وطموحات الطامعين المغرورين، وحشد ترسانات من مختلف الأسلحة المتطورة، أمام هذا كله ابتكر جلالته معجزة تاريخية عجزت لحد الآن الأفكار والأقلام عن وصف مبلغ عظمتها، برغم أن الكل أشاد بأنها ضربت المثل الأعلى في التثبيت بروح السلم والسلام وبعد التفكير والجرأة، والإيمان بالله والثقة بالشعب والصرامة في التطبيق، لبلوغ أبعاد الأهداف دون إراقة لنقطه دم، ولكن من خلال أضخم تعبئة تم عن إرادة شعب لا تقهر، وعندما فتحت الجارة أرضها لتسلل المعتدين فقد صبرنا نحن المغاربة هذه المرة أيضا وأصبحت بالنسبة إلينا الحرب هي الحل الذي سيجعل حدا لتسلط المعتدين، لكن تحكمت في جلالته روح السلم والإيمان، من منطلق القوة وأصر على أن الحل لن يكون حربا، ولكنه، سيقع من خلال حرب العواطف، ونوازع النفس لتحل المحبة محل التباغض والسلم محل القتال والبناء محل التخريب، وتترك الأجيال نهضة متطورة خدمت الأرض والإنسان بدل التخريب والتقتيل. وإنما يشاهد اليوم من تطور إيجابي يميز علاقتنا بالثيقة الجزائر، هو خير دليل على عظمة جلالته. وقبل الوصول إلى ساعة الحم فتح العظيم الحوار مع كل جهات الخصم إدراكا منه بأن الحق لا تفوته المذاكرة ولا يضيع مع الحوار، ولكنه يضيع بالسلبيات، والتخاذل وعدم معرفة الهدف، وصرف النظر عن الوسائل، فوضع بذلك القضية العربية في المسار الذي سيؤدي إلى بلوغ الهدف دون الكارثة. وها نحن اليوم، وقد فتح الملك العظيم أبواب قصره حتى للمتمردين من أبناء شعبه أصبحنا جميعا ندرك أن القائد الذي استرجع الصحراء بالسلم، وبنائها بالتفكير والتخطيط وحصنها بالحكمة والتبصر، سيستل فتيل التوتر من حدودها بعدم التفريط في الحق، وعدم السماح للمتهورين بإراقة دماء أبناء هذا الجناح من الأمة العربية التي يكفيها هموما، وآلاما ماتعانيه من مؤامرات لم يغب

العالم ضمن سياسة الحوار والمجادلة والتي هي أحسن حتى يرجع العدو وليا حميما، فلا مجال للحرب عند جلالة الحسن الثاني أيده الله ونصره الا في مواجهة التأخر والفقر، والجهل.

إن كل الذين تتبعوا إنجازاته وعطاءاته ملزمون بالوصول إلى هذه النتيجة التي توجهها بمؤتمر مراكش لقيام اتحاد دول المغرب العربي، ثم المؤتمر العربي الاستثنائي بالدار البيضاء خلال السنة الفارطة وهما مؤتمرات ترجما جهوده الإقليمية والدولية، حيث استل بواسطة الأول فتيل التوتر من شمال غرب إفريقيا بعد أن أوشك أن يقع في مأساة الحرب، ووضع الثاني مسار السلم في لبنان في مساره الصحيح بعد حرب لا تبقي ولا تذر.

☆☆☆

بعد هذا الاستعراض الذي ترك كثيرا من أعمال جلالة السليمة، في أحلك ظروف التوتر والتي واجهها صاحب الجلالة بالهدوء والصبر والحكمة وحلها بسلام وقوة، على العالم أن يشرف جائزة نوبل للسلام بإعطائها لأعظم دعاة السلام جلالة الملك العبقري أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله وأيده وخلصه في الصالحات ذكره.

الرباط - حمداتي شبيهنا ماء العينين

عنها كثير من الجهات القوية في العالم وإن كانت إهانتها وجهت للعرب عبر إسرائيل.

وعن موضوع الصهيونية والعرب سيقف التاريخ طويلا مشيدا بجلالة الملك الحسن الثاني، الذي نظم أول مؤتمر إسلامي عقده قادة الدول الإسلامية سنة 1969، ولم تشهد الساحة الإسلامية مثله بعد عهد الرسول ﷺ، تم فيه اتخاذ كثير من الاجراءات لضمان سلامة القدس الشريف، وتعاقبت من بعده المؤتمرات الإسلامية والعربية في المملكة المغربية، التي أصبحت بفضل عبقرية جلالة الحسن الثاني مركز إصدار القرارات البناءة، واللموسة والقابلة للتطبيق دوليا وعربيا، ليضمن عن طريقها الحق العربي مجسدا في قرارات مؤتمر فاس ومبلورا ومبلغا للعالم عن طريق لجنة القدس برئاسة جلالتة، فطوق بذلك استحواذ الدعاية الإسرائيلية على مختلف جهات القرار الدولي، وفتح عيون العالم على الحق العربي في صورته الواقعية العادلة الباحثة عن السلم مع ضمان استرجاع الحق.

لقد أدركت الإنسانية اليوم أن جلالة الملك العظيم الحسن الثاني لا يريد استخدام مواهبه وتطبيق معارفه وبذل طاقاته العظيمة، الا في تحقيق السلم في شتى ربوع

بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين
لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
على عرش أسلافه المنعمين :

فَاهُنَا فَا نَتُّ بِبَارِكِ وَسَوْفِي

للشاعر الاستاذ عبد الكريم التواقي

والأرض جذلي روعة وتألقت
بأوقات حب بالبراءة أشرقنا
نشوى تغني للحياة تشوقنا
وسواد أعينها الأثير المنتقى

أعياد عرشك حلة لن تخلقنا
والكون من هالاتها قد روقنا
عفوا، ولكن حسنه بك حقا
ل زهوره، وحمالك كان الجوسقا

الشعب فيك نضا العذار ومزقا
سكري، وغرد للحياة وصفقا

يمن، وعييدكم التمام والرقى
بركاب عرشك، والقضا قد أرفقا
أحدثه، والله ربك صدقا

الكون ازهر والوجود تائقنا
ودنى الربيع : ورودها وزهورها
والشعب في حلل البهاء، حشوده
تهفو بعيدك، يا حبيب قلوبها

حسن الشمائل والمكارم، إنما
الروض هام بها، «أذار» احتفى
ما اختار «أذار» حماك مرابعا
فيداك وبل سحابه، ورضاك ط

«أذار»، يا شهر المسرة والهناء
الشعب فيك ترنحت أعطفاه

يا أيها الحسن المثني، عهدكم
آلاء ربك والعناية حفتنا
والدهر - يا حسن - بسعدك نبأت

أن الزمان بما تريد تمنطقا
ولقد هدفت، وكان قصدك موثقا
ودنى الريع سواك لن تتمشقا
حيث ركابك، طاعة وتعلقا
يجبوك عذب زلاله متدفقا
متأودا، مترنحا مترقرا
الروض رتلها نشيدا شيقا
حسن، وحسنك لم يزل بك ريقا

أمجاد عرشك ما سواك لها ارتقى
ورست ركائزه وعزت مرفقا
فينا ينايع الوفاء، وطوقا
وقلوبنا لك بالوداد ووثقا
أحناؤنا وتفيض حبا روقا

الله خارك للصلاح ووفقا
وتسن دستورا لها لن يخرقا
الله أكبر والسماحة والتقى
مثلا لكل المكرمات ومصدقا
الأرض مغربها يباري المشرقا

ورفعت أطاماتنا هت روتقا
جدلى، تباهي في السناء (الأبلقا)
والموج يرقص فارجحا ومصفقا
تيهان صب : عزة وتفوقا

أحييت مناهجها تعاليم التقى
للدين نبع، للمعارف ملتقى

أيامك الغر الحسان شواهد
ولقد أردت، وما تريد ضلالة
فمدى الزمان بك الحياة حفية
أطيأرها، غدرانها، ورياضها
ود الغدير، لو استطاع رحيقه
وأسر عرشك - مخلصا - أشواقه
وهفا وأرسل دفته أغرودة
فلأنت يا سحر الحياة، وحسنها

يا من به تزهو الحياة وتحتفي
عرش بأحمد، وطدت أرحامه
مغناه - يا حسن - وبرك فجرا
أعناقنا لك بالولاء عقيدة
فبعيد عرشك - يا العرشك - تحتفي

يا خير عترة أحمد وحفيده
فمضيت ترسم للحياة مجالها
العدل أس بنود، وشعاره :
تتري عوارفك الحسان، ولم تنزل
ما المغرب الأقصى تفيأ ظلها

للدين شدت مساجدا ومعابدا
طالت منائرهما السما مزهوة
والبحر يسجد داخرا لجلالها
والأطلسي بمزهرات قبابها

ورفعت للعلم (الأصيل) معاهدا
والجامع القروي أشرق شامخا

أي الكتاب بسوحه شبابه
تاهت منابره بأعلام الهدى
نجت منابره العذاب وأينعت
وحلا الجنى، وددت قطوف غراسه
يا حسن ما يتلى، وما يلقي به

يا من تحدى النائبات وما وهت
آليت تحمي للبلاد حدودها
فمضيت - والقدر اللطيف مبارك -
سلحتها بالصالحات وحطتها
والله بارك ما رأيت، وما ترى
ودعوت شعبك للجهاد، فما ونى
آلاء عرشك دغدغت أحلامه
ورأى النماء، ظليلة أفيائه
ورأى السلام، بنوده منشورة
وحماك - يا حسن - مرابع أمل

ومضيت، والشعب الأبى مجنونة
لمسيرة خضراء، ما إن شامها
فتحا من الرحمن كانت، عاش من
كانت معابر للخلاص، فخضتها
خسئ العداة، صغار ربك نالهم

صحراؤنا غدن، وجاحم قيظها
كثبانها الصفراء، نضار عرائس
ورياحها الهوجا نسائم روضة
أوليتها حسن الرضى فازينت

وحديث (طه) في حماء منتقى
والعقل بارى - في الأداء - المنطقا
أثمارة، والكرم فيسه أورقنا
وزهت حدائقه وماست رونقنا
درر تناهت روعة وتألقتنا

عزماته، اعظم بعزمك مرفقا
برت يمينك، والمهيمن وفقنا
تبنى وتنشئ أمة لن ترهقنا
برا، فما أغلى البرور، وأخلقنا
والله زكى ما تروم وصدقنا
كلا، ولكن للنداء تدفقنا
فرأى المحال المستحيل محققنا
ورأى الرخاء وقد نما وتعملقنا
والأمن ضاف والهناء تحققنا
ولكل عشاق الفضائل ملتقى

والله جل جلاله، نعم الوقي
إنس، ولا جن نواها مطلقنا
خطت يده نظامها أو خندقنا
وبلغت قمتهما وكنت محلقتنا
وأملت شعبك مبتغاه الأوفقتنا

ظل يداعب ماءها المترقرقنا
السهل عانق في مواكبها النقا
مخضلة الأفتان نجت غيدقتنا
وكذلك أفعال المثنى المنتقى

الله وحده دينه والمنطقا
قد وطدا أسس البناء ووثقا
وبذلت جهد المستميت موقفا
وعليه قد عقدوا اليقين مسبقا
وأقمت أسس الأبناء وملتقى
والله كان شهيد ما قد وثقا

المغرب العربي شعب واحدا
أهدافه العليا، ووحدة عرقه
فدعوت - يا حسن - لوحدة صفه
ونجزت أعظم ما تمنى أهله
أنجزت وحدة أرضه وشعوبه
مراكش الحسناء كانت مرصحا

في آل (طه)، ليس ذاك تحذلقا
وملكت منهها المنتهى والمرتقى
وأراك تقطع شوطهم متفوقا
أن لا ينوء بها السرى أو ترهقا

وفقت يا حسن، وتلك سجية
فعلوت من قم السناء سنامها
وبلغت ما بلغ الملوك بملكهم
وأرى مواكبهم وراء ركيبك ترتجي

أو أن يجارى عزمكم أو يلحقا
ولقد حباك من المواهب غيدقا
يا من به لطف المهيمن أحدقا

هيات - يا حسن - تقل شباتكم
الله خارك للعظائم واصطفى
فاهنا، فأنت مبارك وموفق

فاس - عبد الكريم التواتي

للشاعر الأستاذ الديني الجزائري

مَسْجِدُ لِلاَسْكِينَةِ

ويا نفحة من أريج الجنان
كريمة عرش حصان رزان
سما بمكارمه الحسان
لجد حبك عظيم الحنان
وبشرى أطلت بسعد الزمان
وفتح شفى كل قاص ودان
غداة تناجى به المغربان
ملائكة حلقوا في العنان
إلى عرشنا مثل كنز يمان
ولاء قديم، وحرز المكيان
فهم في حماننا ضمان الكيان
أعز البلاد، وشاد وزان
يداه، وما صدتا من هوان
فقرت على أسس من معان :
بسر الكتاب، ولحن الأذان
إذا أشرع البغي نصل السنان
وعن عدها كل نطق اللسان
وفوق البحار، وفوق القنان

سكينة ! يا بسمات الأمان
ويا درة من سنن الاحرة
لها نسبة الطهر من معدن
ويا قرة العين، بل نورها
فأنت لخطا طره راحة
وفجر السلام، وعهد الإخاء
فبورك موكبك المرتضى
تزفنه في ألح عاطر
وأهدوك يا درة من صفاء
هو العرش، في كل قلب لله
بنو الحسن الغر أقماره
عصائب من هاشم كلهم
وادريس يا طيب ما غرست
بنى دولة المجد في أرضنا
على ملّة أنجبت أمّة
ودرب الجهاد لها مهيع
ملاحمها من نسيج الخلود
ففي كل أفق لها موقع



وكالموج أمجادها لم يزل
تروع العسدي، وتسرع العلى
لها مدد زاخر كل آن
ويعشقنا سرها بافتتان

☆☆☆

وهذا الهمام الأبي الرضى
وجدد تاريخنا، فاستوى
فمما إذا أحبر في حسن
فجار القريض، وكل البيان
تحدى بها كل ذي فطنة
أقام وأقعد أهل الحجى
كذا يرفع الله من خصه
فبورك مولاي ما أبدعت
ودامت لعرشك أعياده
ترى في بنيك السذي ترتضي
وحسب الورى منك أعجوبة
هي المغرب العربي السذي
طلعت به، والندنا كلها

أجاد السباق، فحاز الرهان
كأنه في جدة العنفوان
وقد ظهرت شمسه للعيان
وهالتهما معجزات حسان
فلاح بها نجمه، واستبان
وحير من رامه؛ فاستلان
بسر، ومن بهداه استعان
نهادك، وما بذلته اليان
وأنت مصون سعيد معان
وتأمل، لا سيما الفرقان
تعجب من كنهها الخافقان
نجحت به في أشق امتحان
تراه محالا بعيدا فكان

☆☆☆

سكينة ! يا حسن ما ألهمت
فيا بشريات المنى والسعود
رعاك الإله، وقلب المليك
ومسجدك اليوم في غبطة
لجذك فيه ثواب جزيل
وباسمك توجّه فاعلى

قريضي معانيك حسن البيان
تعيشين يا نبضة من حنان
يصونك فيه الرضى والأمان
يخلد ذكرك عبر الزمان
وقصد نبيل، وسر يصران
وتاه، وتمت له الحسنيان

الرباط - المدني الحمراوي

تكريم الأبطال و تمجيد البطولة

للدكتور عبد الله العمراني

الاسكتلندي)، وأخيرا تحدث عن البطل في صورة ملك
الدكتاتور الانكليزي أوليشر كرومويل، والامبراطور
الفرنسي نابوليون بوناپرت).

وإذا عرجنا على شبه جزيرة العرب، وألقينا نظرة
على أحوال العرب قبل الإسلام، ألفيناهم يفرحون
ويستبشرون لنبوغ شاعر فيهم، فيحتفلون به احتفالهم ببيروز
فارس مغوار بين ظهرانيهم، لأن الشاعر (هو لسان حال
العشيرة أو القبيلة، يذيع أخبارها، وينشر أمجادها ويشدو
بمكارمها. أما الفارس فهو حامي حماها يذب عن كيانها
ويصون كرامتها، ويحول دون الحط أو التنقيص من شأنها
بأي حال من الأحوال.

أما إذا ألقينا عصا التسيار بمنبت البطولة أرض
الوطن، فإننا نجدها أنبتت أبطالاً عديدين عبر تاريخها
الإسلامي المديد. وأول أبطالها البارزين طارق بن زياد
الليثي فاتح الأندلس، وثانيهم إدريس الأول مؤسس
العرش المغربي العتيد وثالثهم يوسف بن تاشفين سيد
البرين وموحد العدوتين : المغرب والأندلس. يليهم
الأبطال الملوك العظام : عبد المومن بن علي موحد
بلدان الغرب الإسلامي، وأحمد المنصور الذهبي فاتح
السودان الغربي، ومحمد الخامس زعيم الاستقلال
المسترجع، والحسن الثاني محرر الصحراء المغربية.

يحتفل الشعب المغربي بعيد جلوس البطل الحسن
الثاني على عرش المغرب العتيد، مؤسسة إدريس الأول
(172 - 177 هـ)، ومقعدة سائر الأبطال ملوك المغرب
الأمجاد... لكن، من هو البطل ؟ وما هي معايير
البطولة ؟ بالرجوع إلى الماضي السحيق، واستفتاء الشاعر
الإغريقي العظيم، زعيم الشعراء الملحميين هوميروس
(حوالي 850 قبل الميلاد) نجد الأبطال في رأيه هم الملوك
والأمراء والقواد والزعماء وكل من برع أو برز في ميادين
القوة والشجاعة والحكمة والحكمة.

فإذا انتقلنا نقلة سريعة عبر الزمان والمكان، وحططنا
رحالنا في رحاب القرن التاسع عشر الميلادي، وجدنا
الكاتب الانكليزي الشهير طوماس كارلايل (1795 -
1881) ألف كتابه Hero Worship عن أبطال اختارهم ذوي
مواهب معينة، ومن بيئات مختلفة، فتحدث عن البطل في
صورة إله (في المجتمعات الوثنية) وعن البطل في صورة
رسول (اختار من بين سائر الأنبياء والرسل محمد بن عبد
الله عليه الصلاة والسلام)، وكتب عن البطل في صورة
شاعر (دانتي الإيطالي، وشكسبير الانكليزي) والبطل
في صورة قيس (مارتين لوثر الألماني) وكتب عن
البطل في صورة كاتب (صمويل جونسون الانكليزي،
وجان جاك روسو الفرنسي، وروبرت بارنز

ثم نجد هذه الأرض المعطاء، قد أنتت من غير الملوك والأمراء أبطالا يصعب عددهم ولكن لا يعسر التمثيل لهم بمثل الشريف الإدريسي، وابن خلدون، وابن بطوطة، وغيرهم ممن لا يستحقون التكريم وإقامة الحفلات فحسب، بل يستأهلون إقامة الأنصاب التذكارية، ونحت التماثيل الفنية. وإذا كان الإسلام حرم نحت التماثيل في البداية، فلخشية عبادتها كما كانت تعبد الأصنام. أما وقد أصبح هذا الاحتمال منعذما، فالرأي الوجيه - فيما أعتقد - أن يعاد النظر في الأمر، وخصوصا أن القاعدة الأصولية الثابتة تنص على أن (الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما).

فاتح الأندلس : من هو فاتح الأندلس ؟ هل نعرف شيئا ذا بال عن حياته قبل الحملة المظفرة ؟ أم أنه مثل عدد غير قليل من عظماء التاريخ الذين نجعل الكثير عن حياتهم الأولى ؟ ولماذا ؟ لأننا في هذه الحالة بالذات، نعرف أن العرب المسلمين في القرنين الأولين من فتح الأندلس كانوا لا يهتمون ويعتنون إلا بتدوين العلوم الدينية والشريعة. أما الحقائق التاريخية والوقائع الحربية فلم يكونوا يدونونها، بل كانوا يتناقلونها مشافهة، ويحفظونها عن ظهر قلب، ويروونها خلفا عن سلف ذاكرين أعمالها وأعوامها وأعلامها وأنسابها. ثم إن الرأي العام العربي في هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام لم يكن بحاجة إلى تدوين التاريخ، ولم يكن المجتمع العربي قد توفر على نساخين هواة أو محترفين.

لهذا لا نعجب حينما نقرأ في كتب بعض المتأخرين أن اسم فاتح الأندلس هو طارق بن عمرو، أو أنه فارسي من «همدان»، أو أنه مولى لموسى بن نصير أسلم على يديه سنة 88 هـ، وأن موسى هو الذي ولاه قيادة المغرب سنة 89 هـ (708 م)... كل هذا هراء ممن لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن اسمه الكامل، ونسبه الحقيقي، وموطنه الأصلي، كما لم يدققوا معنى كلمة «مولى» التي هي في الواقع اللغوي من المشترك اللفظي، وتعني فيما تعنيه : المالك،

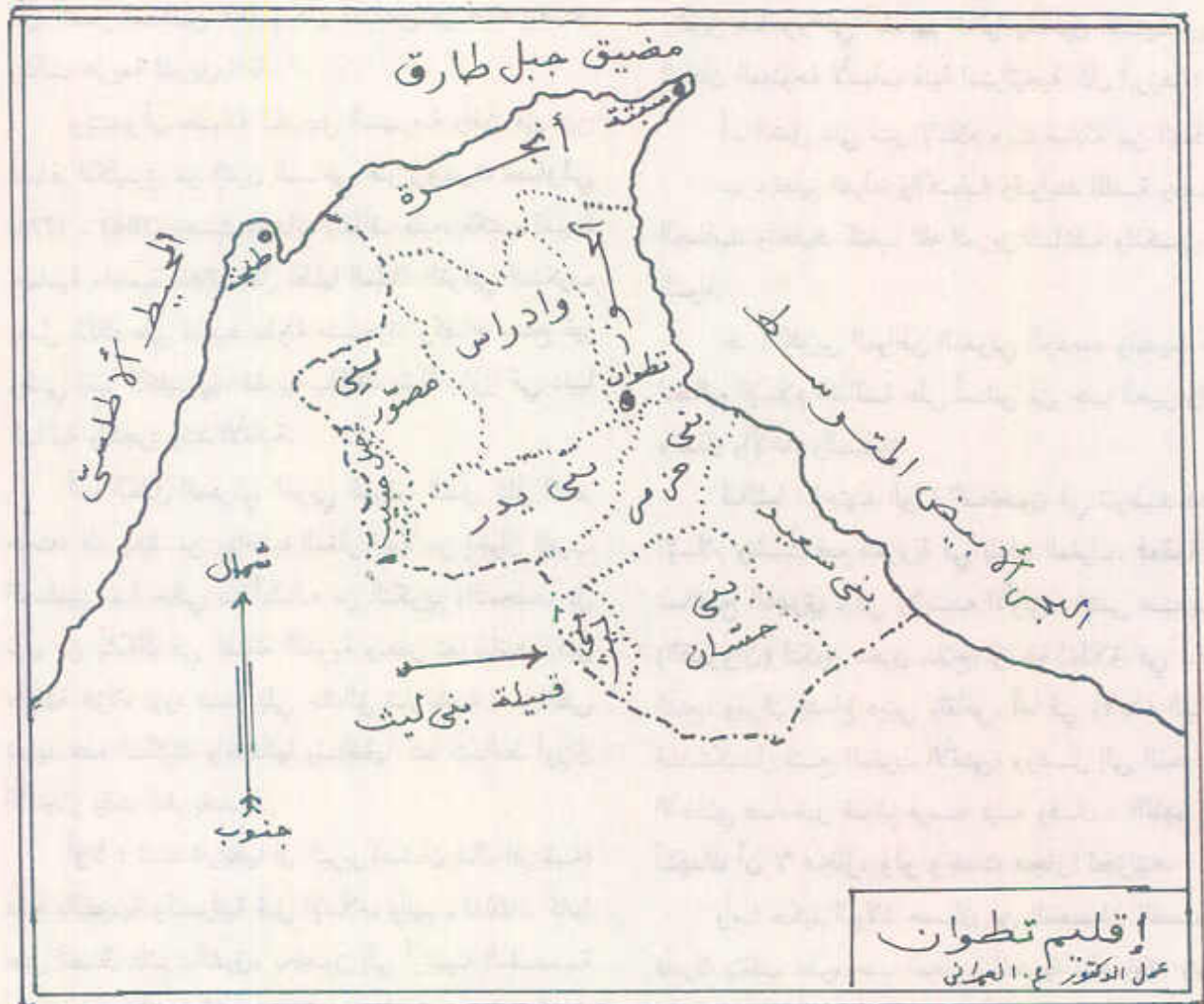
السيد، العبد، المعتق (بكر التاء)، المعتق (بفتحها)، كما تعني العم، ابن العم، الصاحب، الناصر، الحليف، الجار، الصهر، القريب، الولي، التابع، المرءوس... على أن عقب طارق بالأندلس كانوا ينكرون ولاء موسى أشد الإنكار. ربما لأنه هو نفسه كان يعتبر مولى لوالي مصر عبد العزيز بن مروان عم الخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان.

مهما يكن من أمر، ففاتح الأندلس هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم المنتمي بدوره إلى نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الملقب بالأبتر، فهو إذن من البربر البتر، وهو أيضا ليثي من قبيلة (بني ليث) الواقعة حاليا ضمن إقليم تطوان من أقاليم المملكة المغربية. وينتمي بنو ليث هؤلاء إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمه. قدم الرعيل الأول منهم مع المجاهدين الأوائل، وانتهى بهم المقام إلى هذه الناحية من شمال المغرب فاستوطنوها واستأنسوا بمناخها وهوائها ومائها وبطبيعتها المتميزة عن الطبيعة الصحراوية لشبه الجزيرة العربية.

سير الحملة : وهنا نقسح المجال لمؤرخ أجنبي محايد من القرن الماضي ليصف لنا سير الحملة قائلا ما ترجمته :

«أرسل موسى قائده طارقا في أبريل 711 (92 هـ) ليقود حملة ضد إسبانيا، حط في «جبل طارق»، ومضى برا إلى ضفاف «وادي الليثي» حيث اشتبك في عراك عنيف مع ملك القوط لذريق. قهر القوط تماما، وهلك ملكهم في مياه «وادي الليثي». ووقع مجموع إسبانيا الجنوبية تحت رحمة المنتصرين. (موسوعة شامبرز، المجلد 6، ص 638).

وفي المجلد الثامن ص 290 نقرأ ما يلي معربا : «العرب والإسبان متفقون بالنسبة لوقت الهجوم وكيفيته، بيد أن الإسبان يعتبرون أن العرب ورتطوا الكونت يولييان في خيانة عظمى، إذ جعلوه يسلم لهم - عن طواعية - مدينة سبتة وهي مفتاح القطر، ويرشد الثلاثة عشر ألف مغربي وعربي بقيادة طارق صوب إسبانيا.



«تقابل الجيشان على ضفاف» «وادي الليثي»
 القريب من مدينة (شريش الحدود). وبدأت المعركة يوم
 17 يوليو 711 (26 رمضان 92). كان لذريق يقود وسط
 جيشه، بينما كان يقود جناحيه ابن الملك المخلوع
 غيطشة Witiza وبقيت نار الحرب الضروس مستمرة مدة
 ثلاثة أيام، نشبت خلالها معركة شخصية بين لذريق وبين
 طارق، وهي نوع من تصفية الحسابات، كان يكثر وقوعه
 في تواريخ الشرق. قتل لذريق، واحتز رأسه لينط ويرسل
 إلى موسى (بن نصير). غضب المسيحيون لمقتل ملكهم،

«أرست الحملة في الجزيرة الخضراء يوم 28 أبريل
 711 (5 رجب 92). ورغم المقاومة الصارمة التي أبدتها
 حاكم الأندلس، واصل طارق تقدمه هازما خيرة فرسان
 لذريق الذين أرسلوا لصدده. بادر لذريق - الذي كان ينازل
 مناوئيه في بلاد البشكنس باسبانيا - فقدم على رأس
 جيش يتراوح عدده بين خمسين ألفا ومائة ألف جندي
 لمواجهة الغزاة الذين كانوا في هذا الوقت قد تعززوا بنجدة
 جاءتهم من افريقية، وبشوار ناقمين بلغ عددهم خمسة
 وعشرين ألفا.

فحاربوا بضراوة خلال ستة أيام أخرى، ولكن دون جدوى، لأن انتصار المسلمين الحاسم كان قد أعلن عن نفسه بنفسه. وكانت هزيمة لذريق تامة.

ويبدو أن بطولية لذريق المنهزمة راقت في عين شاعر انكليزي من القرن الماضي هو روبرت ساوثي (1774 - 1843) ومست وجدانه وشغاف قلبه، فكتب قصيدة حماسية ملحمة Epic جعل بطلها الملك القوطي المنكوب فعمل بذلك على تمجيد بطولية مندرحة، وكفاح مسلح غير وطني (غير انكليزي)، فضرب بذلك مثلا بارزا في دنيا المثالية والتجرد ونبذ الأنانية.

أما البطل المغربي العربي المسلم، الذي كلل النصر هامته، فلم يحظ من مواطنيه المغاربة ولا من إخوان العرب المسلمين بما حظي به أمثاله من التكريم والتمجيد. بل نرى من يشكك في كفاءته اللغوية وبعض تصرفاته. وقبل مناقشة هؤلاء نورد فيما يلي حقائق تاريخية تعمل على تبديد هذه الشكوك واختفائها وتساقطها كما تتساقط أوراق الأشجار وقت الخريف.

أولا : ثبت تاريخيا أن البربر (سكان شمال افريقية) دانوا باليهودية والنصرانية قبل الإسلام، وأنهم - لذلك - كانوا على اتصال دائم بالشرق، يحجون إلى أراضيه المقدسة ويسمعون عن قرب ظهور ديانة جديدة. وحتى إذا ظهرت اعتنقوها على أيدي الرعيل الأول من الصحابة وانتموا - بالولاء - إلى أفراد منهم مشهورين، مثل علي بن أبي طالب الذي انتمت إليه (صنهاجة) بالولاء، ومثل عثمان بن عفان الذي انتمت إليه (مغراوة) بالولاء أيضا. (العبر لابن خلدون ج 6 ص 153).

ثانيا : الطول غير العادي الذي استفرقتة عملية الفتوح بشمال إفريقيا، كان الرافد الأول من روافد النمو الديموغرافي والعامل المهم من عوامل المزج الاجتماعي

(1) ينتمي المصامدة إلى مصمود بن برنس. وهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم عددا، وقسمهم ابن خلدون إلى :
أ - مصمودة (فسارة) وهي التي تقع ضمنها قبيلة ابني ليث) مسقط رأس الفاتح العظيم طارق بن زياد الليثي.

والانصهار الإثنوغرافي، وذلك لأن المجاهدين الأوائل والذين هاجروا في أعقابهم كانوا يفضلون الاستيطان في البلدان المفتوحة لأسباب فنية استراتيجية كان أبرزها :

أ - العمل على نشر الإسلام وبث مبادئه بين السكان.
ب - تعليم القراءة والكتابة وقواعد اللغة ومبادئ الحساب، وتحفيظ كتاب الله العزيز للناشئة ولل كبار على السواء.

ج - تكوين المواطن المغربي الجديد، وتهذيبه طبقا لتعاليم الإسلام القائمة على أساس من حب الخير والحق والعدل والإخاء والمساواة.

ثالثا : اجتهد الولاة الفاتحون في توطيد دعائم الإسلام وتثبيت قدم العروبة في بلدان المغرب، فعقبة بن نافع الفهري - في ولايته الأولى - ابني مدينة (القيروان) لتكون مخزن سلاح، ونقطة انطلاق في عملية الفتح، ومركز إشعاع ديني وثقافي. أما في ولايته الثانية فاستكمل فتح المغرب الأقصى، ووصل إلى المحيط الأطلسي فأدخل قوائم فرسه فيه وقال : «اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازا لجزت».

وأما حكيم الولاة حسان بن النعمان الفساني فأدرك بثاقب نظره حب المغاربة للحرية والمساواة، وعرف شغفهم بنشر الدين الجديد، فأشركهم في عملية الفتح والنضال ضد الروم ومرتدي البربر، وفرض عليهم تخصيص اثني عشر ألف مجاهد، يأترون بأمر قواد منهم، مثلهم في ذلك مثل العرب أنفسهم.

في مثل هذه الظروف، برز القائد البربري العظيم طارق بن زياد الليثي، فعينه الوالي حسان حاكما على طنجة، وأمره على جنود المصامدة⁽¹⁾ الأشاوس. ولما تولى موسى بن نصير على شمال إفريقيا، ثبت طارقا في وظيفته القيادية هذه، فأبدي من ضروب المهارة

ب - مصمودة (برغواطة) ومواطنهم ببساط المحيط الأطلسي الممتدة من مدينة (سلا) شمالا، إلى مدينة (أسفي) جنوبا.
ج - مصمودة (جبل درن) أي جبال الأطلس الكبير بالسوس.
(العبر : ج 6 ص 206 - 1207).

والشهادة والفروسية والكفاءة والافتقار، ما أهله لتولي مهمة فتح الأندلس دون غيره من قواد العرب، وكان هذا التعيين يحصل لأول مرة في تاريخ الفتوح الإسلامية، كما كان تكليفاً لطارق، قبل أن يكون تشريفاً، يحظى به هو وقبيلته التي أنجبتة.

ويفضي بنا الحديث الآن لتبديد الشكوك المشاركة حول إحراق طارق للسفن، وحول خطبته الحربية الشهيرة : قضية إحراق السفن : لما تم نقل الجنود في السفن الأربع التي قدمها الكونت يولييان للحملة، أمر قائد الحملة طارق بإحراق السفن، لئلا يترك للمجاهدين أية فرصة للتفكير إلا في الصبر، والمصابرة، والثبات ونبيل إحدى الحسينين : النصر، أو الشهادة في سبيل الله... ولكن بعض الإخوان ممن يعشقون المخالفة، ويتوقون إلى «التجديد» و«التشكيك» ولو كان ذلك على حساب تراثنا الإسلامي المجيد، أبوا إلا أن يشككوا في القضية ناسين أو متجاهلين :

1 - أن عملية الإحراق أصبحت من الحقائق التاريخية التي هي بمثابة معجزات الرسل يجب الإيمان بها، ونبذ الشك فيها أو إنكارها بحجة عدم مشاهدتها، والمشاهدة ممكنة للمعاصرين الحاضرين المتحدين وغير ممكنة للبعدهاء الغائبين.

2 - أن فاتحاً إسبانيا حديثاً من القرن 16 - هو «هرناندو كورتين» قام بما قام به طارق في القرن 8، فأمر بإحراق سفنه حين هاجم - وجنده - بلاد المكسيك سنة 1519.

3 - أن عملية الإحراق كانت ضرورية، لأن الموقف وظروف الحرب كانت توحى بذلك، وما كان للكونت يولييان أن يعارض.

قضية الخطبة : شكك «المجددون في صدور خطبة طارق عنه، لأنه في زعمهم حديث عهد بالإسلام

وبالعربية، ومن ثم لا يمكنه أن يخطب في جنده البرابرة تلك الخطبة الشهيرة التي لا تعدو في نظرهم إلا أن تكون منحولة أو مدسوسة كلا أو بعضاً... وتقول لهؤلاء إن طارق لم يكن حديث عهد بالإسلام والعربية، بل كان متمرساً بهما حين تولى موسى على المغرب كما ألمحت إلى ذلك الحقائق التاريخية السابقة. ثم إن الرغبة في الإسلام وإتقان لغة القرآن، يضاف إليهما الإرادة القوية والذكاء، كل ذلك كان يمثل الأسلحة التي تسلح بها هذا البطل في تذليل أية صعوبة تصادفه. ومن الغرابة بمكان أن يستكثروا هؤلاء (المشككون) أن يحبر طارق خطبة، ولا يستكثرون عليه اقتحام قارة، وفتح جزء غير يسير منها. ولعل هؤلاء المشككين نوا أن طلبة شرقيين جاهلين بلغات أوروبا، يذهبون إليها لنيل الدكتوراة، فيدرسون اللغة سنة ثم يشرعون في تحرير رسائلهم الجامعية التي لا تسمح الجامعات الإسبانية - مثلاً - بأن تحرر إلا باللسان القشتالي. فكيف يصنع هؤلاء ؟

ثم ألا يعلم هؤلاء المشككون المجددون أن خطبة طارق الحربية لا يماثلها في تاريخ البشرية الطويل إلا خطبتان شبيهتان بها من حيث الظروف والأسلوب والهدف ووسائل التشويق والإغراء، إحداهما للقائد القرطاجي العظيم (حنا بعل)، خطب بها في حملته على إيطاليا (من الشمال) في إحدى الحروب (البونية) المعروفة. والأخرى لنابليون قالها في حملته على إيطاليا أيضاً.

ويحلولي أن أختم بما قاله الدكتور نقولا فياض في كتابه القيم الخطابية (طبع إدارة الهلال بمصر سنة 1930، صفحة 130). قال لا فض فوه :

«ومن أجمل الخطب العسكرية خطبة طارق بن زياد قبل فتح الأندلس، وخطبة نابليون في حملة إيطاليا. وبين الخطبتين كثير من الشبه، كأن روحاً واحدة أوحى إلى البطل العربي، والقائد الكورسيكي تلك الكلمات النارية الساحرة».

تطوان :. الدكتور عبد الله العمراني

أدب العرش

بين
المناسبات
والالتزام

لدكتور محمد العثماني

غرض الشاعر الرئيسي، وهو إما غزل ونسيب، أو ذكريات أثارها الأطلال وديار الأحبة، أو شكوى الزمان المشتت بين الأحباب، وما إلى ذلك مما يلئم البيئة والحياة، وهي تختلف باختلاف الظروف والحالات النفسية للشاعر.

- الجزالة اللفظية بحيث يكون الأسلوب يتسم بالطبيعية والبساطة وفصاحة الكلمة وتأثير جرسها، ودلالاتها على المعنى العالي.

- إجادة التشبيه وأساليب المجاز.

- التزام القوافي وعدم تنافرها واضطرابها في موضعها.

- حسن التخلص لذكر المخاطب مع حسن الاستهلال.

- مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو أصل البلاغة في

جميع اللغات.

هذه بعض ملامح عمود الشعر العربي القديم، ثم جده أعلام البيان في العصر العباسي كما هو معروف، حينما بلغ الشعر العربي قمة بيانه مع أبي تمام وابن الرومي والبحتري والمتنبي والمعري وآخرين، كل حسب طريقته في الأداء والإبداع.

☆☆☆

وفي هذا العصر جاء ما يسمى بالمدرسة الرومنسية، وهي نزعة يراد بها التحرر من قيود الثوابت التي جعلوها

لا يمكن للباحث في الأدب أن يتحدث عن نزعة جديدة فيه دون أن يذكر ما سبقها أو لحقها من النزعات الأخرى، بهدف التفسير بالمقابلة بين الأضداد، ومحاولة توضيح مصطلح بذكر خصائص مصطلح آخر، وبالأخص إذا كان هناك تداخل واشتراك في الخصائص ودوائر الحدود.

الالتزام في الأدب مثلاً هل هو منفصل عن الكلاسيكية التي عمرت قروناً، ثم لحقتها الرومانسية التي عرفت في أوربا أول ما عرفت منذ أوائل القرن التاسع عشر، ثم انتقلت إلى الشرق العربي مع بداية القرن العشرين.

فإذا كان عمود الكلاسيكية معروفاً حدده النقاد الأقدمون كابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) وأبي هلال العسكري صاحب «الصناعتين»، وعبد القاهر الجرجاني صاحب (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة)، وضياء الدين بن الأثير في كتابه (المثل السائر)، وإن لم يتفقوا كلهم على تعريف جامع مضبوط لذلك العمود لكون التطور الشكلي يلحقه في كل عصر، تبعاً لاختلاف أنماط السلوك ومستجدات الحياة، ولكنهم اتفقوا على الأصول والثوابت فذكروا من بينها:

- التزام مقدمة في مطلع القصيدة قبل التخلص إلى

(بانتماي إلى الحزب الشيوعي تحددت معالم
طريقي.

وازدادت رؤيتي وضوحاً.

إن النظام الاشتراكي يفهم ويراعي نزعات الفنانين
إلى الكمال).

فقلت في نفسي : إلى هنا وصل الفن والالتزام ؟ إلى
هنا وصل الجمال الفني ؟ هل هذا صحيح ؟ ثم استدركت
فقلت على هامش هذا الخلط الهستيرى :

ولكن (سخاروف) وهو العالم الواعي لم يقل هذا، بل
تنبه لفساد المذهب المادي الإلحادي فسخط عليه الحكم
الشيوعي السابق، بالرغم من كونه عالماً روسياً مخترعاً
لأفتك سلاح، ولقائدة ذلك الحكم، لم يقل إنه يراعي الفن
ولا حتى العلم... بل قال العكس.

ومثل هذا، ذلك الالتزام الاستلابي الذي دأب عليه
الطاهر بن جلون حتى حصل على جائزة (كونكور)
كمكافأة له على نشر غسيل المجتمع المغربي، وجعل بعض
المقدسات الإسلامية مستهدفة لعبثه واستهزائه، رامزاً لها
بـ : (ليلة القدر) أو الليلة المقدسة، ومع ذلك طبلنا له
وزمرنا تبعاً للأجانب الذين يسرهم أن ينجم مارقاً من
غيرهم يغير على قيم الإسلام، ويقول فيها مالا يتجرأ
عقلاؤهم على قوله، لأنه يخل بمروءة الإنسان الواعي
المثقف.

لماذا لم يبذع قصة أروع في ليلة الميلاد، وما يقع
فيها من مبادئ وفجور واختلاط حيواني في الدقائق التي
تطفأ فيها الأضواء... ليرى هل يكافئونه أو يكفونهم عن
الثرثرة ؟

إن الالتزام المنحرف يشوه الفن الجميل، ويزيده
قبحاً ورداءة إذا كان سفا رديئاً في ذاته، كما هو الشأن
في أكثر ما ينشر وينذاع في إطار الواقعية المادية
والرمزية، ونزعة ما فوق الواقع، واللامعقول واللامفهوم.

فكل التزام يجب أن يكون له معيار أخلاقي حتى
يضيف إلى الفن الجميل قيمة وجمالاً، وإلا كان فنا يترك

ويوجد مثل ذلك في أدب جميع العصور، فليس
هناك شاعر حق لم تغلب على فنه قضية أو قضايا، وفيما
بين ذلك يتناول أغراضاً جانبية من غزل أو مدح أو رثاء أو
عتاب أو نقد تجريحي، وهو ما يسمى بالهجاء.

فلما جاء الإسلام أخذ الالتزام مساراً واضحاً، فكان
الشعر الإسلامي، وكان شعراؤه، ينافحون عنه بالكلمة، إلى
جانب الدعوة بالحكمة والجدل العقلي.

ثم جاءت الأحزاب فيما بعد ذلك، فكان لكل حزب
شعراؤه يعلنون مبادئه ويقررون حجته وينشرونها في
الناس، فلأمويين شعراء، وللعوليين والعباسيين كذلك.

وفي عصر النهضة، سواء في الغرب أو الشرق، نبغ
شعراء التزموا بقضايا مجتمعهم وأوطانهم، فراج الشعر
الاجتماعي والوطني أو النضالي.

فالالتزام إذن قديم بمدلوله، جديد بمصطلحه، وهو
إحدى القيم الأدبية في جميع المدارس الشعرية، ولكن
الذي يعيبه أمران :

1) أن يكون قفصاً للفنان، فلا يخرج منه إلى الفضاء
الواسع، بمعنى أن يجتر موضوعاً واحداً في جميع الظروف،
فيسقط أسلوبه في التكرار والاجترار، ويصاب قارئه بالملل
والإحباط، وقد قيل في تعريف الأدب في النقد الحديث
كما سبق. «هو التعبير عن الحياة، ولكن ليس تعبيراً عن أي
حياة»، وهذا التعريف يضع الالتزام في حدوده الضيقة على
هامش المعايير الفنية، كما عبرت أدبية عصرية في قولها :

(ليس من الممكن أبداً أن نحدد لفنان مثقف واع ماذا
يخرج من آثار الفن، ولا أن نرسم له المواصفات).

2) أن يكون مستلباً، بمعنى أن يسخر الشاعر فنه
للدعوة إلى قيم أجنبية لا صلة لها بمجتمعهم ولا بأصالته
وتراثه، فكثير من شعرائنا سقطوا في اليسارية والواقعية
الاشتراكية المادية، فوجدوا المستفيد يفرش لهم المسار
بالريحان، ويرفع لهم لافتة الإشهار بالمجان.

قرأت يوماً في جريدة يسارية ما يلي :

يقول محمود درويش في مفكرته :

أثره السيئ في المجتمع، فالشعر الماجن الرائع يقبل فنا ولا يقبل التزاما، فهو كرم الجسد العاري الفاتن يسرق الأبصار، ويدعو إلى المجون والاستهتار.

☆☆☆

إلى هنا نطرح السؤال عن موضوعنا.

أين نضع أدب العرش؟ وما هو موقعه في خريطة المذاهب النقدية؟

كان يوم 18 نونبر من كل سنة في أيام جلاله محمد الخامس موعدا لمباراة الأقلام المبدعة في تسجيل مواقف الرمز الحامي لسيادة المغرب ووحدته، وفي محاولة إلغاء النشاز في إيقاع التاريخ، وهو وجود المحتل الأجنبي، فقد كان العرش مرتبط الآمال، ومعقد مطامح الشعب في الخروج من الإسار الذي وضعته فيه الظروف الاستثنائية في التاريخ.

كانت ذكرى ذلك اليوم مناسبة لشعر وطني ملتزم، يشحن العزائم وينمي روح المقاومة النفسية أولا، وينشر الوعي في الشعب بقضيته الكبرى، شعر يطبعه الإخلاص والتلاحم بين الشعب والملك، والتوافق على الجهاد بهدف إعادة التاريخ إلى مجراه الطبيعي.

لم يكن شعرنا الوطني شعر الاستجداء والاستخذاء، بل هو نابغ من ضمير الشعب، ومترجم لإرادته في مسايرة الشعوب المتحررة، ويؤكد للمجاهدين انتماءنا وهويتنا وحضارتنا المتأصلة، وقد بذل الاحتلال جهده لتغيير (بوصلتنا) التاريخية فوجد أمامه سدودا من ركام التراث والمقومات الحضارية، وضروب الفنون التي تعبى الشعب حماسا واستعدادا لرفض الاستيلاء وتخطيطات الأجنبي، فأثرت الخطبة والقصيدة والأغنية ما لم تؤثر المسدسات والقذائف، لأن هذه نتائج فقط نشأت عن تعبئة نفسية قام بها الفن والشعر الوطني الراصد لمناسبات أعياد العرش وغيرها، لينطلق في إذكاء الروح الوطنية والنضالية بالكلمة الصادقة تنفجر كالصاعقة في أوساط الاحتلال، ولكنه يعجز

عن إسكات المسلحين بها لأنهم يأوون إلى ركن شديد في ظل العرش.

فالشعر الذي قيل في العرش شعر ملتزم بالقضايا الوطنية، وبتحسيس الشعب للتضحية في سبيلها، وكذلك الشعر الذي قيل في ظروف قاسية مر بها الشعب في أيام نضاله، وشارك فيها جلاله محمد الخامس وولي عهده آنذاك جلاله الحسن الثاني حفظه الله.

إن الذين يرفضون أدب المناسبات على وجه الإطلاق ليسوا موفقين، لأن كل شيء له ظروفه ومناسباته، فالطيور لا تفرد إلا في الصباح وفي الأجواء الصباحية، والنحلة لا تنشط ولا تنتج إلا في فصل الربيع، والرسام لا يتناول ريشه إلا إذا صادف منظرا جميلا، وكذلك الشاعر لا يقول إلا تحت ظروف خاصة هي المناسبات التي تدفعه إلى القول وتضعفه لينفجر، وليس من العيب في شيء أن تجد نبيلًا يعمل لخير المجتمع فتستوحى منه قولًا جميلًا تكسوه حلة الفن ليخلده جزء له على موقفه الشجاع.

لذلك يرى المبدعون العرش حارسا للمجد والحضارة في هذه الديار، فجعلوا ذكرى الجالس عليه مناسبة للإبداع وإثراء الفن الأدبي الذي يهذب الوجدان، ويرقي الذوق وينمي الشعور بلذة الحياة.

قرأت يوما في صحيفة يومية استجابا مع الشاعر السوري المعروف محمد الماغوط فسأله الصحفي: ماذا تقول عن شعر المناسبات؟

فأجاب: لا أعترف بهذا النوع من الشعر، ولم أكتب رثاء حتى في زوجتي الشاعرة سنية صالح التي توفيت منذ أربعة أعوام.

فإذا كان يمقت شعر المناسبات على وجه الإطلاق حتى رثاء أحب الناس إليه ماذا يعني ذلك؟ فلو طرحنا شعر المناسبات من دواوين الشعراء منذ القرون لما بقي في أيدينا شيء نقول إنه تراثنا.

إن رثاء حبيب أو نبيل ليس شعر مناسبة بالمفهوم المتعارف، إنه شعر الحدث، والأحداث الضاغطة هي التي

التاريخ مصدر فنه وإلهامه، وهو مجال لا يجارى فيه سابقا
ولاحقا.

إذن، كان حظ المبدع المغربي كبيرا لأنه يجد بين
يديه تاريخا وحضارة، أضفت على الدنيا جمالا ونضارة،
ويجد رجالا صنعوا ذلك التاريخ، وحموا هذه الحضارة، في
حجم محمد الخامس المجاهد، وفي حجم الحسن الثاني
العظيم.

تفجر البيان، وتحل عقدة اللسان، وكذلك المناسبات التي
تحمل أجمل الذكريات وأجلها تستنزل منها روائع الفن
الخالدة.

من أجل ذلك فإن مناسبة ذكرى العرش من أغزر
منايع الإبداع، وأخصب مصادر الإلهام الفني، وبالأخص إذا
كان المبدع دارسا لتاريخ المغرب وحضارته وأمجاده، فيجد
مادة غزيرة يستلهمها روائع خالدة إذا ملك الأدوات
الكافية، فشوقي لم يقتل لقب أمير الشعراء إلا لكونه جعل

أكادير : محمد العثماني

اعتذار... وشكر

وصلتنا والمجلة ماثلة للطبع وفي
لمساتها الأخيرة عدة مقالات ودراسات وقصائد
بمناسبة عيد العرش المجيد قصد إدراجها في
هذا العدد الخاص...

ونظراً لوفرة المواد ووصول الدراسات
والأبحاث متأخرة، ونظراً لحرصنا الشديد في
أن يصدر العدد في وقته المناسب، فإننا نعتذر
لحضرات الأساتيد المحترمين بعدم إدراج
أبحاثهم في هذا العدد، آمليين إن شاء الله أن
ندرج ما وصلنا في الأعداد المقبلة بإذن الله
ومرة أخرى معذرة وشكراً.

قصائد العرشية في الملحون الشعري

لأستاذ منير البصكري

ومعنى ذلك أنهم أدركوا فعلا أن النظام الملكي هو الملائم لطبيعتهم ومزاجهم، والموافق لمناخهم الاجتماعي والحضاري، وهذا ما يفسر تعلق المغاربة بالعرش تعلقا روحيا ووجدانيا وفكريا، فظالما عبر الشعب المغربي عن مدى إخلاصه والتحامه بالعرش العلوي المجيد، لأن فكرة الاحتفال بالعرش والجالس عليه، هي في الواقع تعود إلى الشعب الذي أراد من خلال ذلك أن يعبر عن التحام العرش بالشعب لمكافحة الاستعمار، ولصيانة الوحدة الترابية، ولتحقيق آمال الأمة لبناء مغرب عربي مسلم عتيق.

فالاحتفال إذن بالعرش، هو احتفال الشعب المغربي بميادته وأخلاقه ومقدساته وملامحه، ومعطيات تاريخه، مؤكدا ومظهرا للعالم إرادته الراسخة في التثبيت بالحكم القائم على بينة واختيار. وفي ظل هذه الأمور كلها، تكاثرت صور التضحية وتكران الذات خدمة للعرش، وبرا بقدسيته الرابطة التي تجمع بين الملك والشعب، ووفاء بالعهد المتبادل، واستمساكا بالعروة الوثقى التي لا تنفصم.

فليس من الغريب إذن أن يتبارى الشعب المغربي من طنجة إلى الكويرة في الإعراب عن مشاعر الفرحة والحبور بهذا الحدث التاريخي الكبير، ا، الذي يشكل مناسبة عظيمة عبر من خلالها أدياء الأمة وعلمائها عن مدى

تعد ذكرى الاحتفال بعيد العرش المجيد، تعبيرا صادقا على مدى الحب والوفاء والإخلاص لرائد الأمة وموحد ترابها الوطني، جلالة الملك الحسن الثاني، وليس من المغالاة القول، بأن للعرش في المغرب حبا دفينيا وعميقا في نفوس المغاربة جميعا، منذ أن كان التأسيس الأول لهذا العرش على يد المولى إدريس الأول، حين بايعه المغاربة بتلقائية عاملة، انبثقت عن رضى واختيار وحب لآل بيت رسول الله ﷺ، وحين أسس المولى إدريس الأول العرش المغربي، أراد أن يجعله قائما على التقوى والصلاح والهداية، ليظل عرشا يحمل أماني وتطلعات المسلمين، وليكون أيضا رمزا لقوتهم وصدورهم في وجه أولئك الذين تول لهم أنفسهم النيل من الإسلام والمسلمين.

وهكذا كان تأسيس العرش المغربي قائما على الحق والعدل والوفاء، وهذا ما ضمن استمرارية المغرب طيلة أربعة عشر قرنا، عرف من خلالها الكثير من الاضطرابات، ولكنه بقي صامدا متحديا مناضلا، ساعيا لتحقيق الأمجاد، ومن هنا اكتسب المغرب قوته الراسخة، ذلك أن المغاربة منذ أن وعوا الحياة السياسية، واهتموا إلى نظام لكيانهم، اقتنعوا بلاشك أن الملكية الدستورية هي الأقوم والأصلح والأبقى،

تعلقهم برمز وحدتهم، وقائد مسيرتهم نحو مدارج الرقي والازدهار، فكلما حلت هذه المناسبة، إلا وتحركت مواهب الشعراء والكتاب، وأذكت قرائحهم إلى إبداع القصائد والكلمات، يصورون من خلالها كفاح العرش المغربي، مع إبداء مشاعرهم الوطنية الصادقة، وغيرتهم على بلادهم، إلى جانب حبهم وتفانيهم في خدمة العرش والجالس عليه.

وليس غريبا أن تكثر القصائد في هذا المجال، بين معربة وملحونة؛ مما شكل أدبا قويا مشحونا بالمفاهيم الوطنية المعبرة عن أدق خلجات الأمة وأحاسيسها.

وهكذا يكاد يشكل أدب العرشيات بابا واسعا من أبواب تاريخنا الأدبي المعاصر. وتجدر الإشارة إلى أن أدب عيد العرش ليس من أدب المناسبات التي تمليه الرغبة أو الرهبة، - كما يمكن أن يعتقد البعض - ولا هو كذلك أدب مدحي تقليدي، «لأن المدح عندما يصدر عن شعور صادق ممزوج بالروح الوطنية والقومية والدينية، لا يكون مدحا بالمفهوم التقليدي، وإنما هو اعتزاز بالوطن والقومية والدين، ومهما بالغ الأديب في التمجيد، فإنه يظل بعيدا عن المدح التقليدي، إذا كان هذا المجد متفانيا في خدمة شعبه وأتمته... إنه فيض من الشعور الوطني الصادق، يصدر عن النبل والكرامة، وليس من المحاباة أو المجاملة»⁽¹⁾.

ومن هنا تعد بواعث ودوافع شعر العرشيات صادقة وقوية، تعكسها حرارة عاطفة الشعراء، كما تعكسها العبارات والأساليب التي يتوسلون بها. فلا غرو إذن أن يحتل أدب عيد العرش مكانة مرموقة بين آدابنا الوطنية الحديثة، إذ هو تعبير عن طموح أمة وانبعاث شعب ووفاء عرش، ومن تم اكتسب هذا الأدب مشروعيته وأهميته، وإذا كان شعراء الفصح قد أبانوا عن إبداع متميز رصين، وهم يخلدون في قصائدهم ذكرى عيد العرش، مظهرين اعتزازهم

بملوكهم وتمجيدهم لمنجزاتهم وأعمالهم، متنافسين في ذلك، فإن شعراء الملحون، ساروا هم أيضا جنبا إلى جنب مع هؤلاء، وهم يخلدون بدورهم هذه الذكرى الجليلة بكل عفوية وتلقائية. فليس هناك اختلاف بين شاعر الفصحى في حلبة الأدب العربي، وبين شيخ الملحون في حلبة الأدب الشعبي. فلقد تغنى كثير من شعراء الملحون بأمجاد وطنهم الخالدة، ومزجوا ذلك بصدق عواطفهم الجياشة، وهم من خلال ذلك كله، يسعون إلى إبراز التلاحم المكين بين القاعدة والقمّة، بحكم الرباط القوي المتين الذي يجمع بين الطرفين.

إن الشعر الملحون كجزء رصين من أدبنا المغربي، لم يفتأ أن عبر بصدق عن العرش والجالس عليه، فلقني بذلك قبولاً كبيراً لدى الناس، إذ أن أغلب قصائد العرشيات في الشعر الملحون تلحن وتغنى.⁽²⁾

وكما سبق الذكر، فإن قصائد الملحون الوطنية، ليست وليدة المناسبات فقط، وإنما هي امتداد تاريخي متواصل، يبدو فيها شاعر الملحون مواطناً مناضلاً وملتزماً بقضايا بلاده.

فمنذ أن تأسس العهد العلوي على يد أول ملك بويغ بيعة عامة، وهو المولى الرشيد، وشاعر الملحون يشيد بما حققه ملوك دولته من منجزات ومشاريع عظيمة، تجلت في الرسالة الإسلامية التي تحملها المولى الرشيد، وهو يشهد تأمر أعداء الإسلام على المغرب، وما شاهده هذا الوطن إبان حكم المولى إسماعيل الذي جعل منه أقوى دولة إسلامية، وقضى على جميع المناوئين في الداخل والخارج، ووطد الأمن والاستقرار، وكون جيشاً عرمرماً يحمي الحمى ويقهر مطامع الأعداء، ثم ما حققه سيدي محمد بن عبد الله في عهده، بعد المنازعات التي كادت أن تعصف بالبلاد،

(1) انظر أحاديث عن الأدب المغربي الحديث - للأستاذ عبد الله كنون، ص 153. الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها - د. عباس الجراي. ج 1. ص 210 الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية للأستاذ إبراهيم السولامي - ص. 112.

(2) الشعر الملحون في أسفي - لصاحب المقال - رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب - انظر خزانة كلية الآداب بالرباط.

أمثال الحسن الأول يرصاها
 عرش ديما على اجواد راكب ويجول فالمدن أفين ماراد
 ينزل بجيوش قاصدا
 احدود المغرب فالصحرا تلقاها
 المولى يوسف اترك لنا فارس ما يلوا مثيل بطل الجهاد
 امعه الأسرة اماعدا
 الملكية فشان ربي علاها
 جاب الحرية امع الهنا الهذ المغرب كيف قال احبيب الفؤاد
 وأسس الجيوش واجدا
 للتضحيات ها الصحف اقراها

ولعل هذه الأبيات الشعرية غنية بالإشارات التاريخية للمغرب. وفعلا، ففي سنة 1220 هـ، بويع المولى الحسن الأول في ظروف محفوفة بالمخاطر، مما جعله يقضي معظم أوقاته على فرسه لمقاتلة الثائرين. وكان المغرب في هذه الفترة يصطدم تقريبا بمدينة أوروبا وأطماعها التوسعية، وأحقادها الصليبية الموروثة، فجمع وحدة المغرب بعد تفككها، وأعاد القبائل الثائرة إلى الطاعة والامتثال. وفي عهده توجهت البعثات العلمية إلى أوروبا لتنهل من العلم والمعرفة، والدراسة والتخصص. وحين توفي، أصيب المغرب بعدة نكسات، وتدهورت حالته السياسية والعسكرية والمالية، وحلت الحماية بمأسيا وأحزانها. وفي أوائل الحماية تولى جلاله المغفور له محمد الخامس الحكم في البلاد، وكان ملكا شابا، عريقا في عروبه وإسلامه، سليلا في شرفه وانتسابه.

وهكذا يبدو للدارس أو الباحث، حين يواصل البحث في أدب العرشيات في الشعر الملحون، فإنه لا بد أن يجد مادة دسمة في الموضوع. فشاعر الملحون منذ أن آلى على نفسه الدفاع عن قضايا وطنه، وهو ما فتى يعبر بصدق عن محبة العرش المغربي والجالسين عليه. ولربما وجد الباحث نصوصا شعرية نظمت قبل العهد العلوي، ولكن لم يتح لها

فاسترد للعرش هيئته، واعتنى بالثغور المغربية، وتمكن من توحيد المغرب وتحصين شواطئه. يقول التهامي المدغري في قصيدته المشهورة «النحلة» :
 ونوجد السلطان في امقامو والكلمة نافدا اعلى وصفانو
 واحرار
 فاقصور التشياد والقصر
 ما بين ابطال حرب هجما وديارا
 شوفي يا شاما الظريفا ناس الحرار أولاد لمشرف نعم
 المختار
 وهل النسب العالي القدر
 يتعطاوا لحقوق نعم الصبار
 ربي يحفظهم من امكايد من هو مكار كابر اعلى الخدع
 نكار

ويقول عبد القادر العلمي في قصيدته : قامت
 لعلام :

من بعد السلام
 لرباب الدولة العظما
 اصحابين الذكر ولاسا
 ااداتي لكرام
 منزلهم في جنسة النعيم

لكن المغاربة ملكا وشعبا، تصدوا بحزم لذلك كله، فأبانوا عن مقاومة قل نظيرها. وهذا الالتحام بين العرش والشعب قمين بخلق دولة قوية تبني مستقبلها بإيمان وطموح، فالأيام العصيبة التي عرفها تاريخ النضال الوطني في المغرب، أثبتت للاستعمار ولأعداء العرش مدى عمق ولاء الطبقة الشعبية، ومدى تفاني الشعب المغربي بأكمله، ومحبه الخالصة، وتضحيته بكل نفيس من أجل بقاء العرش واستمراره... يقول الشاعر مولاي اسماعيل سلسولي :

هادوا ملوك صايلين فالمملكة الزاهر تقدوا لعباد
 داروا هممة وفايدا
 هاني بختصار كنمجد العظما للولين الملوك افداد
 اهل السنة العبايدا

التداول فضلاً عن الانتشار، وهذه حقيقة تكيف التراث الشعبي عموماً عندنا في المغرب.⁽³⁾

والمتمصفح لبعض قصائد الملحون قبل الآن، يجد إشارات متعددة لبعض أسماء الملوك العلويين، إذ لا تخلو فترة من تاريخ المغرب، من إنتاج أدبي شعبي يتناول أدب العرشيات، فمنذ عهد الجليلي امتيرد، وشعراء الملحون يظهرون ولاءهم وإخلاصهم للعرش العلوي.

وإجماع شعراء الملحون على محبة ملوكهم، والتفاني في إظهار ولاءهم، هو في الحقيقة محبة ولاء لآل البيت، وتمجيد وتقدير لشأنهم. فهم نجوم يستضاء بها، ومحبتهم من محبة الله،⁽⁴⁾ وهم مفتاح لكل خير، وهم أهل الرتب العالية، وكهف المحتاج، وعون المتضرع التائب، إلى غير ذلك من الصفات التي لا حصر لها عند شاعر الملحون وهو يمدح آل البيت، إذ يرى في تعداد تلك الصفات زلفى يتقرب بها إلى الرسول الأكرم، محمد ﷺ.

يقول أحد شعراء الملحون :

أنتم مفتاح كل خير

وانتم ناس الفوز والمراتب لمعالي

وانتم هل التعظيم والرضا والسعد ولقبال

وانتم كهف المحتاج الضعيف

المتضر الايلس وانصير ولا والي

وانتم الرقيا أو لعلاج وانتم طب المعلال

وانتم كنز المحتاج أو لغنى والريح للي منهو اضعيف مثلي

وابحالي وانتم عز اللغريب

لاحد اعليه ايسال

وانتم ما غوت الله انضام

بكم عل المضيوم تتفجا كل اهوالي

وانتم المن استغاث

غوث في كل اريسا واسهال

وانتم عار الكل من استجربكم فوق الترى

أو فـالبحر المـالي

من ينده بكم لغنا اعليه الوحد يسهال

وهذا شيخ أشياخ الملحون بأسفي الطالب بنسعيد،

يصف السلطان المولى عبد الحفيظ بأنه بدر وضاء، تجلى

نوره في مشارق الأرض ومغاربها، وقضائه على شعبه، نعمة

جاد بها عليه المولى سبحانه وتعالى، يقول الشاعر :

يـبدر بـضياـه اتـجـلا بنـوار وقـاس

أفـشـرقـها وغـربـها وبـحـورـها ومـقـديـس

بك جاد المولى بفضائل اعلى الناس

بك اسعد مغربنا من بعد كان فنحايـس

بك نارت شمس العليا أشرفت في فـاس

ويقول في قصيدة أخرى منوها ومشيدا بالمولى عبد

الحفيظ :

لله الحمد والشكر نعم الحفظاظ

جاد اعلىنا بالبدر وارتاح الخوض

أبي السعود والسعداذا يحرفاض

من بحر المصطفى الزكي قرت للخوض

افدا الأما اجمع والمولى حفظاظ

إجازيه الكريم بالنصر المحفوظ

وأجعل الدين به يارب محفوظ

به هدىن يا مولانا الطول والعرض

من اسرار ارحمتك الوسع لعريضا

له ألف القلوب اتجي ليه تحضض

بالنصر والطعي توفيقها وارضا

بر وبحر له اتخر يا من احفظ

دين محمد بالسلطان ولد الرضا

أبن الفضل مولاي الحن نور لمحيض

أرضات بوه أجد وبامر الغني تحفظو

(3) مستند من قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ - الآية 31.

(4) التزجل في المغرب، القصيدة، للدكتور عباس الجراري، ص 1 - 2 - 3. وانظر أيضاً - «من وحي التراث» لنفس المؤلف.

صيلت الشرفا والملوك هل التحضيض

صيلت العلماء أفلعلموم خوضو

يا المولى تنصر مولاي احفيظ

يا الحي السدايم عبدك أنت اتحفظو...

☆☆☆

يبدو من خلال هذه النماذج الشعرية، شدة ارتباط الشعر الملحون بالقضايا الوطنية التي يعيش لها شعب يريد الاحتفاظ بمقوماته النفسية، وذخيرته الروحية، وطابعه الأصيل⁽⁵⁾. فالصراع الذي ظل محتدما بين العرش والاستعمار، قد ساعد على خلق جو موبوء، غاظ المستعمر وأقض مضجعه، وأقلق راحته، فانبرى شعراء الملحون يعبرون عن آلام الشعب من جراء ممارسات الغطرسة الاستعمارية، ويدعون إلى النضال. وقد واكب هؤلاء الشعراء كل الأحداث وقاموا بدور التسجيل والتصحيح للحقائق التي قام الاستعمار بتزييفها ومحوها، فصوروا في شعرهم حبه لوطنهم، وتعلقهم بملوكهم، وتغنوا بفد أفضل تسوده الحرية ويتاح فيه للمغاربة أن يفتتحوا على الخير والسلام.

يقول محمد الرباطي :

حين ايتوك البدر عل الوطن وبيان

سلطانا بن اللطان روح لوطان

به الوقت ادعا وحن يا إنسان

لنا ادنا أهلا وسهلا مرحبا بمجيه

جميع السرور تكمل به ونطرب به

ونرنه في اقصى ايد ونفخر به

في اوطاننا واتقول أسعدي به

سعد الحال حان السرور واحتفال

نادى الفال بولي العهد خاص احتفال

وهكذا، لم يتوان شاعر الملحون في فضح الاستعمار

والتنديد به، وقد أدرك المستعمر حقيقة ما كان يفعل،

فراح يكييل له الضربات، ويصادر شعره. وعلى الرغم من ذلك، استمر شاعر الملحون في إظهار تفانيه في حبه لوطنه وملوكه. يقول الشاعر محمد الرباطي :

ما خانوا سلطان ولا انساوا اوطان

خدموا أكافحوا لفظان

المجد للوطان، والتاريخ ايسجلوه عل الحيطان

نعم، لقد استطاع شاعر الملحون أن يرسم المعالم التي

تبرز المناضل المغربي الذي كتب تاريخ بلاده بدمائه

الزكية، وببطولته المستميتة، وهي لاشك بطولة مغربية

أصيلة لا تعرف البوار ولا الهوان. ويصور شاعر فاس

الشعبي الفلوس هذه البطولة قائلا :

هو من اغرس فالوطن غرس امحكم

بحكمتو الحاكم الحكيم اللنعمم

هو المهتم بالوطن واعزم واقدم

وارمى روحه لا اخشى قول اللوام

هو من وقف للعدا فالخلق اعظم

هو روح لمغاربية من غير اعلام

هو الشجيع الزمان البحر الطام

هو السيف الصقل أفشاعت اللطام

وفي هذا الصدد، نجد الدكتور عباس الجراري - وهو

يتحدث عن شعر العرشيات - يبرز ما يقوم به هذا الشعر

من دور طلائعي وبطولي : «إنه شعر وطني بكل البعد

الذي يعطيه الوصف، وفي الإطار الذي كان مطروحا

لمفهوم الوطنية»⁽⁶⁾.

فلا غرو أن يزخر الشعر الملحون الوطني بهذه الصور

الرائقة النبيلة. وفي نفس هذا السياق، يشيد شاعر مراكش

محمد بن عمر بمجمل الخصائص والمميزات الحسنة التي

كان يتمتع بها جلالة محمد الخامس، وكلها مزايا تفيض

بمشاعر الحب والإخلاص العميق والوفاء الراسخ. يقول

الشاعر :

(6) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها - للدكتور عباس الجراري - ج. 1 - ص. 210.

(5) الشعر الملحون في أسفي - منير البسكري (انظر خزانة كلية الآداب بالرباط) رسالة جامعية مرقونة.

هذا الملك الله ودو
 واعطاه نور فالفكر امتوقد
 لطريق الله الله رشود
 واحيا به جمع الأمة رشاد
 ما يتقص ابعده عدو
 سبحان من انشا سيدي محمد
 هذا الملك الله حبيبو لجميع الأمة ساكنا قلب افادو
 كيف اسكن حبو اقلوبها واضى امتأيد
 هذا الملك، اعليه بنفوس اسخاو هل الشعب امدادوا
 ألبات الدعوى السيدنا والأمر اتنفد
 هذا الملك الله وفقو لصلاح الأماما اتخالف ميعادو
 تفديه بالأرواح ولبدان اتهببو والجسد
 هذا الملك اثناء ما ينحصى يبقى طول الزمان فالدهر اعدادو
 يتلى من جيل الجيل فالعصر دايم متعدد
 هذا الملك اعلا أو شاع ذكرو فالسند وهند تابت حق اشهادو
 عوضو ما فات افجيلنا وليه العلم اشهيد
 دام الله ايام سيدنا فالعز ولهنا اتدوم صولت تمهادو
 من صان الأما أو شعبها لعدا عنورد
 وحين حصل المغرب على استقلاله وحرشته، استمر
 شاعر الملحون في التغني بمحبته وولائه للعرش، فواصل
 مسيرته نحو الإخلاص لوطنه، وأبدع في شعره صورا لطيفة،
 خاصة في المناسبات الوطنية، وهذا الأسلوب الأدبي كان
 سببا في إبراز الكثير من القضايا الوطنية، مخبرا عنها أو
 مذكرا بما تحقق من منجزات ومشاريع اجتماعية
 واقتصادية، فأصبحت قصيدة المناسبة وعاء يصب فيه الشاعر
 أحاسيه ومشاعره اتجاه وطنه. يقول أحد الشعراء :
 نادانا بالكلمما اوجد
 وصفات اقلوب ما ابقى احكد
 فيه ثبت ما وعد
 أوبها اشهد كل شاهد
 طير صــاح أو غرد
 مداح ابتغريد وفارد

فالمنفى القى ما اوجد
 ما احصى خير ولا عدو وارد
 بالكلمما ابني سيدي سد
 أو بالكلمما صار ولد عاند
 أو بالكلمما فعلو اشهد
 باقي شعبنا افنكدو ناكد
 صال أو بصوتو وشهد
 أو على لعدا قلب ناهد
 شر اللثيم، ســاح أو ههد
 أو بالكوزا، ما ابقى حد واعد
 فهذه التضحية التي انبثقت من مبدأ أخلاقي أصيل،
 وجدت بالضرورة من الشعب، ما زاد من تعلقه أكثر فأكثر
 بهذا المبدأ، بغية الدفاع عن العرش والجالس عليه، وفاء
 بالعهد المتبادل.
 وحين اعتلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
 عرش أسلافه، كان حقا خيرا خلف لخير سلف، فهو ملك
 متسلح بالعلم والإدراك العميق لعظمة وقوة الدين الإسلامي
 الحنيف، وحضارته الأصيلة. ومن هنا حمل جلالته مشعل
 الإسلام وانطلق يشيد به وينشر فضائله ومحاسنه بين أفراد
 شعبه وخارج وطنه، فكانت كل خطواته حسنات إيجابية
 وموفقة، مما خلق مغربا جديدا، مغرب التعاون والسلام
 والصدقة، وملتقى الحضارات، وصلة وصل بين أوروبا
 وإفريقيا، كل ذلك نتيجة ما لصاحب الجلالة من عبقرية
 نادرة، وحكمة سديدة، وروح إنسانية، وسياسة قويمه،
 وأخلاق فاضلة، مما جعل المجتمع العربي والإسلامي يعلق
 عليه تحقيق آماله في توحيد الصف، إلى أن يصل إلى
 مدارج المجد وساحة العز والكمال.
 يقول شاعر الملحون عبد المالك اليوبي :
 احبيب شعبنا فلسفي قد الحسان
 لوجيت فالقلوب اتقلب معلوم
 اتصيب فيها حق متموم
 سيدنا بكمالو مرسوم

فمدون أو فخيـام

هـوالي تقـدم

واعـزم واهتم

قام بـالعلم

للقرويين زاد سلطـانـي

احيا اركانها للعلم وقرآن

شبانـي شبانـي كل صعب عنهم اتـهون

وتزول الجهليـا

ويضيف الشاعر يعقوبي تينساني :

الملك الحسن وقت الشد ايبان

الخصلة والبرهـان سر ريبانـي

دريت العـدنان اصـحـب الفرقان

نصرو الرحمـان رب الفوگـانـي

وهذا الشاعر عبد المجيد وهبي، يشيد بخصال جلالاته

الحميدة، مظهرا غرام الشعب بملكه وتقانيه في حبه :

سيدي يا إمام غرينا يا سامي لمعاني

يا شعله من نور هاديا فبلادنا لحصينة

ليك اغرام العاشقين

ليك اغرام اقلوب صافية عمرت بالأمان

اقلوب الشعب اللي امشي امتع شوفتك لحينا

باغي اتشوفنا غالين...

وهو نفس مما يشير إليه محمد لكحيلي في قوله :

هاج بهواك اكناني

يا للي عرشك عرش العز والسعادة والتحصان

أفسر أو فيعلاني

تترنح ونبوح بحب سيد لحبيب السلطان

يا نشأ العـدنانـي

في عيد عرشك لمحافل طاهجة وتحير الدهان

يا الحامي الاوطني

ناشك مولانا من لا ينـام من طيب العـدنان

☆☆☆

أن نذكر أن شعراء هذا الفن، لم يكونوا مقلين، بل يلاحظ خصوبة في النظم إزاء هذه المناسبة. وهكذا جاءت قصائدهم زاخرة بكثير من المعطيات، إذ إنهم ركزوا في شعرهم على ذكر المنجزات التي تحققت في مختلف الميادين، والتي تركز عليها نهضة البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا وتعليميا وصحيا وفلاحيا وصناعيا وثقافيا وفتيا ورياضيا.

وتتوالى الخطوات الحسنية الموفقة والمتواصلة في سبيل البعث الإسلامي المنشود، والوحدة العربية المرجوة، لتتوالى معها إشادة ومساهمة شعراء الملحنون في مباركتها وتخليدها، ليبقى المغرب قلعة صامدة، ودولة ذات حضارة ومعجد ورسالة في طريق الإشعاع والتنوير، وحرص جلالة الملك على أن تكون كل الإنجازات نافعة على مستوى كل ميدان، دليل قاطع على إرادة قوية وسامية، فجمع بذلك المعجد من أطرافه، وكان وحيد عصره وفريد زمانه، فلا غرو أن يحقق مغرب التحدي في عهد الحسن الثاني، الكثير من المعجزات، ويتخطى العديد من العقبات، يشق طريقه نحو الازدهار والتطور. ولعل عيد العرش كان دائما مجالا خصبا للشعراء وهم يسعون إلى تخليد ما أسداه العرش للوطن. يقول الشاعر محمد لكحيلي :

يا اللي نجمك سامي

يا اللي بدرك ما خلى في أرض مغربك ديجان

يا محقق الأمان

في قبولك لا شعار اسجيتي هنـاي واللوان

بك يعلا لي شاني

وبك تنفجا حالي جمع الاكـدار نظفر بالأمان

كل فعلك إنساني

يا اللي حزت ما من اعـلوم وما من عرفان

من عجام وعرباني

تايبها في امسيرتنا جميع لعقول والاذهان

وفي هذا النطاق أيضا، لم يفت شاعر الملحون أن
يشيد بمواقف جلاله الملك الإصلاحية.

يقول الشاعر عبد المجيد وهبي :

ابجهد الله واخليفتمو فأرض حسن الباني
بعزيمة رجائنا ورايسنا اللي حاميننا
انبلغوا ما احنا قاصدين

واتصرصح لطيار صادحة فارحة بيك أباني
لعلوم الحمرا انجومها خضرا فمازينا
هذا درب الصابرين..

واتزغرد ليام زاهرة شعبك سالي هاني
حجرة عن حجرة مرتبة هذا صنع ايدينا
تصميم سيد الماهرين

وهذا أيضا ما يشير إليه الشاعر عبد
القادر برادة من فاس، وهو يتحدث عن
المنجزات في مختلف الميادين. يقول :

يا أصل الجود يا شريف الجود

فينا خيرك موجود

وأثر اشهد

تبتى الحدود واينيتى السدود

وفيتى بالمعهد

حررت البيد

مسجدك دون اشهود فاق كل احدود

مفخرة للمعهد

افريد نوعه فريد

شلا نوصف بلساني

ما زال وصفت المشور صم البنيان

مشاريع للعمرائي

هذي باينة مشهورة بشوف العيان

ومعاهد للعرفاني

وعلوم عاليا ما يوصفها شي اللسان

أيا سبط العدناني

ربي اعطاك خير وزادك هما وشان

☆☆☆

وهكذا استمر شعر العرشيات في الملحون، بكل
عفوية وتلقائية الشاعر الشعبي، يتغنى بما تحقق من
مشاريع ومنجزات، وينوه بالمبادرات الملكية القيمة، وفي
هذا الصدد يشير مولاي اسماعيل العلوي إلى ما حققه جلاله
الملك من أعمال باهرة في كل المجالات، دينية كانت أو
تعليمية أو صناعية وفلاحية. يقول :

عيد عرشك مبروك اسعيد زاهرة فيه البلدان

الله نصرك يا مول التاج يا الحسن الثاني

أسمك امخلد ديما على اعمالك بالبرهان

فالمدارس والجامعات كتلمي عرفاني

كذلك المساجد شلا انعد لسيادي هل الايمان

الحافظين كتاب الله فريد نذكر بلساني

اسدود للفلاحة بمياه شقت وروت العطشان

في اقفار الصحرا جنة اتعود واقليم الريصاني

فازدهار بوجود اليوم سد واد زيزر ألخوان

بالمعامل والمصانع كئالف ديواني

☆☆☆

ويكاد جميع شعراء الملحون يتخذون نفس المنهج،
وهم يخلدون ذكرى عيد العرش والجالس عليه، وما تحقق
في عهده من منجزات، وكأننا بهم يتنافسون في هذا
المجال، ويتبارون من أجل تخليد أوفى صورة تجسد
مختلف الأعمال والمشاريع التي يخطط لها صاحب
الجلالة، ويسهر على تنفيذها. فهذا الشاعر الجيلالي الشباني
يقول فية عرشيته :

لا زلت اتقول فية لوزان

فيوم عيدنا يالامت لعياني

يحيى ملكنا الحسن

نعم الشريف سيدي نعم الحساني

ويقول محمد الوالي، مظهرًا تلاحم العرش والشعب :
 هذا عيد الوطن عيد ملك وشعب امحايين
 عيد عرش الحسن ايدوم اعلينا تخليدو
 ويقول عبد المالك اليوبي :
 عيد عرشك ما مثلو عيد وطني
 يا تاج شعبنا مولاي الحسن
 تهاني تهاني ليك تبعث قري ومدون
 يا رمز الحرية
 أتى انهار لهنا والسر اليوم بان
 والخير عننا والعز ادركننا
 والفضل لاشك اشملنا
 وكل ما نبغوا اوجدنا
 جاد عننا
 من ليه كل منه
 بشريفنا الباني
 مجد أوطاني
 ضيا اعياي
 عيد أتى وشفيت بعياي
 لنوار شارقة في ساير اللوان
 بكناني تنهني قرت لعيون
 قلت اقوال اذكيّة
 ويضيف الشاعر عبد القادر براءة مذكرا بفرحته بعيد
 العرش :
 يا روح الشعب الهاني
 يا تاج شعبنا يا مصباح هذا الوطن
 فعيدك تهتف بلساني
 وتقول عاش عيدك يا امير هل الليمان
 أيا كنز الأمان
 فينا عيد عرشك خالد طول الزمان
 من فضل الله الغاني
 نحى في كل عام فرحتك بين الخوان

رقى شعب بـمدون كـمـان
 اعلى الصلاح ساهر ضي أديجاني
 فكر فالفلاح كيف يمكن حال ينزيان
 ابني ليه سدود عاليًا تبهر لعياي
 وجداول لمياه هانفا من جمع الودان
 ثم الصناعة اهتم بها حق يعلان
 من جود السدايم ربنا الجليل الغاني
 كلها فاشغال ايضل يخدم عايش فرحان
 الجامعات كثير مشيدات اللببات أشبان
 فجميع المدن واضحة شفت بلعياي
 والشبان تفوقت فيها بالجهد أليمان
 معالومات القرن زادها بنيان فبنيان
 فيها ذكر الله ينتلاقول المدني
 حمدين الله والنبي من جاب القرآن
 ومن هذا المنطلق، كان التعبير الصادق عن فرحة
 المغاربة بعيد العرش المجيد، وهي فرحة تحمل أكثر من
 قيمة ومعنى، لما تلاقيه هذه الذكرى من قبول منقطع
 النظير، من أقصى المغرب إلى أقصاه. كيف لا، وصاحب
 الذكرى رجل شهيم مغوار، كرس كل جهوده وأهدافه ومراميه
 لخدمة شعبه، ساعيا إلى خلق التوازن، وضمان الاستقرار،
 وتكافؤ الفرص، وخلق المواطن المغربي الحر. الشاعر
 بالحرية في أوضح صورها، العامل من أجل حماية هذه
 الحرية بهذا الأسلوب ورعايتها، لأنها الضمان الأساسي
 للاستمرار من جهة، ولحماية الوحدة المغربية المقدسة من
 جهة أخرى، في إطار المدرسة العلمية المغربية الأصيلة،
 يقول الشاعر الشعبي عبد المجيد وهبي :
 عيدك يا حسن للذكرى فيه امعاني
 هاهي ساعت الجد ها الأرض ها هي أيدينا
 بالحسن معتادين...
 أنت الحسن ايماننا
 ضي اشرق أماننا
 ابجل الله معاصمين

والإسلامية والدولية، فتحدث عن الصحراء واستكمال الوحدة
الترايبية، كما تحدث عن المسيرة الخضراء؛ ولم يفته أيضاً أن
يشير إلى القضية الفلسطينية وإلى الوحدة العربية المنشودة
وغيرها من الأحداث والوقائع التي شغلت ذهن الشاعر،
فأحب المساهمة في تسجيلها، وهو يخلد ذكرى عيد العرش
المجيد.

وهكذا، فمن القضايا العربية التي خلدها شاعر
الملحون في قصائد العرشيات، حديثه عن الدفاع المشترك
بين البلدان العربية ضد الصهيونية لنصرة الحق العربي.
يقول مولاي إسماعيل العلوي :

نعم الملك أشجع نـداني
لسوريا ومصر تجريدة الجيوش من أبطالك كانوا شجعان
هزموا اليهود الجابرين عدياني
خدمت العدا وتنصر الإسلام واسمك مخلص فكنان
وفي نطاق حديث شعراء الملحون عن القضايا
العربية والإسلامية، تعرضوا أيضاً للحديث عن المواقف
الجليلة لصاحب الجلالة كرئيس للجنة القدس. يقول
الشاعر :

كل عربي يهتف وقول حساني
وانت إمام رايس قلت فالقدس واجب إصلوا العربان
قولك ما فيه الشك يا باني
بالعز والنصر من صلاح الدين وانت خليفة يا حسن
وإلى نفس الموضوع، يشير الحاج عيد القادر برادة،
مضيفاً إلى ذلك تحرير سبتة ومليلية وضمهما إلى الوطن
الأم. يقول :

يا نعم الحي الغاني
كامل ما فظن احبيبي روح البدان
فالقـدس ايـصلي عاني
ويضم سبتة ومليلية للأرض الوطنان
وعنـلامو فالعـناني
فوق السحاب يبقى شامخ اللورى ايبان

أيـا قرت العيـاني
لا زلت في امديحك نهدي طيب اللحان
احميني يا سلطاني
نبقى تحت ظلك محمي وحالي زيان
حبك شعري والحاني
هو امواهي ونفامي وسر الكنان
من روحي من وجداني

ما زلت انمجد من فاض بمديح اللسان
وتفويض فرحة الجيلالي الشبابي حين يحل عيد
العرش، فهو عنده عيد الفتح والهناء، يستمد وجوده من
الخالق المنان، عيد يتلأأ نورا وضياء، وهو في نفس الآن،
عيد للملك والشعب معاً، وعيد الفرح والمنى والسرور
والسلوان. يقول :

عيدك عيد الفتح والهناء من جود المنان
عيد ارفيع السوم كايـنور كل ادهاني
عيد العرش اللايـلو مثل نور شاع أبان
عيد الشعب أعيد سيدنا صاحب الأمان
الممدوح افساير القطار برايق لمعاني
عيد الفرح أعيد المنا وسرور أسلوان
ونفس الشعور نجده عند الشاعر مولاي إسماعيل
العلوي إذ يقول :

سعد سعدي بهلال العيد عيد الحسن
عيد العرش أعيد الشعب جيت نهدي تهاني
شف فرح المغرب ابهيج شاعر نور عللكوان
ألفاقل يقظ جفـنك شف سر رباني
هذا عيد الفراح عليك مبروك أسلطان
بالصحة والعافية تدوم رمز اللوطاني
عيد باهج ما مثل عيد بالفرحة والسلوان
فيه تخطب والله اشهد كتوضح لمعاني
إن شاعر الملحون، إلى جانب ما أورده في قصائده،
لم ينس الحديث عن مواقف جلالته الحسن الثاني العربية

رفرف طول الزماني

بفضل الكريم العاطي مول الكوان

وهو ما يتمنى تحقيقه أيضا الشاعر عبد المجيد وهبي

بقوله :

ويرف اعلام النصر فالقدس، الشوق افناني

لزيرة اهلي ولامتي لين اسرانبينا

ونصليوا مجتامين

ويعم السلام كل بقعة واتقر اعيناي

بتحرير كل ابلاد باقية، حقنا يرجع لنا

حقنا به متمسكين

ابجد الله واخليفنو فأرض حسن الباني

العزيمة ارجالنا ورايسنا اللي حامينا

انبلغوا ما احنا قاصدين

☆☆☆

ولعل ما يلفت النظر في هذا المجال، تخليد قصائد

العرشيات في الشعر الملحون للجهود الجبارة التي بذلها

جلالة الملك في سبيل استكمال وحدة المغرب، فهذا الشاعر

مولاي اسماعيل يتحدث عن المسيرة الخضراء قائلا :

بانت النتيجة فالحين شاهد ليك الأوطان

حررت أرض المغرب وهزمت عدياني

بالتباتة والمسيرة تسير بوفود العريان

شاركونا حتى لعجم معجزة فزماني

وبعدها رجوع الصحرا اكمل لعيون افأمان

والسمارة واد الذهب ما ابقى شي براني

ثم يضيف الشاعر متحدثا عن نجاح المسيرة الخضراء

الظافرة، وما عرفته مدن، الداخلة والسمارة والعيون من عز

وشأن وعمران، بعد فترة من القهر والحرمان. يقول :

من عز، لمسيرا المباركة الظافرة

بها زهرت كل زهرا

فمدون الداخلة والسمارة فالعز وشان

وعيون الكمرا ضاويها فيها بنايات فاخرة

سكانها دوزوا القهرا

فكواخ اتهدمت بامر نعم الحسن

ويبدو أن قرار جلالة الملك نصره الله بالقيام بمسيرة

سلمية خضراء نحو الصحراء، ألهب حماس شعراء الملحون،

فلم يتوانوا في تسجيل مشاعرهم الوطنية، والإشادة بالرأي

الحصيف لمبدعها ومبتكرها. يقول المرحوم الحاج عبد الله

بنحيدة مخلدا ذكرى المسيرة الخضراء :

ندوا وبشارا

يوم أمر بدخول الصحرا راجح الفكر

قايد المسيرا الخضرا

مليك غربنا الله نصرو مولاي الحسن

المسيرا مختارا

أفحفظ الله المعين جاب النصر

ليطال المغرب الزاهر

ولمليكننا المحبوب عينو يا منان

ندا بجهارا

أمام الملاء ما ابقى اصير

تكوين المسير الخضرا

تبقى تاريخ من بعد جيلنا عز وشان

عمت لبشارا

لا واحد فالشعب اتخل اعللجهر

في اخطاب البهج الحمرا

نهضت لفواج من كل انواع بشجع ويمان

حضرت لفارا

واشتركوا فالمسيرا من كل قطر

أهل الإيمان وهل الغيرا

دول الشرق والغرب وهل السودان

وعن النتائج المثمرة للمسيرة، يقول الجيلالي

الشبابي :

المسيرة خيرها كان

من فضل عزنا مول التاج الساني

تيجتها خيرها بان

من فضل الذكر هدام الطغياني

حرر الصحرا ولم الاخوان

وحد أرضنا واجمعني باخواني

رجع الصحرا كيف كانت ساير لزمان

الصحرا مغربية وصاينة فيها عشريني

من أرض المغرب ما تزول من قادم للآن

ويطول الحديث عن مثل هذه المضامين التي وردت في ثنايا قصائد العرشيات في الشعر الملحون، إن تكاد كلها تفيض بنفس المشاعر والأحاسيس الجياشة، وهي أهم مظاهر الحب والوفاء والتضحية والقداء؛ عبر عنها شعراء الملحون بكل صدق وإخلاص، وشكلوا من خلالها ملحمة العهد بين العرش والشعب، وهكذا يقدم لنا هؤلاء الشعراء مادة أدبية خصبة تضاف إلى باقي قصائد العرشيات في الشعر المغربي الفصيح. ومن تم تعتبر هذه القصائد سجلا حافلا بالأعمال التي يشهدها الوطن، وإضافة جادة إلى وثائق التاريخ المغربي.

ولعلنا بعد هذا كله، وفي انتظار استكمال ما يمكن أن يجود به علينا شعراء الملحون من قصائد تتعلق بالعرشيات، نستخلص ما يلي :

أ - مدى صدق الشعور والإحساس وحرارة العاطفة، مما يبرز أن شعراء الملحون لم يكونوا يهدفون بقصائدهم إلى التكسب وطلب الحظوة، بقدر ما عبروا عن وطنيتهم اتجاه ملوكهم، وهذا ما تفسره الكثير من الإشارات التي وردت في ثنايا بعض القصائد، حتى قبل العهد العلوي أو إبان ظهوره، مثل ما رأينا عند التهامي المدغري في قصيدة «النحلة» أو غيره.

ب - يلاحظ من خلال تتبع مختلف قصائد العرشيات في الشعر الملحون، أنه أدب وطني مغربي أصيل، ساهم به الشعراء لتخليد أهم المشاريع والمنجزات التي عرفها وطنهم، وتلك رسالة الشعراء كان ملحنونا أو معربا.

ج - مدى إقبال شعراء الملحون على النظم في موضوع العرشيات، وإظهار المنافسة في ذلك، وهذا دليل على كامل التلقائية والعفوية التي تميز بها شعرهم.

د - مطابقة هذا الشعر للواقع المغربي، فالشاعر وهو يخلد مختلف المنجزات والأعمال التي حققها المغرب في ظل ملكه، يتحدث عن واقع معيش، تحذوه الرغبة في الإشادة بصاحب العرش، والإعراب عن حب الوطن وعرض الأحداث الوطنية والقومية.

هـ - أن قصائد العرشيات في الشعر الملحون، ذات نزعة شعبية جماعية، إذ يعرب الشاعر عن آمال ومشاعر الجماعة التي ينتمي إليها، مما يكشف عن صدق ولاء الطبقة الشعبية لملكها ووطنها.

وبعد، فماذا عن درجة الإبداع في قصائد العرشيات في الشعر الملحون ؟

طبعاً، لا يمكن من خلال القصائد التي استطعنا الحصول عليها أن نصل إلى نتائج نهائية، أو نشكل حكما معيناً، ولكن، ومن خلال النماذج التي تيسرت لنا، نتطبع أن تقول : إن قصائد العرشيات في الشعر الملحون، تكاد تبلغ درجة من الكمال، ويظهر ذلك من خلال تلك الطاقة التعبيرية الهائلة التي توصل بها شعراء الملحون، وتلك النغمة الشعرية التي تميزت بها القصائد، مما يعطي للتركيب الإيقاعي في النصوص حركة تستمد قراراتها من كونها تتماشى وما يصبو الشاعر إلى التعبير عنه. وإلى جانب ذلك، يمكن الحديث أيضا عن تلك الموسيقى الداخلية الشفافة داخل الأبيات. وهذه الصياغة الفنية - رغم تواضعها في بعض الأحيان تستمد طرافتها من الإحساس المرهف لشاعر الملحون، ومن رؤيته الفنية وتصوره للأشياء. ومن تم، فالشاعر الشعبي وهو ينظم قصائد العرشيات، فإنه يستمد منها النزعة الملحمية التي سميت شعره بنغمة فريدة في نطاق الشعر الشعبي عامة. ومما

يستثمروا ذلك لصالح فنهم الشعري، وما فيه من قيم إنسانية. فهم إذن يعبرون من خلال تجربتهم عما يختلج في نفوسهم إزاء عيد العرش والجالس عليه، ولذا كان في طبيعة هذه التجربة والتعبير عنها، ما يحمل المتلقي على تتبعها، لما فيها من تجاوب متين بين الشاعر وملكه. والحقيقة أن لا إبداع إلا في مجتمع واع عالم بما يدور على أرضه ومن حوله. وبالفعل، فقد أدرك شاعر الملحن هذه الحقيقة، مما ميزه وهو يخلد في شعره قصائد العرشيات.

الرباط - ذ. منير البصكري

لاشك فيه أن التجربة الشعرية عند شاعر الملحن في مجال الوطنية، والتعلق بالعرش، تعتبر موقفا معبرا عن طهارة النفس، وهذا المجال لا يمكن أن تنكر قيمته في تربية المواطن الصالح، وذلك بما يفرسه في النفوس من عواطف نبيلة وسامية تهيب بالشعب أن يتمسك بمقدساته وبحريته وكرامته.

وإذا كانت التجربة الشعرية مرتكز الإبداع وبؤرته، فإن شعراء الملحن، حاولوا في غير قليل من الأحيان، أن

مراجع البحث :

- * من وحي التراث - د. عباس الجزائري. طبعة الرباط - 1971.
* الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى - د. محمد بن ثاويت - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، 1982 - الجزء الأول.
* الشعر الملحن في أسفي - رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب - توجد مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط - إنجاز : صاحب المقال.
* نصوص زجلية توجد بخزانة صاحب المقال - كشاف مرموز إليه ب : ج وأخر ب : س وثالث ب : ع.
* أشرطة تسجيل (تسجيلات خاصة).

- * أحاديث عن الأدب المغربي الحديث - د. عبد الله كتون - دار الراشد للطباعة - القاهرة 1964.
* تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب العربي - د. غلال الفاسي.
* الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية - د. إبراهيم السلامي - مطبعة النجاح - الدار البيضاء.
* الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها. للدكتور عباس الجزائري - ج 1. الطبعة الأولى - 1979.
* الزجل في المغرب - القصيدة - د. عباس الجزائري - الطبعة الأولى - مطبعة الأمانة - الرباط مارس 1970.

التحدي

الخطاب الأدبي في كتاب:

للأستاذ عبد الواحد ابن صبيح

والملاحظ أن كل تلك الفنون المتداخلة في الكتاب يجمعها قاسم واحد مشترك هو الشعور الوطني الصادق الذي يطبع كل كلمة فيه من أوله إلى آخره، بالإضافة إلى مقصدية الكاتب الوطنية التي يمكن حصرها في إبراز عظمة الأمة المغربية، وذلك بتبيين مقوماتها الحضارية الراسخة وكفاحها المجيد وتوضيح منجزاتها الضخمة وانتصاراتها الباهرة، والإعراب عن طموحاتها السامية، وأهدافها النبيلة.

أما مادة الكتاب فمستقاة من عناصر وطنية مغربية صرف، بما فيها من شخصيات وأحداث وزمان ومكان:

- العناصر البشرية: تتمثل في جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، والشعب المغربي الأبي في مواجهة الاستعمار الفاشم وأعداء المغرب، والكفاح من أجل تحقيق الحق والخير والسلام.

- العناصر المكانية: تتجلى في الحفاظ على وحدة التراب الوطني المغربي، واسترجاع أراضيه المغتصبة، كما تتضمن بعض الأماكن خارج المغرب كانت لها علاقة بأحداث وطنية مثل مدغشقر وفرنسا...

«التحدي» كتاب غني عن التعريف، ومؤلفه جلالة الملك الحسن الثاني أشهر من أن يعرف به، أما لماذا الخطاب الأدبي؟ فذلك لأن الكتاب متعدد الجوانب والموضوعات، فهو يحتوي مثلاً على الجانب الأدبي والجانب السياسي والجانب التاريخي والجانب الاقتصادي، والجانب الاجتماعي... الخ. ويمكن أن يكون كل جانب محورا خاصا يتناوله الباحث بالدرس والتحليل، كما أن قراءة النص تتعدد بحسب تعدد القراء، وتتنوع بحسب تنوع اهتماماتهم وتخصصاتهم. وانطلاقاً من هذه الرؤية سأحاول عرض الجانب الأدبي في الكتاب.

تأطير الكتاب

إنه كتاب من نوع خاص، ويصعب تصنيفه في إطار معين من فنون الكتابة المعهودة، فهو يجمع بين المذكرة السياسية والكتابة الحضارية والتنظير السياسي والتخطيط الاقتصادي والدراسة الاجتماعية... ولا يخفى أن هذا التداخل بين الأجناس في النص الواحد، وتمرد هذا الأخير على التقسيمات الكلاسيكية هو الذي يميزه عن غيره من النصوص. ويحقق له الجودة والحداثة ويكسبه الاستمرارية والخلود، وهذا هو رأي جل النقاد المحدثين.

مراحل حياة جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره من خلال هذه المادة إلى ثلاثة مراحل :

- المرحلة الأولى : تتعلق بمولده حفظه الله ونشأته وتربيته وتعليمه داخل المغرب.

- المرحلة الثانية : تتعلق بفترة شبابه وولاية العهد، وكفاحه بجوار والده طيب الله ثراه.

- المرحلة الثالثة : تتعلق بتوليته عرش المملكة المغربية الشريفة وتحمله أعباء الملك.

فالكتاب يعرض لهذه المراحل كافة ويقف عند حدث المسيرة الخضراء المظفرة.

والملاحظ أنه لا يترجم للشخصية بطريقة مباشرة ولا مقصودة وإنما يعرض لها من خلال مساهمتها في الأحداث الوطنية، فعنصر الوطن يغلب على عنصر الذات بصورة طاغية تجعل القارئ يشعر بأن لا وجود للذات خارج مكان وزمان وحدث الوطن في كل مرحلة من مراحل حياتها، وكذلك هي حياة ملكنا الهمام ما كانت في لحظة من اللحظات إلا في سبيل الوطن ومن أجل المواطنين، يقول حفظه الله في فصل «مهنة الملكية» :

«وكثيرا ما يصادفني وأنا فيه (أي في المكتب) أن أتأسف لأن اليوم لا يمتد أكثر من أربع وعشرين ساعة»⁽¹⁾ وعندما نرصد تجليات فن السيرة في الكتاب نجدها في عده فصول أهمها الفصل المعنون بـ «أبي» الذي يتحدث عن كفاح جلالة الملك محمد الخامس في سبيل سيادة المغرب وتقدمه وازدهاره، ويعرض كذلك لمرحلة نشأة جلالة الملك الحسن الثاني، ولما تخللها من أحداث تركت أثرها في حياة جلالته، كما يوضح حرص الملك الراحل على تربية خلفه وتعليمه وإعداده لتحمل مسؤولية الملك من بعده، يقول حفظه الله في هذا الصدد :

«...دروس أخرى كان علي أن ألتقاها فيما بعد عن والدي، وقد علمني إياها بلطف زائد مقترن بالصرامة، فكان

- العناصر الزمانية : تشمل الزمان المغربي قديمه وحديثه منذ عصر الإدارة إلى تاريخ تأليف الكتاب، مع التركيز على فترة الحماية ومرحلة الانبعاث ثم عهد بناء المغرب الجديد.

- أما عناصر الحدث : فتشمل كل ما تخلل العناصر السابقة واحتوته من وقائع وأحداث داخلية وخارجية لها علاقة بالمغرب والمغاربة (ملكا وشعبا).

وإن كل هذه العناصر تتنامى في الكتاب بطريقة فنية رائعة، وتتجه نحو المقصدية التي أعربنا عنها سالفنا وهي : (إبراز عظمة الأمة المغربية)، ولكون هذه العوامل كافة تدور حول محور (الوطن المغربي) بما فيها من شعور ومقصدية وعناصر المادة فيمكن إدراج الكتاب في إطار الأدب الوطني بمعناه العام ولا يهم إن كان مذكرة أو سيرة أو غيرهما من فنون الكتابة. غير أن إدراجه في هذا الإطار لا يحول دون خصوصية نوعيته، وتفرد أسلوبه، فالكتاب فريد في موضوعه ومضمونه، ومتميز في بنائه وأسلوبه، ومتسم بالجدة والابتكار، ومرد هذه الخصائص جميعا إلى شخصية الكاتب الفذة، فالأسلوب - كما يقال - هو الرجل نفسه، ومن الضروري أن يعكس صفات صاحبه.

إنه بحق كتاب في (فن التحدي) : تحدي الاستعمار، وتحدي التفرقة وتحدي الجهل، وتحدي التخلف، وتحدي الطغيان، وغير ذلك من ألوان التحدي الوطني البناء تجلى حتى في طريقة الكتابة والتأليف.

التجليات الأدبية

لعل أقرب فن أدبي لما ورد في الكتاب من تجليات أدبية هو فن السيرة، وعندما تقوم بتجميع المادة المتعلقة بهذا الموضوع نجدها تنصب على شخصيتين محوريتين هما : جلالة الملك محمد الخامس، وجلالة الملك الحسن الثاني يحفهما الشعب المغربي الوفي، ويمكن تصنيف

(1) كتاب «التحدي» : ط الرباط 1981 - ص : 189.

من حسن حظي أن أصبحت أعني حلالاً أكبر عدد منها، وأحس في وقت مبكر بأن والدي كان يخوض معركة حقيقية»⁽²⁾.

ثم نشر على تجليات أخرى متفرقة في الكتاب تعرض لذكريات مجيدة وشائقة عايشها ملكنا بجوار والده تدل على مدى تضحيتها من أجل الوطن لدرجة الفداء والاستشهاد كما يتجلى من خلال فصلي : «المسؤامرة» و«الابتلاء». وتبرز أيضا جامة المسؤولية الملقاة على عاتق الملك والأخطار التي يتعرض لها وهو يتحمل كل ذلك راضيا من أجل سعادة وطنه وشعبه، يقول حفظه الله في فصل «أخطار المهنة» :

«إن ما أريد أن أبرزه الآن هو أن شعبا يمثل هذا الوفاء القوي يستحق أن يواجه مليكه من أجله أخطار المهنة»⁽³⁾.

ويستشف من خلال هذه التجليات العناصر المكونة لشخصية ملكنا العظيم، وهي عناصر متعددة المشارب أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- العنصر الديني الإسلامي.
- العنصر الوطني المغربي.
- العنصر القومي العربي.
- العنصر الإنساني العالمي.
- العنصر الثقافي الشمولي.
- العنصر الحضاري المتفتح.
- العنصر السياسي الديمقراطي.

بالإضافة إلى عناصر أخرى فطرية كحدة الذكاء، وبعد النظر وسداد الرأي وقوة العزيمة والإرادة، والشجاعة والإقدام والجلد والمثابرة والرزانة، وغيرها من الصفات والخصال العظيمة التي قلما تتوفر مجتمعة في شخصية واحدة، وتتجلى هذه العناصر والخصال في صفحات متعددة

من الكتاب منها الصفحات : (51، 56، 79، 84، 85، 88، 189...).

وعندما نحاول تلمس الخصائص الفنية للسيرة الأدبية في المادة المتجلى من خلالها هذا الفن في الكتاب نجدها متوفرة بصورة فنية رائعة، وفي طليعة هذه الخصائص :

«الإحساس بالتطور الزمني وتتبع مراحل النمو والتغير في الشخصية»⁽⁴⁾ حيث تعرض لمرحلة طفولة صاحب الجلالة بما فيها من خصائص طبيعية لهذه المرحلة :

«...وما أن بلغت السابعة من العمر حتى سميت وفقا للتقاليد كولونيلا في الحرس السلطاني الذي كان لباسه بديعا، وكنت أستعرض الحرس، وأقول الحق ببعض المباهاة دون أن أعرف أن والدي كان يختبرني ويراقبني وأنا أفعل»⁽⁵⁾.

ثم تعرض لمرحلة الفتوة والشباب بما فيها من اندفاع وحماسة :

«...وأخذت بالحال قرارا بأن أثار لشرفنا ولو على حساب حياتي، وخفية عن والدي طلبت لقاء الجنرال وتهيأت للذهاب إلى الإقامة العامة بالسيارة... وفي القصر الملكي استطاع السيد عواد أن يخبر والدي الذي أخذ مني السلاح بنفسه، وجعلني أقطع عهدا بألا أفكر أبدا بالقيام بمثل هذا العمل، لأنه لا يمكن إلا أن يؤدي ويضر بقضيتنا، وقال لي والدي : أمامك يا بني واجبات أخرى تنتظرك، وأعلم أن الأمل يجب ألا يفارق قلب أمير»⁽⁶⁾.

وتعرض أيضا لمرحلة النضج، وتتجلى في الكتاب من خلال مخططات جلالته السديدة، وتنظيراته العلمية الدقيقة، ومسيراته المظفرة، ومؤتمراته الباهرة، ومنجزاته الضخمة... الخ.

(5) كتاب «التحدي» : ص : 24.

(6) كتاب «التحدي» : ص : 51.

(2) المرجع السابق : ص : 25.

(3) المرجع السابق : ص : 201.

(4) فن السيرة : للدكتور إحسان عباس، ط بيروت، ص : 37 - 83.

ومن خصائص فن السيرة التي نلمسها في هذه التجليات تحليل النفيات وسر أغوارها والتعليق على الوقائع وتحليلها، ومن هذا القبيل قوله حفظه الله :

«منذ ذلك اليوم، حبكت ضد شعب المغرب وملكه مؤامرة واسعة، كانت كل خيوطها متصلة بالإقامة العامة وقد كان الجنرال يعتقد أن باشا مراكش ليس إلا دمية يحركها بأصابعه كما يريد، بينما كان العكس في أحيان كثيرة هو الصحيح. وبالنسبة إلي كشاب مغربي، أن يكون على رأس هذه المؤامرة الجنرال جوان والتهامي الكلاوي، أمر ينبئ في ذاته بما سيقع، فأولهما يجسد بذاته الاستعمار الغبي الذي كان في ذروته أيام الملكة فكتوريا وأرماند فالبير، وثانيهما يشخص الإقطاعية البالية المتعفنة، بالإضافة إلى أنه أناني للغاية، ومستعد لعمل أي شيء دفاعاً عن امتيازاته، كما كان هذا الباشا من ناحية ثانية رجلاً ينتهشه الطمع، حالما بسلطة لو نالها لما استطاع، أن يمارسها بنفسه»⁽⁷⁾.

وهناك خاصة ثالثة ضرورية في فن السيرة هي التزام الصدق والموضوعية والصراحة في سرد الأحداث، وهذه الخاصة جلية في الكتاب، ومنها على سبيل المثال :

«وما دام الخطأ من صفات البشر، والملسك غير معصوم، ونحن أنفسنا في بعض الأحيان قد أخطأنا، لذلك فإنني أعلق أهمية كبرى على عدم التحيز في الآراء وعلى صحتها»⁽⁸⁾.

وقوله أيضاً في فصل «المنجزات والحقائق» :

«درس من أعظم الدروس - وما من شك أنه أفيد درس للشعب - أعطاه لنا والدنا الجليل، خلاصته عدم قطع وعدد للشعب لا نكون قادرين على إنجازها، كما حذرنا من أن نخفي على الشعب مضاعب مهمتنا، لقد تحقق اليوم للجميع

أنا كنا سنة (64 - 1965) على حق، لقد كانت الأمة المغربية تعاني من خطر الموت»⁽⁹⁾.

وهذه الميزة قلما نعثر عليها في كتب السير الذاتية فضلا عن المذكرات السياسية.

هذا بالإضافة إلى جمال الأسلوب والصيغة، وحسن الانتقاء، والعفوية في التعبير والسرد.

فكل هذه الخصائص الفنية جعلت هذه المادة في الكتاب من أروع وأبهى ما تكون عليه السيرة الأدبية.

ومن التجليات الأدبية في الكتاب أيضاً الفصل الأخير المعنون بـ «الشجرة»، فهذا الفصل يمكن اعتباره بمثابة مقالة أدبية في منتهى الروعة والإبداع، وهذه بعض المقتطفات منه:⁽¹⁰⁾

- جاء في مطلعها :

«المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتداداً عميقاً في التراب الأفريقي، وتتفلس بأوراقها التي يقويها النسيم الأوروبي يبد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد كذلك امتداداً أفقياً نحو الشرق الذي نحن مرتبطون معه بالتبادل والطارف من الصلات الثقافية...».

- إلى أن يقول حفظه الله :

«الويل كل الويل لشعوب اجتثت جذورها، ذلك أن الشجرة التي لا جذورها لا تنبت ورقاً ولا ثمرًا، إنها شجرة ميتة».

- وبعد تحليل عميق بأسلوب عذب لمكونات هذه الشجرة القوية ولما فيها النبيلة يخلص حفظه الله إلى نتيجة هذا الفصل فيقول :

«هذه إذن هي الشجرة، الشجرة المغربية بكل أوراقها الخضراء وجذورها الضاربة في الأعماق، هذه هي شجرة

(9) كتاب «التحدي» : ص : 155.

(10) كتاب «التحدي» : ص : 221 - 222 - 232 - 233.

(7) كتاب «التحدي» : ص : 49 - 50.

(8) كتاب «التحدي» : ص : 99.

التحدي التي أصلحنا في ظلها وحررتنا وبذرنا، متأزرين متضامين، لم تكن هذه المهمة سهلة، ونحن نعرف أن هناك واجبات أخرى تنتظرنا قبل أن نجني الثمار، مهمات أخرى ومتاعب أخرى، ولكن ها هي السابيل قد علت، لننظر إليها بأمل وثقة وباعتراف كذلك، ولنحمد كلنا الله العلي القدير الذي قال في أواخر سورة الفتح : ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل، كزرع عذرا رج شطاه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع، ليغيظ بهم الكفار».

وبهذه الآية الكريمة ختم الفصل والكتاب باعتبار أن فصل «الشجرة» آخر فصل فيه، وتلك عادته حفظه الله في قوله وكتابه يختمهما أبداً بآيات من الذكر الحكيم.

وغير خاف ما لهذه الصورة الفنية (صورة الشجرة) من جمال وجلال، فهي تم عن ذوق أدبي رفيع، وتجمع بين عمق الفكرة وقوة العاطفة وروعة الخيال. تصوروا شجرة جذورها ضاربة في تربة إفريقيا الخصبة، وغصونها ممتدة نحو سماء أوروبا العليقة، ويقدر ما تعمق جنوباً وتمتد شمالاً، تنبسط أفقياً نحو الشرق لتعاقب مقومات الأمة العربية الإسلامية، ولا تقف عند هذه الحدود وإنما تنطلق بجذورها وأغصانها وأوراقها نحو كل الآفاق لتنشر الخير والسلام. إنها شجرة المغرب التي حباها الله بكل أسباب النماء : تربة خصبة، وشمس دافئة، ونسائم منعشة، وملك عظيم همام يرعاها ويتولى شؤونها، فليس غريباً أن نحسد على ظلالها الوارفة وثمارها الطيبة.

وكلمة الشجرة كرمز لها دلالات متعددة وتأثر خاص في النفوس، فهي مصدر الخيرات وعنوان الحياة، وغصنها رمز للسلام والوئام، ولا تخفى أهمية الشجرة في حياة المغاربة باعتبار أن المغرب بلد فلاح، وأن الأسرة الملكية تنتمي إلى الدوحة النبوية الشريفة، ومما زاد الصورة بهاء وجلالاً، ودلالة وإيحاء، كونها ختمت بتلك الآية الكريمة، ففيها من فن التحدي ما يغيظ الأعداء ويكسر شوكتهم.

(11) كتاب «التحدي» : ص : 97.

وإن حسن اختيار الآيات الكريمة وأقوال الأدباء والمفكرين وملاءمة الاقتباس للسياق يعتبر أيضاً من التجليات الأدبية في الكتاب. ومما تجدر الإشارة إليه أن الاستشهاد بأقوال المفكرين الأجانب هو أسلوب من أساليب الإقناع خصوصاً وأن الخطاب موجه لكل القراء عرباً وأجانب، وحتى بالنسبة للآيات الكريمة روعي فيها هذا الاعتبار، فالآية السابقة تشير إلى أهل الديانات السماوية كافة، ولقد وقع عليها الاقتباس لعدة اعتبارات :

- اعتبار المخاطب : العرب والأجانب أهل الكتاب.

- اعتبار السياق : إغاطة الأعداء إغاطة الكفار.

- اعتبار الصورة : المغرب الشجرة الإسلام الشجرة.

ثم إن في الكتاب بعض الاستشهادات ذات الطابع الأدبي المحض كقوله حفظه الله :

«لقد كان شكبير محققاً عندما وضع على لسان إحدى شخصياته المرحة هذه الشكوى :

أعصفي، أعصفي يا رياح الشتاء.

ما أنت من القسوة بأكثر.

من نكران جميل من إنسان»⁽¹¹⁾

فكل هذه الاعتبارات جعلتنا ندرج الاستشهادات الواردة في الكتاب ضمن التجليات الأدبية فيه، وهي تؤكد ما أثبتناه سابقاً عند حديثنا عن عناصر شخصية الكاتب حيث جعلنا عنصر الدين الإسلامي والثقافة الشمولية من مكونات شخصية جلالته العظيمة.

قيمة الكتاب

لهذا الكتاب قيم متعددة يصعب حصرها وأذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

(1) القيمة الوطنية : حيث إنه يبرز عظمة الأمة المغربية سواء في تاريخها المجيد وحضارتها العريقة، أو في مقوماتها الأصيلة وأسسها الثابتة، أو في كفاحها وجهادها من أجل الحفاظ على وحدتها وسيادتها وتحقيق

الازدهار والتقدم... مما يقوي الشعور الوطني في نفوس الأجيال ويجعلها تسير على نهج أسلافها الأمجاد.

(2) القيمة السياسية : إذ أنه يبرز مقومات النظام الملكي في المغرب وأسه المغربية الأصيلة، ويوضح المبادئ الأساسية للدولة المغربية وقوانينها الدستورية ومؤساتها الديمقراطية، كما يبين السياسة الخارجية لها وعلاقتها بالدول والأمم والمنظمات العالمية.

(3) القيمة التاريخية : فلقد عرض لكثير من الحقائق التاريخية في تاريخ المغرب الحديث، ربما لا نعثر عليها في كثير من الكتب التاريخية المتخصصة، وهذا راجع إلى أن الكاتب (صاحب الجلالة نصره الله) يعتبر عنصرا أساسيا في تلك الأحداث، فلقد أسهم فيها وعاشها عن كثب بل وعمل على وجودها أيضا كما هو الشأن بالنسبة لحديث المسيرة الخضراء مثلا. كما أن الكتاب يحتوي على مجموعة من الوثائق السياسية الهامة لم يسبق نشرها، وكل هذا يجعله مصدرا أساسيا في تاريخ المغرب الحديث.

(4) القيمة الاجتماعية والاقتصادية : فهو يعرض مختلف تطور ميادين الحياة المغربية من الناحية الفلاحية والسياحية والعمراية والصناعية، وفي ميدان التعليم والصحة والرياضة، ويعرض جداول إحصائية تدل على تقدم المغرب في هذه المجالات، كما يبرز مدى اهتمام الدولة بتحسين

مستوى الحياة للمواطن المغربي، ويبين سياستها في هذا الصدد، والتي تقوم على ثلاثة أسس هي : المشاركة والاصطفاء والتوازن.⁽¹²⁾

(5) القيمة الأدبية : فالكتاب يعتبر فنا جديرا من فنون الكتابة الأدبية الوطنية سواء من حيث موضوعه ومضونه وطريقة بنائه، أو من حيث مقاصده وأهدافه بالإضافة إلى ما يتميز به من جمال في الأسلوب، وصدق في التعبير، وحرارة في العاطفة، وعمق في الأفكار، وقدرة على الاقناع.

وإن قارئ الكتاب يشعر بتعاطف غريب مع الأمة المغربية وملكها العظيم، فإذا كان مغربيا يشعر بالفخر والاعتزاز، أما إذا كان أجنبيا فإنه يشعر بالاعجاب والتقدير، وهذا ما نستخلصه من مقدمة الناشرين الفرنسيين. والكتاب يشد إليه القارئ ويستحوذ على عقله وشعوره معا، ومرد هذا الأمر إلى صراحة المؤلف وشعوره الوطني الصادق وإنسانيته المثالية، وإلى أسلوبه المنطقي المقنع، وإلى قداسة القضية ونبل المقصدية.

وخلاصة القول إن هذا الكتاب ماثرة من مآثر ملكنا الهمام ومفخرة من مفاخره الخالدة، وهو ليس إلا صورة من صور جهاده - وما أكثرها - في سبيل عظمة المغرب العزيز جاءت هذه المرة في شكل كتاب.

تظوان : عبد الواحد ابن صبيح

رمز الخير والوحدانية

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

وخلقك روض ناضر ينشر البشرا
صفاء وإشراقا وكالبدر في الإسرا
عطاء لشعب أنت أوليته الفخرا
كواكب في الآفاق أو يسبق الشعري !
فمالك سعي غير راحتك الكبرى
ويطوي على الإخلاص أنمله العثرا
لعرشك في عيد تطيب به الذكرى
وحن الربيع الغض يغمرها سحرا
ووشى وزان الوشي بالحلة الخضرا
فتخصب إخصابا يتيح لها الوفرا
يقدم للأبصار ما يشرح الصدرا
يقابل في الآفاق أنجمها الزهرا
فقد عرضت غيراؤنا صورا أخرى !
مظاهر من أفراحنا تبعث الشعرا
أهلت بعيد العرش في أفقنا البشري
قداسته والدين يرفعه قدرا
على عرش آباء حموا شعبهم دهرا
فروعهم طابت بما مجد النجرا

سجاياك مثل الزهر يمنحنا العظرا
شمالك الغراء كالشمس في الضحى
وفضلك لا ينفك يبعث جوده
سما بك حتى كاد يدرك مجده
تهيم به حياء، وتوتره هوى
بيادلك الحب العميق جبلة
ويشدو بأيات الولاء تحية
أهل ووجه الأرض يزهر فتنه
تفوق في الإبداع وافتن في البها
يلامس بالنعمة حقولا ندية
ونسدها المخضر زاه وروضها
فما شئت من زهر بديع مضخ
إذا ازينت خضراؤنا بكواكب
مشاهد من حسن الطبيعة رونقت
يلذ به الإنشاد والشدو كلما
فمرحى به عيدا له بقلوبنا
لأن أمير المومنين به استوى
أباة كمة صالحون أئمة

ولها رسول الله قد أودع السرا
إلى ماجد والعقد يلمع مفترقا
بواسطة لماعة تبهر البدر
وخير الأولى شادوا، ومن أبدعوا النصرا
رأت عزمه الماضي يلائمها مهرا
لتختار من أضحى بقيمتها أخرى !
سوى «الحسن الثاني» الذي توج العصر
ومن فكره الخلاق تقبس التبرا
لدى الدر من أقواله حكم تترى
فعرفانه قد فاق في السعة البجرا
دعا العزم، إن العزم لا يعرف الصبرا
وحزم تصير المنجزات به كثر
ودرس وتبدير يجنبنا العبرا
وقد كمل التوحيد في فرحة «الصحرا»
تردد آيات الوفاء له شكرا
وأجرى بها الخيرات نهرا يلي نهرا
وصارت سهول الرمل أودية خضرا
تضيف لها شأنا وترفعها قدرا
فلم يكفه التوحيد في الساحة الصغرى
لكان مقام البدر في عرفها نذرا !
توحدها من غير أن يمهل الأمرا
إلى فضله الرحمن فانتهجوا البرا
رأوا عنده ما يطرد الخلف والهجرة
فإن المسمى واحد لو بدا دثرا
كخمس أسام للصلاة سميت أجرا
وهاذي لأوقات الأداء يرى ذخرا
وجوهره فرد وأهدافه كبرى
«بمؤتمر» ضمه «مراكش الحمراء»

سلالة آل البيت وارثة الهدى
تعاقب منها في الخلافة ماجد
إلى أن زها التنسيق حسنا وروعة
بسيد من سادوا، وأعلم من دروا
أتمه المعالي طائعات لأنها
كان لها عينا تلاحظ كفوؤها
فلم تلف في الدنيا جديرا بمجدها
مليك على آرائه طمع الهدى
إذا فاه والآذان تصغي تلالا
وإن نال بعض الحاكمين معارفا
له الحزم في الأعمال رائده إذا
يرى دائما ما بين عزم موطد
وما ذاك إلا بعد رأي وخطوة
بنى وحدة الأوطان فكرا وتربة
أتمه كما يأتي الوفي لأهله
فأقدها مما تعاني تخلفا
وأضحت رباها الحالمات عرائسا
وشيدت على أس الرقي معالم
إذا كان شمل الدار ملتثما به
وهتمته لو شاءت البدر مرتقى
لذاك سعى نحو «المغارب» ناشدا
وأقنع فيها قادة قد هداهم
دعاهم فخفوا مسرعين لأنهم
إذا عدت فينا أسامي مغارب
وخمس أسام للمغارب عدها
فتلك رموز للأماكن ميزت
ولكن روح الأمر واحدة سرت
وما انعقد الإجماع إلا موقفا

حدائقها الغناء طافحة سكرًا
وولت غيوم الخلف مثقلة ذعرا
كما وحد الخلاق وحدنا قطرا
به غنت الأجيال تنتظر الفجرا
يحالفه التوفيق مبتهجا نضرا
وسر نجاح دائم يصدق الخيرا
أحب فإن الله في صنعه أدرى

☆☆☆

فيسلكها شعري لكي يصف الفخرا ؟
لمرقي نسور الجوان يدرك البدرا !
ولو كان يبدولي ضخامته سفرا !
من العمل المبرور تبذعه بكرا !
وسعيك مشهودا وإحسانكم غمرا !
سيبقى لسان الدهر يتلو لها الذكرا
وإن ذكر الأبطال كنت لهم صدرا
يفيض لك المولى السلامة والعمر
مرب يطيب الفرع من فيضه عطرا
وآلك في حفظ وشعبك في البشري

تطوان - عبد الواحد أخريف

زها عرسها بين النخيل وزغردت
وقاض شعور بالرضا متدفق
وصفقت الدنيا لحكمة عاهل
وحقق حلما لم يزل متجددا
فأسفر ساما على يد عاهل
تقيية محمود، وفأل سعادة
إذا الله ألقى سره بفؤاد من

إمام الدنيا والدين هل من محجة
محال على ذي الشطرتين ولو سما
ولا النثر ذو التفصيل يستطيع وصفه
ففي كل خطو من مسيرك زحمة
وأنى التفتنا كان برك حاضرا
لك المنجزات الخالدات على المدى
وما خلد الأبطال إلا جهادهم
قدم في أمان الله يصحبك الهدى
وعاش ولي العهد في حضان والد
ودام سليل الرشيد في كنف الرضا

عيد
البيعة
والوحدة
والنضال

عيد العرش

للشاعر الأستاذ محمد العزني الشاوش

كما العرش تبتهج العروس
وتسطع في مواكبه الشمس
وتنتعش الخواطر والنفوس
وتمثل من مهاجبه الرؤوس
وتزخر من مناقبه الطروس

☆☆☆

بعث المغرب الأقصى المفدى
يروم تحررا ويروم مجدا
من التشتيت أتراحا وجهدا
فصار الشعب للأحرار ندا
كرىما راسخ الأمجاد طودا

☆☆☆

من البوغاز للصحرا الوقية
لنهضتها المباركة السنية
على الدنيا وأقيال البرية
وعاهله وأسرتة الزكية
بيعتة وذكرها السرية

☆☆☆

بعيد العرش تبتهج النفوس
وتفتخر البلاد به افتخارا
وتزدهر الحواضر والبادي
وتحلو في مدائحه القوافي
وتنظم في محاسنه الأغاني

هو العرش الذي قد حاز مجدا
فهب مغاضبا شعب أصيلا
ووحده أمة كانت تعاني
وحرر دولة وأعز شعبا
وأضحى المغرب الأقصى عظيما

بلاد المغرب الحر الأبية
تقدس عرشها رمزا أصيلا
وبالحسن العظيم تتيه فخرا
وتذكر بالفخار نضال شعب
قطوبى للإمام ومن تغنى

☆☆☆

على مر الأهل سنة والسنيننا
بيعتنا لعاهلنا المفدى
وعهد الله شرع والتزام
فمن أوفى بعهد نال أجرا
ومن نكث العهد وزاغ طيشنا
تقدس عهد رب العالمينا
ورائدنا أمير المؤمنيننا
وتوحيد لشمس المسلميننا
ونعم الأجر أجر المخلصيننا
فسحقنا للجناة الخائنيننا

☆☆☆

بني قومي هنيئنا بالمعالي
فمن عيد إلى عيد مجيد
ومن نصر إلى فتح مبین
ومن فخر بجيش مستعبد
وتهنئة إلى الملك المفدى
وفوزكمو على درب النضال
ومن فوز إلى أوج الكمال
ومن مجد إلى قمم العوالي
إلى فخر بأبطال النزال
ودام مؤيدا في كل حال

☆☆☆

يطيب النظم في عيد الإمام
مآثره تجلت كل عام
ويعجز مرقمي عن وصف عيد
وما المنظوم والمنثور يوفي
فبارك ربنا عيدنا سعيدا
وقطب العالمين على السلام
كنور الشمس أو بدر التمام
له الدنيا تطأطئ في احترام
بحق العيد أو فضل الإمام
به الأيام تفخر كل عام

☆☆☆

بني قومي افخروا إن المعاني
فتحرير، وتوحيد، ونصر
وعمران يفيض بكل خير
وعيد العرش في المعنى نضال
أدام الله هذا العيد فخرا
تقرب ما يجل عن البيان
ومجد في سموخ كالرعان
وآمال بتحقيق الأماني
حوى غر المقاصد والمعاني
وتتويجا لأعياد الزمان

تطوان : محمد العربي الشاوش

من المصحف العثماني إلى المصحف الحسيني

لأستاذ عبد القادر العافية

الموضوع⁽³⁾ ومن ذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب (ض) حيث كان خباب بن الارت يقرأ القرآن عند أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد بن نفيل، ففاجأهم عمر بسبب وشاية أحد المشركين فوجد عندهم صحيفة مكتوب فيها: «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى⁽⁴⁾ فأخفت فاطمة الصحيفة، وكان عمر قد سمع القراءة قبل دخوله...» إلى آخر القصة التي يستفاد منها أن القرآن الكريم كان يكتب في الصحف وغيرها.

وكان للنبي ﷺ كتابة للوحي بمكة أولاً، وبالمدينة بعد ذلك، يذكر الرواة أن عددهم وصل في بعض الأحيان إلى أربعين كتاباً، في مقدمتهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت... وغيرهم.⁽⁵⁾

وشجع النبي ﷺ أصحابه على كتابة القرآن حتى إنه قال: «من كتب عني غير القرآن فليمحه»⁽⁶⁾، ومعنى هذا أن العناية بالمصحف بدأت في عهد الرسول ﷺ حيث رتب

قراءة المصحف الشريف تمكنت من قلوب المسلمين منذ نزول أول آية من القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام، وظهر ذلك في عناية المسلمين بالمصحف الشريف عناية بالغة الدقة، ومنهجية، سائرت نزول الوحي إلى آخر آية منه، وتمثلت هذه العناية منذ البداية في حرص النبي ﷺ على كتابة الوحي وفق منهجية اتبعها ﷺ، والتزم بها.

فكتابة القرآن الكريم من أول آية في مجتمع أمي لا يهتم بالقراءة والكتابة كانت عملية هادفة، ومنهجية، فالقرآن كتب في الصحف، والعظام وعصب النخل⁽⁷⁾ واللخاف...⁽²⁾ يقرأه الصحابة رضوان الله عليهم، ويلقنه بعضهم لبعض. فالمسلمون بدار الأرقم بن الأرقم عملوا بتوجيه النبي ﷺ على كتابة ما ينزل من الوحي قصد الرجوع إليه، وقصد نشره بين الناس، وبخاصة بين الذين تفتحت قلوبهم لدعوة الإسلام، ونقلت كتب السيرة أخباراً مفيدة في هذا

(1) عصب النخل بضمين مفردة عصب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشفها، ويجمع على أعصبة وعسوب أيضاً.

(2) اللخاف جمع لخافة: حجرة رقيقة محددة... انظر فيها لسان العرب.

(3) انظر سيرة ابن هشام: 1: 294 ط: دار الجيل بيروت: 1975.

(4) سورة طه الآية الأولى.

(5) فضائل القرآن لابن كثير، بلحق ج: 7 من تفسيره: ص: 451 ط: دار الفكر.

(6) كتاب المصاحف لابن أبي داود: ط: 1 دار الكتب العلمية بيروت: 1985.

الآيات داخل السور، ورتبت السور بعضها مع بعض⁽⁷⁾ ثم بعد وفاته ﷺ تمثلت هذه العناية في حرص الصحابة على صيانة القرآن من الضياع، وفي حفظه وجمعه والعناية به، وفي تلاوته، والتنافس في استيعابه واستظهاره... وهذا مما حدا بعمر بن الخطاب «ض» أن يطلب من أبي بكر الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يجمع القرآن في الصحف، وأن ينقله مما كان مكتوباً فيه من العظام، واللخاف، والعصب... ومن الصدور، ليصبح في صحف يسهل الرجوع إليها عند الحاجة.⁽⁸⁾

ويعد الجمع الأول للقرآن الكريم على عهد أبي بكر «ض» من أهم مظاهر العناية بالمصحف الشريف، وعن هذا العمل يقول ابن كثير:

«فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر «ض» من أكبر المصالح الدينية، وأعظمها في حفظ كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ، ثم كانت تلك الصحف عند حفصة أم المؤمنين لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه».⁽⁹⁾

وعمل أبي بكر «ض» في جمع المصحف كان ذا نتائج هامة منها: إثبات النص القرآني بصيغته النهائية التي تمت في العرصة الأخيرة على جبريل عليه السلام قبيل وفاة النبي ﷺ.

ومنها: توثيق النص المكتوب بعرضه على المحفوظ في صدور أكبر عدد من الصحابة، وبذلك أصبح المسلمون يتفرون على نص قرآني مكتوب ومحرر يقابلون عليه.

ثم بعد هذا يأتي المظهر الثالث من العناية بالمصحف الشريف، وذلك أن سيدنا عثمان «ض» عندما أخبر وهو أمير المؤمنين باختلاف الناس في القرآن، أرسل إلى أم المؤمنين حفصة «ض» أن أرسلني إلينا بالمصحف فتسخها ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان بن عفان «ض» فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الحارث بن هشام فسخوها في المصاحف».⁽¹⁰⁾

يقول ابن كثير معلقاً على عمل أمير المؤمنين عثمان بن عفان «ض» «إن الشيخين - أبا بكر وعمر - سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو - أي عثمان - جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقهم على ذلك جمع من الصحابة، وما ورد عن عبد الله بن مسعود سببه أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، ثم رجع إلى الوفاق، وأمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام، وقال علي بن أبي طالب «ض» لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا».⁽¹¹⁾

يقول ابن كثير: وبذلك اتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي: على أن صيانة المصحف من مصالح الدين. وقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»⁽¹²⁾ وبعث عثمان بالمصاحف إلى الأمصار: مكة والبصرة والكوفة، والشام، واليمن والبحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفاً.⁽¹³⁾

وما قام به عثمان «ض» وافق عليه الصحابة، ولم ينكره أحد منهم، وعند ابن أبي داود في كتاب المصاحف: «باب رضي عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك».⁽¹⁴⁾

(7) في ترتيب السور خلاف ذكره السيوطي في الإتيان ج: 1 النوع: 18 والتراجع أن ترتيب الآيات والسور عمل توقيفي.
(8) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 1: 133: ط: 3 دار الفكر بيروت.
(9) فضائل القرآن مرجع سابق: 442 وما بعدها.
(10) فضائل القرآن لابن كثير مرجع سابق.

(11) المصادر نفسه.
(12) سنن أبي داود عن العرياض بن سارية.
(13) عدة المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأمصار فيه خلاف بين الرواة، انظر: كتاب (المصاحف) لابن أبي داود: 43، والإتيان للسيوطي: 1: 62.
(14) ابن كثير: 7: 446 مرجع سابق.

وعثمان رضي الله عنه احتاط في هذا الجمع غاية الاحتياط واتبع فيه منهاجا دقيقا حيث جمع ما كان عند الناس من المصاحف وأجزائها ثم قال : «من أكتب الناس؟ قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال : فأبي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص، قال عثمان فليعمل سعيد وليكتب زيد، واستحسن أصحاب الرسول هذا العمل».(15)

وذكر ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» وهو يتحدث عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان «ض» :

«وأما جمع القرآن فذلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة لكنه أظهرها، ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه، حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها».(16) والملاحظ أن الصحابة الذين اتدبهم عثمان لكتابة المصحف اتبعوا منهجية دقيقة، فكانوا لا يكتبون فيها إلا ما تحققوا أنه قرآن، وعلموا أنه قد استقر في العرصة الأخيرة، وما أيقنوا صحته عن النبي ﷺ وتركوا ما سوى ذلك.

☆☆☆

واقترضت هذه المنهجية أن تكتب المصاحف بكيفية تساعد على قراءة القرآن الكريم بالأحرف السبعة(17) وجعلوها خالية من النقط والشكل تحقيقا لهذه الغاية، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه، أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل على قراءة أخرى، كقراءة «وصى»

(15) المصدر 448 نفسه.

(16) العواصم من القواصم لابن العربي المعافري الفصلية التي نشرها وحققها محب الدين الخطيب ص : 66.

(17) ما ذكره الشيخ محمد الحجوي الثعالبي في كتابه الفكر السامي : 1 : ص : 30 - 31.

من أن سيدنا عثمان «ض» جمع الناس على لغة واحدة، وهي لغة قريش غير صحيح، لأن عثمان «ض» نقل مصحف أبي بكر ووزع

«وأوصى» في قوله تعالى : ﴿وأوصى بها إبراهيم بنبيه، ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.(18) فإنها كتبت في بعض المصاحف «ووصى» وفي بعضها : «وأوصى» وهما قراءتان مشهورتان، بالتضعيف، والهمز.

ومثال الكلمة التي تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى : ﴿إن هذان لساحران﴾(19) رسمت في المصحف ﴿إن هذان لسحران﴾ «بالمحذوف» بعد الهاء، والذال، والسين، والراء. بلا نقط ولا شكل، ولا تشديد، ولا تخفيف في نوني «إن» «وهذان» ومن غير ألف، ولا ياء بعد الذال من (هذان) فالرسم في هذا المثال صالح لأن يقرأ بوجوه أربعة، وهي واردة كلها بأسانيد صحيحة :

(1) قراءة نافع ومن معه بتشديد نون «إن» وتخفيف نون «هذان» بالألف.

(2) قراءة ابن كثير، وحده يخفف نون «إن» ويشدد نون هذان.

(3) قراءة حفص يخفف النون في «إن» وهذان بالألف.

(4) قراءة أبي عمرو بتشديد «إن» وبالياء وتخفيف نون «هذين».

ومن مزايا هذا الرسم كذلك إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة وذلك نحو قطع كلمة «أم» في قوله تعالى : ﴿أم من يكون عليهم وكيلا﴾ ووصلها في قوله تعالى : ﴿أمن يمشي سويا على صراط مستقيم﴾(20) بالادغام، فقطع «أم» الأولى في الكتابة للدلالة على أنها «أم» المنقطعة التي بمعنى بل، ووصل «أم» الثانية للدلالة على أنها ليست مثلها.

نسخه على الأمصار بعد زيادة في التوثق. والمصاحف العثمانية تناقلها القراء، وفيها لغة قريش وغيرها من القبائل... وبذلك لم تبطل الأحرف السبعة.

(18) سورة البقرة / 132.

(19) سورة طه / 63.

(20) سورة الملك / 22.

3) للدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في «بأييد» في قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأييد، وإنا لموسعون﴾⁽²¹⁾ إشارة إلى عظمة قوة الله تعالى التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة، فزيادة المبنى للدلالة على زيادة المعنى.

فالرسم في المصحف العثماني لم يكن اعتباطيا، بل كان وفق منهج دقيق، وهذا ما حمل بعض أئمة الإسلام على القول بمنع مخالفة الرسم الذي كتب به الصحابة القرآن الكريم.⁽²²⁾

☆☆☆

ومن مظاهر العناية بالمصحف الشريف ما قامت به الأمة الإسلامية عبر القرون والأجيال من حفاوة وتعظيم لشأن المصحف، وما التزمه المسلمون من آداب نحو كتاب ربهم، فتنافسوا في نسخه، واقتناء المكتوب منه بأجود الخطوط وأبدعها، وعملوا على تجويد وإتقان كتابته ابتداء من الصدر الأول إلى يومنا هذا فرسم المصحف الذي كان في البداية خاليا من النقط والشكل... اعتمادا على السليقة والفظرة العربية السليمة احتاج بعد خول الأمم المختلفة في الإسلام إلى ضبطه وإحاطة كلماته بمزيد من العناية حتى تسهل القراءة، وتتميز حروف الكلمات بشكلها الواضح فيسهل النطق بها، وتعرف الفروق بينها... فكان السبيل إلى ذلك : الإعجام والشكل قصد المزيد من الضبط وإتقان القراءة... كل هذا جاء عناية بالمصحف الشريف، واهتماما بأمره.

وقد سبقت الإشارة إلى أن المصحف العثماني لم يكن منقوفا ولا مشكولا لتبقى الكلمة محتمة لأن تقرأ بوجوه القراءات التي صحت روايتها.

ويختلف المؤرخون هل كان الإعجام معروفا قبل الإسلام أم لا ؟ فذهب بعضهم إلى أنه كان معروفا، وتركه

الصحابة عمدا للأسباب السالفة، وذهب البعض الآخر إلى أنه لم يكن معروفا، ومهما يكن من أمر فإن إعجام المصاحف لم يحدث على المشهور إلا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إذ رأى أن البلاد الإسلامية قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وكادت العجمة تمس سلامة اللغة، حيث بدأ اللبس، والإشكال في قراءة المصاحف يظهر جليا بين الناس، وشق على الكثير منهم أن يهتدوا للتمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهي غير معجمة ولا مشكولة.

وبطبيعة الحال كانت تصل أصداء هذه الصعوبات إلى الخليفة ففكر في إنقاذ الناس من هذا الحرج الذي يجدونه في قراءة المصحف، وعلى أرجح الروايات أنه أمر عامله على الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي، وندب الحجاج طاعة لأمر الخليفة رجلين جليلين لمعالجة هذا المشكل وهما : نصر بن عامر الليثي (ت : 89 هـ) ويحيى بن يعمر العدواني (ت : 120 هـ) وكلاهما كفاء، له بصر وإمام بهذا الأمر، إذ جمعا بين العلم والصلاح والتقوى والورع، والخبرة بأصول اللغة، ووجوه قراءة القرآن، وهما معا تتلمذا على أبي الأسود الدولي⁽²³⁾ فقاما بعجم المصحف ونقط جميع حروفه المتشابهة، والتزما ألا تزيد النقط في أي حرف على ثلاث، وشاع عملهما بين الناس وبذلك سهلت قراءة المصحف الكريم.

في هذه الفترة بالذات بدأ شكل المصحف، ولم يكن العرب يعرفونه قبل هذا لصفاء سليقتهم، وذلاقة ألسنتهم.

وتذكر الروايات أن أبا الأسود الدولي سمع قارئاً يقرأ : ﴿واعلموا أن الله برئ من المشركين ورسوله﴾ بجر اللام في رسوله، فأفزع هذا اللحن الشنيع، وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى زياد بن أبيه والي البصرة، وقال له : قد أجببتك لما سألت، وكان

(23) اسمه ظالم بن عمرو الدولي الكشاني، وأضح علم النحو تابعي فقيه شاعر فارس أمير، (ت : 69 هـ) روى عن علي ابن أبي طالب وابن عباس.

(21) سورة الذاريات / 47.

(22) انظر ما كتبه الزرقاني بمسائل العرمان عن هذا الموضوع، ج : 1 / 380...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السورة الفاتحة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ١
الَّذِي هَدانا للصراط المستقيم ٢
الصراط الذي انعمت علينا به ربنا ٣
الذي لا يغضب علينا ٤
الذي لا يظلمنا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قوله تعالى وما آتاكم الله من فضله
فخبروا به ولو سأل عن ذلك
فأنصتوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَبْزُوا فِي دِينِكُمْ وَالْمَأْتِثِينَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾



التلاوة كانت معروفة منذ العهد النبوي، وتقل بعض الأحاديث الدالة على ذلك»⁽²⁶⁾.

ويذكر أنه في عهد التابعين عرفت : الأثلاث، والأربع، والأخماس والأسياع، والأعشار...⁽²⁷⁾ ووضعت في المصاحف علامات تدل على التجزئة، فمنهم من قسم القرآن إلى ثلاثين قسماً، وأطلق على كل قسم منها اسم «الجزء» حتى أصبح الجزء عند إطلاقه ينصرف إلى جزء من ثلاثين، وجرى على ذلك أصحاب الربعات⁽²⁸⁾ إذ كتبوا كل جزء في نسخة مستقلة، وفي الغالب تكون هذه الأجزاء بين يدي صغار التلاميذ. وقسموا أحياناً الجزء إلى قسمين، وسما كل جزء حزباً كما هو الحال عندنا بالمغرب، وقسموا الحزب إلى ثمانية أجزاء كل جزء يسمى الثمن، ومنهم من وضع كلمة «خمس» عند نهاية كل خمس آيات من السورة، وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات، فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة «خمس» فإذا صارت هذه الخمس عشرة أعادوا كلمة عشر، وهكذا إلى آخر السورة.

وبعضهم يكتب موضع الأخماس رأس الخاء بدلاً من كلمة «خمس» وموضع الأعشار رأس العين بدلاً من كلمة «عشر».

ووضعت للآيات أرقام داخل السورة، وكتبت فواتح السور كعنوان ينوه فيه باسم السورة وما فيها من الآيات المكية أو المدنية.

والغرض من هذا كله التسهيل والتيسير لتسهيل القراءة على القارئ، ولذا رأى كثير من العلماء أنه ما دام الغرض هو تيسير القراءة فلا بأس من ذلك.⁽²⁹⁾

وكل هذه التحسينات والتسهيلات تدخل في باب العناية بالمصحف الشريف الذي تضاعفت حوله عناية

زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فتباطأ في الجواب حتى صادف هذه الحادثة، وهنا عمل على أن يجتهد في إيجاد علامات تقي القارئ من اللحن فأداه اجتهاده إلى جعل علامات الفتحة تقطة فوق الحرف، والكسرة أسفله، وجعل علامة الضم تقطة بين أجزاء الحرف وجعل علامة السكون : تقطتين.

ثم بعد ذلك استبدل الشكل الأول الذي هو النقط بشكل جديد، وهو المعروف حالياً، لأن نقط الاعجام، ونقط الشكل كانت تحدث ارتباكاً للقارئ.

وذكر ابن أبي داود في كتاب المصاحف : (باب نقط المصاحف) قال حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك، حدثنا الحسين بن الوليد عن هارون بن موسى قال : «أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر»⁽²⁴⁾ - السالف الذكر -.

ثم أتى بمجموعة من الروايات عن بعض التابعين الذين كرهوا نقط المصاحف، وعقب بعدها بروايات أخرى عن بعض التابعين كالحسن البصري وابن سيرين وغيرهما من الذين قالوا : إنه لا بأس بنقط المصاحف، ثم ذكر بعد ذلك كيف تنقط المصاحف.

والمقصود في كلامه بالنقط : الشكل، وذلك واضح من الأمثلة التي أوردها.⁽²⁵⁾

☆☆☆

تجزئة القرآن :

كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة، كما كانت مجردة من النقط والشكل، ولما امتد الزمان بالناس جزأوا المصحف عدة تجزيئات تسهلاً على القارئ، وينقل ابن أبي داود في كتاب المصاحف : أن تجزئة القرآن في

يحتفظ فيها العطار الطيب، وفي الحديث : «فوجدت ليد برداً وريحاً كأننا أخرجها من جوة عطار. أما الريحه فهي بمعنى صندوق فيه أجزاء المصحف، وهي مولدة من اصطلاح أهل بغداد، وتطلق على مجموع النسخ الجامعة للقرآن كله، تاج العروس 1 : 343.

(29) انظر مناهل العرفان للزرقاني : 1 : 403.

(24) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص : 158.

(25) نفس المصدر.

(26) نفس المصدر، ص : 131.

(27) نفس المصدر، ص : 132.

(28) الريحه بفتح الراء جوة عطار، وهي سليفة مستديرة مغطاة بالجلد

المسلمين عبر العصور والأزمان. فمنذ عهد السلف الأول أبح العلماء على تحسين كتابة المصحف والعناية بخطه ورسمه، وفي هذا المجال نقل ابن أبي داود في كتاب المصاحف ما رواه بسنده عن أبي حكيمة العبدي قال : كنت أكتب المصاحف بالكوفة فيمر علينا علي «ض» فيقوم فينظر، فيعجبه خطنا، ويقول : «هكذا نوروا ما نور الله» وأتى بعدة طرق لهذا الخبر، واستمرت هذه العناية في كتابة المصاحف وتجويدها وتحسينها إلى أن تفننت كل جهة من جهات العالم الإسلامي في ذلك، وبلغ فن كتابة المصاحف شأوا بعيدا، وتباهى الأمراء والخلفاء والملوك في اقتناء أحسن النسخ وأجودها.

☆☆☆

وفي الغرب الإسلامي تفنن الناس في كتابة المصاحف والعناية بها، فكتبت بالذهب، والمك والعنبر الممزوج بماء الورد والزعفران، وحليت المصاحف بالذهب، والجواهر النفيسة والدرر اليتيمة... بل تنافس عليه القوم من علماء، وملوك، وأمراء، وكبار الخطاطين المهرة في كتابة المصاحف بأجمل الخطوط وأتقنها... ومن ذلك المصاحف التي كتبها السلطان أبو الحسن المريني بخطه الجميل وبعثها هدية للحرم الشريف.

وفي هذا المجال يتقل المؤرخون مجموعة من الروايات تثبت أن المغاربة كانت لهم عناية فائقة بكتابة المصحف الشريف، واشتهر في هذا الميدان مجموعة من الخطاطين والمزوقين والسفرين... ذكر مجموعة منهم أستاذنا العلامة الباحث سيدي محمد المنوني حفظه الله، في بحثه القيم عن تاريخ المصحف الشريف.⁽³⁰⁾

والحقيقة أنه منذ دخول الإسلام إلى المغرب والمصحف محل رفعة وشأن، وله كبير مقام واحترام في نفوس الناس الذين توارثوا هذا التقدير والتبجيل خلفا عن سلف.

إذ كان الفاتح المسلم أثناء فتوحه ونشره للإسلام يقدم المصحف بين يديه، ويجعل منه منار هداية، ومحور تخاطب، ومن مصاحف الفاتحين التي تحدث عنها المؤرخون مصحف الفاتح الأول عقبة بن نافع الفهري «ض» حيث ظل مصحف هذا الفاتح المجاهد معروفا يتوارثه الأمراء والملوك.⁽³¹⁾

وعن هذا المصحف يقول الناصري في الاستقصا:⁽³²⁾ «وهو من ذخائر الخلفاء... ولم يزل المصحف العقباني متداولاً بين الملوك السعديين إلى أن انقرضت دولتهم، وجاءت الدولة العلوية الشريفة فانتقل المصحف المذكور إليها وتداولته ملوكها إلى أن جاء السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل بن الشريف رحمه الله، فبعث هدية سنية مع ركب الحاج للحرم النبوي. وبعث في جملتها المصحف المذكور...»⁽³³⁾

ويذكر المؤرخون أن عمر بن عبد العزيز بعث بمجموعة من القراء للمغرب كان لهم دور كبير في نشر المصحف، وتعليم الناس القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف...

وظل المصحف بالغرب الإسلامي محل عناية وإشادة... وتنافس أهل هذه البلاد في حفظ القرآن وتجويد قراءته، والتبحر في علومه، فنيغ من بينهم علماء كبار أصبحوا روادا في علم القراءات ورسوم القرآن الكريم،

التايين بالقيروان الأولى سنة : 47 هـ. جاء هذا التأكيد في البحث القيم الذي قدمه الأستاذ المنوني في «التدويع الوطنية للسيرة النبوية» التي نظمتها جمعية أبي رقراق : 12، 13 - 14. ربيع الثاني 1408 الموافق 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100. عمل على استيراد هذه الذخيرة عن طريق مصورة - برسم المغرب من المصحف العقباني. حسب تعبيره. انظر البحث المشار إليه وهو بعنوان : «مصحف عقبة بن نافع».

(30) البحث منشور بمجلة دعوة الحق : العدد : 4. السنة : يلبوز 1981.

(31) الدكتورة هند شلبي شك في بقاء مصحف عقبة، وأوردت أدلة على ذلك، انظر كتابها : «القراءات بالفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هـ» ص : 52 - 53.

(32) الاستقصا ج : 2 : 114 - 116. ط : دار الكتاب.

(33) أكد الأستاذ البعاطة سيدي محمد المنوني حفظه الله أن نسبة المصحف إلى عقبة نسبة صحيحة، وأنه كتب له من طرف أحد

وضبطه... مثل الداني، والشاطبي وابن بري، والهمطي، وابن غازي، وغيرهم... حتى أصبح أهل المغرب من أكثر الشعوب الإسلامية عناية بالمصحف الشريف واستظهاره، والتمكن من علومه، بل جعل المغاربة القرآن وردا من أورداهم، وشعارا من شعارات مساجدهم، وأصبحت قراءة الحزب في المساجد من الوظائف الأساسية والضرورية، بحيث لا يتصور مسجد وهو لا يتوفر على هذه الوظيفة التي هي : قراءة الحزب صباحا ومساء. وحتى المساجد التي أنشأها العمال والتجار المغاربة في أوروبا وغيرها سارت على نفس المنوال.

وقبل ظهور الطباعة كانت خزائن المساجد والزوايا تتوفر على مجموعة من المصاحف أوقفها المحسنون للقراءة فيها، ولا يكاد مجد جامع بالمغرب يخلو من خزانة للمصاحف، واهتمت مختلف الطبقات المغربية بالمصحف الشريف، وألزمت أولادها بحفظ القرآن الكريم، إلى درجة أنه في بعض الجهات من المغرب كان ينذر جدا وجود فرد واحد لا يستظهر القرآن.⁽³⁴⁾

وقد لاحظ ابن خلدون في القرن الثامن الهجري تعلق المغاربة بحفظ القرآن الكريم، وصرّفهم جل أوقاتهم في استظهاره وتجويده وإتقان رسمه، والتوسع في معرفة علومه... وانتقدهم لشدة مبالغتهم في ذلك.

فلا يكاد بيت في المغرب يخلو من المصحف الشريف يقرأ فيه أهل البيت كلما سح لهم الوقت بذلك، وكثير منهم يلزمون أنفسهم بالقراءة في المصحف ليلة الجمعة ويومها، أو في غير ذلك من الأيام.

34 ذكرت في بحث لي عن الكتاب القرآني بشفاشون على عهد الحسن الأول، أن عددا من النساء كن يستطهرن القرآن كله عن ظهر قلب ويقمن بتعليقه : وتدرّس ما يتعلق برسمه وضبطه، وإلى عهد متأخر كان يقرى عبارة عدد من النساء يحفظ القرآن الكريم ويتقن رسمه وتوجد إحدى السيدات يقال لها التي قطيمو يرجع إليها في الحفظ والرسم، وتعجز الطلبة.

35 تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة بتحقيق : د. عبد الهادي التازي ط : دار الأندلس : 439.

36 المعجب لعبد الواحد المراكشي بتعليق محمد سعيد العريان ومحمد

حفاوة أهل المغرب بالمصحف العثماني. تحدث ابن صاحب الصلاة في كتاب تاريخ «المن» بالإمامة،⁽³⁵⁾ وعبد الواحد المراكشي في المعجب،⁽³⁶⁾ وابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن،⁽³⁷⁾ والتنسي في نظم الدرر والعقيان⁽³⁸⁾ وأحمد المقرئ في نفتح الطيب،⁽³⁹⁾ والناصري في الاستقصاء⁽⁴⁰⁾ وغيرهم. عن المصحف العثماني الذي وصل إلى المغرب من الأندلس على عهد الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي.

وعن هذا الموضوع يقول ابن مرزوق وهو يتحدث عن سيرة أبي الحسن المريني في سفره، يقول : «...ركب وقرعت الطبول. وتقدم بين يديه علمه المنصور، والمصحف الكريم العثماني وما معه من المسانند... ثم يقول : «وعلى ذكر هذا المصحف المكرم، نذكر نبذا من أخباره، وإن كان قد أكثر الكلام فيه غير واحد من أئمتنا، وذكروا تواريخ تختص به، اختصرناها فنقول : «هذا المصحف الكريم هو مصحف عثمان بن عفان يطباق أهل الأندلس حسبما ذكره ابن عبد الملك - أي ابن بشكوال - ..

وملخص ما ذكره ابن مرزوق أن المصحف العثماني كان بقرطبة يقرأ الإمام فيه صباح كل يوم بعد صلاة الصبح، ثم أخرج عن قرطبة ليلة السبت الحادية عشرة من شوال من سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة، وذلك في أيام أبي محمد عبد المؤمن الموحي.

وعن هذا يقول ابن جوس الشاعر المغربي، من قصيدة يمدح بها عبد المؤمن :

يشكر المصحف إكبكم

إذ أوجده الفقه

العربي العلمي ط : دار الكتاب بالبيضاء ص : 366.
37 المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ط : الجزائر : 1981 بتحقيق د : ماريّا خيوس بغيرا، ص : 456 - 464.

38 الدرر والعقيان في دولة آل زيّان، محمد بن عبد الله التنسي (ت : 899 هـ).

39 نفتح الطيب لأحمد المقرئ ح : 1 : 605 - 615، ط : دار صادر بتحقيق إحسان عباس.

40 ج : 2 : 112 - 116، ومحمد المنوني دعوة الحق يليوز : 1981.

أذكرتم الأيام ما أغفلت
من سره إذ قدم العهد

مصحف ذي النورين عثمان
ما كان لكم عن صونه بد
ما اختار شيئا مؤنسا غيره
حين أتى واقترب السوء
أوسعت الدنيا أطراحا وما
كان لكم إلا به وجد
ويقول من قصيدة أخرى :

ومصحف عثمان بن عفان أهملت
ملوك الورى من حقه كل لازم
فأشفقت من جلال الجميع بشأنه
وقبلته صوننا له بر عالم
فأصبح ذو النورين كاسم وليه
وخير له في بدئه والخواتم
فليت أبا عمرو يعاين شكله

فيشكر أفعال الحفي المكارم⁽⁴¹⁾
وينقل ابن مرزوق عن ابن بشكوال أنه قال : «أكثر
شعراء دولة أبي محمد عبد المؤمن وبنيه بعده في هذا
المعنى وتواطأت أقوالهم... فابن بشكوال يؤكد أن المصحف
العثماني أكثر شعراء دولة الموحدين الحديث عنه، وأشادوا
به، وبالخلفاء الذين أولوه من العناية والاهتمام الشيء
الكثير، إذ جعلوا منه معلمة حضارية، ورمزا مقدسا يجلو به،
ويعلون من شأنه، ويتبركون بالقراءة فيه في حلهم
وترحالهم.

يقول ابن مرزوق ملخصا أقوال الذين سبقوه : «هذا
أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان «ص» إلى
الأمصار : مكة، والبصرة والكوفة، والشام... إلى أن يقول

واعتنى به عبد المؤمن بن علي، ولم يزل الموحدون
يحملونه في أسفارهم متبركين به إلى أن نهب بعد مقتل
إدريس بن المنصور سنة 645 هـ.

ولم يزل في خزانة ملوك تلمسان إلى أن فتحها
السلطان أبو الحسن المريني سنة : 737 هـ. فظفر به،
وحصل عنده إلى أن أصيب في وقعة طريف، وحصل في
بلاد برتقال، وأعمل الحيلة في استخلاصه، ووصل إلى فاس
سنة 745 هـ على يد أحد تجار أزموور واستمر بقاؤه والمنة
لله.⁽⁴²⁾

ويقول الشيخ أحمد المقرئ عن المصحف العثماني :
«واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره
ابن رشيد في رحلته، ومما قاله : أنشدني الشيخ الخطيب
أبو محمد بن برطلة من لفظه، وكتبته من خطه، قال :
أنشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ابن
كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عياش لأبيه رحمه الله
تعالى مما نظمه، وقد أمر أمير المؤمنين المنصور بتحليلته :

ونفثته من كل ملك ذخيرة
كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فإن ورث الأملاك شرقا ومغربا
فكم قد أدخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته
أمام قناه في السوغى وقواضيه
وألسته الياقوت والدرحلية
وغيرك قد رواه من دم صاحبه⁽⁴³⁾

وندرك من خلال الحديث عن العناية بالمصحف
العثماني أن ملوك الموحدين تنافسوا في العناية به وأنفقوا
في سبيل ذلك مبالغ كبيرة من المال، وأظهر الفنانون بدائع
فنونهم في صنع دفتيه وأغشيته، ومحمله، حيث أبدل عبد

فيه شق إلا أن أغشيته قد سلبت ودفتاه قد مزق عليها من
الوثي...

43) نفع الطيب : ج 1 / ص 607.

41) المسند الصحيح الحسن ص : 457 - 458.

42) المصدر نفسه : 461 يتصرف قليل، ويذكر ان المكتبة كان بالآلاف
من الذهب، حيث ورد عليه وهو بفاس سنة 745 هـ، ولم يتغير

(750 / 1349) والواقع أنه بقي على قيد الوجود إلى أواخر أيام أبي عنان وما بعدها حسب شهادة شاهد عيان، وهو أبو إسحاق النميري في فيض العباب الذي يذكر أنه : تقدم بين يديه قبتان الأولى فيها مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذي هو أعظم ذخائر المغرب، وأشرف ما استقر بقصره المعجب المغرب...

ثم يقول الأستاذ المنوني : ويؤخذ من المسند الصحيح الحسن أن وجود هذه الذخيرة استمر حتى أيام أبي فراس عبد العزيز المريني الأول (767 - 774 هـ) وهما هو ابن خلدون يؤكد استمرار هذا الأثر زمن تأليف العبر، ويقول في صدد الحديث عنه : وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين، وهو آخر من تحدث عنه، وبعده انقطع الخبر...

والحقيقة أن سكوت المؤرخين عن ذكر المصحف العثماني منذ هذه الحقبة يعد شيئا غريبا، وبخاصة وقد علمنا المكانة الكبيرة التي كان يحتلها هذا المصحف من قلوب الملوك والعلماء، وعلية القوم، وسائر الناس... وتتمنى أن تكشف الأيام عن مصير هذه التحفة النادرة التي اعتز بها المغاربة أيما اعتزاز.

وقد سبقت الإشارة إلى مصحف عقبة بن نافع الفهري، وما كان له من مكانة سامية عند المغاربة، وإلى عناية الدول المتعاقبة على حكم المغرب بالمصحف الشريف كتابة وصيانة وحفظا. وتقديسا حسبما تثبتته الوثائق والسجلات، وتفصح عنه الحوالات والوقفيات، وما هو مكتوب على صفحات ما احتفظ به الزمن من نوادر المصاحف والمخطوطات...

المومن بن علي كسوته التي كانت من جلد بسفر من ألواح مصفحة بصحائف الذهب والفضة، وأدخل فيها من ألوان الزجاج الرومي ما لم يعمد له مثيل، ونظم على صفحته وجوانبه لألي نفيسة فيها فاخر الياقوت، ونفيس الدر وعظيم الزمرد... ولم يزل بنوه من بعده يتأنتقون في زيادة جليل الجوهر وفاخر الأحجار على ما كان محملا به، حتى استوعبوا دفتيه بذلك بما لا قيمة له ولا نظير، ثم كسى عبد المومن هذا السفر بصوان لطيف من السندس الأخضر ذي حلية عظيمة خفيفة لا تفارقه، وصنع له محمل غريب الصنعة، بديع الشكل مغشى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع في قطع من الأبنوس والخشب الرفيع. محاط بصنعة قد أجريت على صفائح من الذهب، وصنع للمحمل كرسي يوضع عليه عند الانتقال، مرصع مثل ترصيعه، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه مكعب الشكل سام في الطول، حسن المنظر مغشى بالذهب مرصع بالياقوت، وقد أدخل في تركيب كل من التابوت والكرسي والمحمل صناعات ميكانيكية ينفث بها باب التابوت تلقائيا، وكذلك خروج الكرسي وعودة المحمل وإنسداد الباب كل ذلك يكون تلقائيا بلمس مفتاح صغير، وللتابوت هو دج يحمل فيه، هو عبارة عن قبة حريرية حمراء... وكل ذلك متقن الصنعة يبهر الناظر، ويأخذ بالألباب⁽⁴⁴⁾ والمصحف العثماني ظل عند الموحدين محاطا ببالغ العناية، يحملونه في حروبهم وأسفارهم في أبهة عظيمة تبركا به، ثم كان عند سلاطين بني مرين، وذكر الناصري في الاستقصا أنه غرق في جملة ما كان مع أبي الحسن المريني عند عودته من تونس سنة 750 هـ.

وعن ذلك يقول الأستاذ محمد المنوني : «ووهم الناصري فذكر أنه غرق في نكسة الأسطول المريني عام

ومحمد العربي العلمي، ط : دار الكتاب بالبيضاء ص : 366 والذليل والتكلمة، ونفح الطيب 1 : 605 - 615، والاستقصا للناصرى 2 : 112 - 116، ومحمد المنوني : دعوة الحق : يوليو 1981 م.

(44) عن هذه الأوصاف انظر : تاريخ المنن بالامامة لابن صاحب الصلاة بتحقيق ع : المهادي التازي. ط : دار الأندلس لبيان : 439، والمعجب لعبد الواحد المراكشي بتعليق محمد سعيد العريان،

عناية الدولة العلوية بالمصحف الشريف :

وفي مجال العناية بالمصحف الشريف نجد أن الشرفاء ملوك الدولة العلوية المجيدة كانوا من أحرص الناس على صيانة المصحف الشريف والعناية به، وجعله كأنفس هدية تقدم لأمرء المسلمين وقاداتهم وللأماكن المقدسة ولمكتبات المساجد والجوامع... وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد ما ذكره الناصري في الاستقصا حيث يقول :

«وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف سافر الركب المغربي إلى الحرمين الشريفين فبعث معه أمير المؤمنين المولى عبد الله رحمه الله هدية نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفاً بين كبير وصغير، محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت، ومن جملةها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني الذي كان عند بني أمية بالأندلس... وبعث السلطان رحمه الله معه ألفين وسبعمائة حسالة من الياقوت المختلف الألوان للحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وتقبل الله من السلطان عمله، وأجزل ثوابه أمين.

ومصاحف ملوك وأمرء الدولة العلوية الشريفة تعتبر من أنفس ما كتبه الخطاطون، وتنافس فيه الفنانون، وبعض هذه المصاحف ما يزال موجوداً يشهد بمبلغ العناية التي أنجزت بها تلك المصاحف، ومنها مصحف الأمير المولى علي بن السلطان المولى إسماعيل رحمه الله، كتب هذا المصحف سنة : 1142 هـ. ويوجد حالياً ببنار الكتب المصرية بالقاهرة، ويعتبر من أنفس ذخائرها، وهو محلى ومنقوش بالذهب، ومزخرف بالألوان البهية.

ونماذج المصاحف والربعات الفريدة النادرة في العصر العلوي المجيد موجودة في الخزانات المغربية وغيرها، وهي تدل دلالة واضحة على ما أولاه ملوك وأمرء هذه الدولة من مزيد العناية بالمصحف الشريف منذ عهد

المولى رشيد إلى عهد ملكنا المفدى جلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره، فمن مبرات جلالته في هذا الميدان أمره السامي بطبع المصحف الحسني في أبهى حلة وأجود خط بقراءة ورش عن نافع، من طريق أبي يعقوب الأزرق التي هي قراءة المغاربة منذ أربعة عشر قرناً، والتي قال عنها السيوطي في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» راويها عن أبي الفضل الخزاعي قوله : «أدركت أهل مصر والمغرب على قراءة أبي يعقوب الأزرق، وورش لا يعرفون غيرهما».

ورواية ورش من هذا الطريق قرأ بها المغاربة والأندلسيون، والشعوب الإسلامية بشمال إفريقيا والصحراء المغربية إلى حوض النيجر والسينغال.

ويقوم من كلام السيوطي في حسن المحاضرة أن مصر التي تسود فيها الآن رواية حفص عن عاصم كانت إلى نهاية القرن الثالث الهجري لا تعرف غير رواية ورش عن نافع بطريق أبي يعقوب الأزرق.



والمصحف الحسني في طبيعته الحالية يعتبر من الأعمال الجليلة ذات الثواب الجزيل عند الله تعالى، لأنه يعزز ويصون ما حافظ عليه أسلافنا في قراءة القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، وهي قراءة مدنية قرأ بها إمام قراء المدينة المنورة نافع بن عبد الرحمن المدني (ت : 169 هـ) ومما يزيد في قيمة هذا العمل الجليل هو أن رواية ورش عن نافع أصبحت مهجورة في كثير من البلاد الإسلامية ومن ضمنها موطنها الأصلي : المدينة، ومصر !!

فالمصحف الحسني الذي يؤكد محافظة المغاربة على هذه القراءة كان لطبعه ونشره أكثر من مغزى، فمن ذلك مثلاً أن قراءة ورش عن نافع إمام قراءة المدينة والذي هو في نفس الوقت أحد شيوخ الإمام مالك بن أنس يؤكد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 فَرَعِيدِ اللَّهِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَاتُكَ الْمَغْرِبِ



فِي الْبَيْتِ أَيْعَالِ الْمُسْلِمِ الْكَرِيمِ جِيئَ مَا كُنْتُمْ مَشَارِقِ الْبَرِّ وَمَعَارِبِهَا
 هَذَا الْكُتُبِ الشَّرِيفِ رَاجِعِي مِنَ اللَّهِ جَلَّتْ فَرِيدًا يَجْعَلُهُ تَبَرُّكَ بِرُكَا
 دِيكَ بِمَدْرِيهَا أَلَمْ أَفْرَحِ الشُّبْلِيَّةَ بِمَا جَاءَهَا وَأَوْهَمَ الْمَسَالِكَ الَّتِي دَاخِلَتْهَا
 وَسَعَادَةَ لِنَعْسَتِكَ وَكَيْفَ الْعَلِيَّةَ وَفَوَاحِشَ تَبَرُّكَ بِمَا كَرَّمْتَهُ وَتَمَكَّرْتَهُ بِمَا أَرَادْتَ
 وَتَعَلَّقَ بِهَا عَيْنَانِكَ بِرِ الشُّكْرِ وَمَعَارِبِهَا تَبَرُّكَ الْأَنْعَامِ وَتَعَلَّقَ بِهَا أَوْجُوهَ التَّرَجَاتِ
 وَتَبَلَّغَ مَجْمَعًا أَشْرَفَ مَا تَبَوَّأَ اللَّهُ نِعْمَةً مِنْ مَخَاصِرِ وَمَعَارِبَاتِ .
 وَأَمَلْنَا أَنْعَالَ الْمُسْلِمِ الْكَرِيمِ أَنْ تَكُنْتَ الْيَوْمَ مَعَهُ تَعَالَى عَمَلُهُمَا هَذَا الْخَيْرِ
 الشَّرِيفِ وَتَلَمَّحًا كَلِمًا قَلَّتْ هَذَا الْكُتُبِ تَهْلِيلًا وَتَلَوُّنًا تَبَرُّكَ أَوْ أَمْسِطَارًا
 وَأَسْتَسَابًا بِاللَّحْيَةِ لِنَابِهَا لِيَعْرَفَ وَيَدُورَ التَّوْفِيرُ وَالنَّيَابِيرُ وَالسُّرُورُ بِمَا نَحْنُ
 مُتَعَلِّقُونَ بِدَمْعِ مَعَارِبِهَا وَمَكْشُوفُونَ بِدَمْعِ مَسْئُولَاتِهَا بِحُكْمِهَا وَمَا تَعَرَّفَ بِدَمْعِهَا
 عَرَفَ فَوَاحِشَ الْمَلَكَةِ وَالرَّحِيمِ وَصَادَةَ الْكِرَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَجْمَعًا لِحَالِهَا شَعْبًا
 وَإِنَّمَا كَلِمَةُ أَمْسَاتِ .

وَرَجَاؤُنَا مِنَ الْبَيْتِ أَيْعَالِ الْمُسْلِمِ الْكَرِيمِ أَنْ تَكُنْتَ الْيَوْمَ كَلِمًا تَقْدَرْنَا وَتُنْتِجَ مِنْهَا
 الشَّرِيفِ أَنْ يَكُنْ مَعَنَا نَوْلِي مَحْدَرْنَا وَتَحْفَظَ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ دَعَائِلِهَا وَتَعْرِفَ كُنَايَتِهَا
 بِحَمْدِهَا عَلَى قَعْدِهَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ كَمَا لَهَ وَالرَّبِّيَّةَ الْمَلِكَةَ الْجَاهِلَةَ الصَّالِحَةَ
 الْأَمِيرَةَ الْخَامِرَةَ وَتَبَوَّأَ أَعْلَى دَرَجَاتِ عِلْمِهَا وَتَعَزَّزَ الْأَمْرَ وَالْمَعْلَمِ وَتَبَوَّأَ
 قُلُوبَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنْتَ دَاخِلُ مَسِيرَتِهِ وَرُفُوفِ رَحِيمِهِ

هوية المغاربة المدنية، وهم بذلك يجمعون بين المذهبيين
المدنيين في القراءة والفقہ وهذا له بعده ومغزاه.

ومن ذلك أن طبع المصحف الحسني بهذه القراءة يعد
حفاظا على تراث إسلامي أصيل، ومن أهم سمات الأصالة
في البلاد المغربية وبخاصة إذا عرفنا أن قراءة ورش لا
تكاد تسمع في غير هذه البلاد.

وإلى ذلك فإن قراء ورش عن نافع تمثل دعامة من
دعائم أصالة المغاربة في العلوم القرآنية حيث يختص قراء
هذه البلاد بإتقانها وإجادة القراءة بها... إلى غير ذلك من
الأهداف، والأبعاد التي توخاها طبع المصحف الحسني
الشريف.

أما ما لوحظ من كون هذا المصحف لم يلتزم العد
المدني للآيات داخل السور. فلعل الهدف من ذلك هو
توحيد العد، وبخاصة في زماننا هذا الذي طبعت فيه
المصاحف بقراءات وروايات مختلفة، والناس ينقلون عنها
جميعا في أبحاثهم وكتبهم، فمن التيسير عليهم أن يكون
العد واحدا.

ومما يكن من أمر فالعبرة بالحفاظ على الرواية
والطريقة، وهذا ما التزم به المصحف الحسني الشريف بكل
دقة وعناية، وضبط وإتقان.

وبهذا العمل الجليل أهدى ملكنا الهمام حفظه الله
ورعاه للعالم الإسلامي درة ثمينة وتحفة رائعة... وقدم له
جلالته بنفسه تقديما رائعا جاء فيه : «نهدي إليك أيها
المسلم الكريم حيث ما كنت في مشارق الأرض ومغاربها

هذا المصحف الشريف راجين من الله جلت قدرته أن
يجعله بين يديك نورا يهديك إلى أقوم السبل في دنياك،
وأوضح المسالك في آخرتك، وشفاء لنفسك، وطهرا لقلبك،
وقوة يشتد بها عزمك، وتتمتن بها إرادتك، ويعلو بفضلها
شأنك بين الناس ومقامك بين الأنام، وتحتل بها أعلى
الدرجات، وتبلغ بها أسنى ما تتوق إليه نفسك من مقاصد
وغايات، وأملنا أيها المسلم الكريم أن يثيب الحق سبحانه
وتعالى عملنا هذا أجزل الثواب ويلهمك كلما رتلنا هذا
الكتاب ترتيلا، وتلوته تدييرا واحتسابا بالدعاء لنا بالهداية
والتوفيق، والتأييد والتسديد في ما نحن مطلعون به من
مهام، ومطوقون به من مسؤوليات عظام، وما نقوم به دفاعا
عن حوزة الملة والسدين لصالح شعبنا، وإعلاء كلمة
أمتنا...».

بهذه العبارات الصادقة المخلصة قدم جلالته المصحف
الحسني الشريف، وقد استجاب الله دعوات المؤمنين، وقراء
المصحف الحسني الكريم، فسد الخطي، ووفق وهدى،
وأيد ونصر، وما يزال يوالي نعمه، ويسبغ فضائله... إنه نعم
المولى ونعم النصير.

فغناية الأمة المغربية بالمصحف الشريف عناية
مستمرة عبر الأزمان والأجيال وستظل إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها.

سلا - عبد القادر العافية

الشعر والجهاد

في ظل العرش المغربي

للأستاذ
عبد الجواد
السقاط

...وليس من قبيل الصدف، أن المغرب، وله من التاريخ ما يزيد على ألف عام، تغلب في الماضي على كل الأقطار الكبرى التي واجهها. وأنه اليوم يعطي الدليل الساطع تلو الدليل لا على تألفه الوطني فحسب، بل على انبعائه كذلك، وما أظن هذا كله إلا ضربا من المعجزات.

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
من كتاب التحدي

وإذا كنا فيما وصلنا من مصنفات مغربية مختلفة لا نقف على هذا الفن بالمصطلح الذي حددناه، فإن ما يقتضيه البحث في هذا الصدد، التنصيص على أن هذا الفن لا ينتظم غرضا شعريا واحدا، بقدر ما ينتظم أغراضا شعرية كثيرة، لما هو قائم بينها من تداخل وتشابك، وما يجمع بينها من عناصر التلاحم والتقارب، خاصة وأن مفهوم الجهاد ليس مفهوما ضيقا متقلصا، وإنما هو ذو دلالات كثيرة وأبعاد شتى، شأنه شأن الحرب التي يتسع نطاق مدلولها لتعم فنونا شعرية كثيرة أشار إليها بعض الدارسين عندما قال: «ومثل ما كانت أبواب الرثاء تندفع لتصبح جزءا من شعر الحرب، فإن شعر الهجاء والمدح والفخر والغزل كلها

عرف الشعر العربي منذ طلائعه الأولى فنونا شعرية كثيرة من مدح وهجاء وغزل وفخر ووصف ورثاء وزهد وغيرها، ولكنه لم يعرف فنا يصطلح عليه بفن الجهاد، وإن كان قد عرف أغراضا قريبة منه وضع لها المؤرخون والنقاد مصطلحات كشعر الحرب، وشعر الحماسة، وغيرها.

وإذا كنا نفرّد هذا الفن - فن الجهاد - كمصطلح يجب أن يحتل مكانه من بين أغراض الشعر العربي عامة، فإننا نتوخى من ذلك أن نصف الابداع المغربي بوجه خاص، وأن نتعرف من خلال بعض نصوصه وإنتاجاته - قدر ما يتسع له المقام - إلى اتجاهات هذا الغرض الشعري، عبر المسيرة الشعرية الطويلة التي تدرج فيها المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم.

يمكن أن تدخل في هذه الأبواب عندما تتعرض لأوصاف الرجال ومواقفهم»⁽¹⁾.

ولعل مفهوم الجهاد في منطلقه الأول كان الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره وتوسيع رقعته، ومن ثم كان بابا من أبواب الجنة كما قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في إحدى خطبه⁽²⁾.

وطبيعي أن الجهاد بهذا المفهوم الواسع يتخذ أكثر من واجهة، ويرتبط بميادين تكثر أو تقل بحسب الاتجاهات التي يرمي إليها الجهاد، والمواطن التي يفزوها ويقاومها، ومن هنا يكون الجهاد ليس مجرد حرب تشن ضد الكفار قصد إقناعهم بالإسلام وحملهم على الدخول في طاعته، ولكنه إلى جانب ذلك جهاد ضد عناصر الفساد والتفرقة، مهما كانت مصادرها أو منطلقاتها، وهو أخيرا جهاد ضد النفس من أجل الاقلاع عن المعاصي والآثام واختيار السبيل الأقوم في السلوك والمعاملة.

ولعل الشعر المغربي كان ولا يزال حاضرا في هذا الواجهات الثلاث، شأها سلاحه من أجل إعلاء كلمة الإسلام، وزجر عناصر التثت والفساد، وتقويم سلوك النفس وكبح جماح شهواتها.

وهكذا نستطيع من خلال هذا المنظور الشامل أن نصنف شعر الجهاد بالمغرب إلى أصناف ثلاثة هي الآتية :

- (1) شعر الجهاد الديني.
- (2) شعر الجهاد السياسي.
- (3) شعر الجهاد الخلقي.

□ شعر الجهاد الديني

وهو ميدان خصب كانت النصوص الشعرية فيه كثيرة ومتنوعة، بدءا من العصر الادريسي الذي كان فترة لتثبيت دعائم الإسلام بالمغرب، في ظل أول دولة تحكم البلاد،

وتسن التقاليد في تسييرها وتدير شؤونها، ثم مرورا بغيرها من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، إلى عهد الدولة العلوية الشريفة.

وفي هذا الإطار أولا تدخل النصوص التي أبدعها بعض شعراء المغرب في الدعوة إلى تخلص الأندلس من مناورات الاسبان منذ فترة ملوك الطوائف بها. ونستطيع أن نعتبر عامل الدفاع عن الإسلام والسعي إلى إبقاء رأيته خفاقة في ربوع الأندلس، أبرز حافز دفع الشعراء المغاربة من مختلف القطاعات لیساهموا في المعركة بالشعر للدعوة إلى إقناذ الأندلس، والفصل بينها وبين شبح الكفر والاحتلال.

فهذا أبو العباس الجراوي في العصر الموحيدي يتغنى باتتصار عبد المومن ابن علي الكومي على النصاري بالأندلس، وبنصرة الإسلام بهذه الديار في قصائد منها واحدة مطلعها :

أعليت دين الواحد الفهار
بالمشرفة والقنا الخطار
وفيها يقول :

واقبت أندلسا فأمن خائف
وسعى لأخذ الثأر رب الثار
وحلتم جبل الهدى فحلتم
منه عقود عزائم الكفار
جبل الهدى والفتح والنصر الذي
سبقت بشائره إلى الأمصار⁽³⁾

كما يخلد موقعة الأرك التي كانت ضربة قاسية للكفر بالديار الأندلسية، وحقنة ناجمة أمدت في عمر الإسلام بهذه الربوع، على غرار قوله في قصيدة يشنع فيها على الأذفشن المنهزم، ويدعو ليعقوب المنصور باطراد

(1) فوري حمودي القيسي، شعر الحرب، ص 20.

(2) نهج البلاغة، ص 63.

(3) البيان المغرب، ج 3، ص 46.

النصر والتمكين :

فتعاله مادام حيا ولا منى
وكمراله مادام حيا ولا جبرا
ييمن الإمام الصالح المصلح الرضى
نضا سيفه الإسلام فاستأصل الكفرا
فلالزال بالنصر الإلهي يقتضى
بشائر تحصى قبل إحصائها القطر⁽⁴⁾
ولربما كان العصر المريني، وهو العصر الذي لفظ فيه
الإسلام بالأندلس أنفاسه الأخيرة، أهم مرحلة برز فيها شعر
الجهاد بهذا المفهوم، وعند أكثر من شاعر، نكتفي منهم
بالإشارة إلى مالك بن المرحل في ميمته التي مطلعها :
استنصر الدين بكم فأقدموا
فإنكم إن تسلموه يسلم
لا تسلموا الإسلام يا إخواننا
وأسرجوا لنصره وأجموا
لاذت بكم أندلس ناشدة
برحم الدين ونعم الرحم⁽⁵⁾
فإنها قصيدة حاول فيها الشاعر استنفار الشعب
المغربي على أعداء الإسلام، والهرع للدفاع عن الأندلس
المسلمة، وتخليصها من براثن الكفر والطغيان.
وفي هذا الإطار كذلك تدخل النصوص التي أبدعها
الشعراء في التغني بالانتصارات التي أحرزها المغرب وهو
يخلص بعض ثغوره من قبضة الاحتلال الأجنبي الكافر،
وإعلاء راية الإسلام في هذه الثغور كما كانت عالية خفاقة
من قبل.
ولعل إطلالة على تاريخ المغرب تمدنا بأكثر من
مناسبة تجلى فيها هذا التغني، وبرز من خلالها اعتزاز
الشعراء المغاربة بمثل هذه الانتصارات التي هي توطيد
مجدد للإسلام، ودعم لصموده واستمراره.

ومن نماذج ذلك تهنئة الشاعر عبد العزيز الفشتالي
للسلطان أحمد المنصور السعدي عندما فتح ثغر أصيلة عام
997 هـ، وخلصه من ريقة الاحتلال الأجنبي الكافر، حيث
نظم قصيدة هذه بدايتها :

بكر الفتوح لكم تهلل بشرها
واقتر عن شنب المسرة ثغرها
وعقيلة الأمصار وهي أصيلة
أنت العزيز لذا أطاعك مصرها⁽⁶⁾
ومن نماذجه أيضا تهنئة الشاعر أبي محمد عبد الواحد
البوعناني للسلطان المولى اسماعيل عندما حور ثغر العرائش
من هيمنة الكفر والاحتلال، إذ يستهل بقوله :
ألا أبشر فهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزكم الأمور
إلى أن يقول :

حميتم بيضة الإسلام لما
بثغر الحق قد حرس الثغور
وجاهدتم وقاتلتهم فأتتم
لدين الله أقمار بدور
واطمعتم صوارمكم لحومها
لدى الهيجاء صاحبها كفور⁽⁷⁾
ولعل قضية الصحراء المغربية في العصر الحديث،
تعتبر أبرز حادث أخصب شعر الجهاد، وكان وراء ديوان
حافل بالأشعار التي خلدت هذا الحدث وأفحصت عن فرحة
الأمة المغربية باسترجاع جزء من ترابها إلى حظيرة الإسلام
والوطن.

وإذا كانت هذه الأشعار خصبة وافرة كما أسلفنا،
فحبنا للاشهاد فقط، أن نورد مقطعا من قصيدة للشاعر
محمد الحلوي يمدح فيها مبدع المسيرة الخضراء، جلالة
الحسن الثاني نصره الله، ويركز على الطابع الإسلامي في

(6) شعر عبد العزيز الفشتالي، ص 325.

(7) نزهة الحادي، ص 307.

(4) الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، ص 98.

(5) البيان المغرب، ج 3، ص 197.

تحرير الصحراء المغربية إذ يقول :

إني أعيذك بالمشاني والضحي
وبسورة الإخلاص والرعد
من كل ختال يخيس بعهد
ومكابر متأمر وغد
☆☆☆

وأريد أن تبقى لشعبي رائدا
تحمي حماه وقائدا تهدي
☆☆☆

حتى نرى صحراءنا مخطرة
ورمالها من جنة الخلد
في مغرب متكامل متعانق
متوحد الأهداف والقصد
لنعيد في هذي الديار ليعرب
أمجادها في سالف العهد
ونعيد للإسلام ماضي عزه

وشعاعه في الأطلس الفرد⁽⁸⁾
وفي هذا الإطار كذلك ندرج النصوص التي أفرزها
أصحابها في الانتصار لشيخ الزوايا ومن هم في فلکهم من
مجاهدين وسلفيين، أولئك الذين نصبوا أنفسهم دعاة لحماية
الإسلام وتنقيته من الشوائب والبدع التي تلحق به بين
الحين والحين.

ولعل الفترة الانتقالية بين تدهور الدولة العمدية
وتمكن الدولة العلوية في القرن الحادي عشر الهجري تعتبر
حلبة واسعة كثر فيها المجاهدون، وبالتالي كثر الأشعار
التي تتصل بهذا الصنف من رجال المجتمع المغربي سواء
كانت هذه الأشعار مدحا لإحيائهم أو رثاء لموتاهم.

وإذا كانت النماذج المرتبطة بهذه الفترة القديمة من
فترات التاريخ المغربي كثيرة، فلعل التاريخ الحديث
للمغرب طافح بدوره يمثل هذا الشعر الذي يتجه نحو

الإصلاح الديني، وتنقية الساحة الإسلامية من عناصر
الشعوذة والتدجيل والخرافات، وهو اتجاه لاشك يدخل في
إطار الجهاد، ويكون لبنة من لبنات هذا الشعر الجهادي
الممتد بامتداد القرون وتلاحق الأجيال.

ولنا أن نستمع إلى الشاعر محمد السليماني وهو
يقول :

تركنا الدين خلفا لا نبالي
ولم نترك لنا غير انتساب
يقول الشامتون هم أضاعوا
كتابهم ويا حسن الكتاب
أما ترك الرسول لنا وصايا
تقود المسلمين إلى الصواب
فطال العهد واخترنا سواها
فيا لحينائنا يوم الحساب⁽⁹⁾

وإذا كان السليماني في هذا النموذج يحلل واقع
الإسلام في عهده، ويبرز مواطن الضعف في بعض معتنقيه،
فإن محمد الحجوي - من جهته - يدعو إلى تغيير هذا
الواقع، ومحاربة الشوائب والبدع، إذ يقول في قصيدة :

أوثقوا رابطة الدين ولا
تقطع بكم فيه البييل
طهروه من خرافات تننا
في صحيح الدين والشرع النبيل
إنه ما غير الأديان غير
سخرافات تنافهها الأصول
وسقوط الدين قاض أبدا
بخراب يحقق المذكرى غؤل
حاربوا من سن فيكم بدعا
إنها في كاهل الدين فلؤل

(8) ديوان إفاء وولاء، ج 2، ص 409.

(9) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج 1 ص 43.

حاربوا من خفروا ذمتكم
وأضاعوا ذلك المجد الأثيل
فرقوا السدين وكانوا شيعا

كل تقرييق إلى الحشر يؤول⁽¹⁰⁾
وأخيرا نستطيع - إلى جانب ما تقدم - أن ندرج في
إطار شعر الجهاد الديني ما أبدعه شعراء المغرب - قداماهم
ومحدثوهم - من أشعار في المديح النبوي، سواء في قالب
المولديات أو غيره، إذ أنها أشعار لا شك أن أصحابها وهم
ينظمون سيرة الرسول ﷺ، إنما يقصدون من ذلك إلى
الدعوة إلى التمسك بهذه السيرة، واتخاذ سلوك صاحبها
منهاجا في الحياة، وبذلك فهي أشعار تساهم في تصحيح
المسار الإسلامي، وتثبيتته بشتى عناصر الدعم والتوجيه.

ولعل لهذه الغاية لم يرتبط المديح النبوي في
المغرب بمحور واحد أو مضمون محدد، وإنما تعددت
محاوره وتلونت مضامينه، في استعراض لمعجزات
الرسول ﷺ، وتمجيد لأيامه البيضاء على الأمة الإسلامية،
وما إلى هذا وذلك مما يرتبط بالرسول ﷺ، من توسل وبه
إلى المولى تعالى، وتنويه بأل بيته وصحابته...

ولعلنا في غنى - في هذا المقال المحدود - عن
إثبات الشواهد والنماذج، طالما أن كثيرا من المصادر
والدراسات الحديثة تتضمنها وتثبتها.⁽¹¹⁾

□ شعر الجهاد السيامي

وهو لون من الشعر يكاد يحتل الصدارة في شعر
الجهاد بالمغرب، نظرا لوفرة الحوافز الدافعة إليه، والبواعث
التي تحركه وتنغذيه. ولعلنا نستطيع تبين هذه الحوافز
والبواعث من خلال التصنيف الآتي :

(1) التحريض على حرب أو مواجهة، وذلك رغبة في
إخماد نيران الثورات الداخلية التي تتزعمها عناصر التفرقة

والشقاق، وهو حافظ يتجدد كلما تجدد من الأحداث
والوقائع ما يلهب جذوته ويذكي قتيله. وإذا كان هذا
الحافظ يغطي رقعة واسعة على البعد الزمني والتاريخي
فحسبنا أن نشير إلى بعض اللحظات التي عرفت مثل هذا
التحريض، والبعث على الحماس والإقدام.

فهذا عبد العزيز الملبزوزي يتوجه في قصيدة إلى
يعقوب بن عبد الحق المريني، يحرضه فيها على غزو
يفمراسن بن زيان مطلعها :

أرى كل جبار سيفك يصغر

وكل مليك عن فعالك يقصر⁽¹²⁾

وفيها يقول :

أبي الله إلا أن يخصك بالهدى

ويعطيك في أخراك ما هو أكثر

ويحرم يغمور جهاد عدونا

ويجعله في بحر بأسك يغمر

فأسبق به فهو الجهاد برأسه

فحتى متى في السدين يغمور يقصر

فأخذه قهرا وتملك أرضه

فأنت عليه في الملاحم أقدر

وهذا محمد بن يوسف الشيكوني يتوجه في قصيدة

إلى أبي فارس المريني، يحرضه على الشيخ عامر بن

محمد الهنتاتي صاحب جبل هنتاة حين خرج عليه،

مطلعها :

أبان في حبه ما قال عاذله

دمع جرى فوق صفح الخد هامله⁽¹³⁾

وفيها يقول :

سيعلم الغمر عقبى ما جناه إذا

كلت مواضيه وانقضت كلاكه

(12) الذخيرة السنية ص 126.

(13) النبوغ المغربي، ج 3، ص 876 - 878.

(10) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج 2 ص 14.

(11) انظر على سبيل المثال مقالنا بعنوان «قصيدة المديح في العصر
المريني، القسم الأول»، مجلة دعوة الحق، عدد 277، جنادى الأولى

1410 هـ، دجنبر 1989 م.

وكمثال على ذلك نشير إلى قصيدة مالك بن المرحل يمدح فيها يعقوب بن عبد الحق المريني، ويهنته بفتح مراکش كأخر معقل من معاقل الدولة الموحدية المنحدرة، هذا مطلعها :

فتح تبمت الأكوان عنه فما

رأيت أملح منه مبما وفما⁽¹⁶⁾
أما الخارجية فتعني بها الفتوحات التي كان يحرز عليها بعض ملوك المغرب في بقاع كان المغرب يخضعها تحت نفوذه، يدفعه إلى ذلك ما يؤمن به من مصلحة عامة محققة.

وإذا كنا قد جعلنا الأندلس والجهاد من أجلها داخلا في مجال الجهاد الديني، فلا مانع من إدراجها كذلك في مجال الجهاد السياسي، إذ تصادف الكثير من الشعراء، وخاصة في العصر الموحد، يلحون على هذا الغرض، فيمدحون الخليفة كلما حقق فتحا بإحدى المناطق الأندلسية. ويكفي أن نعود إلى كتاب كالبیان المغرب لابن عذاري لتتأكد من هذا الطرح.

وفي المضمار نفسه نشير إلى اعتزاز الشعر المغربي بفتح السودان الذي تم على يد الخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي، والذي ألهم قرائح العديد من الشعراء، نذكر منهم عبد العزيز الفشتالي في قصيدته التي مطلعها :

جيش الصباح على الدجى متدفق

فبياض ذا لسواد ذاك محقق
وكأنه رايات عسكري التي

طلعت على السودان بيضا تخفق⁽¹⁷⁾
وإذا كنا كذلك قد أدرجنا قضية الصحراء المغربية في مجال الجهاد الديني، فلعلنا أن ندرجها أيضا في مجال الجهاد السياسي، نظرا لما واكبها من أشعار كثيرة تتجه إلى

مدح مبدعها جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله وأعز أمره، وترمي إلى تخليد هذا الحديث العظيم باعتباره مساهما في الوحدة الترابية للمغرب، ومؤثرا على استقراره وعلاه.

وحسبنا أن نجتزئ من هذا الفيض الغزير مقطعا من قصيدة للشاعر محمد الحجوي الثعالبي يقول فيه :

صحراؤنا حقا ببيعة أهلها

جزء من الوطن الحبيب على السدوم
بعد القطيعة حان جمع شتاتنا
يا شعب أبشر وانطلق نحو الأمام
هيا إلى الصحراء خلف مليكننا
رمز العلاء والعزة الشهم الهمام
الرائد الأسمى زعيم مسيرة

حسنية بناني البطولات الجمام⁽¹⁸⁾

4) الجهاد من أجل جلاء الوجود الاستعماري عن المغرب، وهو الحافز الذي تجلى خاصة في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، والذي وقف الشعراء المغاربة صفا واحدا لمواجهة ومقاومته. ولئن كانت أسماء هؤلاء الشعراء كثيرة، والنصوص التي أفرزوها في هذا المجال أكثر، فحسبنا أن نختار بعض الشواهد تعني عن غيرها. من ذلك مقطع من قصيدة للشاعر علال الفاسي يدعو المستعمر الفرنسي إلى الاعتراف بحقوق المغرب، وتمكينه من حريته واستقلاله :

قل لبني فرنسة إن عارا

خيانتكم لشعب غير عادي
وقل لبني فرنسة قد مددنا
لكم كف الصداقة والوداد
وهادنا على أمل كبير
ونحن القادرون على الذيداد

(19) شعر عبد العزيز الفشتالي، ص 355.

(20) ديوان الحسنيات، ج 2، ص 94.

(16) الاستقصا، ج 5، ص 146.

(17) شعر عبد العزيز الفشتالي، ص 287.

(18) الذخيرة السنية، ص 120.

فمدوا للبلاد يدا تنالوا
 بها ثقة الحواضر والبوادي
 وأدوا المغرب الأقصى حقوقا
 مقدسة حماها منذ عاد
 ولا يفرركم فيه خمود
 فإن النار من تحت الرماد⁽²¹⁾
 ولعل الاحتفال بعيد العرش المجيد، كان مناسبة
 للتأكيد بالاستعمار والدعوة إلى مقاومته والصمود في وجهه
 تحت قيادة ملك البلاد ورمز عزتها وكرامتها،⁽²²⁾ على غرار
 ما تقرأ في إحدى عرشيات الشاعر محمد الحلوي متوجها
 بالخطاب إلى جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله
 ثراه :

أبا النصر تم ما ابنتيت فما بقي
 لفوزك إلا قاب قوسين أو شبر
 فحقق أمانني أمة ضاق ذرعها
 وأرقتها الحامي وأثقلها الإصر
 تريده حياة تحت تاجك حرة
 وتطلب حقها ليس عن نيله صبر
 سبذل في أمالها كل ما احتوت
 يداها فإن عزت فأرواحها مهر
 فقدتها إلى الشط الأمين سفينة
 تقاذفها في سيرها المد والجزر
 وخضها فعين الله يقظي ونوره
 دليل ونجواه المعونة والأزر⁽²³⁾

(5) الإشادة بالمنجزات والإصلاحات التي تتحقق
 بالمغرب، مهما كان اتجاهها أو مستواها، باعتبارها داخلية
 في هذا الجهاد السياسي الذي يرمي إلى خلق المزيد من
 عناصر التكامل والترابط، وعلى مختلف الميادين والأصعدة.

ومن دون شك أن هذا الحافز يعكس اهتمام الشعراء
 المغاربة بواقعهم السياسي، وخوضهم في غماره، معتزين
 ومساندين لما يتحقق في مسيرته من منجزات وأعمال،
 على شاكلة ما تقرأ من قصيدة للشاعر محمد الحلوي وهو
 يستعرض بعض ما أصبح ينعم به المغرب من مظاهر التقدم
 والنماء في العهد الحسنوي الزاهر :

أعاد لهذا الشعب تالده عزه
 وأكببه ما لا يحققه كعب
 وفجر أنهار المياه وساقها
 إلى كل أرض كان يقتلها الجذب
 فجادت على الفلاح بالخير دافقا
 وأخصب مرعاها وعممها العشب
 مصانع تبنيتها سواعد شعبه
 وترفعها دوما كما يرفع النصب
 وأروقة للعلم شامخة الذرى
 ودأب إلى العلياء ما مثله دأب
 خطاه على درب الحضارة لاتني
 وإن أجهدت أقدامه والتوى الدرب
 يسير الهوينيا غيره متباطئا
 ويمضي لما يرجو وخطواته وثب⁽²⁴⁾

□ شعر الجهاد الخلقي

وهو لون آخر من الشعر الجهادي بمفهومه الواسع،
 تدخله موضوعات شعرية كثيرة، كلها ترمي إلى تجسيد
 المثل العليا، وإبراز الأخلاق التي على المرء أن يتحلى بها،
 بعيدا عن النزوات والشهوات، وسعيا وراء جهاد النفس
 الأمانة بالسوء.

(23) ديوان أنغام وأصداء، ص 73.

(24) ديوان الحسنيات، ج 3، ص 57.

(21) ديوان علاء الفاسي، ج 1، ص 114.

(22) انظر مقالنا حول «فن العرشيات في الشعر المغربي»، مجلة دعوة
 الحق، عدد 268، رجب 1408 هـ، مارس 1988 م.

وفي هذا المضمار ندخل أولا ما جادت به قرائح
الكثير من شعرائنا في ميدان الزهد والتصوف، محاولة منهم
تهذيب النفس، وحملها على انتهاج المسالك الصحيحة
والسبل الجادة.

وإذا كنا هنا أيضا في غنى عن استعراض شيء من
النماذج والشواهد، علما بأن العديد من المصادر والدراسات
قد تناولتها وتعاملت معها، فلا بد من التأكيد على أن الزهد
أو التصوف اللذين نرمي إليها لا يكتسيان أهميتها من حيث
هما مظهر خارجي، وإنما من حيث هما جوهر وسلوك
يهدف إلى تقويم ما اعوج من النفس، ويربطها بخالقها
ربطاً قوامه الرهبة والخشوع، وفقا لما عبر عنه عبد الله
محمد بن محمد المرابط متوسلا متذلا :

يا إلهي وسيدي وملاذي

ومعادي ومن إليه مآبي

أنت أكرم من تجـاوز عنـ

قد أساء وأنت نعم الحـابي

إن تؤاخذ بماله نحن أهل

تهلك الكل دفعة بمذاب

أو تسامح فأنت للفضل أهل

شأنك العفو مانح الأراب⁽²⁵⁾

وإذا كان شعر الزهد والتصوف يتصدر اتجاه الجهاد
الخلقي، فلعلنا أن نضيف إليه غرضا آخر يرتبط بهذا
المفهوم، وهو غرض الوعظ والحكمة، ذلك الغرض الذي
لاشك أنه مرتبط بتجارب الشعراء واستقائهم العبرة من
واقعهم وظروفهم، على شاكلة ما نقرأ من قصيدة للشاعر

محمد الطيب بن معود المريني يقول فيها :

سهام الموت راشقة النبال

ونحن مع البطالة لا نبالي

كأننا لا تصادمنا منايـا

تبليـل في ورود الحين بـالي

نبيع ثوابنا بثياب زهو

نجددها وثوب الدين بالـ

فيا أسفي على ما كان مني

إذا ما الله بالغ في سؤالي

وما قدمت للأخرى جميلا

ولكن المآثم بالتوالي

فمالي غير ربي من مجير

ومالي دونـه واللـه والـ⁽²⁶⁾

بل إننا نضيف إلى هذا وذاك غرضا ثالثا هو فن
الفخر الذي نجده في الأدب المغربي لا يعدو أن يكون
فخرا بإحدى ميزتين اثنتين، أو بهما معا، وهما حسن
الأخلاق من جهة، واتساع دائرة العلم وبراعة الإبداع الأدبي
من جهة ثانية، ولعله فخر لا يقصد منه التباهي والتفاخر،
وإنما يقصد منه تقديم التوجيه والإرشاد بطريقة غير
مباشرة، لا تعتمد المسلك الطبيعي المتمثل في فن الوصايا
والحكم، وإنما تسلك مسلكا مغايرا يقدم النموذج، وي طرح
المثال الذي يحسن احتذاؤه وتمثله، على غرار ما نقرأ من
قصيدة للشاعر أحمد بن علي الملياني المراكشي يقول فيها :

العز ما ضريت عليه قبـابي

والفضل ما اشتملت عليه ثيابي

(25) ديوان محمد بن محمد المرابط.

(26) الأنيـس المطرب، ص 40.

(27) النيـوغ المغربي، ص 697.

والزهر ما أهدها غصن يراعتي
والمك ما أبداه تقس كتابي
فالمجد يمنع أن يزاحم موردي
والمزم يأبى أن يضام جنابي
فإذا بلوت صنيعه جازيتها
بجميل شكري أو جزيل ثوابي
وإذا عقدت مودة أجريتها
مجرى طعمامي من دمي وشرابي

وإذا طلبت من الفراقـد والهـي
ثأرا فأوشك أن أنال طلابي⁽²⁷⁾
وهكذا نكون بهذه السطور قد قمنا بإطلالة عامة على
اتجاهات شعر الجهاد بالمغرب، أملين أن تتجدد الفرصة
لدراسة هذا اللون من الشعر من حيث واجهات تقديده
مختلفة.

الرباط : عبد الجواد السقاط

فهرس المصادر والمراجع

المذكورة في الهوامش

البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس
والمغرب

لابن عذاري المراكشي، نشر امبروسي هوسي مرانده،
مع مساهمة محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني، دار
كريماديس للطباعة، تطوان، 1960.

الحضور المغاربي في الشعر المغربي شباب متجدد
لعبد الجواد السقاط، مقال بمجلة دعوة الحق 275، ذو
القعدة 1409 هـ يوليو 1989 م.

ديوان أنغام وأصداء

لمحمد الحلوي، دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر
والتوزيع، الدار البيضاء 1965م.

ديوان الحسنيات

إعداد الدكتور عبد الحق المريني، مطبعة الأنباء
بالرباط في ثلاثة أجزاء.

الأدب العربي في المغرب الأقصى

لمحمد بن العباس القباج، مطبعة فضالة، المحمدية،
في جزأين 1400 هـ، 1979 م.

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق ابني المؤلف محمد
وجعفر، دار الكتاب بالدار البيضاء، في تسعة أجزاء،
1956 م.

أعلام المغرب العربي

للأستاذ عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية
بالرباط الجزء الأول، 1399 هـ، 1979 م.

الانيس المطرب فيمن لقبه مؤلفه من أدباء

المغرب.

لمحمد بن الطيب العلمي، المطبعة الحجرية بفاس،
عام 1315 هـ.

ديوان علال الفاسي

تحقيق الدكتور عبد العلي الودغيري (الجزء الأول)،
منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 1984 م.

ديوان محمد بن محمد المرابط

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د. 3644.

ديوان وفاء وولاء

جمع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
مطبعة فضالة، المحمدية في جزأين 1397 هـ -
1986 م.

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة
والوراقة بالرباط، 1972 م.

شعر الحرب

لنوري حمودي القيسي

شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع وتحقيق
ودراسة
لنجاة المريني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،
1986 م.

فن العرشيات في الشعر المغربي.

لعبد الجواد السقاط، مقال بمجلة دعوة الحق 268،
رجب 1408 هـ، مارس 1988 م.

قصيدة المديح في العصر المريني، القسم الأول

لعبد الجواد السقاط، مقال بمجلة دعوة الحق
عدد 277، جمادى الأولى 1410 هـ، دجنبر 1989 م.

النبوغ المغربي في الأدب العربي

للأستاذ عبد الله كَنُون، دار الكتاب اللبناني في
ثلاثة أجزاء، 1961 م.

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي

لمحمد الصغير اليفرنى، تصحيح السيد هوداس،
منشورات بردي الرباط.

نهج البلاغة

للإمام علي بن أبي طالب «ض»، اختيار أبي الحسن
محمد الرضى بن الحسن الموسوي، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة.

عبد الجواد السقاط

في المغرب الجديد :

الدَّيْلُومَاسِيَّةُ الْمَغْرِبِيَّةُ

اختيار الأصالة وَالوَحْدَةُ

للأستاذ زين العابدين الكفاني

إن المناسبات الوطنية تدعونا، بل توجب على كل مواطن أن يأخذ لحظة تدبر وتقييم لخطوات الاختيار في بلادنا الذي يبني ويتحدى في صمت سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، خصوصا عندما أصبح هذا الاختيار شعار العهد الحسني الذي يتحدى في خطواته بالواقع والتعقل، وفي هدفه بالحرية والوضوح وفي رسالته بمواجهة الاستعماريين القديم والجديد من أجل الخلاص والوحدة، وفي عمقه التمرکز على تفتيت التيارات المتباينة من مختلف الأفكار والإيديولوجيات التي تواجهنا بشتى العوامل للوصول إلى تقرير مصيرنا الحاسم، والخلاص منها ومن تأثيراتها لنعطي لاختياراتنا مفهومها الحقيقي، ولاستقلالنا مفهومه الواضح... وهذا - التدبر - كما أرى - ينطلق من الوضوح والصدق في تركيب العملية الحسابية والمقارنة الزمنية، وإخلاص القصد ولو من أجل المعارضة، أو الملاحظة البناءة، ما دامت أمتنا قد اختارت التوازن، وكسبت الرهان في عالم يعيه مواطنونا على المواجهات الداخلية والخارجية، وتؤكد في كل معركة أنها تنطلق من اختيارها المضبوط... المتواصلة الخطوات مما أصبح محط اهتمام الدولة التي تؤمن بالحرية، أو التي لم تجد سبيلا إلى تركيز اختياراتها المنطلقة من نظام الحزب الواحد، أو تبعيتها لأنظمة تخاف من الحرية، والمنطلق السليم، ولو لفت ذلك بشعارات وأساليب لا تخفى تبعيتها أو مصدر انطلاقها.

والانضباط والصمود على طابع الحياة العامة مما يميز البلاد المغربية في مختلف عصورها بميزة الشخصية المتزنة التي تحبب المغرب لضيوفه، وتبعث الرعب في نفوس الذين يضررون له شرا، أو يفكرون فيه بسوء أو أطماع...

ولذلك فإن الاختيار الاستقلالي المغربي المرتكز في المجال الديبلوماسية على عدم التبعية، وعدم الانحياز، منذ تأسست الدولة المغربية لم يقم على اختيار عفوي... أو اختيار وقتي انتقالي، ولكنه ارتكز على اختيار ظل دائما يتم وباستمرار بالحيوية والإيجابية والحرص على التأثير في ما جريات الأمور، تعبيرا عن شخصيته المميزة، وتأكيذا لها، وتدعيما لكيانه الدولي من جهة، ومحافظة على استقلاله وسيادته من جهة ثانية.

ولقد ظل هذا الاختيار دائما هو اختيار المغرب بالرغم من التطورات والانقلابات التي شهدتها وعاشتها وحدته في مختلف أطوارها إلى أن تعرض في نهاية القرن التاسع عشر إلى تنافس الدول الاستعمارية فوقع سنة 1912 في يد الاستعمار بعد تقسيم وحدته بين الدول المتنافسة وبعد معارك استمرت زمنا طويلا.

لكن، هل انتهت العلاقات الخارجية بين المغرب والمحيط الإسلامي، بل والمحيط العالمي العام؟ وهل تغيرت وحدة البلاد بهذا التقسيم...؟ ثم هل أقبرت الدول المغربية بنفوذها الخارجي وديبلوماسية المستقلة القوية الممتازة؟ أو عرف المغرب كيف يحافظ على ذلك ولو بعد أن تعثر قليلا؟ إن المعركة... معركة الكبرى هي التي تستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة:

لقد أصيب المغرب بالاستعمار الدولي، وأصبح في تلك الظروف الدقيقة دولة بدون قانون - كما قيل - ومن هنا تيسر لدول التنافس الدولي وهي: ألمانيا وإيطاليا وانجلترا وفرنسا وإسبانيا. أن تسيطر على المغرب وأن تقتنمه، وأن تسكت الصوت الحر ولو قليلا، بعد أن وزعته وأصبح ينقسم إلى مناطق وجيوب استطاع في أقل من

وفي هذه المناسبة الوطنية سأتناول بصفة عامة الاختيار الديبلوماسية المغربي من نفس المنطلق، حيث سنلمس بوضوح وجلاء أن الخصائص التي تلعب دورها المستمر منذ قيام الكيان المغربي، وتركيز اختياره الديبلوماسية الذي ميز هذه الديبلوماسية بأسس تجعلها دائما تزداد تبلورا وتفتحا، محافظة على اختيارها الأصيل، مباحية بعمق أصالة هذا الاختيار، وقدرته المنسجمة مع تطور العصور والأجيال، هي التي تحكم في هذه الأسس، بل وتعطيها طابع أصالتها باستمرار انطلاقا من عوامل طبيعية هي نفسها أساس الاختيار وعمقه، الذي حافظ على هذا التوازن وقدرته عبر جميع التطورات والمراحل التي تقلب فيها المغرب، وأعلن بوضوح عن قدرة تحديه لشراسة المواجهة والتحالف المعاكس، حيث نجد أن هذه الخصائص تركز على المعطيات التالية:

أولا: كون المغرب الأقصى يوجد بين بحرين عظيمين، هما المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ثم وقوعه في مركز جعله نقطة التقاء بالنسبة للقارتين الأوروبية والافريقية بالإضافة إلى وجوده في نقطة من أبرز نقط تفرز عليه باعتبار افريقيته صلة وصل في العالم المحيط به.

ثانيا: وهو أيضا كبلاد غنية خصوصا في أحواض أنهاره التي تغطي كل جهاتها وسهولها الواسعة الممتدة فيما بين المحيط وجبال الأطلس، بالإضافة إلى أنها بلاد غنية بتربية المواشي، وبمواردها الأولية ومعادنها، وطاقات أبنائها الخلاقة في مختلف الجهات والقطاعات.

ثالثا: وما يمتاز به المغرب من جمال يتجلى في تنوع مناظره الطبيعية الساحرة، والاثار المعبرة عن تاريخ عريق مجيد، إلى المناخ المعتدل والهواء الطيب، والغابات الفاتنة وتنوع المصطافات الجبلية والساحلية في طول البلاد وعرضها بما فيها الجهات الصحراوية.

رابعا: طابع الاستقرار والتعقل الذي يطبع المواطن المغربي من حيث هو، وتأثير هذا الاستقرار والتعقل

تاريخ دبلوماسية محمد الخامس التي كان لها أكبر الأثر في خلق الدبلوماسية الحديثة وهي :

أولاً : لقاء أنفا المنعقد بالدار البيضاء سنة 1943.

ثانياً : وكانت الرحلة الملكية إلى فرنسا (عملاً دبلوماسياً ممتازاً في تاريخ المغرب، وضع به جلالة الملك قضية البلاد على بساط البحث ومناقشتها من الدوائر الفرنسية المسؤولة... وكانت محادثات ومناورات، وكان أخذ ورد، وتبادل وثائق وإخراج القضية المغربية من إطارها الضيق إلى إطار أوسع، وأعم وأشمل.

ولن نتخطى عهد محمد الخامس الذي ركز نشاطه الخارجي لبعث الدبلوماسية المغربية، وإعادة تأسيسها، وإفراجها في الاختيار الذي يصل الحاضر بالماضي والمستقبل، طبقاً لما سجلته المعركة الكبرى وظروفها مما أكد استمرار الثورة، وحقيقة جدورها، فطبع عهده بطابع هو طابع الدبلوماسية المحمدية سنة 1956 حتى 1959).

لكن محمد الخامس الذي بعث المغرب الجديد كان يعلم أن بعث الدبلوماسية المغربية الجديدة وحده لا يكفي، ولهذا فلم يفارق جلالته الحياة سنة 1961 إلا بعد أن ركز خطوط مستقبل دبلوماسيته في الخطوط التي ارتكزت عليها من بعيد.

وهذا التخطيط قد يظهر وكأنه نتيجة لظروف عفوية في عمومه، ولكن إذا كنا نعلم أن خطوط هذه الدبلوماسية قد ركزت في مظهرين واضحين وعميقين هما :

أ - الرحلة التي قام بها جلالته لدول الشرق العربي (في مارس 1960) وخرج منها بنتائج هي أروع مثال يمكن أن ترتكز عليه قدرة هذه الدبلوماسية الفتية، حيث عاد جلالته ويده ست بلاغات رسمية مع رؤساء الدول العربية التي زارها تستهدف إلى أن وحدة المغرب جزء لا يتجزأ... وهذه الظاهرة قد ركزت حقيقة المفهوم الدبلوماسية الحقيقي الذي يركز الوجود الوطني في شموليته ووضوحه.

ب - ويهضم العالم الخطوة الأولى لأنها تحمل أشياء تؤكد أصالة هذه الدبلوماسية، وتساير الخيوط الجديدة في

نصف قرن أن يخلص أكثرها، ولا زال يواصل هذه المعارك التي يتابعها العالم بكل تقدير...

لكن المغرب لم يسكت كما شاءت تلك الدول، ولن يسكت أبداً، بل عرف كيف يحافظ على مركزه الخارجي سواء في المحيط الإسلامي أو الدولي، وقد انكشف بوضوح وجلاء هذا الحفاظ اثر حوادث غشت 1953 التي اعتدى فيها على مركز السيادة المغربية فكانت خير مثال لنا على بقاء تلك العلاقات قائمة ومركزة، والتي عادت إلى مجراها الطبيعي الأصلي اثر إعلان استقلال الأجزاء المحررة... فكان على الدبلوماسية المغربية الفتية أن تواجه :

- تركيز علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع مختلف دول العالم.

- وأن تصفي عدداً من المشاكل المعلقة بين المغرب وفرنسا وبين المغرب وإسبانيا على الخصوص، والبقية في الطريق...

- وأن تحتل مكانها في المجال الدولي.

- وأن تعمل على اجلاء الجيوش الأجنبية المرابطة به.

- وتصفية القواعد العسكرية.

- واستكمال الوحدة الترابية للمملكة المغربية بأسلوب

متميز.

هذا التوفيق بين مقوماته الأساسية ومصالحه، وبين مقتضيات السياسة العالمية وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي والمنظمات التي شارك في تأسيسها أو عمل داخلها بكل وضوح...

وأن يتخذ موقفاً من الحرب التحريرية في القطر الجزائري الشقيق، فكان مركزاً للانطلاق، وقاعدة التحدي للاستعمار التي يشير إليها عدد غير محدود من الوثائق...

ولقد امتاز أسلوب محمد الخامس (رضي الله عنه)

للانطلاق بالدبلوماسية المغربية بعدة صور دبلوماسية

رائدة تميزت بعدد من اللقاءات التي لعبت فيها

الدبلوماسية المحمدية أروع صور يحتفظ بها تاريخنا

المعاصر، وتأخذ هذه الصور كنموذج اللقاءات الخالدة في

8) معارضة كل تدخل أجنبي في الشؤون الإفريقية.

9) العمل على تثبيت دعائم السلم العالمي...».

☆☆☆

ولا تلتزم الدبلوماسية المغربية في عهد محمد الخامس رحمه الله أسلوبا معيناً بذاته، ولكن هذه الدبلوماسية التزمت أسلوباً خاصاً، وتفكيراً مستقلاً يركز على بعث دبلوماسية المغرب الجديد محافظة على نفس الاختيار، ونفس الاتجاه للانطلاق والبناء.

وبالرغم من أن المغرب الجديد ابتدأ هذه الدبلوماسية وهو مؤمن أن هذه الدبلوماسية تحتاج منذ اللحظات الأولى إلى :

- خلق الظروف الدبلوماسية.

- بعث الدبلوماسية.

- تجديد الفكر الدبلوماسي وتبني أطره.

- البحث عن آفاق الدبلوماسية المغربية الجديدة طبقاً للاختيار المغربي، فإن هذا ما تؤكدته المواقف التي وقفها المغرب منذ 2 مارس 1956 في المجال الدبلوماسي بعيداً عن كل تأثير وقتي أو نهاية خاصة.

آفاق العهد الحسني

وإذا كانت وفاة محمد الخامس المفاجئة سنة (1961) اقترنت بانتهاء فترة جديدة بالنسبة للدبلوماسية المغربية، وهو انعقاد مؤتمر الدار البيضاء الإفريقي باعتباره أول لقاء بين إفريقية والدول العربية، فإن هذه الفترة تعتبر الطرف الواضح لرسم معالم الدبلوماسية المغربية في المغرب الجديد، وهو ما يعني في وضوح أن المغرب قد قطع خطوات خاصة، وأن نتائج هذا المؤتمر خدمت الدبلوماسية الجديدة في العمق، وفتحت لها نوافذ على عالم اليوم...

والواقع أن الأحداث الدولية تطورت بسرعة... فانعقد مؤتمر دول عدم الانحياز في بلغراد سنة 1961 ولكن ليلتقي في هذا المؤتمر المغرب الدبلوماسي بفرصة جديدة

النسج عند محمد الخامس فيشعر بأن الأسلوب الذي خطه المغرب ما بين سنة 1956 أصبح يرتكز على بعث أسلوب آخر، أسلوب يعيش مثلاً على الأحداث المقبلة التي يطل عليها المغرب فيدعو جلالته إلى :

ميلاد الدبلوماسية الإفريقية المتحررة

ج - (مؤتمر الدول الإفريقية المتحررة) لأن المستقبل كان يؤكد أن إفريقية على أبواب دخول حياة جديدة كقارة متحررة تنشأ التخلص والانطلاق...

وفي نفس هذا التخطيط انعقد مؤتمر الدار البيضاء ليحدد - محمد الخامس رضي الله عنه - للعالم أجمع وضوح الأهداف الحقيقية للمغرب الإفريقي، ويبرز ذلك في النقط التسعة التي استهدفها الخطاب الافتتاحي للمؤتمر حيث قال :

«لقد كان بوجدنا أن يكون نطاق هذا المؤتمر أوسع فتشترك فيه جميع الدول الإفريقية لأن الحركة الإفريقية واحدة، ومصيرها، ومطامع شعوبها وأهدافها مشتركة بينهما جميعاً».

ويقول بعد ذلك واضحاً ومحددًا للدبلوماسية المغربية الإفريقية خطوطها العريضة مؤكداً ضرورة :

- 1) القضاء على النظام الاستعماري وذلك بتحرير الأجزاء التي لا تزال مستعمرة بإفريقية تحريراً حقيقياً.
- 2) القضاء على العنصرية بجميع مظاهرها ونظمها.
- 3) محاربة الاستعمار الجديد في جميع أشكاله ومختلف ألوانه، وفضح أساليبه التضليلية الجديدة.
- 4) دعم استقلال الأقطار الإفريقية المتحررة والدفاع عنها.

5) تشييد الوحدة الإفريقية.

6) إقرار سياسة عدم التبعية بالأقطار الإفريقية..

7) إنهاء كل احتلال عسكري لإفريقية، ومنع استعمالها ميداناً للتجارب الذرية.



وهكذا نكون قد التزمنا اختيارنا الدبلوماسية في إطار مضبوط، ولو أن عودة دبلوماسية المغرب قد اتخذت من أول وهلة موقفا واضحا يناصر الشعوب المغلوبة، ويؤيد حقها في تقرير مصيرها بنفسها، ويستنكر كل وسائل العنف والقمع المسلح المتخذة ضدها بأي أسلوب كان في الوقت الذي أصبح فيه الخلاف على أشده بين المعسكرين الشرقي والغربي، والحرب الباردة تملأ جو العالم بالتوتر، والادبيولوجيات المتناحرة التي تتنازع السيطرة على العالم، ويتحكم في دول عالمه الثالث البؤس بكل مظاهره، والتخلف بكل أشكاله ومؤثراته.

وهذا الوضوح هو ما يشير إليه بالخصوص كل من الزيارتين اللتين قام بهما جلالة الملك الحسن الثاني إلى أمريكا سنة 1966 ثم إلى روسيا سنة 1969 وعبرت للعالم في جلاء أن المغرب منذ أن تسلم مقاليد شؤونه الخارجية جدد لنفسه في ميدان العلاقات الدولية سواء على الصعيد الدولي، أو على صعيد منظمات سياسية محدودة في أهدافها مخططة في وسائلها مستهدفة في طرق عملها...

وإذا أردنا أن نجمل القول بالنسبة للدبلوماسية الحسنية فإننا نجد أن المغرب قد سلك طريقا، والتزم مبادئ واضحة تتلخص في الأسس التالية :

- احترام المواثيق والتعهدات الدولية.
- والحرص على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير.
- والتعاون معها في غير تبعية أو انخياز.
- ومناصرة الشعوب المطالبة بحقها في الحرية والاستقلال.
- وإدانة الميز العنصري بجميع ألوانه.
- والنفور من العنف والنزاع المسلح في حل المشاكل التي تقوم بين دولة وأخرى.
- والنزوع إلى التفاوض والوسائل السلمية.
- والمطالبة بجعل حد للتسلح والتجارب النووية.

هي انعقاد المؤتمر بيوغلافيا بحضور المغرب، فيفتح المغرب آفاقا جديدة في المجال الدبلوماسية المغربي ويحدد مفهومه بوضوح مؤكدا : «...أن حيادنا لا يعني الانعزال أو اللامبالاة بالنسبة لجزء من البشرية، بل هو على العكس من ذلك يعني قبول كل ما هو عادل، وحق في نطاق الفكر البشري» وأنه حياد نشيط وحي، ولا يستهدف سوى :

- (1) إنقاذ القيم الإنسانية.
- (2) وإقرار السلام.
- (3) والتقدير بين الجنس البشري، كما أوضح ذلك رئيس الوفد المغربي جلالة الحسن الثاني في المؤتمر بمنتهى الوضوح والإيمان.

ومن هنا كان المؤتمر الجديد بادرة مهمة سجلت للدبلوماسية الجديدة استمرار الخطوط العامة التي اختارها المغرب وهو يؤسس هذه الدبلوماسية ويؤكد هذا الرأي أن جلالة الحسن الثاني عندما حضر المؤتمر، وترأس بعض جلساته، وتحدث باسم بلاده وأوضح كثيرا من خطوط دبلوماسيته المتحررة، من خلال هذه الخطوط.

الخط الأول : التزم المغرب لروح الدبلوماسية المغربية المتزنة التي لا تتأثر بالأحداث العابرة، وبظروف الانتقال التي تسيطر على دبلوماسية كثير من الدول النامية وغيرها ممن يتأثرون بالتطور المعاكس وبالتيارات الوقتية...

وإذا تذكرنا حوادث الحدود المغربية الجزائرية، وتذكرنا التدخلات الأجنبية بالنسبة للوضع والظروف اللتين كان يوجد فيها المغرب، والموقف الذي التزمه وهو يقف للدفاع المجرد، استطعنا أن نوضح ماذا تقصد بالتزام روح الدبلوماسية المغربية المتزنة التي لا تتأثر لمجرد الأحداث العابرة.

الخط الثاني : الأسلوب المتحرر الخاص في الاتصال المباشر أو غير المباشر مع كل السدين دفعنا ظروفنا الدولية إلى الاتصال بهم بطريقة أو بأخرى.



بيعة الوحدة

- وتحمل نصيب من أعباء الرسالة العربية والإسلامية والإفريقية طبقا لما يفرضه الواجب وضرورة الاختيار.

☆☆☆

وهكذا ففي الوقت الذي يعمل فيه المغرب لبلورة الأسلوب الدبلوماسي وهو يحافظ في نفس الوقت على سلوك الطريق المرسوم الذي يلتزم به «كما قال جلالة الحسن الثاني»: (المبادئ التي جعلها والدنا المنعم أساما للتعاون مع باقي دول العالم) حيث نجد ذلك واضحا في الخطوات التي قطعها المغرب لبلورة أسلوبه الدبلوماسي الحسني في عالم التكتلات والإيديولوجيات المنتمية على دولنا النامية، ودولنا العربية والإسلامية، وقد خرج المغرب من معارك متعددة معززا ومنتصرا، وقد طبع طريقه أسلوب مغربي واضح سواء بالنسبة للعاملين في نطاق ركب هذه المعسكرات بأسلوبه الخاص الصرف الذي سيظل مؤكدا أن الدبلوماسية الحديثة محددة في أهدافها ووسائلها وطرق عملها... ولا تنسى ونحن نحاول أن تقترب من تحديد آفاق أسلوبنا الرائد أن نؤكد أن دبلوماسيتنا القتية تواجه في طريقها عاملين أساسيين ينطلقان من واقع الاختيار الواضح وهما:

العامل الأول: محاولة تركيز أسلوب الدبلوماسية المغربية الحر على المستوى القاري وغيره.

العامل الثاني: تحقيق الوحدة الترابية للمملكة المغربية في حدودها الحق بأسلوب خاص محافظا على أسلوبه الدولي المتميز بسلوكه القار في الاختيار.

وبعد، فإذا كنا نرى أن التزام هذا الأسلوب يبدو بالنسبة للبعض وكأنه أسلوب محافظ، فإنه وكما أكدت التجربة والظروف أنه أسلوب سيخرج بنا من مرحلة النمو دون أن يؤثر على اختيارنا الأصيلة ونسلك عن طريقه مراحل أخرى، وذلك ما يظهر واضحا في الهدفين التاليين:

الهدف الأول: تركيز وحدة الصحراء المغربية المسترجعة بباقي أجزاء المملكة سواء على الصعيدين الداخلي والخارجي في إطار تحقيق الوحدة الحق.

الهدف الثاني: عندما اضطر المغرب إلى توضيح موقفه دبلوماسي يتصل بعدم الانحياز بعد الانتصار الذي حققته الوحدة الزيرية بمساعدة المغرب أوضح صاحب الجلالة أنه عندما دعت الضرورة الدولية إلى ذلك يرى:

«هناك مجال آخر هو مجال السياسة الخارجية، فالمغرب معروف أنه لا يزال متشبثا بمبدئه بعدم الانحياز، ولكن علينا أن نقرر ماذا يعني عدم الانحياز؟»

عدم الانحياز يعني أن الإنسان المغربي في سياسته الخارجية عليه أن لا يركب طريق الفضول، فكل مشكل من المشاكل التي لا تهمه لا جغرافيا ولا عقائديا يبقى بمعزول، وأن لا ينحاز إلى جانب بدون جانب نظرا لصداقة أو نظرا لجوار.

ولكن إذا أصبح المشكل مشكل معتقدات أو مشكل مبادئ، فالمغرب متشبث بها وملتزم بها، أصبح غير منحاز، بل عليه أن ينحاز، وهذا ما دفعنا - مثلا أخيرا - إلى أن نخوض غمار الحرب في زاير، ففي زاير مثلا انحزنا لصديقتنا زاير لأسباب متعددة:

- لأنها دولة معترف بها.

- لأنها طلبت منا المعونة.

- لأنها لو كانت على خلاف مع دولة صديقة لحاولنا التدخل السلمي مع دولة صديقة، ولكن هذه الدولة الصديقة الثقيمة وجدت في خلاف مع دولة تضر لنا العناء، بل صرحت بمواقفها ضد مصالحنا في الصحراء، بل اعترفت قضائيا وحلما بما اعترفت به، وأصبح من الواجب على المغرب أن لا يسكت ولا سيما أن تلك الدولة التي هاجمت زاير أرادت أن تدخل على قارتنا مذاهب لا يقول بها المسلمون، ولا يقول بها العرب، ونحن دولة إسلامية ولا يمكننا إذن أن لا نغير المنكر في قارتنا بجانب صديقتنا إذا كان ذلك ممكنا.

☆☆☆

وبعد، فإن هذا التوضيح لا يعتبر هو الأول من نوعه، ولكنه هو التوضيح الثاني، وهذا من أبرز معالم أصالة



صاحب الجلالة يجيب عن أسئلة الصحفيين في «ساعة الحقيقة»

خلق محطات جديدة للانطلاق، ولكن الأهداف الدبلوماسية الجديدة للعالم الإسلامي تشير إلى كثير من المؤشرات التي تعلن عن الميلاد الجديد... وذلك ما تتابع ميلاده بكل حرص وإيمان بعون الله، ونحن ننتهي من إقامة الهياكل الأساسية لقيام اتحاد المغرب العربي مما سيرز بعون من الله وتوفيقه انطلاق دبلوماسية الاتحاد الذي جاء نتيجة التعقل وعدم الانحياز، والتزام مبادئ الدبلوماسية الحق.

سلا : زين العابدين الكتاني

الاختيار المغربي الأصيل، وأكبر شاهد على عمق هذا الاختيار أيضا وسلامة أهدافه ومقاصده، هو إسناد رئاسة لجنة تحرير القدس إلى المغرب، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى والتي أدلى بها زعماء الأمة العربية والإسلامية وغيرهم. والمنطلق الذي تسير فيه هذه اللجنة برئاسة المغرب يبدو وكأنه يحاول أن يضع الدبلوماسية الإسلامية بكل إمكانياتها على الساحة، حتى لا يبقى الإسلام فقط محطاً للهجوم المتحالف، ومسلكتاً للاستعمار الجديد الذي

ارتسامات تاريخية حول

مَوْلَى إِسْمَاعِيلَ

من خلال
"رحلة الوزير في افتكاك الأسير"⁽¹⁾

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

ولم تكن الفائدة منها مقتصرة على الجوانب السياسية ولكنها قد أفادت في الدراسات الاجتماعية والأدبية والجغرافية فاعتبرت بسبب ذلك زادا ثقافيا ينهل منه كل حسب اختصاصه وحسب رغبته.

ومن أهم الرحلات التي دونت على عهد المولى اسماعيل رحمه الله الرحلة الموسومة برحلة الوزير في افتكاك الأسير للكاتب محمد بن عبد الوهاب الوزير الفاسي المدعو حمو المتوفى عام تسعة عشر وألف بمدينة فاس وهي الرحلة التي قام بها إلى الأندلس بأمر من المولى اسماعيل وقد نشرها الفريد البستاني عام 1940 بعد أن استخلصها من مخطوطات عدة وكتب عليها حواشي وتعليقات ووضع لها الجداول والفهارس والتراجم في اللغتين العربية والاسبانية.

وما زالت هاته الرحلة لحد الآن قابلة للدراسة وممهدة للتعريف بحياة المولى اسماعيل وبمواقفه البطولية إزاء

إن الاطلاع على الرحلات السفارية أو غيرها يساعد في كثير من الأحيان على الاستفادة من المشاهدات المدونة، والتأمل في التعليقات المسجلة. وعلى البحث عن أسباب التعرض لبعض الموضوعات وإهمال بعضها أو الاكتفاء بالإشارة إليها دون أي تعليق أو تحليل.

وقد عد المؤرخون هذه الرحلات من مصادرهم التي يرجعون إليها في تدوين أخبارهم لما لها من الشفوية في وصف الأحداث أو لما فيها من الاستطرادات العفوية التي تعين الباحث على الربط بينها وبين استنتاجاته التي يصل إليها.

ومن البديهي أن مؤرخي الدولة العلوية الشريفة قد استخدموا هذه الرحلات في أبحاثهم واستنطقوها استنطاق الخبراء فكانت بسبب ذلك من أهم المصادر التي اعتمدوا عليها سواء بالنسبة إلى الرحلات التي كانت في بداية انطلاق الدولة أو في الرحلات التي كانت بعد ازدهارها.

(1) هذا البحث هو المداخلة التي قدمتها في مركز الدراسات والبحوث العلوية بجامعة مولاي علي الشريف الغريفية (الدورة الأولى) التي أقامتها وزارة الثقافة ما بين 7 - 14 دجنبر 1989.

التحرير الوطني الشامل وإزاء العمل من أجل تثبيت الشخصية المغربية في الإطار الدولي.

كان كاتبها من أقدر الناس بيانا ومن أحسنهم أسلوبا. وهو في رحلته هاته كان يمزج اللغة العربية أحيانا بمفردات إسبانية حفظا على مصطلحها الشائع آنذاك. ذلك المصطلح الذي كان يدل بدقة على المقصود من العبارة حتى لا يفهم منها غيرها وقد كان المولى اسماعيل يقدره ويقربه إليه ويهيئه للمهمات الكبار. ولا أدل على ذلك من اختياره ليكون سفيرا في رحلته هاته إلى إسبانيا عام 1102 موافق 1690 م 1691 وفي اختياره ليكون له فيما بعد سفيرا إلى الدولة العثمانية في شهر شوال من سنة 1103 هـ موافق يولييه 1692 م ومن الطبيعي أن هذا الاختيار لم يقع عليه من المولى اسماعيل إلا لما كان يعهده فيه من سداد الرأي ومن القدرة على المناظرة وحسن التخلص من المزالق وقد وصفه الشريف مولاي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه الاتحاف ج 4 ص 61 بأنه فقيه علامة مشارك متقن كاتب بارع يكتب كما يراد منه وأنه انتهت إليه رياضة صنعة الترسيل ولم يعزز في عصره بمثيل.

وقد سبق لي أن وجهت عنايتي لدراسة هاته الرحلة فنشرت بحثا حولها بمجلة دعوة الحق الغراء عام 1969 بالعدد الرابع من السنة الثالثة عشرة بينت فيه بعض ما يتعلق بها في المجال الفكري والأدبي وأشرت فيه إشارات خفية إلى مجهود المولى اسماعيل في تحرير البلاد والعمل على وحدتها ورأيت من المفيد اليوم أن أتعرض في هذه الندوة المباركة إلى هذه الرحلة من جديد وأن أوجه عنايتي للمجال التاريخي المتعلق بالمولى اسماعيل وما أذكره اليوم أعتبره امتدادا لما قدمته من قبل في البحث السابق.

ومن المعلوم أن من يتعرض لهذه الرحلة ملزم بذكر أسبائها والافصاح عن ملبساتها وبواعثها فالمولى اسماعيل بعد أن عمل على استتباب الأمن الداخلي بالبلاد وعلى

القضاء على الثوار الذين كادوا أن يفتنوه عن الوحدة المغربية وجه عنايته لتحرير الثغور من الاحتلال الأجنبي وتلك خطة لم يحد عنها المولى اسماعيل لأنها داخلية في الميثاق الأول لتأسيس هاته الدولة الهادفة إلى العمل من أجل إزالة التمزق الذي أصيب به المغرب بسبب كثرة ولاياته التي كان بعضها يحارب البعض الآخر وبسبب تقلص أطرافه التي تقع في قبضة بعض الدول الأوربية كطنجة والمهدية والعرائش وأصيلة وسبتة وجزيرة بادس وقد عمل من المجاهدين في عهد السعديين على إرجاع هذه الثغور وغيرها إلى الوطن الأم فوقوا أحيانا إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحرروا كل ما كان بقبضة البرتغاليين والإسبانيين والانجليز فورث المولى اسماعيل عبء هذه المهمة الشاقة التي ما زالت بعض ذيلها قائمة إلى الآن خصوصا منها ما كان ناتجا عن ضعف السعديين في اخريات ملكهم واما تولد عن ذلك من محاولات فردية أو إقليمية لم تكن قادرة على توحيد البلاد وعلى حماية الحدود وطرده الأعداء وذلك ما أهاب بالدولة العلوية أن تحققه وما جعلها تتحمل الصعاب من أجله.

إن المولى اسماعيل عاش في حقبة كان المغاربة فيها يلبسون أحذية سوداء حزنا على ضياع مدينة العرائش في عهد الاضطراب الذي كان بالمغرب بين أبناء أحمد المنصور السعدي فقد تناول أحدهم وهو المامون المعروف بالشيخ على الحق الوطني ودفعه الطيش إلى الاستنجاد بإسبانيا من أجل التغلب على أخيه زيدان ووعدهم إذا نصره أن يمنح لهم مدينة العرائش. فعلا فقد نفذت المؤامرة بتعاون مع قائده المدعو بالكرنى الذي وجد من أهل العرائش مقاومة كبيرة إلا أنهم في الأخير غلبوا على أمرهم بعد أن استشهد عدد كبير منهم وبعد أن سقيت أرض العرائش بدمائهم الطاهرة الزكية. ولما رأى المغاربة أن أرض العرائش وطئتها مداسات الأعداء وأن أبناء المنصور لم يستطيعوا حماية البلاد. توجه بعضهم إلى أبي عبد الله العياشي لينقذهم من ذلتهم وكاد الأمر أن يستتب له لولا وجود

معارضة داخلية أدت في الأخير إلى مقتله على يد الدلائيين الذين هم بدورهم كانوا يتطلعون إلى حكم البلاد. وهنا جاء دور القيادة التي انطلقت من سجلماسة على يد أبناء الشريف العلوي حيث تسولى الحكم أولا المولى محمد بن الشريف الذي بويغ عام خمسين وألف واستطاع أن يحرر درعة من قبضة أبي حسون السملالي السذي كان يحكم بلاد سوس وما جاورها ولم يكن باستطاعته أن يتغلب على جميع من كان بالمغرب من زعماء الزوايا وزعماء الأقاليم الذين كانوا يتطلعون إلى الحكم وبدأ في مسالمة بعضهم الشيء الذي دفع أخاه المولى الرشيد إلى الغضب وإلى منازعته والبيعة لنفسه لأنه لم يكن يرغب في أن تكون الدولة العلوية دولة إقليم من أقاليم المغرب بل أراد أن تكون الدولة محققة للوحدة التي كان يأملها والده رحمه الله. وشاءت الأقدار أن يقدم أخوه المولى محمد لمحاربه فيسقط الأخ صريعا برصاصة قبل بداية المعركة. وهنا رأى الجيش ومن والاه بأن الخير للمغرب الا يزداد في اضطرابه فبايعوا المولى الرشيد وتمت له البيعة من أنصاره وأنصار المولى محمد وذلك سنة 1075 هـ وهنا قرر مواصلة القضاء على الدويلات الجهوية فتغلب على الدلائيين وانضاف ما كان بيدهم إلى حكمه.

وبعد وفاته عام 1082 هـ تولى المولى اسماعيل حكم البلاد فاستمر في نفس الخطة الهادفة إلى إقرار الأمن الداخلي والقضاء على الفتن ليجد السبيل بعد ذلك إلى تحرير المحارس والثغور. وتذكر المولى اسماعيل الفاجعة التي كان المغرب قد أصيب بها أثناء احتلال العرائش وأراد أن يعيد نشوة الانتصار إلى المغاربة بإرجاع هاته المدينة إلى أصلها عساهم بذلك أن يخلعوا تلك الأحذية السوداء إلى الأبد، ورأى أن المناسبة قد واثته ليرجع الأمور إلى نصابها بعد أن تمكن من القضاء على كثير من أعدائه الداخليين، وبعد أن أعد الجيش أعدادا صالحا، وتوجه هذا الجيش إلى مدينة العرائش وحاصرها حصارا طويلا. وأخيرا استطاع أن ينسف

سورها فلم يجد الاسبانيون سبيلا الا الفرار إلى الحصون الموجودة بها ولكنهم استسلموا أخيرا استسلاما اعتبره الجانب المغربي ناتجا عن العجز وعدم القدرة على الاستمرار الحربي وبذلك يعتبر استلامهم غير داخل في التنازلات الإرادية الصلحية التي يعفى المحاربون بسببها من الأسر وبهذا الرأي أفتى الفقهاء المغاربة الذين رأوا أن جميع النصارى الذين كانوا بالعرائش يعتبرون أسرى لا يمكن إطلاق سراحهم إلا بقاءه. واما الاسبانيون فانهم كانوا يقولون بأن هؤلاء النصارى لم يستسلموا إلا بعد أن واعدتهم الجيش المغربي بالأمان وقد كان قاضي مكناسة السيد أبو عبد الله محمد المعروف بأبي مدين السوسي من الفقهاء الذين ألفوا في هذا الموضوع كتابا سماه «السهم الرائش في حكم غنيمية العرائش» وبين فيه أن استرجاع الأرض كان بعد حرب ومواجهة وأن النصارى لم يستسلموا استسلام المهادين ولكنهم استسلموا بعد أن عجزوا عن المواجهة فالأرض سقطت عنوة ولم تسقط صلحا واعتمد المولى اسماعيل على فتوى الفقهاء في رسالة وجهها إلى كارلوس الثاني ملك اسبانيا وهي الرسالة التي حملها محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني أثناء رحلته هاته وتذكر الرسالة أن الاسبانيين يزعمون أنهم يملكون تلك المدينة بمقتضى معاهدة بينهم وبين المأمون الشيخ السعدي مع أن الحقيقة حسب ما يذكره الفقهاء تثبت أن تلك المعاهدة غير سليمة نظرا لعدم التكافؤ بين القوتين ذلك أن الملك السعدي وقع عليها تحت الضغط والاكراه ولم يشر الغساني في رحلته إلى جميع مضمون هاته الرسالة وإنما تحدث منها على أمرين :

الأمر الأول المطالبة بإعادة الكتب الإسلامية الموجودة باسبانيا إلى المغرب.
الأمر الثاني تحرير الأسرى المسلمين الموجودين باسبانيا سواء كانوا مغاربة أو غير مغاربة.
وذكر الغساني أن عدد الأسرى المطلوب فكاهم يبلغ الخمسمائة وأن عدد الكتب المطلوب إرجاعها خمسة آلاف

ولم يشر إلى أسباب تحديد ما طلب لأن ذلك كان ضمن الرسالة المكتوبة التي حملها وقد أطلعنا عليه بعد نشر هذه الرسالة من قبل بعض الباحثين ذلك أن الاسبانيين كانوا قد طالبوا للمولى اسماعيل بفك مائة نصراني من أسرى مدينة العرائش وكان قد وعدهم بقبول رغبتهم إلا أنه بعد ما اطلع على فتوى الفقهاء أرسل سفيره هذا وهو يحمل هذه الرسالة التي بين فيها أن وعده بالسراح ما زال قائما إلا أن عنصر الفتوى جعله يطلب تعويض خمسين منهم بخمسمائة أسير مسلم والخمسين الأخرى بخمسة آلاف كتاب ولعل من الفائدة العامة إعادة نشر هذه الرسالة تقلا عن الدكتور عبد الله العمراني الذي أوردها في كتابه حول مولاي اسماعيل بن الشريف صفحة 179 فقد جاء فيها ما يأتي: (2)

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من عبد الله اسماعيل المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسن بن أبيه الله أمين.

(الطابع الشريف)

إلى عظيم الروم. وملك أقاليم اسبانية وبلاد الهند والمتولي أمورها والمتصرف في أقطارها دون كارلوس. السلام على من اتبع الهدى أما بعد.

فقد بلغنا كتابكم صحة خديمكم دون مانويل بيردلون وخديمكم دون أبيل مسيح (علق الدكتور العمراني على هذين الأسمين وكتبهما بالحروف اللاتينية أما الأول فقال عنه الاسم الصحيح هو مانويل فييرا دي لوكو Manuel Vieira de Lugo وأما الثاني فهو Dou Abel Messia وهو الكتاب الذي وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذي أصدرناه لكم ووصلكم صحة الغرايلي قبل هذا.

(2) يوجد نصها أيضا كاملا في الجزء ص 63 من الاتحاف لابن زيدان وتوجد صورة من أصلها في كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب للدكتور عبد الهادي التازي ج 1 ص 222.

وبعد أن قراناه وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم دون أبيل مسيح ما في خاطركم، وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصراري الذين وقع الكلام فيهم قبل هذا، رددنا إليكم جواب كتابكم، ووجهناه مع خديم دارنا العلية بالله، كاتبنا ومتولي الأقرب من بساطنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا. وإذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبي الحسن علي بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرنا له ومرافقنا. وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الإسلام المظفر بالله على نصراري العرائش. وفي علمه وعلى باله كل ما كان في ذلك من الكلام والأسباب، وكيفية الخير في ذلك فثقوا به وتعرفوا منه. فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساطنا العلي بالله في سائر أوقاته.

ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصراري بالسراح، ولكن وقع من النصراري ما اختل منهم من الأسباب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك. فمنهم من كان ينادي بلفظ «ميننا على رؤوسهم» ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك، لذلك القول، وكاد يفتك بمن داخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم، وبعضهم ركب لجاج البحر فإرا بنفسه حتى أدرك وقتل على الموج.

وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا، وعلماء شريعتنا، وأئمة ديننا، بأن قالوا لنا: إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذ، ووقع الغلب والظفر، ولم يبق للنصراري إلا الموت بالسيف أو بالغرق، فلا وجه لسراحهم في الشريعة راسا. وكنا في هذه المدة نتراد الكلام مع هؤلاء العلماء حفظهم الله وقالوا لنا هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه.

كيف وقد أخذوا العرائش من أول وهلة بلا موجب، بل اضغطوا الشيخ ابن السلطان الذهبي، وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة، ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرائش على ضغط منه، وعلى غير تأويل حقيقي في ذلك. وذكرنا في مسألة غدر أسلافهم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على الأربعين ألفا بعد تعدي الشروط على ستين شرطاً، ولم يوفوا لهم بواحد منها.... إلى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس في كل بلد وقرية، فألفيناهم ما تكلموا إلا بالحق، وبقينا في حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين :

الأول : لا تقدر أن نخالف شريعتنا التي هي أساس

ديننا.

والوجه الثاني : ذلك القول الذي سمعه في تلك المائة أحببنا الوفاء به، وأنفت نقوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفي بها. ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوي، لكننا سرحنا هذه المائة مع الفريالي وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين. فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا في هذه النازلة لا بد منه، ولا محيد عنه. وأحببنا أن يسمع الناس أننا وفينا في قولنا، ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة، ولا كثرة اعتراض، ولم يلزم فيه من حجة الشرع اثم. فاردناكم تعلمون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجه الذي عملناه لكم، وأعطيناكم فسحة فيه. والا فالمائة المذكورة أرقاء أساري من جملة إخوانهم. وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة. خمسة آلاف كتاب. مائة كتاب عن كل نصراني، من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة، وما والاها من مدن وقرى، حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها. وتعطون خمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى. عشرة أساري لكل نصراني. وإن لم توجد الكتب التي هي مرادنا، فاجعلوا عوضها من أساري المسلمين وأعطوهم لنا من الأساري الذين في الأغرية وغيرهم. وقبلنا منكم في العدد المذكور الرجل

والمرأة والصبي الصغير أو الكبير. والشيخ المسن، من ايلاتنا وغيرها، إذ ما لنا قصد الا في الأجر والثواب في فكناك أسرى المسلمين كيفما كانوا ومن أي بلد كانوا. ولا فالاعتناء الكلي إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة، وعامة المسلمين إنما تقصد بفكناكم وجه الله تعالى. فإن أتمت سارعتم لهذه المسألة فما عملكم الا الخير في أرواحكم، وفي اخوانكم، وان ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدروا عليه فارجعوا خديمتنا الكاتب الذي وجهناه إليكم في أمان الله كما أتاكم والمائة من النصاري نصيرهم من جملة الأساري اخوانهم يخدمون مثلهم. وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا، والجد في ابتغاء مرضاتنا، وأنجزتم بأرواحكم في هذه المسألة، فلا ترون منا الا ما يعجبكم. وحتى باقي نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرائش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام في سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم أن عملتم الواجب الذي لنا عليكم، وتعرفتم الصواب الذي تعين عليكم كما ذكرتم في كتابكم.

وبرجوع خديمتنا حامله بما ذكرناه في هذه المسألة، تتلقاه هذه المائة نصراني بسبته ويكون ملتقى الجميع فيها، ولا عندنا معكم في هذا الا الجد الصحيح، والعمل الصريح بحول الله تعالى.

وكتب لسادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف (1690.9.20).

ولم تكن الاستجابة لهذه الرسالة بالأمر الهين على ملك اسبانيا فهي كما يلاحظ تحتوي على تقط أساسية تدعو الاسبانيين إلى التفكير الجدي فيها وإلى البحث عن حلولها وهي تمزج اللين بالقوة والترغيب بالترهيب والاغراء بالتهديد وأهم هذه النقاط تتلخص فيما يأتي :

أولا : في مشروعية التحكم في مصير هؤلاء النصاري يجعلهم أرقاء نظرا لكونهم غلبوا في الحرب وأخذت منهم العرائش عنوة زيادة على أن هذه المدينة إنما استرجعها أهلها بعد أن كانت قد غصبت منهم غصبا.

ثانيا : مسألة المعارضة وما تتطلبه من مشاورات بين الاسبانيين أنفسهم فهذا الملك المغربي يطلب عوض كل أسير نصراني عشرة من أسرى المسلمين ويبرر ذلك بأنه لم يشترط في الأسرى المسلمين أي شرط فهو يقبلهم صفارا وكبارا ذكورا وإناثا كانوا من أيالته أو غير أيالته لأنه لا يرجو من سراحهم الا وجه الله تعالى.

ثالثا : مسألة إرجاع الكتب الإسلامية إلى المغرب وفق الرغبة التي تتلاءم مع مصالح المسلمين. وهذه القضية تتطلب مراجعة القوانين الداخلية للإسبان فيما يتعلق بالأوقاف المخصصة لكنائسهم وأديرتهم وهل لهم الحق في إخراج ما بها ولو كان أصل تملكه لم يكن عن طواعية من أهله كما وقع بالنسبة إلى الخزانة الزيدانية التي استولى عليها القراصنة الاسبانيون واستبدوا بها ولم يعيدها لأصحابها.

رابعا : مشكلة تدخل المولى اسماعيل في المطالبة بفك الأسرى الذين لا ينتمون إلى أيالته ويقصد بهم الأسرى المحتجزين من الجزائر أو من الدولة العثمانية وهم بهذا المقترح صاروا يفكرون في تطلع المولى اسماعيل إلى تحرير المسلمين كيفما كانت أراضهم وصاروا يخشون على أنفسهم من أن يقوى المولى اسماعيل على التحكم في الثغور المغربية كلها وأن يعمل على تحرير بعض الثغور التي هي في قبضة النصارى ولو لم تكن تحت مملكته بل خشوا أن تكون هذه البادرة سبيلا إلى ربط علاقات طيبة مع ولاية الجزائر وهم لا يريدون أن يفسحوا الطريق أمام تحسين هذه العلاقة التي يرون أنها إذا وقعت كانت خطرا على الاسبانيين وعلى من جاورهم من دول أوروبا.

ورغم ما تضعه هذه الرسالة من صعوبات أمام الاسبانيين وما تخلقه من مشاكل لهم فإن الغساني يقول حينما قدم رسالته إلى كارلوس ما يأتي : (ص 57).

وحين انفصلنا عنه يوم ملاقاتنا معه وناولناه الكتاب السلطاني دفعه إلى النصراني الحلبي المترجم ليرجمه ويعجمه فلما عجم الكتاب ورأى ما فيه وما أشار به عليه

أمير المومنين أيده الله من إعطاء خمسة آلاف كتاب وخمسمائة أسير ثقلت عليه الوطأة العلوية ولم يدر كيف يتلقى هذه الإشارة وعرف أنها عزيمة من الملك نصره الله ولم يمكنه الا الاضطراب لما أشرب في قلبه وقلب أهل ديوانه من صيت هذه الأمامة العلوية وعلو همتها أبقاه الله بمنه ووقعت المشورة منه في ذلك مع أهل ديوانه فأروا أن الإجابة إلى ما دعاهم إليه المولى اسماعيل والامتثال لأمره المطاع أعزه الله تعالى أولى لهم وأوفق.

وقد أبان الغساني بعد ذلك عن تعدد الجلسات والاستشارات وأنهم في الأخير رضوا بأن يؤدوا ألف أسير لأنه تعذر عليهم تمكين المغرب من الكتب المطلوبة بدعوى أنها كانت قد أحرقت ولم يجد الوفد المغربي حرجا في قبول ذلك لأن الرسالة المولوية كانت قد أباحث لهم أن يقبلوا تعويض الكتب إذا تعذر دفعها على الاسبانيين بأسارى آخرين.

ولم يحدد الغساني في رحلته تاريخ تسلم المغاربة لهؤلاء الأسرى لأن ذلك ربما وقع بعد كتابة نص الرحلة لأنني أظن أن هذه الرحلات كانت توضع بمشابهة تقرير مفصل يقدم للملك اثر رجوع السفير من عمله ويساح اطلاع الجمهور عليه ويكون مع الرحلة تقرير سري آخر خاص بالملك على أساسه تبني نتائج المفاوضات والمشاورات إلا أننا يمكن أن نطلع على ذلك عن طريق وثائق أخرى أثبتها المؤرخون ونجد الإشارة إلى هذه الجزئية في كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب للدكتور عبد النادي التازي فقد جاء في الجزء التاسع منه صفحة 112 أن هؤلاء الأسرى ارجعوا إلى المغرب في شهر شتنبر من سنة 1691 ميلادية أي بعد رجوع الغساني من رحلته بنحو أربعة أشهر.

وإذا كان من الطبيعي أن يتحدث الغساني عن محتوى الرسالة التي حملها إلى ملك اسبانيا فإنه كان من الطبيعي أيضا أن يشير إلى بعض الأحداث التي لها ارتباط بالمجال السياسي العام.

أخبار الدول فقال : (79) «والذي ورد هذه الساعة من الأخبار عن ملك الترك أيده الله أنه جمع جموعا كثيرة وأنه لا يثنى العنان بحول الله وقوته دون مدينة باينا التي هي قاعدة ألمانية ومحط سريره ولقد أخرجوا في أخبارهم التي يكتبونها على عوائدهم في هذا الشهر أن وزير السلطان سليمان برز بمحلته وبها مائة ألف مقاتل وخمسة وعشرون ألف مقاتل وأن جيش التتار قام في ميعاد حملة الترك بثمانين ألف مقاتل وقد صادف وصولهم الموضوع المعتاد لمحلة القبطان من خدام الانبرادور مخيما بموضع من المواضع ومعه ستة آلاف مقاتل فحارب التتار محلة القبطان المذكور فأسروا من قومه أربعة آلاف شخص وقتلوا عدة ولم يفلت من الباقين إلا النزر الذي لا يعد لقتلته.

ولا اعتداد النصارى بمحاربة الأتراك وافتخارهم بذلك فإن دولهم كانت تمنح امتيازات للمحاربين ذكر منها المؤلف ما لاحظته في اسبانيا التي كانت تمنح لقباً تشريفياً لكل اسباني أدلى بشهادة من قيادة الجيش الألماني تثبت أنه شارك في الحرب ضد تركيا ولا يخفى ما لهذا الامتياز من منافع سواء ممن لم تكن لهم الألقاب سابقة أو ممن أرادوا أن يحملوا ألقاباً أشرف مما كانوا يحملونه وهم بواسطة هاته الألقاب قد يستفيدون في الإرث وفي الزواج وفي كسب الرزق وتلك كلها تدعو الاسبانيين إلى الوصول إلى هذه الشهادة من الجيش الألماني بأي وسيلة كانت.

والمؤلف في عرضه هذا كما لاحظنا كان يجمل الأتراك ويصفهم بأحسن الصفات ويدعو لملكهم بالنصر والظفر في حين نراه حينما يذكر أعداءهم ليميزهم بأحسن الألقاب ويدعو عليهم بالخزي والهزيمة والدمار. ولا أظن أن كاتباً محترماً عند المولى اسماعيل يسمح لقلمه أن يكتب شيئاً غير متلائم مع رغبات ملكه الهمام. والظاهر أن موقفه هذا كان من أسباب اختياره ليكون ضمن الوفد الذي أرسله المولى اسماعيل عام 1103 لدراسة الأوضاع الطارئة الناتجة

ومن أهم هذه الأحداث تعرضه للحرب التي كانت قائمة بين ألمانيا وحلفائها من الإيطاليين والاسبانيين وبعض الدول المجاورة للأتراك من جهة وبين الدولة العثمانية من جهة أخرى وقد حاول أن يفسر الأسباب التي دعت إلى إيجاد هذا الحلف وإلى عدم انسياق بعض الدول النصرانية إليه وهنا ذكر أن فرنسا لم تنضم إليه نظراً لما لها من المصالح التجارية في بلاد الترك وأشار إلى أن موقف فرنسا هذا مضافاً إلى أسباب سياسية أخرى أدى إلى وقوع حرب بينها وبين هؤلاء الحلفاء لكن هذه الحرب وأن عظمت فهي في الحقيقة لم تصل إلى حد يجعل الفرنسيين يساعدون الأتراك على رد العدوان الألماني ذلك لأن الفرنسيين أنفسهم رغم ما لهم من تسهيلات تجارية في أرض الترك لم يكونوا مسالمين لهم إلى حد كبير. فقد كانوا من حين لآخر يتسببون في بعض المصاعب للدولة العثمانية إلا أن هذه المصاعب لم تصل إلى المقاطعة والتنافر ولهذا قال الغساني بعد الإشارة إلى الحرب القائمة بين فرنسا وبين الامبراطور الألماني ما يأتي (78).

«وبسبب محاربة الفرنسيين للامبراطور حسب ما تقدم في ذكر الأسباب المثيرة لها ينسبون له المعونة لملك الترك قواه الله ويزعمون أنه يمدده بما يحتاجه من الأمور الحربية مثل المدافع وغيرها. وبسبب مقام البائدور للفرنسيس ببلاد أسطنبول يزعمون أنه يمدده والصحيح هو أن أهل فرنسا أهل أسباب وتجارة وجل تجارتهم إنما هي في الناحية الاسطنبولية ولأهل الأسباب والتجارة عند طاغية الفرنسيين - دمره الله - منزلة ومكانة إذ كانوا هذه السنين هم أهل ديوانه وجل بطانته. فكان يساعدهم فيما يؤول إلى منفعتهم من الأسباب والتجارة التي يعود نفعها عليه ويحصل له بسببها من الأموال ما يحصل بخلاف غيره من الأجناس مثل هذا الجنس الاسبنيولي فإن التاجر عندهم لا يعد شيئاً.

وقد ذكر بعد ذلك أن القوة العثمانية قد انتصرت في بعض معاركها وذكر خبراً استفاده من الجريدة المهمة بذكر

عن الخلاف المغربي التركي حول الحدود الشرقية للمملكة المغربية.

ومن النصوص الموجودة داخل الرحلة الممجدة للعثمانيين والمستبشرة بانتصاراتهم ما ذكره أثناء مغادرة مدينة قالس وهو قوله (9) «وبينما نحن في تهيئة الرحيل إذ دخل علينا قيس من قوس النصارى تربي في قسطنطينية وأخبرنا بالفتح الذي من الله به على جيش المسلمين وأن السلطان سليمان أمده الله تعالى بمعاونته استخلص مدينة (بير الأغراض) وعمالتها وما حولها وهو معتن بما هذ من حيطانها، ومشتغل بإصلاح ما خرب من أسوارها، وقد جعل بها من العملة لإصلاحها وخدمة البنيان إثني عشر ألفا واستبشرنا إذ ذاك بما خول الله تعالى من نصر المسلمين وكان النصارى يرون له بفتحه تلك المدينة واسترجاعها قوة وبدا ويذكرونه أحسن الذكر».

ولعل هذا الذكر الحسن الذي أشار إليه إنما كان من بعض النصارى مجاملة للوفد المغربي ليس غير، وإلا فإننا لاحظنا من قبل أن الإسبان كانوا يتفاخرون بمحاربة العثمانيين، ويتسابقون إلى الجيش الألماني ليكونوا ضمن المحاربين ولينالوا بذلك الجاه والشرف.

ومن المعلوم أن السلطان سليمان الذي ذكره الفساني خير انتصاره هو سليمان الثاني بن إبراهيم الذي يوقع في شهر نونبر عام 1687 ميلادية وكانت أيامه الأولى أيام اضطراب بسبب تسلط الانكشارية على تسيير الحكم لكنه استطاع تأديبهم والتغلب عليهم خصوصا بعد أن عقدت الدولة مجلسا للتشاور فيما يجب عمله لإتقاذ السلطة وكانت نتيجة هذا الاجتماع أن ولي صدارة الوزارة مصطفى باشا الكوبرلي الكبير ومنحت له الصلاحية في اختيار البرنامج الذي يستعمله لإتقاذ البلاد وقد وصفه شكيب أرسلان رحمه الله في الملحق الذي علق فيه تاريخ ابن خلدون فقال عنه (ص 258) : «إنه قام بالأمر خير قيام وبدا بإصلاح السلطنة من الداخل وملا الخزائن بالأموال واستأصل الرشوة، وأخذ على أيدي الظالمين، وسن

قوانين عادلة للخراج، وكان جانب من موارد السلطنة تحول إلى الأوقاف فاسترجعها وقال إن الجهاد أولى بها ثم بعد أن ملا خزانة السلطنة بالأموال اللازمة نشر فرمانا يقول فيه : إن الله يأمر المؤمنين بالجهاد إلى آخر رمق من حياتهم وأنه يجب على المسلمين أن ينفروا خفافا وثقالا. فثارت الحمية في رؤوس المسلمين ونفروا عن كل صوب وفي الوقت نفسه عامل النصارى بمزيد الرفق وأطلق حرية التجارة.

ومن المعلوم في تاريخ الدبلوماسية المغربية أن السلطان المولى اسماعيل قد هنا السلطان سليمان بجلوسه على عرش الدولة العثمانية وأن هذا الأخير قد تمنى دوام التواصل المغربي التركي لما في ذلك من المصلحة العامة ولعل هذا التواصل المرغوب فيه كان من أسباب المواقف السليمة والأخوية التي كان يبديها الفساني في رحلته كلما ذكر اسم سليمان هذا أو ذكر جيشه في مقاومة الحلف الألماني أو غيره.

وعلى كل حال فإن رحلة الفساني كانت نموذجا من نماذج التقارير السياسية العامة لأن الذين كانوا يدونون مثل هذه الرحلات لم يكونوا يدونونها لأنفسهم وإنما كانوا يضعونها أمام الذين أرسلوهم لتدرس وينتفع بها في المصالح العامة بالإضافة إلى التقارير السرية الخاصة التي سبقت الإشارة إليها من قبل.

وشيء آخر أرى من الضروري الإشارة إليه وأنا أتحدث عن هذه الرحلة من الجانب التاريخي المتعلق بالمولى اسماعيل فهي تبدي ملامح القوة في نفس مؤلفها الممثل للكرامة المغربية والمعبر عن الأمال المغربية في كون المولى اسماعيل هو المنقذ المنتظر لهذه البلاد من الذل والصفار وهو الأمل المرجو لتحرير شواطئ المغرب وثغوره وأبعاد شيخ الاستعمار عنه بل أنه مرجو إلى أكبر من ذلك فهو الذي يمكنه أن يجعل الأندلس مرة أخرى دار إسلام ومقر إيمان ويتجلى ذلك مثلا في أن المؤلف حينما دخل مدينة شنل وأعجب بجمالها وانشد يذكر بعض الأشعار التي قيلت فيها قال (ص 16) :

و«قد أنشدت حين أبصرت هذه المدينة وجميل
منظرها متمثلاً ببيت من الحريري وضمنته بيتين آخرين :

آليت إذ نظرت عيني محاسنها
ان لا نظير لها في مطلق الصور
وهذان بيتا التضمين تدليلاً :

فالله ينقدها حتى يدان بها
دين المهمين محروساً من الكدر
بكف محتسب للأجر منتسب
لله منتسب لأفضل البشر

وهو بذلك يعبر عن إحساس وطني عام كان يتجلى
عند المجاهدين الذين كانوا مرابطين لتحرير الثغور
المغربية استعداداً لنشر الإسلام من جديد فيما وراء الحدود
ولهذا قال أحد الشعراء المغاربة وهو محمد بن عبد الواحد
البوعناني :

أيام مولاي قم وانهض وشم
لأندلس فأنت لها الأمير

ولعلنا بهذا العرض نكون قد حددنا قيمة هذه الرحلة
في المجال التاريخي سواء بالنسبة إلى ذكر أسبابها المباشرة
الناتجة عن تبادل الأسرى بين إسبانيا والمغرب بعد حرب
العرائش وتحريرها من يد الإسبان أو بالنسبة إلى ما
استنتجناه منها من كون المغرب كان يتحسب لانتصار
العثمانيين ضد الحلف الألماني ومن كون المغاربة كانوا
يرون في المولى اسماعيل المنتقد العملي لبلادهم من التمزق
والانحلال وأنه قادر بهمتته أن يتجاوز الحدود ليعيد الوجود
الإسلامي ببلاد الأندلس ذاتها.

وقبل أن أنهى عرضي هذا أود أن أنبه إلى أن مؤلف
هذه الرحلة يدعى محمد بن عبد الوهاب الوزير باعتبار أن
لفظة الوزير اسم عائلي لا باعتبار أنها سمة وظيفية طارئة
وهذا ما يؤخذ من طلب الرسالة التي حملها بنفسه إلى
كارلوس الثاني وما يفهم من ترجمته عند ابن زيدان في
كتاب الاتحاف وما يوجد في وصفه عند محمد الفاسي في
البحث الذي كتبه حول الرحلات السفارية المغربية بمجلة
المناهل العدد السادس من السنة الأولى عام 1962 فقد قال
عنه إنه أحد كتاب المخزن الاسماعيلي وأنه من عائلة مجيدة
أندلسية نزح سلفها إلى فاس وتعرف بأبناء الوزير.

هذا وإنني قد غفلت عن هذه الحيشة أثناء تعليقي
على هذه الرحلة في البحث الذي أشرت في أول عرضي هذا
أنني نشرته بمجلة دعوة الحق عام 1969 فقد لقبته آنذاك
بالوزير على أساس أنه لقب وظيفي لا على أساس أنه اسم
عائلي وما زال بعض الباحثين لحد الآن يلقبونه بالوزير
وظيفة مع أنهم أقرب إلى معرفة هذه الإشارة من غيرهم
نظراً لخبرتهم وكفاءتهم وقد جرننا - على ما أظن - إلى هذا
الخطأ الوصف الذي وصفه به ألفريد البستاني ناشر الرحلة
فقد قال عنه إنه محمد بن عبد الوهاب الغساني وزير
مولاي اسماعيل وسفيره إلى كارلوس الثاني ملك إسبانيا عام
1102 هـ - 1690 - 1691 م والظاهر أنه لم يكن قد اطلع
على نص الرسالة التي وجهها المولى اسماعيل إلى كارلوس
الثاني فلو كان قد اطلع عليها لوصفه بالكاتب لا بالوزير
وهنا أنهى عرضي هذا مؤملاً أن تتاح الفرصة لي ولغيري من
الباحثين في أن نجد النظر في هذه الرحلة عسانا بذلك
أن نستنتج منها ما يمكن أن يضاف إلى ما توصلنا إليه
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

في
التوجه
الإنساني

الفكر الحسني رسالة

للأستاذ أحمد أفزار
رئيس المجلس العلمي بوجدة

فما ذلك إلا لنحسن استثماره، وننظم الانتفاع به في كل عصر بالوسائل التي تناسب ذلك العصر». لقد سجلت هذه الفقرة في بدايتها التعلق بالله والرجوع إليه فيما يحاول الإنسان أن يكتشفه من منهج وتخطيط، فالتوجهات الإلهية والأحكام الربانية التي وضعها الله لهداية خلقه وبلغها إليهم على لسان آخر رسوله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ يبقى التمسك بها هو المفتاح الذي يوصلنا إلى عالم الخير والسعادة عالم الأمن والطمأنينة، عالم الحب والعطف والحنان الإنساني ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمّنهم من خوف﴾⁽¹⁾ فكلما توفرت للإنسان وسائل العيش وتغلب على مظاهر الجوع العامة، وضمن الأمن لنفسه وماله في حاضره ومستقبله، عندما يصل الإنسان إلى هذا المستوى الحياتي وهو متعلق بربه متوجه إليه يكون قد وضع قدميه على الطريق المستقيم الذي يدعو الله عز وجل أن يوجهه إليه عدة مرات في اليوم عندما يقول في صلاته ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾⁽²⁾

نعود من جديد لرسالة أمير المؤمنين جلاله الملك الحسن الثاني نصره الله إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري للوقوف مع بعض فقراتها التي تكون عقدا ثميناً وسلسلة من الأفكار الرائدة في الشرح والتحليل للتصورات الإسلامية لمستقبل هذه الأمة. وستبقى تلك الرسالة منبعاً لدراسة الفكر الحسني في مختلف التوجهات في إطار القاعدة الإسلامية التي وضعت المبادئ الصحيحة للمسيرة الإنسانية نحو عالم أفضل ومستقبل أكثر إشراقاً وأثمل نورا وبهاء.

يقول أمير المؤمنين في الصفحة الرابعة عشر: «إذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية أعظم منة، فجعل ظهورها على مسرح التاريخ حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل التاريخ البشري، ومنطلقاً لتغيير جذري عميق في خريطة العالم انتوغرافيا وجغرافيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا وأتاهها من فضله أضخم تراث طبيعي مكنوز في جوف الأرض وبارز فوق سطح الأرض،

(1) الأيتان الأخيرتان من سورة قريش.

(2) الآية السادسة من سورة الفاتحة.

ومنة الله على المسلمين التي تشير إليها الرسالة الملكية أثبتها القرآن الكريم في كثير من الآيات، يقول تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾⁽³⁾ ويقول: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾⁽⁴⁾

ويقول: ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾⁽⁵⁾ وغيرها كثير.

وقد جاءت رسالة أمير المؤمنين لتصور مظهرا من مظاهر منة الله عز وجل على المسلمين، عندما بعث الله رسوله ﷺ ليضع حدا فاصلا بين مرحلتين من مراحل التاريخ البشري.

إن الحياة الإنسانية منذ أن خلق الله بذرتها الأولى بنبي الله آدم عليه السلام استمرت في مد وجزر، عقيدة، وعبادة، ومعاملة وسلوكا، وأخلاقا، لقد تغلبت الأنانية البشرية في فترة من التاريخ فرفضت كل توجيه يأتي من الله عز وجل على لسان رسله وأبيائه، فسيدنا نوح عليه السلام ظل يدعو الناس حوالي ألف سنة ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾⁽⁶⁾ لغلبة العمى على الرؤية، والضلال على الهدى، والقرب من الشيطان على القرب من الله، فبعث الله الأنبياء والرسل بكثافة في فترات من التاريخ ولكنهم لا يلقون إلا الإعراض والانصراف والتأمر على القتل ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق﴾⁽⁷⁾.

ولكن الله وهو القادر على كل شيء أراد أن يضع حدا فاصلا في التاريخ الإنساني، فأظهر دينه الخاتم، وأرسل رسوله محمدا ﷺ ووضع على لسانه بوحي منه

تعالى شريعته، وجعل هذا الدين هو الدين الحق ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾⁽⁸⁾.

ولا يقبل الله من أي إنسان ديناً غيره ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾⁽⁹⁾ وأمن الله عز وجل على أمتنا الإسلامية بهذا الدين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾⁽¹⁰⁾.

لقد كان ظهور الإسلام حقا وصدقا فاصلا بين عهدين في حياة الإنسانية، عهد الجاهلية والخوف وعهد النور والأمن.

إننا عندما نضع خريطة العالم أمام أعيننا، نحلل حياة الإنسان فيها قبل الإسلام وبعده، نكتشف أشياء غريبة في مسيرة الحياة الإنسانية، لقد كان الناس طبقات بعضها فوق بعض، ولا يصلح أدناها الخدمة أعلاها، كان هذا حتى في مراحل ارتقاء الفكر الإنساني في بعض الجوانب عند اليونان والرومان، فبقية الجاهلية هي المتحكمة، وهي المسيطرة وهي القابضة على التوجه البشري. ولما جاء الإسلام، وبدأ نوره يضيء الطريق للإنسان خلق عالما آخر، ووضع خريطة جديدة له، أساسها أن الإنسان مكرم لكونه إنسانا ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾⁽¹¹⁾ وأن ما في الكون كله مخلوق له ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾⁽¹²⁾ وسخره لاستثماره والانتفاع به ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾⁽¹³⁾.

إن حياة الإنسان الجديد، إنسان الإسلام ليست كالحياة السابقة على ظهور هذا الدين، وبما أنه نظام للحياة ومنهج للعمل ومخطط للتوجيه، فهو إذن شريعة كاملة لا ينقصها شيء، لقد وصف الله عز وجل دينه بأنه

(9) الآية 85 من سورة آل عمران.

(10) الآية 3 من سورة المائدة.

(11) الآية 70 من سورة الإسراء.

(12) الآية 29 من سورة البقرة.

(13) الآية 13 من سورة الجاثية.

(3) الآية 164 من سورة آل عمران.

(4) الآية رقم 5 من سورة القصص.

(5) الآية رقم 17 من سورة الحجرات.

(6) الآية 40 من سورة هود.

(7) الآية 61 من سورة البقرة.

(8) الآية 19 من سورة آل عمران.

كامل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾⁽¹⁴⁾ فهو كامل في الطول والعرض، وكامل في الارتفاع والعمق، وكامل في موقفه من الإنسان ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾⁽¹⁵⁾ فكل إنسان يمكن أن يكون أكرم الناس عند الله إذا كمل في تقواه وخشيته والتعلق به.

وهذا التغيير الذي أحدثه ظهور الإسلام نلمس أثره «جغرافيا واجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، وحضاريا».

فالمكان الذي يوجد فيه المسلم، وتطبق فيه أحكام هذا الدين يعتبر جزءا من العالم الإسلامي وقطعة من أمة الإسلام، سواء كان في أقصى المشرق (جكارطيا) أو في أقصى المغرب (طنجة)، فالأخوة الإسلامية غيرت الخريطة الجغرافية للعالم الإسلامي، ووضعت في حدود واحدة وقاعدة ذلك قول الله عز وجل: ﴿إنما المومنون إخوة﴾⁽¹⁶⁾ وقول الرسول ﷺ: «المسلم أخ المسلم»⁽¹⁷⁾ فالأخوة الإسلامية جعلت المسلم يتعاطف مع أخيه في الدين ويتحجب إليه، ويتقوى به ومعه، وكان المسلم ينتقل في أرض الإسلام، في عالم بلا حدود، ويتولى المناصب الإدارية العليا بين المسلمين مفتاحه في ذلك علمه وورعه وتقواه.

وفي الميدان الاجتماعي جاء الإسلام بنظام جديد على العالم الإنساني وهو نظام أحكامه وقواعده وأصوله قائمة على نصوص الوحي الإلهي ومن الطبيعي أن يحدث هذا النظام تغييرا في خريطة السلوك الإنساني لأنه قائم على شريعة تؤسس للحاضر وتبني للمستقبل أقر مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات وجعله قاعدة أصيلة، وأبقى التفاضل بسبب التقوى وحدها ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾⁽¹⁸⁾.

ويؤكد الرسول ﷺ ذلك في خطبة حجة الوداع ﴿إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ليس لعربي فضل على عجمي وليس لعجمي فضل على عربي، ولا لأسود على أبيض، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى﴾⁽¹⁹⁾.

وهكذا سمت الشريعة الإسلامية عن كل اعتبار يعود إلى النسب أو الجاه، أو المال، أو القبيلة، أو العشيرة، أو اللون، أو الجنس. وفي ميدان الأعمال يسوي الإسلام بين الرجل والمرأة ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾⁽²⁰⁾.

وجعل الإسلام العمل واجبا على المرء ما دام قادرا عليه ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾⁽²¹⁾ وطلب الرزق الحلال بعد أداء الواجبات أشرف الأعمال وأكرمها وأطيبها.

وفي ميدان البر والتعاون والعدل، والتكافل وصلة الرحم والوفاء بالعهد، والإخلاص في التعامل، جاء الإسلام بأحكام وقواعد كونت من المجتمع الإسلامي المدينة الفاضلة التي يتمناها الإنسان.

وفي ميدان العلاقة الأسرية جاء الإسلام بأحكام النصوص، فنظم علاقة الزوجية ووضع لها القيود والشروط، وحوى الأنساب من الاختلاط أو الشيوخ وجعل للأمر قيادة حتى لا تبقى فوضى، وحوى عرضها من القول أو الفعل ووضع الجزاء المناسب لذلك.

هذا جزء من التغيير الجدي الذي أحدثه الإسلام في الميدان الاجتماعي.

وفي التعامل الاقتصادي كون الإسلام نظريته على أصول متوازنة حماية الملكية وإباحة البيع والشراء، وتكوين

(14) الآية 3 من سورة المائدة.

(15) الآية 13 من سورة الحجرات.

(16) الآية 10 من سورة الحجرات.

(17) من حديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم عن عبد الله بن عمر، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب عن أبي هريرة.

(18) الآية 10 من سورة الجمعة.

(19) الآية 13 من سورة الحجرات.

(20) الآية 124 من سورة النساء.

(21) الآية 10 من سورة الجمعة.

الثروة القائمة على الحق والدين ويكفي أن يكون من بين قواعده الخمسة إيجابية الزكاة، وهي لا تتأتى إلا من الأغنياء والسعي في المجتمع لجمع المال، واستعماله في النماء الاقتصادي يعتبر وسيلة لأداء الزكاة التي هي ركن من أركان الدين، وبجانب إيجابيات التعامل الاقتصادي منع الإسلام الغش والاحتكار والتطفيف في الكيل والميزان، واستغلال الحاجة لأخذ الربا.

وفي الميدان الثقافي يفتح الإسلام الباب للعقل، ويحرره من كل القيود ويأمر الإنسان بالتأمل والتدبير في الكون ويحسه على جمع العلم والمعرفة، الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، منها ينطلق إلى الأسرار العلمية والسنن الفطرية، فيسبو بالعلم ويرقى بالعمل به ويبلغ الدرجات العليا بإذن الله. أما في ميدان الحضارة فالتغيير كان أعمق وأقوى من كل شيء.

قامت حضارة الإسلام على عنصرين لم يسبق إليهما من قبل، حضارة الروح، وحضارة الأشياء.

فحضارة الروح وضع لها الإسلام قاعدة التوحيد، لا إله إلا الله، فعندما يتمسك الإنسان بعقيدة التوحيد ويعض عليها بالنواجذ، تستسلم له المقاليد، لأنه يربط حياته بالله عز وجل، فلا عبادة إلا له، ولا طاعة إلا له، ولا خضوع ولا خشوع ولا خوف إلا منه عز وجل، فإذا أصابه خير حمد الله وشكره، وإذا أصابه شر صبر عليه، وإذا احتاج إلى العون التجأ إليه، وإذا احتاج لمعروف طلبه منه. إن هذا جزء من معنى الإيمان بالله عز وجل، وهو عنصر من عناصر حضارة المسلم.

وغير المسلمين منهم من يقول بوحدانية الله عز وجل، ولكن في تصور خاطئ ونظر ناقص، فاليهود يعتقدون بوجود الله على نحو معين، والنصارى يقولون كذلك بوحدة الله، ولكنهم يركبونه من عناصر متعددة

وحتى مشركي الجاهلية كانوا يقولون بوجود الله الواحد. فقالوا في تعليل عبادتهم للأصنام ﴿وما نعبدكم الا ليقربونا إلى الله زلفى﴾⁽²²⁾

ولم ترق العقيدة إلى مستوى حضاري رفيع الا في التصور الإسلامي الذي يجعل الله هو المعبود وحده بحق، وهو المالك والمسيطر والقادر على كل شيء، ولا يتم في الكون أمر إلا بإذنه ﴿له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه بكل شيء عليم﴾⁽²³⁾

أما العنصر الثاني في الحضارة الإسلامية فهو المتعلق بالعطاء والإبداع الإنساني في إطار التوجيهات والقيم الإسلامية. وهذا الجانب مرتبط بالعنصر الأول، لأن الإنسان عندما تؤطره عقيدة معينة هي عقيدة التوحيد، والإيمان يكون إبداعه الفكري وعطاؤه العلمي على طيف متوفر على جميع الموصفات الإسلامية.

ومن خلال هذه الصورة يمكن النظر إلى ما أحدثه الإسلام على مسرح التاريخ من تغيير جذري في البنية الحضارية.

إن الحضارة الإسلامية لها أيادي بيضاء على المدنية المعاصرة وكانت حلقة هامة في المسيرة الحضارية للإنسانية.

وإذا كان العنصر الأول من الحضارة الإسلامية المرتبط بالعقيدة بدأ منذ ظهور الإسلام وإعلان كلمة التوحيد، فإن بعض المظاهر الأخرى للحضارة الإسلامية انطلقت مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ وبالأخص في تأسيس نظام الحكم وتطبيق أحكام البيعة لإمام المسلمين ووضع منهج ولاية العهد في الحكم الإسلامي ثم بدأت مظاهر الحضارة تأخذ أشكالا متميزة في بداية العصر الأموي، سواء في الديار المشرقية أو المغربية، وبلغت مستواها العالي بترجمة الفكر المغربي، وإنشاء الجامعات

(22) الآية 3 من سورة الزمر.

(23) الآية 12 من سورة الشورى.

وعندما قال جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في الرسالة الإسلامية بأن ظهور الإسلام جعل حدا فاصلا بين مرحلتين من مراحل التاريخ البشري ومنطلق لتغيير جذري عميق اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا كان ينظر إلى التاريخ الإسلامي بكل مقوماته وعوامل نهضته وما قام به الإسلام من رفع قيمة الإنسان وتحريره من أسباب الاستعباد والاستغلال.

فجزى الله خيرا أمير المؤمنين على جهده وجهاده في سبيل إعلاء كلمة الله وإظهار دينه، إنه سميع مجيب.

الشعبية المتخصصة في العلوم، واستمرت الفتوحات العلمية على يد العلماء المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي اعتمادا على الأسلوب التجريبي أكثر من الأسلوب النظري العقلي.

وفي ميدان التعمير والبناء ما زالت آثار الحضارة الإسلامية شاهدة بقصورها ومساجدها وحدائقها وأذواق أهلها على ذلك. وحتى بعد خروج المسلمين من بعض الجهات فإن البصمات الإسلامية ما زالت تدل على أن الإسلام كان موجودا في تلك الديار بعلومه ومناهجه وأحكامه وقواعده.

وجدة - أحمد أفراز

قال النبي عليه السلام:

”تَرَكْتُ فِيكُمْ
مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ
بِهِ لَزُتُمْ وَأَبْعَدِي
أَبْدًا كِتَابَ اللَّهِ
وَسُنَّتِي“

صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

العِبَرِيَّة الحَسَنِيَّة

جَعَلت المغرب بلد الخير والأمن والقيم الروحية والدولية

للأستاذ مقدّم بوزيان
رئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينة الناظور

لذلك صح لي أن أقول أن خيرات المغرب والوسائل الكفيلة للمحافظة على هذه الخيرات بما في ذلك الأمن القومي الداخلي واحترام القيم والأصالة هي من مميزات هذا البلد الأمين منذ ثلاثة عشر قرنا إلى أن ظهر ذلك بشكل جلي أكثر في عهد الدولة العلوية الشريفة.

ويبلغ ذلك أوجه في عهد الحسن الثاني وذلك رغم ما واجهه المغرب عبر التاريخ من تيارات وإيديولوجيات مفرضة هدامة حاول مروجوها النيل من شخصيته وأصالته ولكن أنى لهم ذلك.

ما بقاء الحجر الصلد

سد على وقع المعاول

فعادوا خائبين خاسرين ينطبق عليهم المثل العربي :
ذهب يطلب قرنين فعاد مقطوع الأذنين.

فآثار الحرب العالمية الوحشية، وآثار المجاعة العالمية المزرية وآثار القحط والجفاف، وآثار الأوبئة الفتاكة، وآثار الأزمات المالية والاقتصادية، كل هذه الأزمات لم تستطع أن تسلب المغرب مكانته وخيراته بل كان المغرب دائما

بهذه المناسبة العظيمة، مناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لتربع مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره على عرش أسلافه المنعمين، سوف أتحدث باختصار عما حظي به المغرب من مكانة تاريخية واجتماعية وإنسانية على المستوى الدولي والعالمي عبر عصوره الزاهية وبالأخص في عهد المجدد الرائد جلالة الملك الحسن الثاني وعمّا جباه الله من خير وأمن وقيم ومثل وأصالة بسبب القيادة الروحية والسياسة الرشيدة لأمير المؤمنين حفظه الله ورعاه.

وحديثي هنا عن المغرب في عهد الحسن الثاني في مجال القيم والأخلاق الدولية كمنجزات معنوية وروحية عظيمة لا يعني أننا نجهل أو نتجاهل تلك المنجزات المادية في مجال البناء والتشييد والعمران والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، بل إنما اخترنا هذا المجال المعنوي نظرا لما يتمتع به قائدنا الملهم من مكانة مرموقة ومحترمة دوليا جعلت المغرب يحتل وزنه اللائق به في كل المناسبات واللقاءات والمؤتمرات الأوربية والعالمية على السواء.

في حفظ ورعاية ووقاية وأمن مادي وروحي قياسا إلى ما حصل في دول العالم عموما والدول المجاورة خصوصا.

أما الآن وخاصة في عهد أمير المؤمنين فإن أهم ما ينعت به المغرب في الخارج والحمد لله هو أنه بلد النعم والخيرات بما تدره السدود وتنتجه الأرض من المواد الغذائية الأساسية والفواكه المختلفة المبوثة في الأسواق هنا وهناك التي غالبا ما تربو على حاجيات السكان وتزيد على الاكتفاء الذاتي مما جعل المغرب يطمح إلى مستوى الأسواق الأوربية المشتركة بل إلى مستوى التحدي الذي لم تستطع الصحافة الأوربية نفسها تجاهله أو إخفائه إلى درجة أنها اعتبرته الشبح المخيف لأسواقها حسب ما ورد في بعض صحفها وطبعها إن هذه الخيرات التي يتمتع بها المغرب لن تنزل جاهزة من السماء (فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) ولن تأتي عفوا ولن يحصل عليها المغرب بالمجان كهبة أو صدقة بل أتت نتيجة الجدية والفعالية وحب العمل وصيانة الكرامة والشهامة والإباء المغربي الذي عرف به المغاربة.

كما أن هذه الخيرات وهذا الأمن الغذائي جاء نتيجة للتخطيط المحكم والقيادة المولوية الرشيدة المتمثلة في النظام الملكي الدستوري المعاصر المستمد من روح الشريعة الإسلامية ووحى السماء حيث يقول الله جل من قائل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.

فرابطة البيعة والوفاء هي التي جعلت المغرب بلد الخيرات والنعم رغم كيد الكائدين وأطماع الطامعين وهي التي جعلته أيضا ينعم بالرخاء والأمن والمحبة الصادقة والولاء الدائم بين القمة والقاعدة، والعرش والشعب في سكينه واستقرار وأمان واطمئنان، فتبادلا حبا بحب ووفاء بوفاء.

الشيء الذي يعبر أصدق تعبير عن كون المغرب محاطا بسياج منيع وبحصانة قوية أمنية تدل على ظاهرة

صحية محسود عليها بالقياس إلى ما يحدث حوله وما يجري في العالم اليوم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهذا الفضل الرباني جاء نتيجة للتوجيهات الملكية السامية واليقظة الإدارية الشاملة وترسيخ العقيدة السلفية الأشعرية المعتدلة وتوحيد المغاربة على المذهب المالكي مذهب إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة مدينة الرسول سيدنا محمد ﷺ الجد الأعلى لأمير المؤمنين جلاله الملك الحسن الثاني أيده الله.

فما يقوم به أمير المؤمنين في مجال القيم الروحية والمثل العليا على مستوى الأخلاق الدولية جعلت المغرب قلعة صامدة في وجه كل التيارات المغرضة التي لم تنل من المغرب أي شيء بل أصبح المغرب معها يحتل الريادة والقيادة والزعامة الدينية في العالم العربي والإسلامي وقد ظهر ذلك جليا في الوزن الذي يحتله المغرب في كل المحافل والمؤتمرات واللقاءات والزيارات التي يقوم بها جلاله الملك الحسن الثاني لدى جميع الدول الشقيقة والصديقة وكذلك الحفاوة التي يستقبل بها جلالاته أينما حل وارتحل.

فبعد إنشاء اتحاد المغرب العربي الذي صفت له الأقطار الخمسة وبعد نداء جلالاته لشعبه الوفي إلى الاستفتاء الأخير الذي يعتبر حدثا وطنيا ودوليا في نفس الوقت نظرا لأبعاده السياسية والدولية يأتي مؤتمر الحوار العربي الأوربي بالعاصمة الفرنسية حيث ألقى جلالاته تلكم الكلمة الرائعة الموجهة إلى الأروبيين والعرب على السواء والتي تركت صدى عميقا في النفوس مما يدل على العبقرية الحسنية الفذة ثم ناهيك عن ندوات جلالاته الصحفية الوطنية منها والدولية والعالمية وعلى رأسها ندوة برنامج : «ساعة الحقيقة» التي تركت أثرا طيبا واندهاشا في أفاق المعمور.

كل هذا وذاك جعل المغرب في شخص أمير المؤمنين يحتل وزنه ومكانته الاعتبارية في مجال القيم والمثل والمبادئ والأخلاق الدولية لشعب عظيم يقوده ملك عظيم.



صاحب الجلالة يجيب عن أسئلة الصحفيين

وختاماً هنئنا لنا ولجلالة الملك بعيد العرش المجيد
عيد التلاحم والوفاء وعيد المحبة والولاء.

الناظور - مقدم بوزيان

أبقى الله رائدنا الملهم جلالة الملك الحسن الثاني
أيده الله ذخرا وملاذا لهذه الأمة وأمد في عمره وحفظه في
ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وضوءه السعيد
المولى الرشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الكريمة.

للأستاذ
محمد حدو
أمزيان
رئيس المجلس
العالمي الأقليمي
لمدينة
تطوان

جِهَادُ الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّةِ

من أجل تحرير البلاد وتحقيق الوحدة

تشرف هذا الشعب المغربي بقيادتها وزعامتها، وهي تحمل الرسالة التي آلت على نفسها أن تضطلع بها بكل أمانة وتضحية.

إن المغرب من يوم أن عرف هدى الإسلام وهو يحمل مشعله شمالا إلى وسط أوربا وجنوبا إلى قلب إفريقيا، وأن الإرث الذي خلفه الفاتحون الأولون لهذا البلد ابتداء من عقبة إلى المولى إدريس إلى يوسف بن تاشفين، والذي يتجلى في تلك الرسالة الخالدة التي حملوها بكامل الأمانة وحافظوا عليها جعل من الدول المتعاقبة على حكم المغرب دول جهاد وتضحية من أجل الحفاظ على هذه الأمانة.

و شاء الله لهذه البلاد أن تتعرثر في سيرها وأن يضعف عامل الجهاد والتضحية في أبنائها، و شاء الله للأندلس أن تسلم الروح والمغرب الذي كان الغوث الدائم له - لا حول له ولا قوة مشغول بنفسه، واستأسد العدو الصليبي، ومر بصره إلى الضفة الأمامية التي كانت تأتي منها التجذات، ففرغ عزمه على متابعة حملة الغزو والتنصير ليؤمن لنفسه البلد الجنائم عليه، والذي أجهز على أهله شر إجهاز، وأرغمهم على التنصير والانسلاخ من دينهم أو الهجرة إلى

كلما حل ثالث مارس من كل عام تجل معه ذكرى تربع سيدنا المنصور بالله جلاله الحسن الثاني على عرش أسلافه الكرام الغر الميامين.

وكلما انصرم عام من تربع مولانا أمير المؤمنين الـ ويخلد أعمالا جلية في ميادين شتى من إنمائية واقتصادية وثقافية، والباحث إذا أراد أن يستقري ما خلدته هذه السنوات الجلية التي تشرفت بتربع صاحب الجلالة على أريكة ملك هذه الدولة العلوية الشريفة يجد رصيда من المنجزات والمشاريع طول البلاد وعرضها كما يجد لجلالته حفظه الله تحركات رائدة على المستوى العربي والإسلامي والدولي مما جعل منه حفظه الله الشخصية الأولى في العالم العربي والإسلامي بدون نزاع، كما تجده من بين الشخصيات الدولية التي اقتعدت الصف الأول، وكان لها القرار في كثير من القضايا الدولية.

وإذا كانت أيام المرحوم جلاله محمد الخامس توهم بأنها أيام الكفاح من أجل تحرير المغرب وانعتاقه والتي توجت باستقلال المغرب نتيجة للتضحيات الجسام التي خاضها العرش والشعب، فإن أيام خلفه جلاله الحسن الثاني تتميز بخوض المعركة من أجل توحيد المغرب وتحرير باقي جيوبه وثغوره. إن الدولة العلوية الشريفة من يوم أن

الشواطئ الأمامية ومنها المغرب في ظروف مأساوية لم يشهد التاريخ لها مثيلا.

وهكذا احتلت الشواطئ المغربية من جانب الاسبان والبرتغال.

ويأبى الله لهذا البلد إلا أن يهبه من قام بواجب هذه الوراثة والاستخلاف واصطفى له في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه أسرة كريمة أصيلة، حلت بالمغرب على الرحب والسعة، كسلالة طاهرة من آل بيت النبي ﷺ.

والمغاربة منذ أن باشر الإيمان قلوبهم أكرمهم الله بمحبة آل بيت نبيه ﷺ، وهم السذيين استقبلوا المولى إدريس وبايعوه واجتمعوا عليه، وهم ما زالوا إلى الآن على هذا الوصف الكريم مومنين صادقين في إيمانهم. إن البركة والخير في هذه الأسرة الشريفة وما تعاقب منها إلى يوم الدين لكن هذه الأسرة العلوية الشريفة عند دخول جدها الأول قدس الله روحه، لم تستشرف للرئاسة ولا كان في نية جدها المقدس سيدي الحسن الداخل ذلك، وبقيت بمنأى عن الحكم والمسؤولية وإن ساهم أفرادها المساهمة الكاملة في الجهاد وتثبيت الأمن والاستقرار سواء في داخل المغرب أو الأندلس، حتى إذا حم القضاء وانقطع الرجاء، طلب منها أن تضطلع بالأمر في وقت عصيب لتتقذ البلاد من الغزو الصليبي، وتطهر الأرض من الفساد وتعمل على توحيد البلاد والقضاء على الانتقامات الداخلية.

والتاريخ خير شاهد على أنها ما استولت على البلاد قسرا، ولا انتضت على حكمه انتقضا، ولكنها كانت أسرة فضل ومروءة، وبيت دين ونبوءة، فعرض عليها الأمر عرضا فلم تجد مفرا من الاضطلاع به بعدما تعين، وبعد الاجماع الذي تم.

في هذا الوقت العصيب قام بالأمر الشرفاء العلويون أدام الله عزهم، وخلد ملكهم، ويتصل نسب هذه الأسرة الماجدة بسيدنا علي كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة البتول بنت سيدنا محمد ﷺ، ولقد استقر أجداد هذه الأسرة الكريمة بينوع النخل من أرض الحجاز، قبل أن ينتقل

منهم إلى المغرب سيدنا الحسن بن قاسم المعروف بالحسن الداخل أواخر المائة السابعة للهجرة الموافق سنة 1301 م وعرف أحفاده البررة الكرام بالجهاد والمرابطة على الثغور ببلاد الأندلس وناحية أكدج من بلاد السودان.

وأول شريف بويغ من هذه الأسرة هو المولى محمد ابن المولى علي الشريف وذلك عام 1045 هـ الموافق لسنة 1637 م فبسط نفوذه على بلاد درعة والأقاليم المتاخمة لها فضمها إلى منطقة نفوذه بتايفيلات ثم دخل وجدة وحاصر تلمسان.

ولما تولى بعده المولى الرشيد تابع عملية تطهير البلاد وعمل على توحيد كلمتها، وكانت يبعته عام 1075 هـ ولما استتب له الأمر وجه عنايته للأعمال الداخلية وبناء الدولة، فنظم جيش شراكه، وأنشأ المنشآت العمرانية من المدارس والمساجد والقناطر، وكان رحمه الله نصيرا للعلم والآداب يحضر المجالس العلمية بالقرويين، ويحب مناقشة العلماء، وقد سجل هذا العلامة اليوسي في رسالته إلى المولى إسماعيل يقول فيها : ثم جاء المولى الرشيد ابن الشريف، فأعلى مناره - أي العلم، وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكراما لم يعهد، وأعطاهم مالا يعد... إلخ.

ومن مآثره رحمه الله مدرسة الصفارين بفاس، وقنطرة على وادي سبو بفاس كذلك. ثم بويغ المولى إسماعيل بعد وفاة أخيه المولى الرشيد، وهو يومئذ نائبه بفاس الجديد، فتوجه إلى مكناس واتخذها عاصمة لملكه، ويعد المولى إسماعيل من الملوك العلويين الذي أبلوا البلاء الحسن في خدمة هذا البلد وتحرير ثغوره وتوحيد أجزائه، وتثبيت الأمن فيه، وهكذا حرر المهديّة في 15 ربيع الثاني 1091 هـ الموافق 4 مارس 1681 م وطنجة فاتح جمادى الأولى 1095 هـ الموافق 16 أبريل 1684 م، والعرائش 18 محرم عام 1111 هـ الموافق 16 يوليوز 1694 وأصيلا عام 1112 هـ 1700 م، ووقف على أسوار سبتة وحاصرها، وهكذا حملت هذه الأسرة الماجدة ثقل المسؤولية منذ تأسيسها وحافظت على وحدة البلاد.

العربي إلى الوجود بما بذله من مساع حميدة لتحقيق ذلك، حتى انعقد مؤتمر القمة العربي الأول بمراكش في السنة الماضية والمؤتمر الثاني بتونس أخيراً.

وهكذا قلنا في بداية هذه الكلمة، أن أيام جلالته حفظه الله كلها أيام عز ونصر.

حفظ الله مولانا أمير المؤمنين وأبقاه ذخراً لهذه الأمة ولهذا الدين، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وأدام عزه ومجده، وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد الأمير المولى الرشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة، ورحم الله بطل الحرية والاستقلال المقفور له جلالة محمد الخامس وأسكنه فسيح الجنان، وأدام على هذا البلد نعمة الأمن والأمان والاستقرار في ظل عاهله الهمام وعقبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الناظور - محمد حدو أمزيان

ولنرجع إلى تاريخنا المعاصر وإلى عهد جلالة الحسن الثاني الزاهر، لنرى كيف تلقى حفظه الله هذه الأمانة من والده المغفور له جلالة محمد الخامس محرر البلاد بكل جدارة واستحقاق ويأجمع الأمة بموجب البيعة الفورية اثر إعلان وفاة والده المنعم. فألى على نفسه أن يواصل السير في الخط الذي رسمه له والده، فحقق حفظه الله الأمانى بضم الأقاليم الصحراوية فأعلن عن تنظيم المسيرة الخضراء إلى أرض الصحراء التي كانت حدث القرن، ثم تفرغ حفظه الله إلى ارساء قواعد النظام الديمقراطي بالبلاد، وهكذا نجد أيامه أدامها الله تسير من نصر الله نصر ومن فتح إلى فتح، ولم يشغله أمر عن أمر، فيقدر اهتمامه حفظه الله بشؤون بلاده، لا يالوا جهدا في الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية كقضية فلسطين ولبنان حيث ترأس لجنة القدس الشريف، وعمل على حل مشكل لبنان ضمن اللجنة الثلاثية، كما تزعم إخراج فكرة المغرب

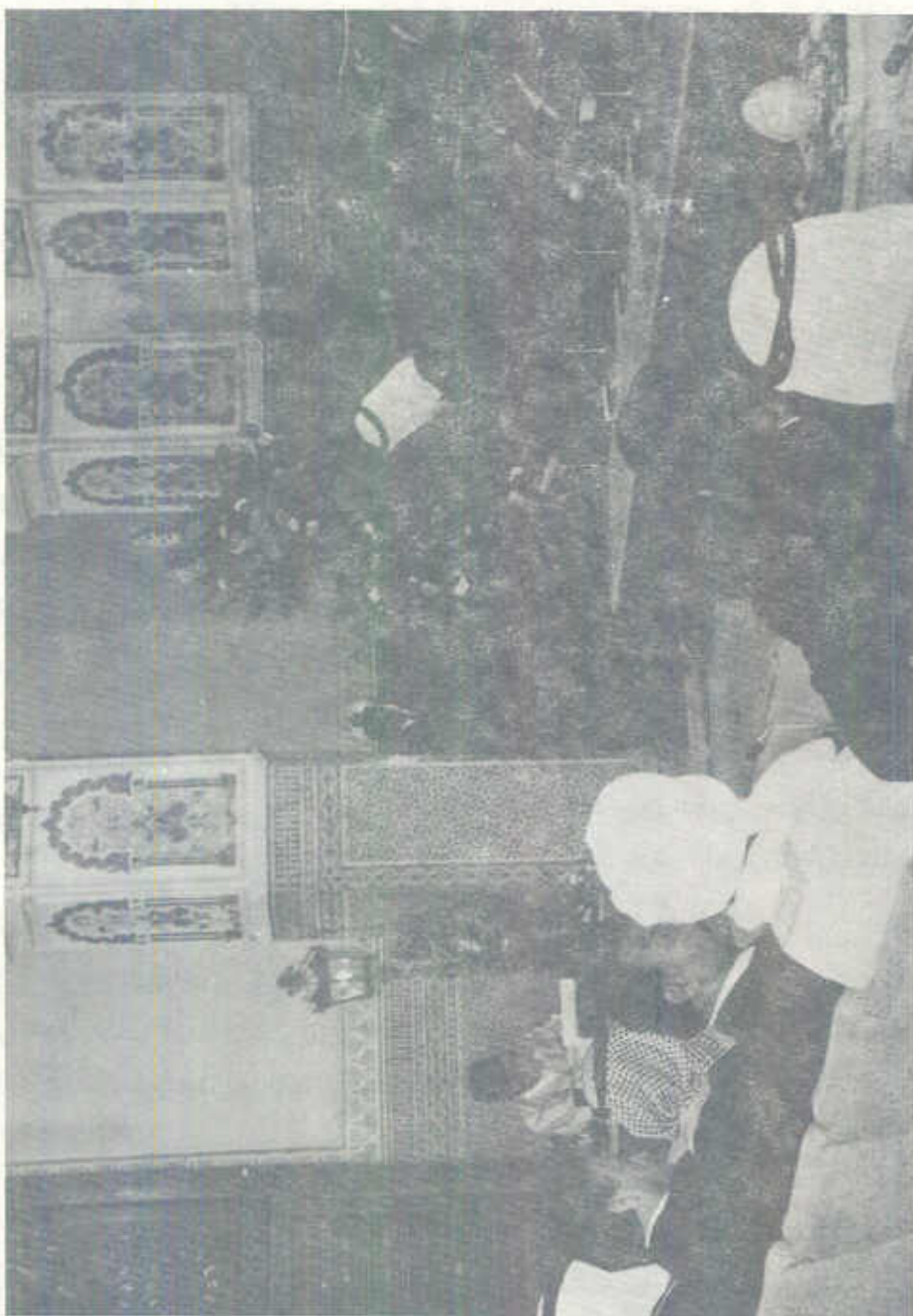
على هامش المؤتمر التاسع لمنظمة المدن العربية :

عناية الأديب الجعري بالمدينة الإسلامية

للأستاذ محمد بن عبد الله

«...فالمدينة العربية، يجب عليها، قبل كل شيء أن ترعى الأصالة، وأن تحتضنها، وأن تشد عليها بالنواجذ، لأن الأصالة ليست في البناء والعوائد، وهندسة المساجد والدور فقط، بل الأصالة هي عنوان عن بيئة، والبيئة تعني أولاً، التربية، وتعني كذلك حتى البيت الذي يمكن لتلك التربية أن تنبثق منه، وأن تتزرع فيه، فسكن العرب، ليس هو سكن العجم وغير العرب، فالعرب كان مسكنهم دائماً ممتازاً بشيء غريب، وأصبح غريباً في نوعه، كان العرب دائماً يبنون دارهم متواضعة كانت أم شاحخة، آخذين بعين الاعتبار الحياة الأسروية، وتلك الحياة الأسروية هي التي تجعل من العربي الرجل الشهم. الرجل الإنسان والمتسامح».

من خطاب خلال الملك الحسن الثاني بمناسبة المؤتمر التاسع
لمنظمة المدن العربية...



صاحب الجلالة الحسن الثاني يخطب أمام أعضاء المؤتمر التاسع للمدین
العربية الذي انعقد أخيراً بمدينة مراكش.

انفقد أيضا يوم الثلاثاء 30 يناير الماضي 1990 المؤتمر التاسع لمنظمة المدن العربية بقصر المؤتمرات بمدينة مراكش : ويعد أبرز بند تضمنه التقرير العام لهذا المؤتمر هو ما يتعلق بمبنى المنظمة، والعلاقة بين المدن العربية، والمنظمات الدولية والاقليمية، وجائزة المدينة العربية، وقد سعت المنظمة، منذ نشأتها عام 1967 إلى توحيد المدن العربية المنضوية تحت لوائها، والتي يبلغ عددها حاليا 360 مدينة عربية... واهتمت لجنة العلاقات والإعلام بالنشاط الإعلامي للمنظمة... ولجنة الإعلام للمنظمة تعتبر الصحافة من الأساسيات في خدمة أهداف المنظمة، ومن ثم فإنها تهدف من وراء ذلك إلى تحقيق غايات جديدة، منها تحسين الصورة العربية في الخارج، والتعريف بالإنجازات الحضارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تتحقق بالوطن العربي... وكذلك التعريف بالفنون والتراث العربي الزاخر بالقيم الإسلامية الرفيعة، وهذه الغاية أصدرت المنظمة عام 1981 «مجلة المدينة العربية» إلى جانب إشرافها على إصدار عدد من الكتب القيمة من بينها كتاب : «كنوز القدس»، وهو سجل حافل موثق لأهم المعالم الحضارية والتاريخية العربية والإسلامية «مدينة القدس».

يقفون في دمشق، ثم القدس، والقادمون من المغرب كانوا يترشون في القاهرة... وبهذا كان العلماء واسطة لتأسيس وحدة ثقافية حرصوا على تغذيتها وإنائها حتى في أيام الانقسام السياسي، وأثناء محنة العدوان الخارجي...

بل إنه يكفي أن نذكر أن أبا العباس أحمد المقري قد أورد أسماء مائتين وثمانين شخصا عندما أراد وضع قائمة بأسماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق في طلب العلم وحده، وليس بغرض الحج أو التجارة، معترفا، رغما عن ذلك، بأنه لم يستوعب كل الأسماء...

☆☆☆

والحج، بطبيعة الحال، ظل هدفا لرحلات عدد كبير من أهل العلم من المسلمين... ومكة بصفتها مركزا دينيا مرموقا، قد اجتذبت إليها أفئدة من الناس، وعددا من الرحالة سجلوا ارتساماتهم اللطاف، ودوتوها في صفحات خالدة تمثل تلك المناسك والعبادات التي يقرأها المرء، وهو في متعة من البهجة والعافية ونور الإيمان... وتعد تلك الكتب التي تدون الرحلات الحجازية من طراز الفضائل التي يقصد بها مناقب المدن المختلفة التي كثيرا ما تستند إلى الأحاديث النبوية...

ولأهمية «المدينة» في التاريخ العربي والإسلامي، أفردت لها، منذ وقت مبكر لونا ثقافيا خاصا، قائما بذاته، أسماه المؤرخون : «تواريخ المدن العربية»، ولأهمية هذا الموضوع في الوقت الحاضر أيضا، وبمناسبة الخطاب الملكي السامي لجلالة الملك الحسن الثاني الذي ألقاه بمناسبة المؤتمر التاسع لمنظمة المدن العربية، ولمشاركة وقود المدن المغربية مشاركة فعالة في وضع التصورات المستقبلية للمدن العربية، انطلقا من التجربة المغربية الرائدة في هذا الباب، ولدحض دعاوي المستشرقين الذين يبذلون قصارى جهدهم لكي يثبتوا - بالاستناد إلى «المدينة الإسلامية» - أن المدينة بالمعنى الكامل، ظاهرة أوروبية تماما، تقدم تصورا وجردا تاريخيا، لأهمية «المدينة العربية» في مختلف العصور، ومن خلال ما ألف عنها من طرف الباحثين منذ فجر التاريخ الإسلامي.

☆☆☆

لقد كانت الرحلة في طلب العلم من أهم صفات العالم، في تاريخ الإسلام، وكان أصلها الرغبة في التثبيت من أقوال رسول الله ﷺ، ثم أصبحت من أبرز مميزات التربية الإسلامية... وزادها تأكيدا فريضة الحج إلى مكة... إذ كان طلاب العلم من المشرق والمغرب يقضون السنوات في طريقهم إليها، يعلمون، ويتعلمون... فالقادمون من المشرق، كانوا عادة

وهذا النوع من المصنفات في «تواريخ المدن» انبعث نتيجة لاهتمام المسلمين بالمسجد الكبير والحواسر العلمية والأماكن المقدسة، وحاجتهم إلى مصنف يكون أشبه بدليل جغرافي للتعريف بنواحيها، ووصف الشعائر الدينية المرتبطة بها...

وفي تاريخ الإسلام ظاهرة فريدة لا نظير لها عند سائر الأمم، وهي «تاريخ مدنهم» بإسهاب، شاملا الجوانب الطبيعية والإنسانية والحضارية بأوسع معانيها... وما زال تاريخ الحضارة الإسلامية مجهولا ما بقيت آلاف المخطوطات العربية مدفونة في خزائن الكتب في معظم أنحاء العالم...

وقد تحدث الدكتور إسحق موسى الحسيني رئيس قسم البحوث الفلسطينية بالمعهد في كتاب: «أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم» عن عدم إحصاء دقيق عن عدد هذه المخطوطات التي تتحدث عن هذه الحضارة، وقال: «بأنه لا مبالغة في القول أنها تزيد على المليون، وجزء صغير من هذا التراث، بل قبسة من تلك الأنوار، يطلق عليه المؤرخون المسلمون: «تاريخ المدن».

وقد أرخ المسلمون لمعظم «مدنهم» الكبيرة والصغيرة، كما يؤرخ الابن لأبيه حانيا عطوفا... وفي بعض الأحيان أرخ «للمدينة» الواحدة، مؤرخان وثلاثة أو أكثر...

وهكذا عرفت كتابة التاريخ منذ وقت مبكر لونا خاصا قائما بذاته، اسمه «تواريخ المدن»... وظهرت مؤلفات بعضها يقع في عدة مجلدات عديدة ضخمة، تعالج «تاريخ مدينة» أو أخرى... ولم يقتصر الأمر على العناية «بالمسجد المقدسة» وخاصة مكة والمدينة، وإنما ظهرت عناية المؤرخين بالعواصم، وغير العواصم من المدن الإسلامية... وهكذا نجد تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق للحافظ ابن

عساكر المعدود في ثمانين مجلدا، وتاريخ الكمال عمر ابن العديم لحلب المسمى «بغية الطالب» في نحو ثلاثين مجلدا أو أربعين، وتاريخ «إربل» لابن المستوفي، وتواريخ القاهرة، وخطتها للمقرئزي والسيوطي، وابن تغري بردي... وغيرهم...

ومهما تباينت المحاور التي دارت حولها «تواريخ المدن» السابقة، وسواء اتخذت التراجم أو الخطط أو الحوليات محاور لها، فإنها جميعا تحوي قدرا من المعلومات الدسمة عن الحياة الاجتماعية، فضلا عن السياسة والاقتصادية والثقافية مما لا نظير له في أي ركن من أركان العالم في العصور الوسطى...

وهناك كتابات جغرافية كثيرة تركز على تفاصيل «المدن»، مثل كتب الخطط والرحلات الجغرافية، وما أفرد للمدن من كتابات مستقلة، وما انفرد به ابن خلدون من معالجة للمدن كظاهرة جغرافية.⁽¹⁾

وقد ابتدع المصريون في كتابة الوصف الطبوغرافي للمدن وسموا به كفن مستقل بذاته، فكان لهم الفضل في ابتكاره أولا، ثم تقدمه وازدهاره ثانيا، حتى غدت آثاره تكون وحدها ثبنا حافلا في تراثنا التاريخي.⁽²⁾

وقد ألف العرب كتبيا خاصة بالكثير من المدن، ويمكن القول بأنه قلما تجد مدينة من «المدن العربية» دون أن يؤلف لها تاريخ خاص بها، وهذا النوع من التاريخ يمكن أن ندخله ضمن الجغرافية التاريخية.⁽³⁾

وهذه التواريخ ما هو خاص بالمدن «مكة» و«المدينة» و«العتبات المقدسة»، ومنها ما أفرد لعواصم الخلافة الإسلامية كدمشق، وبغداد، ومنها ما اختص بالأمصار العظمى في الإسلام كالكوفة،⁽⁴⁾ والبصرة والقيروان، وفاس، وبجاية ونجد تاريخا لأهميات المدن الإسلامية في الشرق كبخارى وسميرقند، وخبوه، ونسف، وترمز وأصبهان، ولولا مثل هذه الكتابات

(3) ناجي معروف / «عروبة المدن العربية» ص: 16/9 بغداد، 1964.
(4) الكوفة، مولد المدينة الإسلامية (بالفرنسية) للدكتور هشام جعيط باريس 1986.

(1) مقدمة ابن خلدون ص: 3/832 في: فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة...
(2) محمد عبد الله عنان / مصر الإسلامية، وتاريخ الخطط المصرية ص: 4/3.

والطابع الغالب على «تواريخ المدن» هو أن تحتوي المقدمة على الجانِب الجغرافي الذي يعطي وصفاً طبوغرافياً للمدينة، بينما تتحكم في بقية مادة الكتاب، السير، أي تراجم حياة المشاهير من أهل تلك المدينة...

☆☆☆

إننا نجد بعض المؤرخين يؤرخون لمدينتهم، ويكتبون كتباً في تفضيل بلدانهم، وذلك ما فعله، مثلاً، ابن أبي الصيف محمد بن إسماعيل البيني (ت: 609 هـ) في كتابه: «فضائل اليمن وأهله»...⁽⁶⁾ وكما قام به ابن شقير التنوخي الدمشقي شرف الدين الحنفي المعروف بابن شقير (ت: 672 هـ) الذي ألف كتاب: «إيقاظ الونسنان، في تفضيل دمشق على سائر البلدان»⁽⁷⁾ و«مشير الغرام، إلى زيارة القدس والشام»⁽⁸⁾ للخوارج المقدسي الشافعي (ت: 765 هـ)، وإبراهيم بن تاج الدين عبد الرحمن ابن إبراهيم الشافعي المعروف بابن الفركاح (ت: 729 هـ): «الاعلام، بفضائل الشام؛ وللترشيح (ت: 959م) تاريخ «مدينة بخارى» الذي قدمه مؤلفه إلى نوح بن نصر الساماني حوالي 943 م، ثم ترجم إلى الفارسية في القرن الثاني عشر،⁽⁹⁾ وهو موجود بالمكتبة الوطنية بالرباط...

☆☆☆

وقد نال الحرمان الشريفان حظوة كبرى في التأليف، بل تعد الكتب التي ألفت فيها بكثرة كبيرة... وذلك ما فعله محمد بن مصطفى بن علي دادة التوقادي الشهير بالدر زاده، (ت: 1060 هـ) في «فضائل مكة والمدينة»⁽¹⁰⁾ وكذلك «النبذة اللطيفة، في بيان مقاصد الحج ومعالمه الشريفة»⁽¹¹⁾ لشهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري الشافعي (ت: 1070 هـ)، و«تشويق الحرمين»⁽¹²⁾ للإمام فضل ابن

عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، وهو من منشورات «مخار العربة» رقم بالخزانة العامة بالرباط C. 212/2.

(10) هدية العارفين 285/6.

(11) ذيل كشف الظنون: 618/4، وهدية العارفين: 5/161.

(12) كشف: 410/1.

لما وصل إلينا علم عن حياة «المدن الإسلامية» في وسط آسيا ليس فقط في العصر الإسلامي، بل وفي زمن الساسانيين.⁽⁵⁾

☆☆☆

«وليس لعبارة «Mère Nature» (الطبيعة الأم) من ترجمة في نظر المسلم... فالسليم ليس إيكولوجياً... وقد نشأ الإسلام في مناطق تبدو الطبيعة في معظمها معادية للإنسان... والمثل الأعلى في حالة المسلم هو عالم الأشياء المصنوعة: هو «المدينة»، ونظام الري والروضة التي يأتي بها إلى بيته على شكل بساط، والشعر في الثقافة الإسلامية الحضرية لا يصف مشاهد الطبيعة البكر، وإنما يصف أزهار الحدائق» ذلك ما كتبه إخصائي الدراسات الإسلامية «جوزيف فان إس» Jose Van Ess، في كتابه: «المسيحية والديانات في العالم» «Le Christianisme et les religions du monde» منوها بالقيمة التي يعلقها الإسلام والعرب بخاتمة على «المدينة»، وكيف يمكن أن تتوقع خلاف ذلك من حضارة عظيمة؟، وفي حضارة الإسلام، تلتقي كلمات، مثل «المدينة»، و«التحضر» و«الحضر»، بل «وحسن الأدب» في مجال واحد من الدلالات، و«المدينة» هي فن الحياة معاً، ومن الممكن أن نفترض مبدأ يكاد يكون مسلمة أساسية، وهو أن الإسلام ليس حضارة غازية، بقدر ما هو حضارة تشييد وبناء وتحضير...

☆☆☆

وقد تجمعت مادة جغرافية حقيقية، خاصة فيما يتعلق بالفنوحات الإسلامية، ذلك هو ما يسمى «بالفضائل» أي ذكر محاسن «المدينة» والبلاد والشعوب، وقد اقتصر الاهتمام في العمود الأول، وفي الغالب على «الأماكن المقدسة»، أو المقترنة بحياة الرسول عليه السلام كالمدينة ومكة والشام وبيت المقدس، ومصر واليمن...

(5) أحمد زي الوليدي / «الإسلام والعلوم الجغرافية» ص 565، مجلة المعرفة ج: 3.

(6) كشف الظنون: 1278/2.

(7) هدية العارفين: 493/6.

(8) المصدر السابق: 112/5.

(9) تاريخ الأدب الجغرافي العربي «كروتشكوفسكي» ص: 1/168. وقد عربه

القاضي نصير الكسائي، و«التشريق، إلى البيت العتيق»⁽¹³⁾ للشيخ جمال الدين محمد بن المحب أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي، وجمال الدين عبد الهادي بن إبراهيم ابن علي الصغاني البني (ت: 822 هـ) : «طراز العلمين، في فضائل الحرمين المحترمين»⁽¹⁴⁾ و«هداية الثقلين، في فضل الحرمين»⁽¹⁵⁾ لابن عراف الصوفي محمد بن علي نزيل الحرمين، و«اللطائف المنيفة في فضل الحرمين، وما حولها من الأماكن الشريفة»⁽¹⁶⁾ لعبد البر بن عبد القادر الفيومي المصري، (ت: 1071 هـ) و«كنز المطالب، في فضل البيت الحرام والشاذرون، وما في زيارة القبر الشريف من المآرب»⁽¹⁷⁾ للشيخ حسن ابن العدوي الحمزاوي، و«مرآة الحرمين»⁽¹⁸⁾ تركي في تاريخ مكة والمدينة لأيووب صبري باشا الرومي في خمس مجلدات مطبوع، ولأبي فهد المكي محمد صاحب الإبانة : «بهجة الدماثة، بما ورد في فضل المساجد الثلاثة»⁽¹⁹⁾ و«نهاية الإيجاز، في سيرة ساكن الحجاز»⁽²⁰⁾ و«الحقيقة والحجاز، في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»⁽²¹⁾ لعبد الغني النابلسي (ت: 1143 هـ) وهو صاحب الرحلة الحجازية، وهي مطبوعة بمصر...

☆☆☆

وهناك ضرب آخر في الحديث عن بعض المؤرخين الذين ينهجون نحو آخر في المفاضلة بين المدن، كفضائل «المدينة المنورة»، وفضائل «مكة المنورة»⁽²²⁾ لأبي سعد المفضل الجندي المحدث، (ت: 300 هـ)، و«الحجج المبينة، في التفضيل بين مكة والمدينة»⁽²³⁾ لجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، حيث يوجد مخطوطاً بالخرزاة العامة بالرباط، ودار الكتب المصرية، وصدرت له طبعة بالهند؛ وهناك كتاب آخر لابن

القيم الجوزية (ت: 751 هـ) بعنوان : «تفضيل مكة على المدينة»⁽²⁴⁾ و«فضل المدينة على مكة»⁽²⁵⁾ لمحمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري المالكي (ت: 375 هـ).

☆☆☆

إن اهتمام العلماء والمؤرخين الرحالة اتجه في ظروف القرن الثالث الهجري إلى تاريخ ودراسة «المدن المقدسة»؛ كما اتجه اهتمام اللغويين من قبل إلى الحجاز... وملتقى في هذا القرن بمؤلفين كتبوا في تاريخ مكة، أحدهما وهو الأزرق (ت: 244 هـ - 858 م)، والآخر عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الشافعي (ت: 582 هـ) فاضل من أهل مكة مولداً ووفاء، ومن كتبه : «عقود اللطائف، في محاسن الطائف»⁽²⁶⁾ والأزرق الذي ينقل عنه كثير من المؤرخين، ينحدر من أسرة تنسب إلى آل غسان، وتربطها الرواية بالحديث النبوي...

وقد تعاقب بعد الأزرق عدد من المؤلفين كانوا متميزين لعمله، وتمتعت مؤلفاتهم بالشهرة والذيع عند الجمهور... وقد نشر «قستنفلد» ضمن هذا الفرع من الأدب الجغرافي، «أخبار مكة» في أربعة أجزاء، ختمها بأخر ممثل لهذا النمط من الأدب، وهو النهروالي من أهل القرن العاشر (990 هـ - 1582 م)، والذي ينسب إلى مدينة «نصيبين» بالجزيرة، والذي يقول : «وكان لا يفارقتي كتاب ابن خردادبة، وكتاب الجيهاني، وتذكرة ابن الفرج قدامة ابن جعفر، وإذا الكتابان، الأولان قد لزماني أن استغفر الله من حملها، واشتغالي بها عن ما يلزمي من توخي العلوم النافعة، والسنن الواجبة، ولقيت أبا إسحاق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض الهند،

(13) نفس المصدر والصفحة.

(14) الذيل : 82/4.

(15) ذيل كشف الظنون : 719/4، هدية : 232/6.

(16) هدية : 498/5.

(17) الذيل : 4/387.

(18) ذيل كشف الظنون : 458/4.

(19) كشف : 200/3.

(20) هدية : 370/5.

(21) راجع معجم المطبوعات ص : 7834، والكتاب من مخطوطات المكتبة المكية رقمه : 41.

(22) هدية العارفين 468/6.

(23) هدية العارفين 538/5.

(24) هدية العارفين 158/6.

(25) هدية العارفين 50/6.

(26) هدية العارفين ص : 5/598.

فخلطها، وصور فارس، وجودها، وكنت قد صورت أذربيجان التي في هذا الصفة، فاستحسنها، والجزيرة فاستجادهها، وأخرج التي لمصر فاسدة، وللمغرب أكثرها خطأ...

ويقابلنا في هذا الموضوع محمد بن عبد العزيز بن فهد القرشي الهاشمي (ت: 954 هـ) الذي عمل خطيباً بأحد مساجد «جدة» لأعوام طويلة حتى لقب بجمار الله لإقامته الطويلة «بمكة»، وقد وضع كتاباً عن «مدينة» جدة بعنوان: «السلاح والعدة، في فضائل بندر وجدة»، وقد عمل مختصراً لكتاب: «تحفة اللطائف، في فضائل ابن عباس وَوَجُّ والطائف»، هذا المؤلف له موضوع ألف فيه، وهو: «التحفة اللطيفة، في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة».

وهناك مصنف آخر للرحالة حجيج بن قاسم الوحيدي الذي رحل إلى مكة وأدى فريضة الحج في عام 992 هـ، حيث وصف رحلته، وصفاً دقيقاً، ويحمل العنوان: «الرحلة» وقد كان وصفه لرحلة الحج ذريعة لهدفه الأساسي، وهو الكلام عن العلوم المعروفة لدى المسلمين، وإعطاء فكرة عن معرفته الواسعة بجميع فروعها، وهو يذكر في مقدمة كتابه أنه عزم على أداء فريضة الحج في عام 992 هـ على الرغم من أنه قد حج قبل ذلك، ثم يستمر في قوله: «ومن عادتي أني كلما سافرت سفرة أن أضع رحلة أذكر فيها المدن والمنازل، وما يقع من العوام، ولو كان من مهمل الكلام، وأضيف إلى ذلك أشعاراً رائقة، وحكايات فائقة، ونكت لسامعها الاسماع شائقة، والأرواح وامقة، تشتمل على ألفاظ أرق من التسيم، وأحلى من النسيم، وتكون تذكرة لي في حياتي، وبعد مماتي».

وقد وضع مصري يدعى محمد بن أحمد السنهوري تعداداً لمنازل البريد بين مدن مكة والقاهرة، أقرب ما يكون إلى طراز «دليل الطريق» من أجل الحاج، وهذا المصنف لا يخلو من الفائدة، لأن المؤلف قد جهد في تحديد المسافات بين المنازل بدقة كبرى معتمداً في ذلك على طريقة خاصة...

وكان تاريخ هذا المؤلف في عهد السلطانين مراد الثالث (982 هـ 1003 م) ومراد الرابع (1032 هـ - 1049 هـ) وفي تركيا نجد مؤلفاً هو محمد يحيى أفندي (ت: 1010 هـ) له آثار متشابهة من حيث الصيغة، وتحمل أوصاف «المدن المقدسة»، وهي مكة والمدينة والقدس التي تحتل مكانة كبيرة في الأدب التركي الطبوغرافي والتاريخي لكافة ذلك العهد... وهي ترتبط أحياناً بالعدد المتزايد من الحجيج التركي، وقد صيغ وصفها في أسلوب خاص، وهذه الكتب للمؤلف الآف الذكر هي: «فضائل مكة المكرمة» و«فضائل مدينة منورة» و«فضائل قدس شريف»، وهذه الآثار الثلاثة موجودة في عدد كبير من المخطوطات إلا أنها ليست بذات أهمية كبيرة على وجه العموم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية.⁽²⁷⁾

☆☆☆

وقد ظل الحج وزيارة القبر الشريف بطبيعة الحال هدفاً لرحلات عدد كبير من أهل الشام ففي عام 1120 هـ أدى فريضة الحج إلى مكة مرتضى بن علي بن علوان الذي صحب قافلة الحاج الشامي، فأخذ طريق الحج المعهود واصفاً لنا بدقة كاملة منازل المختلفة، ومدنه التي يجدها في الطريق مع الراكب، وقد استغرقت منه هذه الرحلة عشرة أشهر، وأنشد لهذا الموضوع، إلى جانب وصف الرحلة، قصيدتين...

بل إن أهل «مكة المكرمة» كانوا يخرجون منها في رحلات ويصفون بدقة مكة والحجاز وغيرها من الأقطار والمدن التي جابوها، فهذا العباس بن علي بن نور الدين المكي الموسوي الحسيني الذي غادر مسقط رأسه «مكة» عام 1130 هـ، وظل يتجول لمدة اثني عشر عاماً في خلال ذلك كتب مذكرات منتظمة، وهو «بمكة»، فيتحدث عن حدودها وعيونها، ويلبها «المدينة» التي يفرد لها وصفاً رائعاً، وتليها نجداً...

وقد حظي بازدهار خاص، بتركيا، وصف الحج الذي يسير على نهج تقليدي ضارب في القدم في البلاد العربية... ونكتفي بعرض بعض النماذج لأنها معروفة بصورة أفضل، وتنفرد لسبب ما، بصفات تميزها عن غيرها، ولعل من أكثر هذه الأوصاف تفصيلا كتاب : «مناسك الحج» لمحمد أديب الذي يرجع إلى عام 1193 هـ 1779 م، وهو معروف في طبعة استنبولية قديمة ترجع إلى 1232 هـ 1816 م وهذا الكتاب يفضل الكلام في وصف الرحلة نفسها. مبيناً لهم جميع معالم الطريق خاصة تلك التي ترتبط بتاريخ السيرة النبوية... الخ.

وفي العراق نجدها تحتفظ بمصنف محلي ذي قيمة كبرى من تأليف عالم ينحدر من دوحة عراقية هي أسرة السويدي الفاضلة التي حفظت لنا تقاليد العلوم الإسلامية القديمة في الماضي، والمؤلف الذي نعني هو عبد الله بن حسين السويدي المولود ببغداد في عام 1114 هـ، ونال حظاً من التعليم بها، وبالموصل عاصمة العراق الثانية، ويبدو أنه أدى فريضة الحج مرتين في عام 1148 هـ، ويرتبط بحجته الثانية بوجه عام وصفه لرحلته بعنوان : «النفحة المكية، في الرحلة المكية».

وتسير بنا شجون القول ويتشقق الحديث ويتفرع لنذكر أن العلامة اللغوي «المجد الفيروز آبادي» الشيرازي الذي ينتسب إلى خيوة صاحب القاموس والذي ضرب في الآفاق حتى وصل إلى زبيد، وتوفي بها، قد ترك رسالتين معروفتين من عنوانيهما فقط هما : «الوصل والمنى، في فضل منى» و«أحسن اللطائف، في محاسن الطائف...».

ومن الرحالة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الأندلسي البسطي القلصادي له رحلة حجازية ابتدأت عام 840 هـ، واستمرت إلى عام 855 هـ.

☆☆☆

وهكذا اتجه اهتمام العلماء في مختلف الأحقاب إلى توريخ «المدن المقدسة»، فألفوا في نشأتها وفضائلها، وتباروا في وصف المدن التي تحيط بها، فهذه رسالة في «فضل مكة»⁽²⁸⁾

وقد رفع المؤلف كتابه إلى شخص كان يقيم باليمن اسمه أحمد بن يحيى الخازندار الذي كان من بين أولئك الذين شجعوه على القيام برحلاته، وعنوان رحلته : «نزهة الجليس، وأمنية الأديب الأنيس»...

وحوالي عام 1163 هـ وضع عبد الرحمن بن محمد بن خروب المحاجي وصف «رحلة» إلى مكة محفوظاً في مخطوطة بالجزائر...

وبعد خمسة عشر عاماً من هذا وصف رحلته إلى الحجاز الحسين بن أحمد الورتلاني (1125 هـ 1192 هـ) الذي ينتسب إلى قبيلة تقيم قرب بجاية، وقد نال نصيبه من العلم بموطنه ثم بالقاهرة... وفي سن متقدمة، وذلك في عام 1179 هـ أدى فريضة الحج، ووصف ذلك في كتابه : «نزهة الأنظار، في فضل علم التاريخ والأخبار» الذي اشتهر عادة بعنوان مختصر هو : «الرحلة الورتلانية» وهو الكتاب الذي كان يتتبع وإلى الآن بروج كبير في شمال افريقية وغيرها، إذ ظهرت طبعة تونسية بالحجر في عام 1913م، وطبعت أخرى جزائرية أسير تناولوا من تلك التي ظهرت في عام 1908م بعناية محمد بن شنب الجزائري رحمه الله كما يأتي في خاتمة البحث.

ونجد مؤلفاً في هذا الميدان، يمتاز بالطرافة والشهرة هو محمد بن علان البكري الصديقي (ت: 1057 هـ) والذي كان يلقبه معاصروه بسيوطي زمانه، وهو أحد مواطني مكة، وبها اشتغل لمدة طويلة بالتدريس، وكان كاتباً مثمراً للغاية، له مصنف يحمل عنوان : «فضائل مكة المكرمة» كما أن له رسالة في تاريخ عمارة البيت الحرام، كان الدافع إلى تأليفها حدوث سيل عنيف سقط بسببه البيت الحرام، وتمت رسالة أخرى له أكثر تخصصاً من تلك التي يعالج فيها الكلام عن فضل الحجر الأسود بعنوان : «العلم المفرد، في فضل الحجر الأسود» في نفس الأسلوب يفرد المؤلف رسالة لللطائف بعنوان : «طيف اللطائف، بفضائل الطائف» وهي بحسب قول حاجي خليفة : «مختصر... على مقدمة وباين فرغ في صفر عام 1048 هـ 1638 م.

الهجرة⁽⁴²⁾ لجمال السدين المطري (671 - 741 هـ) وللفيروز آبادي (ت: 817 هـ) «تهييج الغرام، إلى البلد الحرام»⁽⁴³⁾ و«شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام»⁽⁴⁴⁾ لتقي الدين الفاسي محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسني القاضي المالكي (775 هـ - 832 هـ)، ولتقي الدين الفاسي أيضاً، «تحصيل المرام، في تاريخ البلد الحرام»⁽⁴⁵⁾ وهو من مخطوطات الدهلوي و«العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين»⁽⁴⁶⁾ لمحمد بن أحمد الفاسي، وهو مؤرخ مغربي الأصل، وقد اشتهر بمؤلفاته القيمة عن بيت الله الحرام، وقد ذكر الكتاب السابق في «تحفة الكرام» أنه صنفه في معرفة أعيان مكة المكرمة على ترتيب الحروف، وجعل في أوله مقدمة تحتوي على مقاصد «تحفة الكرام» ثم استطال بعد تسويده، فاختصره في مقدار نصف حجمه، وسماه: «عجالة القرى، للراغب في تاريخ أم القرى»، وهذا لا يخلو من تقصير بسبب عدم رؤيته كتاباً في معناه، ذيله بعضهم، وسماه: «الدر الكمين»، قال السخاوي، وهو في ست مجلدات، ترجم فيه جماعة من حكام مكة وخطبائها وأئمتها وجماعة من العلماء والرواة من أهلها، وكذا من سكنها، أو مات بها وجماعة لهم مآثر فيها⁽⁴⁷⁾ ولتقي الدين الفاسي، أيضاً، كتاب: «الزهور المقتطفة، في تاريخ مكة المشرفة»⁽⁴⁸⁾ و«إشارة الترغيب والتشويق، إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق»⁽⁴⁹⁾ لمحمد بن إسحاق الحنفي شمس الدين الخدارزمي عالم، نحوي فقيه

لأبي سعيد البصري الإمام التسابعي الزاهد (ت: 110 هـ)، وكتاب «مكة والحرم»⁽²⁹⁾ لأبي عبيد معمر بن المثنى البصري (ت: 203 هـ)، و«أخبار أم مكة»⁽³⁰⁾ لمحمد بن عمر الواقدي (ت: 207 هـ)، و«نزهة الوري، في أخبار أم القرى»⁽³¹⁾ لابن النجار البغدادي، و«تاريخ مكة»⁽³²⁾ لمحمد بن عبد الله بن الأزرق المزريقي أبو الوليد الأزرق المكي (ت: 223 هـ)، و«أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار»⁽³³⁾ للمؤرخ الجغرافي محمد بن عبد الله الأزرق المكي، و«فضائل مكة المكرمة» للجندي، ولأبي سعيد مفضل ابن محمد الشعبي (ت: 300 هـ)، و«أخبار أمراء مكة»⁽³⁴⁾ لابن شبة (ت: 262 هـ)، ولمحمد بن أبي بكر اللباد المالكي اللخمي الإفريقي، وللشيخ محمد بن علي ابن علان المكي الصديقي⁽³⁵⁾ (ت: 1057 هـ)، «حكم أراضي مكة»⁽³⁶⁾ للإمام أبي جعفر الطحافي الحنفي (ت: 321 هـ)، و«تاريخ مكة المكرمة، وأخبارها في الجاهلية والإسلام»⁽³⁷⁾ لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن عباس الفاكهي من القرن الثالث الهجري، و«فضل مكة على سائر البقاع»⁽³⁸⁾ و«فضائل مكة»⁽³⁹⁾ لأبي سرور المقدسي الدمشقي الحنبلي (ت: 600 هـ)، و«نزهة الوري في أخبار أم القرى»⁽⁴⁰⁾ لمحب الدين ابن النجار البغدادي (ت: 643 هـ)، و«خير القرى، في زيارة أم القرى»⁽⁴¹⁾ لمحب الدين الطبري الشافعي فقيه الحرم بمكة المكرمة (ت: 694 هـ)، و«التعريف بما أنست الهجرة، من معالم دار

42 الكتاب مطبوع، راجع مقال الأستاذ الباحث الشيخ حمد الجاسر في مجلة «العرب»، ج: 5/5: ص: 4: 465 عام 1970 ومقالة الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي في مجلة: المجمع العراقي ج: 11، عام 1964، والدراسة مفيدة عن مؤرخي مكة والمدينة، والكتاب من مخطوطات الدهلوي، ورقه بمخطوطات مكتبة الحرم المكي: 21.

43 هدية: ص: 6/180.

44 هدية: 6/187 طبع منه المستشرق «وستنفيلد» في مجموعته عن «تواريخ مكة المكرمة، وقد طبع وحقق في مصر تحت إشراف المرحوم الباحث فؤاد السيد.

45 ذيل كشف الظنون 236/3.

46 طبع الكتاب في ثمانية مجلدات، في مصر، وقد أشرف عليه المرحوم محمد مرور الصبان، وفؤاد السيد، وهو في المكتبة المكية تحت رقم 17.

47 كشف ج: 1150/2.

48 هدية: ص: 6/187.

49 هذا الكتاب موجود في مكتبة الحرم المكي من مخطوطات الدهلوي رقم: 4.

29 هدية: ج 336/4.

30 هدية: ص: 6/10.

31 هدية: 6/122.

32 هدية: 6/11.

33 وكتابه مطبوع في أوروبا، ورقه في مكتبة الحرم المكي: 5.

34 هدية: ص: 5/780.

35 كشف: 1278/2.

36 كشف: ص: 1/674.

37 هدية العارفين ص: 6/285، وقد نشر المستشرق «وستنفيلد» قسماً منه عام 1859 م في كتابه المنتقى، في أخبار أم القرى «والكتاب من مخطوطات الدهلوي».

38 هدية: 5/59.

39 هدية: ص: 5/589.

40 كشف: 1950/2.

41 هدية: 5/101.

المعروف بالسنجاري (ت: 1095 هـ)، «منايح الكرم، في أخبار مكة وولاية الحرم»⁽⁶¹⁾ وهو تاريخ مكة من أول الفتح إلى عام 1095 هـ، وإخبار الكرام، بأخبار المسجد الحرام» لأحمد بن محمد الأسدي المكي الشافعي⁽⁶²⁾، و«خلاصة الرسائل، في فضائل مكة»⁽⁶³⁾ للبرهانبوري، ولأحمد بن عبد العزيز المغربي الشهير بالهلالي (ت: 1175 هـ) «الرحلة المكية»⁽⁶⁴⁾، و«خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه السلام إلى وقتنا هذا بالتمام»⁽⁶⁵⁾ لزين العلماء وشيخ الخطباء الشافعي المكي أحمد زيني دحلان المفتي (ت: 1304 هـ)، و«الجامع اللطيف، في فضائل مكة وأهلها» لجمال الدين محمد بن نجم الدين بن ظهيرة المكي، صاحب كتاب: «الجامع اللطيف، في فضل مكة وبناء البيت الشريف»⁽⁶⁶⁾، و«الإمام في فضائل بيت الله الحرام»⁽⁶⁷⁾ تأليف ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي الحافظ، و«السلسلة الذهبية، في الشجرة الشيبية»، لعبد الستار الدهلوي: أبو الفيض بن خدايا البكري الحنفي أحد المدرسين في الحرم المكي، عالم جليل، وناسخ ماهر⁽⁶⁸⁾، و«تاريخ في أشرف وأمراء مكة المعظمة»⁽⁶⁹⁾، و«العقد الثمين في فضائل البلد الأمين»⁽⁷⁰⁾ للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي، و«خلاصة الرسائل، في فضائل مكة»⁽⁷¹⁾ لمير محمد بن يار محمد البخاري، ثم الهندي

جاور مكة المكرمة (ت: 807 هـ)، و«تزييه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام»⁽⁵⁰⁾ للقاض أبي البقا أحمد بن الضياء القرشي المكي الحنفي (ت: 854 هـ، وحمزة بن علي بن مالسك الطوسي (ت: 866 هـ) «تاريخ مكة المكرمة»⁽⁵¹⁾ وللشيخ نجم الدين ابن القاسم عمر بن محمد بن فهد المكي (ت: 885 هـ) محدث مؤرخ له عدة مؤلفات مخطوطة قيمة: «إتحاف الوري، بأخبار أم القرى»⁽⁵²⁾ و«غاية المرام، بأخبار سلطنة البلد الحرام»، و«بلوغ القرى، بذييل إتحاف الوري، في أخبار أم القرى»⁽⁵³⁾ لوالده ابن فهد المكي المحدث (ت: 921 هـ)، و«ترجمة تاريخ مكة المكرمة»⁽⁵⁴⁾ لقطب المكي، ولخسرو زاده الرومي الحنفي من أحفاد ملا خسرو المشهور (ت: 1000 هـ)، و«وتر الإعلام، في أخبار بلد الله الحرام»⁽⁵⁵⁾ لقطب المكي، ولعبد الباقي الرومي الحنفي الشاعر (ت: 1008 هـ) وليهاء الدين عبد الكريم بن محب الدين ابن أبي عيسى أحمد بن محمد العدني الهندي المعروف بالقطبي (ت: 1014 هـ) «أعلام علماء الأعلام، ببناء المسجد الحرام»⁽⁵⁶⁾ و«الأرج المسكي»⁽⁵⁷⁾ في أخبار الحرم والكعبة، وتراجم الخلفاء والملوك، لعلي ابن⁽⁵⁸⁾ عبد القادر الطبري الحسني المكي الشافعي، و«أخبار مكة»⁽⁵⁹⁾ لابن المدني، و«الإرشادات القدسية» ل محمد بن غرس السدين الخليلي الفلسطيني⁽⁶⁰⁾ (ت: 1057 هـ)؛ وللشيخ تاج الدين علي المكي

62 مؤرخ تحوي شاعر من مؤلفاته: «قلائد السخوره» (ت: 1066 هـ) والمخطوط بالمكتبة المكية تحت رقم 18 من خزانة الدهلوي.

63 هدية: ص: 6/306.

64 هدية: ص: 5/176.

65 هدية: ص: 5/191 وذييل كشف 3/436.

66 طبع بمصر عام 1340 هـ وهو من علماء القرن العاشر الهجري، راجع معجم المطبوعات ص 150، وهو من مخطوطات الدهلوي رحمه الله رقم بالمكتبة المكية: 2.

67 ذيل كشف: ص: 3/122.

68 له مؤلفات منها: الأزهار الطيبة النثر، في ذكر الأعيان من كل عصر ولد عام 1286 هـ وتوفي 1355 هـ راجع: «العرب» ج: 2: ص: 2: ص: 114 مقالاً للأستاذ محمد سعيد كمال.

69 من مخطوطات مكة تحت رقم 43، ويظهر أن هذا الكتاب من تأليف المتأخرين.

70 ط. عام 1290، الذيل - 4/405.

71 الذيل: 3/435.

50 كشف 495/19.

51 هدية: 5/337.

52 كشف: ص: 1/7 ذيل كشف: 3/21. راجع: معجم المؤلفين ج: 7/ ص: 318، وهذا الكتاب موجود في مكتبة الحرم المكي من مخطوطات الدهلوي رقمه: 2.

53 هدية العارفين ص: 5/583.

54 هدية: ص: 6/437.

55 هدية: 4/495.

56 ذيل كشف 3/103.

57 ذيل كشف الظنون ص: 3/57.

58 عالم أديب شاعر من مؤلفاته: كشف الحافي، من كتاب الكافي، في علمي العروض والقوافي، وهو من مخطوطات الدهلوي، رقمه بمكتبة مكة 3 - ذيل: 3/57.

59 ذيل كشف الظنون ص: 3/46.

60 محدث أديب مجاور بمكة المكرمة. ورقم الكتاب بمكتبة مكة: 60.

61 ذيل كشف الظنون 4/565، وللكتاب اسم آخر: «منايح الكرم، في أخبار البيت وولاية الحرم»، وهو من مخطوطات الدهلوي بمكتبة مكة رقمه 30.

البرهاننبوري الحنفي، وإعلام الأنام، بتاريخ بيت الله الحرام»⁽⁷²⁾ لمحمد صالح الشبيبي، ولمحمد بن أحمد الصباغ المكي⁽⁷³⁾ (1243 - 1321 هـ) «تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام»؛ و«الدرة المكللة، في فتح مكة المشرفة المجلدة»⁽⁷⁴⁾ لأبي الحسن البكري... وهناك كتاب قيم حديث ومفيد للمؤلف العالم السعودي الأستاذ أحمد السباعي حفظه الله في جزأين، وتجب مطالعته...

تلك بعض الكتب والدراسات التي تناولت «مدينة» واحدة لها مقامها وجلالها وقديستها هي «مكة المكرمة»...

☆☆☆

وإلى جانب هذه الدراسات لمدينة واحدة، فإن هناك علماء آخرين تخصصوا في تاريخ «المدينة المنورة»، وقد لا يأتي على عدم الحصر، فلاين شبة «أخبار المدينة»⁽⁷⁵⁾ «والابتداء» في أخبار المدينة المنورة»⁽⁷⁶⁾ لمحمد بن عبد الرحمن بن زكرياء بن العباس التلخفي الذهبي المحدث (ت: 393 هـ) و«تاريخ المدينة»⁽⁷⁷⁾ لأبي عبد الله محمد بن عيسى بن بقاء الأنصاري (ت: 512 هـ) و«فضائل المدينة»⁽⁷⁸⁾ لعبد الرحمن ابن الجوزي (ت: 597 هـ)، و«نسبة الأعمال، وخلاصة الأفعال، في تاريخ مكة والمدينة»⁽⁷⁹⁾ لسعد الدين الاسفرائيني عالم أديب فقيه (ت: 581 هـ)، و«فضائل المدينة» لابن عساكر قاسم بن

علي (ت: 600 هـ)، و«الدرة الثمينة في أخبار المدينة»⁽⁸⁰⁾ لمحب الدين محمد بن محمود النجار البغدادي الحافظ الأديب المؤرخ الشافعي (ت: 643 هـ)، و«بهجة النفوس والأسرار» في تاريخ دار هجرة المختار»⁽⁸¹⁾ لأبي محمد عبد الله بن محمد المرجاني التونسي القرطبي (ت: 757 هـ)، و«تحقيق النصر، بتلخيص معالم دار الهجرة»⁽⁸²⁾ لزين الدين أبي بكر بن الحسن العثماني نزيريل طيبة (ت: 816 هـ)، وللمهودي الشافعي (ت: 911 هـ) : «خلاصة الوفا، بأخبار المصطفى في تاريخ المدينة»⁽⁸³⁾ و«تحفة الزوار، إلى قبر النبي المختار»⁽⁸⁴⁾ لشهاب الدين أحمد الشافعي (ت: 909 هـ - 974 هـ) وهو المعروف بابن حجر الهيتمي، و«الجواهر الثمينة، في محاسن المدينة»⁽⁸⁵⁾ لمحمد بن كبريت ابن عبد الله الحسني (ت: 1070 هـ)، و«تحفة الحرمين، في تاريخ المدينة»⁽⁸⁶⁾ تأليف محمد ناطق الأدرنة المعروف بجليلي زادة (ت: 1129 هـ) و«نتيجة الفكر، في خير مدينة سيد البشر»⁽⁸⁷⁾ لزين الدين محمد بن عبد الله الخليلي العباسي الخطيب المدني الحنفي فرغ من تأليفه عام 1176 هـ، «المغامم المطابة، في معالم طابة»⁽⁸⁸⁾ للفيروزآبادي (ت: 823 هـ)، و«الأخبار المستطابة، في فضل سلطان طابة» لجلال الدين الحنفي وهو من خزانة الدهلوي العالم المكي الهندسي (1286 هـ - 1355 هـ)، و«منبهة الونسان، وملقحة الأذهان فيما وقع في الحرم النبوي من النيران»⁽⁸⁹⁾ وللأستاذ السيد أسعد طرابزوني

(72) من مخطوطات الدهلوي في المكتبة المكية تحت رقم : 6.

(73) كتب عن الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الدهلوي في «المنهل» ج : 7 ص 344، والكتاب من مخطوطات الدهلوي رقم بالمكتبة 11.

(74) مطبوع : ذيل كشف الظنون 460/3.

(75) هدية : 5/780.

(76) هدية العارفين 6/57.

(77) هدية : 6/84.

(78) هدية : 5/522.

(79) رقم بالمكتبة المكية 99.

(80) هدية : 6/122. والكتاب مطبوع كما أشار إلى ذلك صاحب مجلة «العرب» الأستاذ حمد الجاسر ج : 5 ص : 4 - ص : 388.

(81) وهو من مخطوطات الدهلوي، رقمه 13، وقد جرت حوله مناقشات بين الأساتذة : الأنصاري والنيفير، وأبا حسين، راجع : المنهل : ج : 3/ص : 36 ص : 348 وما بعدها.

(82) من مخطوطات مكتبة الحرم المكي رقم 100.

(83) مطبوع، هدية العارفين : 5/740.

(84) الكتاب مطبوع باسم : تحفة الأخبار في موالد النبي المختار، راجع معجم المطبوعات ص : 81، ورقم الكتاب بمكتبة مكة ص : 133.

(85) وهو من مخطوطات الدهلوي، ورقمه في المكتبة المكية 24، ومنه نسخة في خزانة الأوقاف ببغداد رقم : 177.

(86) ذيل : 3/246.

(87) ذيل : 4/623.

(88) هدية : 6/180.

طابة، قال ياقوت : موضع في أرض طيء، قال زيد الخليل :

سقى الله ما بين القفيل فطابة فما دون إرمام لما فوق منشد

(معجم البلدان ص : 3/ج : 6).

قال محمد بن عبد الله بنهد : تحمل المدينة هذا الاسم من العهد الجاهلي حتى هذا العهد، وهي من قرى الجبلين : أجا وسلمى، وهي معروفة عند جميع أهل نجد.

(صحيح الأخبار) ص : 3/131.

(89) ذيل ص : 4/566.

المدن المحتلة؛ هذه المدينة، مدينة القدس كانت لها أنصبة واسعة في رحاب التأليف، فلاين صصري الدمشقي : «فضائل بيت المقدس»⁽⁹²⁾ و«الجامع المستقصى، في فضائل المسجد الأقصى»⁽⁹³⁾ لقاسم بن علي بن الحسن بن عساكر الحافظ بهاء الدين أبو محمد الدمشقي الشافعي المتقدم (ت: 600 هـ)، ولاين عساكر الدمشقي القاضي (ت: 603 هـ) «كتاب الأنس، في فضائل القدس»⁽⁹⁴⁾ و«باعت النفوس، إلى زيارة القدس المحروس»⁽⁹⁵⁾ لبراهيم بن تاج الدين عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن الفركاح البخاري (ت: 729 هـ)، ولاين نباتة المصري (ت: 768 هـ) : «النحلة الإنسانية، في الرحلة القدسية»⁽⁹⁶⁾ و«فضائل البيت المقدس والشام»⁽⁹⁷⁾ لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي (ت: 738 هـ)، و«تاريخ القدس»⁽⁹⁸⁾ لمحمد بن محمود بن إسحق المقدسي (ت: 776 هـ)، واستنشاق نسيم الانس، من نفحات رياض القدس»⁽⁹⁹⁾ في مجلد لابن رجب الحنبلي (ت: 795 هـ)، ولمحمد بن محمد بن أبي بكر مسعود ابن رضوان المري كال الدين المقدسي الشافعي (ت: 905 هـ) «إنحاف الاخضاء، بفضائل المسجد الأقصى»⁽¹⁰⁰⁾ و«أنس الجليل، بتاريخ القدس والخليل»⁽¹⁰¹⁾ لعبد الرحمن بن محمد العملي القاضي المقدسي الحنبلي (ت: 927 هـ)، و«الأس الجليل، باختصار الأنس الجليل، في تاريخ القدس الشريف وبلد الخليل»⁽¹⁰²⁾ لابن الموقع (ت: 1321 هـ)، و«المستقصى، في فضائل المسجد الأقصى»⁽¹⁰³⁾ لناصر الدين بن الخضر المقدسي المعروف بالعلمي (ت: 952 هـ)، و«الحضرة الإنسانية، في الرحلة القدسية»⁽¹⁰⁴⁾ لعبد الغني النابلسي (ت: 1142 هـ) و«فتوح بيت المقدس» لأبي حنيفة إسحاق بن بشر» و«فضائل بيت المقدس» للشريف حمزة الحسني.

المدينة ابتداء من الفتح الإسلامي عام 638 م، أما إسمها قبل ذلك، فقد كان أورشليم، ثم إلباء، ثم صار الاسم المسيحي لها هو : القدس.

- (99) هدية : ص : 5/527.
(100) هدية : ص : 6/222.
(101) هدية : ص : 5/544.
(102) هدية : ص : 6/422.
(103) هدية : ص : 6/240.
(104) هدية : ص : 5/592.

الحسني ناشر التراث العربي والإسلامي : «التحفة اللطيفة، في تاريخ المدينة الشريفة» في ثلاثة أجزاء، كما أن له : «التعريف للإمام المطري، في «تاريخ المدينة المنورة»... والأستاذ طرابزوني كان قد نشر وطبع «عبث الوليد» - شرح أبي العلاء المعري، و«عمدة الأخبار، في مدينة الختار» و«السلوانيات في مسامرة الخلفاء والسادات» و«أدب القاضي للخصاف، وانتهى من طبع : تفسير ابن كثير، في أربعة أجزاء، و«فضائل المدينة المنورة»⁽⁹⁰⁾ لقاسم بن علي بن الحسن بن عساكر الحافظ بهاء الدين أبو محمد الدمشقي الشافعي (600 هـ) و«فضل تمر المدينة وترابها»⁽⁹¹⁾ لجمال الدين بن حمزة الحجار العمري...

☆☆☆

ولم ينس المؤرخون حياة «المدينة» ما تتناز به مدينة بيت المقدس من جلالة ومهابة، فهي من أشهر المدن المغصوبة المسلحة، والمناضلة والحاربة، وتأتي بطبيعة الحال في مقدمة المدن المنكوبة، فحنتها قديمة متجددة، وجهادها الواصب لا يزال غائرا، وما من شاعر مؤكد إلا وكانت له التفاتة إلى هذه المدينة، فالشعراء المحدثون قد استقطبوا كل المواقع القديمة، وأدعجوها في مواجعهم الخاصة، وقد علقوها بصفة خاصة على أحزان «مدينة المقدس»، بل إنها ما زالت دمعة نواحة حتى الآن في الجفون العربية وقد عبر جلالة الملك الحسن الثاني أمام أعضاء المؤتمر التاسع للمدن العربية الذي انعقد مؤخرا بقصر المؤتمرات بمدينة مراكش، عن تقديره وإكباره وإجلاله للمدن العربية المنكوبة المحتلة المجاهدة، وفي طليعتها القدس، حيث قال : واعلموا حفظكم الله أنه لا يمر يوم، ولا يتلوه غده إلا وقلوبنا تدق على دقات الحزن، ودقات الاحتلال التي تدق وتنضب بها قلوب جميع سكان

(90) هدية العارفين ص : 5/828.

(91) كشف الظنون ص : 2/1278.

(92) هدية : 5/279.

(93) هدية العارفين ص : 5/828.

(94) هدية : 5/89.

(95) هدية : 5/14.

(96) هدية : 6/164.

(97) هدية : 6/432 و 2/508، الأدب الجغرافي عند العرب لكراتشكوفسكي.

(98) هدية : 6/168، «بيت المقدس» هو الاسم الإسلامي الذي أطلق على

وقد اهتم الشعر القديم باسترجاع بيت المقدس أيام صلاح الدين، ومن فرسان هذا المجال، الحافظ ابن عساكر، علي بن الساعاتي، وابن سناء الملك، والحسن بن علي الجويني، وعماد الأصفهاني ولقد شارك من الأندلس ابن جبير، وقد كان شعراء الأمس أشد احتراقاً على المدينة المقدسة من شعراء اليوم.

المدن المقدسة :

وقد اتجه اهتمام علماء الأدب الجغرافي في ظروف القرن الثالث الهجري إلى «المدن المقدسة»، كما اتجه اهتمام اللغويين من قبل إلى بلاد العرب...

و«المدن المقدسة» منها القديم مما يرجع عهده إلى عصور ما قبل الإسلام، إلى آدم ونوح وسائر الأنبياء حتى موسى وعيسى... ومنها الإسلامي العريق مما يوجد في الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، بل وما يوجد في غيرها من البلدان من الآثار النبوية، وكذلك آثار الصحابة مما تعرف أصلته، أو مما يعتقد في بركته، وهي منتشرة في كل مكان ما بين الهند والمغرب، وهي مبعجلة ومقدسة من سنة وشيعة...

وتأتي بعد ذلك الآثار الشيعية المقدسة، مما يعرف «بالعتبات المقدسة» التي تنتشر في كثير من الآفاق... ما بين العراق حيث النجف الأشرف وكربلاء وكاظمة بغداد، وإيران حيث مشهد، وتم، والشام حيث ضريح رأس الحسين، ثم مصر حيث مشهد الحسين، ومشهد زين العابدين، إلى جانب مشاهد السيدة سكينه، والسيدة زينب، ثم نفيسة وغيرهم من السادات ولقد كانت «موسوعة العتبات المقدسة» للأستاذ جعفر الخليلي رحمه الله حدثاً عظيماً في عالم إحياء التراث... وكثير من المشاهد والأماكن المقدسة ظهرت رسومها في الموسوعة... وكذلك رسوم العدد الوافر من أساطين العلماء والشعراء والأدباء والمؤرخين والمؤلفين الذين يعجبك أن تجتلي صورهم المأنوسة لما كانوا في العاجلة...

ويمكن تعريف «موسوعة العتبات المقدسة» بما جاء في

مقدمتها :

«على الرغم من انتشار الحضارة والثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء والمحققين والباحثين في العصور الأخيرة فيما بحثوا وحققوا وكتبوا، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى في تاريخ العالم الإنساني فضلاً عن تاريخ العرب والإسلام...

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة لم يمسه أحد إلا من بعض أطرافها، ولم يتطرق إليها باحث إلا من بعض نواحيها، وهي كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية، فهي تخص العلم والأدب والفن والفلسفة بقدر ما تخص الفقه والتاريخ ممثلة كلها في تاريخ العتبات المقدسة.

مكة المكرمة - المدينة المنورة - النجف الأشرف - كربلاء - الكاظمي - مشهد الرضا - سامراء...

فلكل عتبة من هذه العتبات تاريخ وعلاقة جد وثيقة بالثقافة والحضارة الإسلامية والعربية مما اختزنته من المخطوطات الأثرية، والروائع الأدبية وما قامت به من المدارس طوال العصور المظلمة، إذ لولا هذه العتبات لما بقي اليوم بأيدينا من تلك الكنوز إلا النزر اليسير...

وهذا هو الذي دفع بطائفة من أهل الفضل وأساتذة جامعة بغداد من أرباب الاختصاص إلى أن تتضافر جهودهم في إخراج موسوعة تاريخية علمية أثرية أدبية عامة تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ أول تمصير العتبة المقدسة حتى اليوم، على أن يكون لكل عتبة أجزاء خاصة، وأن يكون كل جزء منها مستقلاً بمواضيعه.

وهو أول عمل من نوعه، وأول مجهود خطير يقوم به مؤلفه، ويكفي أن يدل القارئ على خطورته ما يقع تحت عينيه من أجزائه.

والذين نهضوا بهذا العبء هم من أساطين العلماء ذوي الاختصاص في مدينة السلام، وفي جامعة بغداد خاصة.

وهؤلاء الأساتذة الفحول في مقدمتهم هيئة «دار المعارف» العاملة بمجهود حكيم، وعزم أكيد على إحياء التراث العربي الإسلامي.

والذين تقاسموا العمل مع «جعفر الخليلي» في الموسوعة المرحوم اللغوي والمؤرخ الباحثة الدكتور مصطفى جواد، والأستاذ فؤاد عباس، والدكتور عبد الهادي التازي، والدكتور حسني علي محفوظ، والدكتور العالم أحمد سوسة، والدكتور الكاتب الأديب صفاء خلوصي، والأستاذ جعفر الحياط، والدكتور المؤرخ حسين أمين، والأستاذ جواد شبر، والأستاذ محمد بحر العلوم، والسيد محمد الخليلي...

وقد تقاسم هؤلاء الموضوعات، فتناول كل منهم الناحية التي هو ابن مجدها في جزء أو جزئين أو عدة أجزاء... والكتاب الأول جعله «الخليلي جعفر» المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة» وعقد في أول الكتاب فصلا على «الموسوعات وطبيعتها»، و«الموسوعيون من المسلمين والعرب» فجاء به من وراء الغاية إحاطة وفائدة وشغل هذا الفصل القيم 46 صفحة...

والجزء من هذه الموسوعة هو قسم «مكة المكرمة» في مجلد يتألف من نحو 380 صفحة، والجزء الثاني من قسم النجف، وهو يقع في أكثر من 320 صفحة، والجزء الأول من قسم الكاظمين ويقع في 320 صفحة، والجزء الأول من قسم خراسان وهو في 212 صفحة، والجزء الأول من «كربلاء» وعدد صفحاته 326 صفحة...

- وقد كان من محاسن «موسوعة العتبات المقدسة» أنها جمعت شتات جهرة عظيمة من المعلومات المتنوعة، المتناثرة في صفحات الكتب والمراجع من مخطوط ومطبوع وأنها أمكنت للقارئ الحديث الوقوف على ما أودع السياح الأجانب في بطون رحلاتهم من آراء وملاحظات، ومباحث خطبية واجتماعية دونوها في فترات تاريخية موعلة في الغموض، وبذلك لقحت المصادر العربية بمصادر غربية لم يلم بها إلا النزر اليسير من متقني اللغات الأجنبية...

فالجزء الأول، مثلا، يتناول من قسم مكة مباحث مسهبة في تاريخ مكة القديم منذ أول تمصيرها حتى قيام الإسلام بقلم الأستاذ «جعفر الخليلي» مؤسس الموسوعة والمؤلف على إعدادها، وقد استغرق ذلك صفتين ومائة (102 ص)

ويلي ذلك فصل في مكان مكة من كتب الرحلات العربية للدكتور صفاء خلوصي، ومن فصول الجزء المهمة ما ورد في الشعر قديما وحديثا من ذكر مكة وبعض أسبابها جمعها الباحثة الواسع الأفق الأستاذ فؤاد عباس... وكان أوسع هذه الفصول ما قام بترجمته من المصادر الأجنبية الأستاذ جعفر الحياط من أخبار مكة وأحوالها الواردة في عدد من المراجع الأجنبية، فقد استوعب ذلك مائة وسبعا وخمسين صفحة.

وكان من نهج الموسوعة هنا وفي كل أجزائها إثبات أقوال من كتب من الغربيين عن أحوال مكة وأحداثها، وشؤون حجاجها دون طرح ما كانوا قد تميزوا فيه وأغرضوا، وقصد الموسوعة من ذلك إعطاء فكرة قريبة من الواقع عن الانطباع المرتسم في أذهان مؤرخي الغرب وساسته ورحاليه عن هذا البلد وقطانه...

وقد صدر المجلدان الأخيران من «العتبات المقدسة» عام 1971 وهما يتعلقان بالقدس التي هي اليوم نقطة البيكار عند كل عربي ومسلم في جميع الأقطار» ففي هذين المجلدين كل ما يمكن أن يجمع ويصنف ويعرض بشأن أولى القبلتين والمسجد الأقصى، فالقسم الأول في هذا المجلد كتبه «جعفر الخليلي» وهو: «الأرض المقدسة في نظر الإسلام وعقيدته» ثم يليه فصل «حي المغاربة في القدس» كتبه الدكتور عبد الهادي التازي وشغل هذا الفصل 17 صفحة، ثم فصل أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في أقدم عصورها، كتبه علامة المحققين والكاتبين الدكتور أحمد سوسة، والدكتور سوسة، يعد أكبر مفند لمذيعات اليهود في القدس تاريخيا، وهو الكاشف علميا عن أباطيلهم في كتاب عظيم، والكتاب الثاني هو: «القدس في المراجع الغربية» كتبه وترجمه من مختلف المصادر الغربية الأستاذ جعفر الحياط بادئا من أقدم العصور حتى انتهى إلى عام 1969.

ومؤسس الموسوعة والمؤلف على إعدادها جعفر الخليلي، الذي ينتمي إلى بيت علم وفضل، يمتد إلى قرون في العراق... وسيرة جعفر الخليلي عبقة بكل فضيلة، فهو عصامي، شاعر في ثورة العراق على الانجليز، صحفي ذاق مرارة الصحافة،

ولقد كانت القسطنطينية في عهد الأتراك العثمانيين مركز الحياة السياسية والإدارية للدولة... ومن أبنائها بدر الدين بن سالم الملقب بتابع الصديق الذي كان على صلة وثيقة بالدوائر الشيعية، فقد دون في حوالي عام 1062 هـ قصة : «رحلة» قام بها أحد شيوخه، وتحمل عنوان تغلب عليه الصنعة، ويشير بصراحة إلى موضوع المصنف وهو : «الحجاز، في حقيقة رحلة الشيخ محمد زين العابدين الصديقي إلى الحجاز» وهو مطبوع بالقاهرة...

ومن تحدث، عن «المدن» التي في الحجاز أو التي مر بها وأفاض القول في الوقوف والمبرات، «رحله» لبيب البتوني، كما سبق، وهي رحلة قيمة، ومصدر وثيق عن البلاد الحجازية عام 1909، وكذلك كتاب قيم وعظيم هو «مرآة الحرمين، أو الرحلات الحجازية» تأليف اللواء إبراهيم رفعت باشا في جرائن عام 1925، و«الارتسامات اللطاف» للأمير شكيب أرسلان، و«منزل الوحي» الذي ألفه الدكتور محمد حسين هيكل... الذي طبع بالقاهرة عام 1356 هـ، وهناك رحلة : «عجائب الأسفار، ولطائف الأخبار» لمحمد أبو راس الناصري الذي يعد من أنشط كتاب المغرب في وقته، وأحفظهم إنتاجاً، ويبلغ مجموع تصانيفه في مختلف العلوم مائة وأربعين مصنفاً، وهو نفسه قد قارن شخصه في شيء من الزهو والاعتزاز بشخص السيوطي،⁽¹⁰⁵⁾ ورحلته شرح للمنظومة التي مدح بها أبو راس الباي محمد بن عثمان، لما صادف الفتح عند رجوعه من رحلته الشرقية التي دامت سنتين (1204 - 1206 هـ) وزار خلالها عاصمة الجزائر، ثم مدينة قسنطينة، ثم تونس، ومصر والحجاز، وسجل فيها وصفاً للبدن التي مر بها وانطباعاته، وما تبادلته مع علماء البلاد التي زارها من الإجازات، والتقاريف لمؤلفاته، واجتماعه بالحجاز بالوفد الوهابي والمناظرة التي وقعت معه، فأثرت فيه تأثيراً حسناً، ورضي بسلوكهم بل صار داعية للسلفية، وهذه الرحلة من أهم مؤلفاته...⁽¹⁰⁶⁾

وأصدر عدة صحف، أشهرها «الهاتف» التي عاشت عشرين عاماً مليئة بالشذائذ، وإرهاق السلطة، ولكنها كانت منتدى أديبا، وملتقى العاملين في الحركة الوطنية.

وجعفر الخليلي الذي نهض بعبء الموسوعة، أديب مؤرخ، وشاعر ممتاز، وهو قاص العراق الأول، وله كتب عديدة قبل أن يدخل في الموسوعة، فكتابه : «كنت معهم في السجن» آية، فقد جهد حتى سمح له بدخول سجن بغداد، ومخالطة المسجونين مخالطة ذكية، انجذبت إليها قلب السجين بثقته بهذا المحدث الإنساني، الطبيب بقلمه، ولا ساعة على صدره، فكشف الحبس للخليبي عن سبب دخوله السجن على الصحة، ثم وضع الخليلي كتابه، وهو بهذا غير مسبوق، وطبع الكتاب مرارا... وللخليبي كتاب «هكذا عرفتهم» يحتوي على 32 شخصية...

ولقد كان الخليلي رحمه الله يكشف منذ سنين «داء النقرس» وهو الذي يسميه العرب «بداء الملوك». وقد نشرت إحدى الصحف العراقية ذات يوم على لسانه تقول بأن «الخليبي» يقول : «لماذا ليس لي من الملوك إلا داؤم».

وسمعه بعض الأدباء، ولعله «طالب الحاج فليح» يقول : «بأن المصيبة الكبرى هي أن يكون المرء من الصعاليك ويعدونه من الملوك...».

ويخاطب الأستاذ الكبير العلامة محمد عبد الغني حسن رحمه الله الخليلي جعفرًا مشيداً بموسوعته فيقول :

إن موسوعتك الكبرى حوت
من بقاع الطهر كنزا غاليا
جنة نشتار منها علا
طيب الطعام، وعذبا صافيا
كدت من طول القداسات بها
أخلع النعل، وأسمى حافيا

☆☆☆

(105) الأدب الجغرافي ص : 2768.

(106) «الشعر الجاهلي» ص : 66.

لقد ظلت مكة محتفظة بأهميتها كمركز هام، ومدينة جامعة للدراسات الدينية، ووجد بها عدد غير قليل من العلماء والمؤلفين من مساو المدن الإسلامية، وارتباطها بالموضوعات الإسلامية والأماكن الجغرافية، والمعالم التاريخية، مسافيقا...

ولعل في طبيعة أولئك المؤرخين الرحالين علماء المغرب وأدباؤه الذين أخرجوا في عصوره الزاهرة عددا كبيرا من المصنفات ذات الطابع الجغرافي، وأن المجال قد انفتح في بلاد المغرب ابتداء من القرن الخامس عشر لانتعاش أكبر في كتابة التاريخ دون غيره من العلوم، حتى فاق المغرب، كما يقول العلامة المستعرب كراتشكوفسكي، في هذا الميدان بقية الأقطار العربية، وظل فن الرحلات ووصف «المدينة» يشغل اهتمام علمائه المحليين إلى القرن الحالي، ولعل السبب في ذلك، كما يذكر بروكلمان هو أن الانقلابات العديدة في الحكومات قد عاونت كثيرا على إمدادهم بالمادة اللازمة، وإلى جانب هذا، أيضا، يجب أن نضع وصف الرحلات الذي كان الحج يمثل الدافع الأول بالنسبة لها، ويغلب على هذه الرحلات في العادة، المادة المدونة، في التراجم، وأيضا، الحكايات والقصص هذا على حين يقتصر وصف البلاد في عديد من الأحيان على تكوين الإطار العام الذي تستند عليه تلك المادة ولعل المغاربة أيضا، هم أكثر الناس تأليفا حول موضوع كتب الرحلات والمنازل والمدن... ويبدو أن طول المسافة، وعناء الطريق الطويل، واختلاف الظروف والأقاليم التي يمر بها الحاج من المغرب الأقصى حتى يصل إلى الحرمين، كل هذه الأمور كانت دافعا للتسجيل والكتابة فيها أكثر مما عرفه المشاركة وسجلوه، وقد انبرى غير واحد من الأدباء والمؤرخين لتسجيل كتب الرحلة إلى الحرمين ولعل من يأتي في الطبيعة لوصف «المدن» وصفا دقيقا ورائعا وحيا ابن بطوطة...

وباختصار وإيجاز، فإننا نشير إلى بعض الرحلات التي قام بها المغاربة إلى بلاد الحجاز، ودونوا فيها كتب لا تخلو من أهمية، كرحلة ابن سالم العياشي التي تعرف «بمنا الموائد»، ورحلة العبدري الحبحي (688 هـ) وقد اختصرها ابن قنفذ في: «المسافة السنوية، في اختصار الرحلة العبدرية» ورحلة أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد دفين فاس عام (658 - 721) التي تقع في أجزاء عديدة وهي تعتبر أقدم رحلة مغربية حجازية جامعة وصلنا خبرها. وتعتبر، أيضا، أعظم رحلة ألفت في اللغة المغربية، وهي المسماة: «ملاء العيبة»، بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة مكة وطبيبة»، ورحلة ابن سعيد المغربي (505 - 585 هـ) التي تسمى بالنفحة المسكية، في الرحلة المكية»، ورحلة التيجاني المسماة: «بالرحلة التيجانية»، ورحلة ابن الحسن محمد بن جبير (540 - 614 هـ) الذي عاصر ابن رشد، وهي أول رحلة حجازية أندلسية، دونها ابن جبير عن حجه التي بدأ سفرها من غرناطة عام 578 هـ، وكذلك رحلة الرعيبي السراج من أعيان القرن الثامن... وكتاب «مستفاد الرحلة والاعتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت: 770 هـ)¹⁰⁷ و«رحلة القاصدين، ورغبة الزائرين» التي قام بها عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي الغنلامي عام 1141 هـ، وقد حج أحمد ابن ناصر (ت: 1129 هـ) أربع مرات صحب والده في المرة الأولى، وعمره لا يتجاوز 19 سنة 1076 هـ، وحج للمرة الثانية 1096 هـ، وللمرة الثالثة 1109 هـ، وللمرة الرابعة 1121 هـ وكتب رحلته المشهورة بعد هذه الحجة الأخيرة، ولقي أثناء ذلك عددا وافرا من العلماء المشاركة، فأخذ عنهم وأجازهم بعضهم... ورحلة أحمد بن ناصر تحتوي على معلومات في طريق قوافل الحج، وإشارات كثيرة للمدن التي مر بها ولعلماء مصر والجزيرة العربية الذين اشتهروا في مطلع القرن

107 تحقيق عبد الحفيظ منصور - الدار العربية للكتاب - تونس - ليبيا 1975.

الثامن عشر، ورغم الشخصية الدينية للمؤلف، فإن رحلته لم تنل في المغرب من الشهرة ما نالته رحلة العياشي.⁽¹⁰⁸⁾

ولما انتهى محمد بن عثمان المكناسي المبعوث من طرف السلطان محمد بن عبد الله في سفارة إلى تركيا، قام بأداء فريضة الحج، وقدم إلى شرفاء الحرمين هدايا ثمينة من قبل مخدوم ملك المغرب، وطالت غيبته في هذه الرحلة الثالثة سنتين وعشرة أشهر، كتب على إثرها رحلة بعنوان: «إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام، وزيارة القدس الشريف والخليل، والتبرك بقبر الحبيب»؛ ولمحمد بن عبد السلام بناني النفزي الفاسي شيخ الجماعة بفاس (ت: 1163 هـ) كتاب في «فضائل الحرمين الشريفين» وهو رحلته الصغرى المشتملة على مقدمة، وتسعة عشر فصلا، وخاتمة، ويختص الفصل الثامن عشر منها بذكر الأعلام الذين لقيهم المؤلف في البقاع المقدسة... ولمحمد بن الطيب ابن أبي بكر بن الطيب بن كيران (ت: 1314 هـ) «الرحلة الفاسية المعزوجة بالمناسك المالكية».

وتوجه محمد بن عبد السلام الناصري إلى الحج مرتين الأولى عام 1196 هـ - 1781م - والثانية عام 1211 هـ - 1796م كتب على إثرهما رحلتين مهمتين كبرى وصغرى...

ولقد نال الناصري حظوة كبرى لدى السلطان مولاي سليمان الذي عهد إليه في كتبا الحجتين مبالغ مالية طائلة يوزعها على العلماء والشرفاء بمصر والحرمين الشريفين، ولقي الناصري أثناء مقامه الأول بالمشرق جماعة من العلماء، فاستفاد وأفاد، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، منهم الشيخ مرتضى الزبيدي، وأحمد بن محمد الدردير، ومحمد بن علي الصبان، ومحمد بن محمد الأمير الذين أجازوه جميعا... كما كانت رحلته الثانية لالمشرق مفيدة كذلك، لا لكونه لقي أثناءها أعيان العلماء فحسب، ولكن لاقتنائه نفائس المخطوطات النادرة...

وقد اشترى في أسطنبول بأثمان باهظة كتاب «الكامل» في جزأين، وكتاب الحافظ النابلسي وغيرها، أما نسخة صحيح البخاري، في جزء واحد بخط الحافظ ابن علي الصدي، والتي يبلغ ثمنها سبعين دينارا، فإن ابن ناصر لم يتمكن من اقتنائها لارتفاع ثمنها، وأخبر بها لما رجع من الحج المولى سليمان، فبعث هذا العاهل رسولا يحمل ألف مثقال لصاحب النسخة، فقبل البائع، ووعد الملك أن يحمل إليه شخصا الكتاب، فنعتة الفتن القائمة بين أتراك تونس والجزائر من القيام بالرحلة.

ولعبد المجيد الزببادي (ت: 1163 هـ - 1750م) رحلة ضخمة شهيرة بعنوان: «بلوغ المرام، بالرحلة إلى بيت الله الحرام».⁽¹⁰⁹⁾

و«تحاف الناسك، ببيان المراحل والمناسك» وهي قصيدة من ستة وعشرين ومائة بيت كما عند ابن سودة «دليل مؤرخ المغرب»...

وهناك رحلة محمد بن أحمد الحضيكي (1118 هـ - 1189 هـ الذي حج عام 1152 هـ) وقد أفاض القول في هذه الرحلة أخونا الأستاذ الدكتور عباس الجراري.⁽¹¹⁰⁾

ولمحمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بالسراج والملقب بابن مليح رحلة حجازية عام 1040 هـ سماها: «أنس الساري والسارب، من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب، سيد الأعاجم والأعارب» حققها الأستاذ محمد الفاسي...

و«النحلة الموهوبة النجارية في الرحلة الميمونة الحجازية» لأبي العباس أحمد بن المامون البلغيتي، وهو نظم ذكر فيه رحلته إلى البقاع المقدسة.⁽¹¹¹⁾

(110) مجلة: المناهل ع: 10.

(111) طبع بفاس على الحروف بالمطبعة الجديدة عام 1346 - 1921 في سفر متوسط (دليل مؤرخ المغرب) ص: 2/414.

(108) وقد طبعت هذه الرحلة على الحجر بفاس 1320 في جزأين.

(109) وهي مخطوطة المكتبة العامة بالرباط رقم 398 ك.

ولابن محمد عبد القادر المعروف بالجيلاني الإسحاق في رحلة إلى الحج عام 1143 هـ مرافقا للسيدة خنائة وسيدي محمد بن عبد الله،⁽¹¹³⁾ كما أن لابن الحسن اليوسي الذي حج عام 1101 هـ رحلة رافق فيها والده الذي صاحب الأمير المعتصم ابن المولى اسماعيل والأميرة ست الملك... وقد حج الغيغائي عام 1274 هـ ودون رحلة رسم فيها مشاهدته ولقائته، وللشيخ الحاج علي الدرقاوي (ت : 1328 هـ) رحلة حجازية، وهي حسنة مفيدة، تناهز ثمان عشرة مائة بيت أو أكثر، وقد سلك فيها الشيخ ملك الإسهاب، فيصف جميع المدن التي مر بها وصفا تاما، قال المختار السوسي، وقد كنا سمينها : «أصفى الموارد، في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»،⁽¹¹⁴⁾ وتوجد رحلة حجازية لمحمد السوسي⁽¹¹⁵⁾ (ت : 1318 هـ - 1900م) حيث قام بالرحلة من تونس إلى إيطاليا، ثم إلى الأستانة فالحجاز، ومر في طريق عودته بالمدن المعهودة وهي دمشق وبيروت ثم تونس، وهناك رحلته أخرى للحضيكي.⁽¹¹⁶⁾

ولابن عمرو الرباطي رحلة حجازية، اجتمع في أثنائها لما وصل بتونس بأبي إسحاق إبراهيم الرياحي، ومحمد المحجوب، ومحمد بيرم، ومحمد بن الخوجة، وقد أجازه هؤلاء الشيوخ جميعهم، وبخاصة فيما يتعلق برحلة أبي سالم العياشي، وتوفي بالحجاز في 10 ربيع الأول عام 1243 هـ، ودفن في مكان يقع بين قبر الرسول، وخديجة أم المؤمنين، كما أشار إلى ذلك في أبيات أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الدكالي السلوي...

وللعربي بن علي المشرقي العسكري : «الرحلة العريضة، في أداء الفريضة»، وقد نشر على حدة من كتاب : «نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي المبحث الذي

ورحلة الزبادي تحتوي على أوصاف المدن وملاحظات حول الأماكن أكثر مما عند العياشي في أسلوب مركز سهل من مدينة فاس إلى مكة ذهابا وإيابا، ونصائح موجهة للحاج، ومناقشة مسائل فقهية وتاريخية ولغوية، وإجازات وتراجم لشخصيات شهيرة، فرحلة الزبادي تعتبر دائرة معارف أكثر منها كتاب جغرافيا على غرار رحلات ذلك العصر... وكذلك رحلة العباس أحمد بن الحسن بن قنفذ القنطيني... وتاريخ مكة، لأحمد بن محمد ابن محمد إسحاق الخزاعي... وكذلك نجد لإبراهيم السوسي العيني المتوفى عام 1199 هـ رحلة إلى الحجاز في مجلدين، وهناك فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال المشرق، ومن بينهم شيوخ الحجاز لابن جزى محمد بن أحمد... وأبي عبد الله محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الفاسي (ت : 1119 هـ) رحلة إلى بلاد الحجاز تقع في مجلد... وألف أحمد بن علي بن محمد دينية الرباطي (1282 هـ - 1864م) «رحلة حجازية» إلى مكة عام 1267 هـ ذكرها حفيده في كتابه : «النسب الندية»، وعنوان هذه الرحلة : «نشر الأعلام بالحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل السلام» وهي رحلته الأولى إلى الحج تقع في مجلد... وهناك رحلة أخرى لأحمد بن محمد المشتوكي تعرف بـ «هداية الملك العلام، إلى بيت الله الحرام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام» وقد شرع في هذه الرحلة عام 1096 هـ 1684 م، وكان حمدون ابن الحاج (ت : 1232 هـ - 1817 م) أحد الفقهاء المقرين إلى المولى سليمان حينما انقطع عن المناصب الإدارية نهائيا، قام بأداء فريضة الحج، ولما رجع من المشرق سجل المعلومات التي حصل عليها في هذا السفر، وأودعها رحلته الشهيرة، وقد ذكر هذه الرحلة سيدي عبد السلام بن سودة في كتابه.⁽¹¹²⁾

(113) توجد من هذه الرحلة نسختان خطيتان، إحداهما في المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 1428، وفي مكتبة القرويين بفاس تحت رقم 258.

(114) «المسول» ص : 1/238.

(115) تحقيق علي الشنوفي - الشركة الوطنية للتوزيع 1396 هـ 1976م.

(116) مخطوط في المكتبة الملكية تحت رقم 405 - فهرس الفهارس ص : 260 - 263.

(112) دليل مؤرخ المغرب... نقلا عن الأستاذ محمد الفاسي الذي وقف على نسخة من رحلة ابن الحاج في كناية أحد تلاميذه، وهو أبو محمد عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي في مقال نشره في «دعوة الحق» بعنوان : «الرحالة المغاربة» ص : 2 / يناير 1959 عدد : 4. ص : 25.

يتعلق بمكة المكرمة،⁽¹¹⁷⁾ ومن صنفوا في هذا الميدان وتحديثوا عن مكة والمدينة ومناسك الحج، وأداب الزيارة أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي (1178 هـ) الذي رحل إلى المشرق عام 1140 هـ وطار صيته في الحجاز... وكذلك العالم الأديب أحمد بن قاسم جوس (1331 هـ - 1912م)، كما سجل رحلته الحجازية شيخ الجماعة العلامة التقدير سيدي محمد بن عبد السلام السايح... وغيرهم كثير...

وكانت لأبي العباس الحاج أحمد بن إبراهيم الحسني الأسفي (ت : 1274 هـ) رحلة حجازية قضى فيها فريضة الحج وسنة الزيارة...⁽¹¹⁸⁾ ولأحمد بن محمد الهواري (ت : 1372 هـ). وقد حج أحمد بن محمد الرهوني عام 1955 وكتب رحلة بعنوان كتاب : «دليل الحج»⁽¹¹⁹⁾ وكتب رحلة بعنوان : «الرحلة المكية»...⁽¹²⁰⁾ ونجد للمرحوم الحسن بن محمد الفسال (ت : 1939 م) «الرحلة الطنجية المزوجة بالمناسك المالكية».

وهناك رحلة لأبي مدين الدرعي الذي حج عام 1152 هـ،⁽¹²¹⁾ وقد نظم «مراحل الحجاز» أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي،⁽¹²²⁾ ونشير إلى همزية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني التازي دارا (ت : آخر المائة بعد الألف)، وهي نظم متوسط الجودة، وصف فيه المراحل التي قطعها والمدن التي أقام بها من مدينة تازة إلى مكة والمدينة، ومنها إلى الشام وصفا كافيًا...⁽¹²³⁾ ولابن يوسف الجزولي التلي الهشتوكي شهرة، دفين تامكروت (ت : 1127 هـ) بدرعة رحلة حجازية ذكر فيها من لقي،⁽¹²⁴⁾ وللشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري رحلة وصف فيها ما عرج عليه من المدن ويوجد بالمكتبة الكتانية، كما يجب أن لا ننسى رحلة عالم الجزائر أبي العباس أحمد بن عمار...

ومن ألف في المدائن، أيضا، يذكر أخبارها، ويعين حدودها ومواقعها، ويصف مجمل تقلبات الدهر بها، وما اشتملت عليه من السكان والأمكنة والمعالم، ووصف ما قام فيها من الآثار والمعاهد والمساجد والزوايا والخزائن والمكاتب والمشاهد والحصون والقلاع، والجسور وسائر المرافق، ومن نبغ فيها من رجال العلم والدين والسياسة، والإدارة، وما عليه أهلها من العوائد في جميع أحوالهم وما تقلبت فيه من الأحوال، وكيف تداولتها الدول، ومن كان فيها من الرجال والأسر النبوية، كثير من العلماء والمؤرخين في الجناح الغربي من العالم الإسلامي... وهكذا ألف في تاريخ مدينة فاس ابن حنون، وابن عبد الكريم وابن أبي زرع، وفي رجالها ابن القاضي، وابن الأحمر، وابن عيشون، والمدرع، والقاسي، والكتاني... كما ألف في هذه المدينة قبل هؤلاء عبد الملك بن موسى الوراق كتابه «المقياس»، في أخبار فاس» وقد ألف محمد بن يوسف الوراق القيرواني (ت : 292) في أخبار سجلاسة، ونكور والبصرة تأليف حسانا كما يقول ابن حزم، وجمع المقرئ «كتابا فيمن لقيه من الأعلام بفاس ومراكش» وألف ابن أبي بكر الحضرمي «السلسل العذب، والمنهل الأجل، في سلك من تحلى سلكتهم في الأربعين من جيل فاس ومكناسة وسلا»، وفي ستة ألف القاضي عياض : «العيون الستة في أخبار ستة» وألف، في مكناسة، ابن جابر «نزهة الناظر» وابن غازي : «الروض المتون»، في أخبار مكناسة الزيتون، والجبلي : «النفحات الوردية»، وألف في زاوية الدلاء سليمان الحوات «البدور الضاوية» وكذلك اليازغي، وفي درعة ألف محمد المكي الناصري «الدرر المرصعة...» أما في العصر الحديث فذلك موضوع يطول شرحه عن ألفوا في المدائن الآتية طنجة، تطوان، الرباط، الدار البيضاء، آسفي، مراكش، الصويرة، سلا، سوس، مكناس، ستة الخ...

(121) رحلته محفوظة في الخزانة العامة تحت رقم : 297.

(122) الاتحاف : ج 4 - ص 9، دليل مؤرخ المغرب : ص 2/418.

(123) «دليل مؤرخ المغرب» لابن سودة ص 2/433.

(124) الإعلام للتعارفي ص : 2/154.

(117) كما جاء في دائرة المعارف البستانية ج : 2 ص : 675.

(118) «جواهر الكلام» ص : 19.

(119) طبع عام 1935 بالمطبعة الرمحية.

(120) طبعت بمطبعة الأحرار 1359.

ونشير في الأخير إلى أننا في هذه الدراسات الخاصة بالمدن العربية والإسلامية، لن نتعرض للشعر الذي قيل في «المدينة»، سواء في القديم أو الحديث، إذ أن «شعر المدينة»، كما قال «جون هـ. جونسو»، في كتابه: «الشاعر والمدينة» هو الشعر الذي يصف مدينة واقعية ووصفا مباشرا، أو يصف البشر الذي تتأثر حياتهم بتجربتهم في مثل تلك المدينة تتأثرا واضحا...

إن هناك مدنا شغلت الشاعر العربي بوضوح، إذ رؤية الشاعر للمدينة، موضوع قديم جديد، وقد نشأ، أصلا من الوعي المتزايد بالمكان في رؤية الشاعر المحدث، وتنبع أهمية هذا الموضوع من أنه يوفر أساسا صالحا للعمل أمام الشاعر والناقد على السواء، فالشاعر يرى ويجرب في بيئته المادية المعقدة للتشابكة الأبعاد...

وقد دخل موضوع «شعر المدينة» حيز الدراسات النقدية في العقود الأخيرة من هذا القرن... ولكنه أمن حيث هو موضوع شعري يشغل بال الشعراء المبدعين - قديم قدم المدينة ذاتها...

وقد أصبح الاهتمام به، الآن، لدى العالم المتقدم جزءا من الاهتمام بالبيئة الحضرية، وما تفرضه من أسئلة بعضها متصل بالمجتمع وكيف يتطور، وبعضها متصل بالعلم

والتكنولوجيا وكيف يبنيان، بل وكذلك كيف يدمران، وهذا الموضوع فرع من فروع الحداثة بمعناها العام، وكذلك بمعناها الخاص في الدراسات النقدية. فما أحرى طلابنا الجامعيين أن يهتموا «بشعر المدينة»، ويولوه عنايتهم، ولا سيما «شعر المدينة» المغربية في الأدب المغربي.

وبعد،

فلقد كان الحج عاملا له أهميته في زيادة المعارف بين المسلمين، وتبادل المعلومات، كما كانت مكة ملتقى آلاف من الحجاج يفدون عليها من كل فجح عميق، وهم من أجناس مختلفة، ولكل منهم بيئته الاجتماعية الخاصة... ومن ثم كان الحج للدارسين أشبه بالمؤتمرات في عصرنا الحديث يرحلون إليها، ويشاركون فيها.

وكان المهتمون بتقويم المدن وتخطيط البلدان أيضا، يجمعون، وهم في طريقهم إلى الديار المقدسة، كثيرا من المعلومات عن الأراضي التي يمرون بها، والمدن التي يستقرون فيها، فإذا ما بلغوا غايتهم، والتقوا بإخوانهم من مشارق الأرض ومغاربها عند أول بيت وضع للناس، استمعوا إليهم، ودونوا عنهم، فأضافوا إلى ما عرفوه بالمشاهدة الشيء الكثير عن طريق السماع...

الرباط : محمد بنعبد الله

لهذى مقاليد القلوب ملكة

للشاعر
وجيه
فهيم
صلاح

من صفو زمزم ما نحس وما نرى
وتلألت فوق المآذن والذرى
هش الزمان لنورها واستبشرا
بش الربيع له فبات معطرا
فغدا سبيل الحق يسطع نيرا
أمسى يعانق برنا والأبحرا
من سر أحمد وارثين تبصرا
شأن ما بين الثريا والثرى
وبمجدها الوضاء يأتلق الورى
يرقى بنا لنصيب فوزا أكبرا
ومضت تؤدب طاغيا متجبرا
تلقي على الأمواج أمنا خيرا
وشواهق شمخت تزين الأعصرا
شعب تعلق بالهدى فتحررا
وبسنة الله الرضية أثمرا
دوى النفير فاذعر المستعمرا
يا صدق ما قال المليك وطررا
ومضت تذييق البغي موتا أحمرا
غنى بالوان الكفاح وكبرا

من قدس يثرب من سنا أم القرى
طارت إلى آفاقنا قبساتها
حملت لنا من نور طه أنجما
عطر النبوة في سمو عبيره
بالملة السمحاء طاولنا المنى
جالت وفي جولاتها ألق الضحى
رفعت إلى عرش الخلود أشاوسا
وبمن تقارن دوحه نبوية
إننا بسنتها الكريمة تقتدي
هذا سناها ملهم أراوحنا
ملكتم زمام الأمر وهي فتية
فإذا الجواري المنشئات عوائم
وإذا على الأفق فيض مآثر
ما اعتز في جنباتنا إلا بها
إن الجهاد عقيدة بدمائنا
لما إلى علينا مدوا يدا
«العرش ملك الشعب»: قال محمد
سلت سيوف الحق من أغمادها
شعب على قمم الجبال مجند

ودرى الأعـادي أننا لن نقهرا
تبنى على هام الدخيل تحررا
من عاد للوطن الحبيب مظفرا
مكا يفوح على الوهاد وعبرنا
«المجد للفعال في هذا الورى»
حرا عزيزا ماجدا متبصرا
والدوح أينع بالمليك وأزهرا
قبس الرسول على البلاد منورا
يا ابن البتول ويا ابن أفضل من سرى
أن التقدّم للمدائن والقرى
للمسلمين بهممة لن تنكرا
وسرت على أمواجنا تهدي الورى
يروى الحديث ويستعيد الأعصرا
فغدا على قمم الصوامع نيرا
فما ريع الحب طلقا أخضرا
فتبسم الرمل العزيز مكبرا

☆☆☆

تحيي العقول وتنبت المتحجرا
رسمت طريقنا للسعادة أنضرا
خيرا رعته مهارة فتطورا
هذي خمائلنا تولد أكثرا
هذي سفائننا تخوض الأبحرا
لينير درب الصاعدين ويثمرا
نارا تحرق طباغيا متجبرا
فترى العدو غدا بساطا للثرى
بمليكهـا الباني وتلبس أخضرا
ومقبل عثرتها القدير الأمهرا

☆☆☆

شهدت رواسينا صلابة عودنا
أفدي الكماة أعاربا وأمازغا
بأبي الكفاح الشهم شع منارنا
يختال والحسن العظيم بمؤزر
نسجت عليه يد البقاء شعارها
أكرم بمن ضحى ليهنأ شعبه
العرش بالحسن الرؤوف قد ازدهى
وغدا كأسطع ما يكون تألقا
ياكعبة الآمال يا ابن المرتضى
أنت الذي طرزت في أفاقنا
أنت الذي شيدت مجدا خالدا
شهدت بها ليالات شهر صامنا
من كل صوب في ظلالك جهيد
فأعدت للدين الحنيف بريقه
وفتحت أفاق المحبة بيننا
هشت له الصحراء ترفل بالجنى

في كل ركن ثورة حسنية
في كل درب شعلة حسنية
هذي قوافلنا تفيء للندى
هذي مراتبنا يسربلها السنا
هذي مصانعنا طليعة فوزنا
هذي معاهدنا يشع ضياؤها
هذي فيالقنا تهب مع المنى
وترد كيد الطامعين لنجرهم
هذي أكادير الجميلة تزدهي
هبت تحيي فيه واهب حسنها

دارا معززة الجناب وعمرا
ألم فإنك سبط أفضل من سري
ما أبهج الجهد السخي منورا
وأنت يا إذا المجد قلبا أكبرا
وليبق مغربنا بفضلك مزهرا
تلقى به الأرواح جوا أعظرا

مولاي يا حسن المكارم من بني
يا سبط طه يا ضياء ربوعنا
هذي جهودك في الديار مضيئة
هذي مقاليد القلوب ملكتها
أشرق على الدنيا وعش لبلادنا
وليبق عرشك للعروبة قبله

الرباط : وجيه فهمي صلاح



للشاعر
الأستاذ
عبدالواحد
الساهي

بيضاؤنا غرقت في النور زاهية

وفاح طيب شذاها في الميادين
تلألأت فيه أشتات الرياحين
ترى الحدائق أبدت كل مكنون؟
من نرجس عابق يزهو ونسرين
تحكي العذارى تحييني لتسبيني!
يشجي النفوس بأنواع التلاحين
أنى اتجهت، وأصوات الحساسين
ومن ينابيع تغويني لترويني
والدوح أثمارها بالقطف تغريني
تحكي العروس اكتست زهو الفساتين
قد اجتباك لتحمي حوزة الـدين
للألاء جدك : يا فخر السلاطين
أنت السنالاح في ليل الـدياجين
بنا التياح لأفواف التلاوين
تميس عجبا، وتشدو : من يجاريني؟
تمايدت : تلك حالات المفاتين!
أفلاذها للتلاقي بالملايين
ليعلنوا لك حبا غير مكنون

رفت لعيـدك أزهار البساتين
والغصن أورق إكراما لطلعتـه
وازينت وربت مرج البطاح، أما
جاءت بكل جميل في مراعـها
تلك الزنابق في أكمامها رقـصت
والطير يشدو على أغصانها نغما
غشيتها سحرا، والحسن يجذبني
معارض الحسن من طير ومن زهر
فالأرض ضاحكة، والورق صادحة
حتى السماء تحينا بزرقـتها
أمنت أن إله الكون بـارئنا
حفيد - حيدر - شعشع في جوانحنا
أشرق على سفحنا، لمع مسالكننا
لألاً فوجهك في الأرجاء فجر سنى
- بيضاؤنا - غرقت في النور زاهية
ترنحت، ما بها سكر، وأعطافها
لا بدع أن برزت حناء واكبها
وصفقت قبل أيديهم قلوبهم

لا ينشني بين تكبير وتأمين
محبب للمح منك للمح يكفيني
وفوق المراد بلا مطل وفي الحين
عصر مليئ بأصناف المجانين
على العداة، وتدعو بالبراهين
قولا وفعلا ليخزي كل مأفون
عن نهج جدك أذئاب الشياطين
حيناً، وشاع بإغراء وتلقين
عرش الجدود الأشاويس الميامين
يا غرة الملك للدنيا وللدين
عالي الذرى، شامخ، صلب الأساطين
وقلت - إني لها - والشعب يحدوني
للفضل والبذل في رفق وفي لين
بالألف حيناً. وحيناً بالملايين !
شرقاً وغرباً لربح جد مضمون :
بل ذاك خلق يربى بالتمارين
ذوا الرشاد بتدريب وتلقين
مقربون لى وضع الموازين
تسابقوا حيث لا إكراه في الدين
إحسانه صفحات في الدواوين
وروضة من رياض الخلد تسييني
دوماً لنكسب أجراً غير ممنون :
رحابك الطهر أمجاد السلاطين
مسكاً، واشتم أنفاس الرياحين
حتى أحقق حلماً بات يغزوني ؟
في خشية، ونداء الحق يحدوني :
بحار كل الدنيا في مصر والصين !
قطر الندى لست من ماء ولا طين !

بحت حناجرهم بوحاً ! هتافهمو
وقارك الجم، يحدوه الطموح، فيا
أنت الهمام الذي جرى الزمان له
أنت الإمام، وأنت الغوث والغيث في
أنت الملاذ لشرع الله تظهره
أنت السناد لدين الله تدعمه
لولاك - لا غبت عنا - بات يفتننا
لو لم تكن خيم الإلحاد في وطني
لطف الإلاه تجلى، فاستويت على
اختارك الله يا سبط النبي لنا
فمن أياديك البيضاء مسجدنا
وتلك عارفة عممت مكسبها
خاطبتنا بلسان الحق تدفعنا
فسارع الشعب كل قدر طاقته
والمحسنون تباروا عن طواعية
والبذل لله لا دين يمنعها
عصارة الخير يذكها ويبعثها
والسابقون بإحسان ومكرمة
وأنت سباقنا، يا من هتفت بنا
وحقق الله ما أملت يا حسننا
يا مسجد الحسن الثاني ببلدنا
بناك عاهلنا الباني ومرشدنا
وقفت حولك مبهوراً أطلع في
أعفر الوجه في ترب زكا فغدا
يا فرحة القلب : هل يمتدبي أجلي
واغبطني، وأنا في الصف مبتهل
ويا منارا يباهي «الأطلي» به
لأنت أنت عروس البحر خاصرها

تطل عبر دياجير الظلام على
يا مبسم الورد مفترا لشاعره
بحر، وتقذف شهباً للشياطين
تبارك الحسن، لا أقوى تناغيني

☆☆☆

أيادي الحسن الجلي تراودني
يهوي إليها شباب الجيل في لهف
فجر الحياة، ونبراس النجاة، وفي
«سبط النبي جزاك الله صالحة»
ماذا أعدد؟ أنى سرت قابلني
مستشفيات لمرضانا يؤازرها
هذي نواد لترفيهه وتسليته
معاهد العلم شتى، والمدارس لا
والجامعات منارات تناديني
إلى العلوم والآداب والسياسيين
فصولها الفصل بين النون والسين⁽¹⁾
عنا، وجنبت خسران الموازين
مبنى لخير، ومغنى للمسساكين
ركن ليأوي إليه كل محزون
وذاك قصر لتطبيق القوانين
تحصى، وللنشء أنواع البساتين

☆☆☆

جنوبنا بات حراء، والشمال غدا
تزحزحي يا أيادي الغدر وانصرفي
ففي محارنا أطياف معركة
أعلامنا الحمر صيغت من معاركننا
نضمه للحمى، بالصبر واللين
لا تستجيبني لأوهام المجانين
إن لم تكفي لثنا كالبراكين
ودفقة الدم تغلي في الشرايين

☆☆☆

المغرب العربي اجتاز محتته
أقطابه في وئام، لا يخامرهم
في ظل وحدتهم، كسب لمغربهم
يقول قائلهم رفقا بصاحبه :
بعد التمزق، والأضغان، والهون
ريب : بأيديهم وأغصان زيتون
يا للقيادات تعنو للبراهين
أنا أخوك، فما يرضيك يرضيني

☆☆☆

يا معتلي العرش يا عزي ومفخرتي
ذكراك تلهمني شعري، فأجسني
عهدي بشعري إذا حاولت عاكسني
يا مربع الطيب - يا بيضاء - سيدنا
حصنت عرشك في الذكرى ياسين
أسمعت دنيائي آيات «ابن زيدون»
واليوم في العيد أضحي الشعر يدعوني !
بني وشيد فيك قبلة الدين

(1) النون رمز للنجاح. والسين رمز للسقوط.



والقلب يـأمرني، والحب يغريني -
شعرا هو الصدق بالإخلاص مقرون
أنى أقام وفي كل الميادين
كواكب السعد أغصان الرياحين

البيضاء - عبد الواحد السلمي

فباسمك اليوم - والإخلاص يشفع لي
أزجي التحية في أعياد سيدنا
والله يكلؤه دوما وينصره
يا رب حقق مناه في أزاهره

للشاعر
الأستاذ
شهاب
جنبلكي

الفجر الجديك

فهذا أنت يا «حسن» الأماني
يعز عليه قريبك والتداني
سعيد من يراك، وأنت هاني
بما حققت للوطن المصان
يردد في الوفا أحلى الأغاني
لجمعك، جدت من غرر البيان
بحبك كنت في عمق الجنان
ترد عن العروبة ما تعاني
نزيها، إن بقلب أو لسان
تضيء القلب جهرا للعيان
لذي أوردته سبل الرزان
وتجد من يطال بلا حنان

علو في الزمان وفي المكان
ودأبك أن ترى شعبا عتيدا
وعهدك في العوالم لا يباري
وحسبك أن تعيش اليوم فخرا
بعيدك أضحت الدنيا شيئا
فيا فخر الملوك، إذا تنادوا
ويا عز الشباب، إذا تباروا
نراك على دروب الحق شهما
نراك بغمرة الأحداث قطبا
نراك بظلمة الظلماء بدرا
ودين الحق في الإسلام أنت الـ
تمد يديك بالساحات برا

☆☆☆

المغرب اللألاء

قلوب العرب أنا بعد أن
يشار إليه قدرا بالبنان
ويرعى المسلمين بلا هوان

تيقظت المشاعر حين ضمت
وهذا المغرب المضياف أضحى
سعيد من يضم العرب حبا

لمن نصر الجموع بلا سنان
يعانق بالأخوة من يداني
يضيف الأمن حقاً في الكيان
وتطوى في جوى ذاك الرهان
يصب الخير في كيد العوان
غمار الحب والنصر المبان
يضاحك في الحمى صوت المغاني
لمن أعطى، وأوفى بالتفاني
فيقطع بالوفاء سبل الجبان
يكافح للوجود وللزمان
جديد العهد سعاد كالجمان
بدنيانا، وصدر الأرض داني
فأنشد بالوفاء ما قد كفاني
ويحفظه ملكاً للأمان
ولي العهد، بالسبع المثاني

البيضاء - شهاب جنبكلي

بودي أن يطيل الله عمرا
هنا في المغرب اللألاء شعب
ويفرج كربمة الملهوف حتى
وغائلة الزمان تباد قسرا
كفى بالقائد المنصور فخرا
له في كل يوم قفزة من
ويجني من رياض الحب شهدا
ويولد في قلوب القوم حبا
ويمسح جرح من يصي شريدا
وبالخلق الكريم يقود شعبا
يفيض القلب بشرا إذ يرى من
فللحسن الأمين أعز قدر
وللحسن الحميم أرف شعري
ورب العالمين يقيه دوما
ورب العالمين يصون دهرا

المولى إسماعيل

رائد الدولة العلوية الشريفة

للككتور

يوسف
الكتاني

العظيم المولى إسماعيل الذي ملأت صورته البطولية عقلي منذ حداثة سني، وطمى على خيالي بقوته وانتصاراته وطول مدة حكمه.

ويستقطب حديثي موضوعا كبيرا في تاريخنا وهو جيش عبيد البخاري الذي حقق المولى إسماعيل بتأسيسه قوة دفاعية هائلة، جعلته مهابا من جميع الدول أولا، وجمع فيه الأرقاء والعبيد الميثوتيين في مدن المغرب وقراه، وحررهم وأنشأ منهم جيشه الكبير الذي ما زالت بقاياه إلى الآن بالحرس الملكي.

وسأقل إليكم بادئ ذي بدء الصورة الكاملة الرائعة التي رسمها أدباؤنا وعلماؤنا لرائد جيش عبيد البخاري، صورة تعجب وتروق، وتبعث في النفس كامل الإعجاب والسرور، فقد وصفه صاحب كتاب «جنى الأزهار» بقوله: «نخبة السادات الملوك، وأعظم أهل العدل والسلوك، نور أنوارهم المنيرة، وقمر كواكبهم المستنيرة، طالع السمود، والمرتقى أوج الصعود، ظل الله سبحانه على البرايا، وواحد الدهر والمزاي، الشريف العالي القدر المنيف، الفني نبيه وحسه عن الترجمة والتصنيف، العلوي القرشي، الهاشمي

إن الأمة التي لا تعنى بتاريخها ولا تهتم به، ولا تسجله ولا تحفظه، أمة لا حاضرها ولا مستقبل، وقد حفظ الله على أمنا المغربية تاريخها سجلا مكتوبا منذ مطلع الإسلام في هذه الديار، ودخول المولى إدريس وتأسيسه الدولة المغربية العتيبة.

إن تاريخنا بأحداثه السياسية والفكرية والاجتماعية مما يحملنا على الاعتزاز به، والافتخار بما حققه الأجداد والآباء في معاركهم وانتصاراتهم وجهادهم في سبيل التنمية والتقدم والتطور.

ومن باب الاعتزاز بهذا التاريخ المشرق، وفي إطار نشره وتعريف جيل الشباب بحقائقه، وإطلاعهم على صفحاته، لدراسته وأخذ العبرة منه، وصلا للماضي بالحاضر، وتحفزا وتوثيا نحو مستقبل يتفق مع آفاق القرن الواحد والعشرين، والذي ششهد فيه بلادنا مزيدا من التطور والتقدم والخير بإذن الله.

ففي هذا الإطار وبمناسبة عيد العرش المجيد أثرت أن أتحدث عن رائد كبير من رواد ملوك الدولة العلوية ألا وهو المولى إسماعيل بن الشريف الذي كان من مؤسسي الدولة وطلبة ملوكها، لقد اخترت التحدث عن الملك

المولوي، مظهر شرائع الدين، المعتمد بالله رب العالمين،
السنّي الجليل، أبو الفداء مولانا إسماعيل»⁽¹⁾.
كما نعتة العلامة أبو علي اليوسي بقوله :
«قطب المجد ومركزه، ومحاز الفخر ومأزره، وأساس
الشرف الباذخ ومنبعه، ومناط الفضل والتسامح ومجمعه»⁽²⁾.
وقال عنه صاحب نشر المثنائي :

«أحيا الله بالإمام مولاي إسماعيل رسوم الدين بعد
دروسه، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه وأخمد به
الفتن بعد تأجيج نارها، وأحيابه المعالي بعد الأخذ بشأرها،
وبسط له اليد على رعيته فعلت أقداره، ولاحت في آفاق
الدنيا شموسه وأقماره. وتكاملت في الحسن أنجاد المغرب
وأغواره، وشمخ فيه ملكه، فدار بالنصر والتمكين فلكه،
فانتعش به كل الأراذل والإيتام، ورسمت فيه للدين أئمة
وأعلام، وأولاه الزمان زمامه، وأكمل السعد واليمن سرامه،
فشدا بذكره صادحا، وما أحسن قول من قال مخاطبيا له
ومادحا :

وأطلت أيام السرور فلم يصب

من قال : أيام السرور قصار
وجبرت من جرح الزمان فكذبت

أقوالهم جرح الزمان جبار⁽³⁾
هذا الملك العظيم الذي أجمعت الأمة المغربية على
مبايعته بعد وفاة أخيه الرشيد، ولم ينازعه أحد في أنه كان
أحق بها وأهلها، وكانت أيامه أيام أمن وعافية وانضباط، إذ
دوخ بلاد المغرب كلها، واستولى على سهلها ووعرها، حتى
انتهى إلى تخوم السودان وما وراء النيل، وامتدت مملكته
إلى بكرة ونواحي تلمسان، والله أعلم حيث يجعل
رسالاته.⁽⁴⁾

وقد فسح الله له في العمر، ومكن له في الأرض
حتى طال حكمه، وامتد سلطانه حتى بلغ سبعًا وخمسين
سنة، ونعت بالحي الدائم، هذه المدة التي لم يتوفها أحد
من خلفاء الإسلام وملوكه سوى المستنصر العبيدي صاحب
مصر الذي بقى في الخلافة ستين عاما.⁽⁵⁾

ولقد قضى هذه المدة المديدة في بناء الدولة
المغربية وتشديد أركانها، وتحرير ما اغتصب من أجزائها،
كالمهدية بالمعمورة، وطنجة، والعرش وغيرها.⁽⁶⁾

وحصن حدود المغرب وجهاته، وأمنه من كل غزو أو
اعتداء، حتى هابه البعيد قبل القريب، وكان أعز ما عنده
العمل على نشر الدين وإعلاء كلمته، ولذلك كان يدعو
ملوك أوروبا في رسائله إلى الدخول في الإسلام⁽⁷⁾ كما كان
يشترط عليهم افتداء أسياسهم عن كل نصراني مقابل مائة
كتاب من كتب الإسلام الصحيحة، المختارة المثقفة في
خزائنهم باشييلية وقرطبية وغرناطية⁽⁸⁾ وقد جمع محاسنه
كلها صاحب البستان بقوله :

«ولقد شاهدت الكثير من آثار الدول فما رأيت أثرا
أعظم من آثاره، ولا بناء أضخم من بنيائه، ولا أكثر عددا من
قصوره، فقد جعل هذا السلطان مباني العالم كلها في بطن
تلك القلعة المكناسية»⁽⁹⁾

وقد كان من مدح الأديب أبي عبد الله الجزولي
قوله :

مولاي إسماعيل يا شمس السورى

يا من جميع الكائنات فدى له
ما أنت إلا سيف حرق منتضى

الله من دون البرية سله
من لا يرى لك طاعة فالله قد

أعماه عن طرق الهدى وأضله⁽¹⁰⁾

(5) أنظر الاستقصا 99/7.

(6) نزهة الحادي ص 305 و306.

(7) الاتحاف لعبد الرحمان بن زيدان 51/2.

(8) من رسالة لملك إسبانيا، الاتحاف 65/2.

(9) الاستقصا 103/7.

(10) نزهة الحادي ص 309.

(1) جنى الأزهار ونور الأبصار من روض الدواوين المعطار لمؤلف
مجهول - مخطوط الخزانة الحسنية عدد 11860.

(2) من رسالة اليوسي إلى المولى إسماعيل. انظر الاستقصا 82/7.

(3) الإعلام للعباس بن إبراهيم 66/3 المطبعة الملكية سنة 1977.

(4) نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير اليفرنى

ص 304 و305.

تأسيس جيش عبيد البخاري

مظهر من مظاهر تحرير الإنسان

يعتبر الإسلام في حقيقته وهدفه وتوجيهه للناس إعلاما وإعلانا لحقوق الناس وواجباتهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه منذ خمسة عشر قرنا، من قبل أن تعرف الإنسانية كلها هذه المواثيق البشرية، والمعاهدات الدولية: ولا شك أن هذا الإعلان الإلهي يعلو ويسمو على كل المواثيق الوضعية والعهود البشرية، لكونه يقوم على الإيمان بالله، وابتغاء مرضاته ورغبة في ثوابه، وخوفا من عقابه. وإن القرآن والسنة ظلا دوما المنبع والمصدر، لكل حقوق الإنسان وحرياته، وقد حفلت نصوصهما بالمبادئ الإنسانية السامية لتلك الحقوق والحرريات، وكان كل منهما مكملا للآخر في تفصيل وتدقيق معجز رائع، وعلى هديهما سارت دولة الإسلام ومجتمعات المسلمين في مختلف العهود.⁽¹¹⁾

وقد سارت الدولة المغربية على هذا النهج القويم، وحافظت على حقوق الإنسان، ودافعت عنها مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، حتى إذا انتقل الأمر إلى الدولة العلوية، سارت في طريق من سبقها من الدول، بالدفاع عن حقوق الإنسان، واحترام كرامته، وتوفير العدل له، سواء داخل المملكة أو خارجها، علما بأنه في هذا الوقت الذي كان ملوكنا ينافحون ويدافعون، عن حقوق مواطنيهم ويرعونها، ويسهمون في تحرير الإنسان أيا كان، في الداخل والخارج، كانت بلاطات ملوك أوروبا وممالكها، تعج بالارقاء الذين استعبدهم عن طريق الأسر والقرصنة، التي طالما تنافس أمراء أوروبا فيها، وسارعوا إليها، مما دفع ملوكنا إلى عقد المعاهدات والسعي لديهم لتحرير الناس وافتدائهم بالأموال والقروض، ومما ساهم بحظ وافر، على تقليص الرق بين الأمم، والقضاء عليه، وإشاعة الحرية، وإقرار كرامة الناس.

إننا نستشف هذا العمل التحرري، والسلوك الحميد شاهدا قائما في سير ملوكنا وسجلات أعمالهم، وفي وثائق البيعة التي تعتبر دساتير لحقوق الإنسان، وفي شتى المواثيق والمعاهدات التي عقدت بين ملوكنا وبين غيرهم من ملوك الدول والأمم.

لقد كان في المقدمة المولى إسماعيل، وهو الذي خطا الخطوة الأولى في مجال تحرير الرقيق، والتي كانت الأساس الذي سار عليه فيما بعد خلفاؤه، وحققوا للإنسانية صفحات رائعة في هذا الميدان.

لقد أصدر قراره بمجرد بيعته، عندما لاحظ كثرة الأسرى، والتنافس في اقتناء الرقيق، وذلك بمنع الرعية من تملك الرقيق وممارسة الحكم في مصيره، وجعل العبيد تابعين للدولة، وأسس منهم جيشا مغربيا وهو ما عرف «بجيش البخاري» الذي قصر أعماله على الجهاد.⁽¹²⁾

وقد فتح حوارا متعددًا بواسطة سفرائه وفي مقدمتهم السفير الفساني، مع مختلف الدول وخاصة الأوربية كإسبانيا والبرتغال وفرنسا، وعقد معهم معاهدات واتفاقيات لتحرير الأسرى من مختلف الأجناس وخاصة منهم المسلمين، مقابل فدية أو قروض، وهكذا أثمرت جهود المولى إسماعيل، وسعيه الحثيث، من أجل تحرير الرقيق، وصون كرامة الإنسان، وأصبحت سياسة قارة للدولة حتى إننا نجد طالعة بيعة المولى عبد الله، تنص على التزامه بحقوق الرعية والدفاع عنها، وإقرارها في كل الميادين والمجالات، وفرح الأمة باختيار ملك عادل مستقيم يحقق لها الأمن والعدل والاستقرار، والذي كان ولده محمد الثالث رائد تحرير الإنسان لا في المغرب فحسب بل في جميع أنحاء العالم، وسواء كان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا، والذي خصص ثلث ميزانية المغرب لتحرير الأسرى معتبرا ذلك واجبا دينيا.⁽¹³⁾

(11) معالم إسلامية للدكتور يوسف الكتاني ص 9 و 12.

(12) معالم إسلامية ص 44 و 45.

(13) أنظر تفصيل الموضوع في معالم إسلامية 44 و 47 الاستقما 38/8.

كيف أسس المولى إسماعيل جيش البخاري

لقد قام المولى إسماعيل بخطوة هامة قبل تأسيس جيش عبيد البخاري، إذ بادر إلى تجميع وتوحيد جيش الودايا الذي كان يضم أهل السوس، وأهل المغافرة، وأهل الودايا، وصيرهم جيشا واحدا جمعهم له أبو الشفرة من قبائل الحوز فأثبتهم في الديوان وقلهم إلى مكناس.

فلما دخل المولى إسماعيل إلى مراكش، ودانت له بالطاعة والولاء أخذ يكتب عسكره من القبائل الأحرار، فأطلعه كاتبه الباشا أبو حفص عمر بن قاسم عليلش⁽¹⁴⁾ على دفتر أسماء العبيد الذين كانوا عسكرا للمنصور الذهبي وكانوا يعرفون بالحرس الأسود، فقرر جمع شتاتهم من سائر الجهات، وجعلهم الأساس في تكوين جيشه العتيدي عبيد البخاري، واستغنى به عن الانتصار بالقبائل.

لقد كان هذا الجيش من أعظم جيوش الدولة العلوية إذ أشرف السلطان إسماعيل بنفسه على إنشائه وتنظيمه وتموينه، وأراد أن يجعله قويا مهيبا على نحو جيش الانكشارية الذي ألفه السلطان سليمان القانوني المتوفى سنة (1566 م) وقد تم له ذلك بمؤازرة الباشا أبي حفص عمر بن قاسم المراكشي عليلش الذي كان يتوفر على دفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور الذهبي، فجعله السلطان من حاشيته، وسأله هل بقي منهم أحد؟ قال: «نعم كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وقبائل الدير، ولو أمرني مولانا بجمعهم لجمعهم، فولاه أمرهم وكتب له إلى قواد القبائل يأمرهم بشد عضده وإعانتة على ما هو بصدده، فأخذ عليلش يبحث عنهم ويجمعهم ويتبع أثرهم إلى أن جمعهم وحملهم إلى حضرة السلطان بمكناس، فأعطاهم السلاح وكساهم وأجرى عليهم

مؤنهم، وولى عليهم قوادهم، ووزعهم في أماكن نزولهم وإقامتهم، وعين عليهم قاضيا هو الفقيه محمد بن العياشي المكناسي وسماه قاضي القضاة للفصل فيما يقع بينهم من منازعات وخصومات. وقد كبر أمر جيش عبيد البخاري وعظم شأنه حتى استغنى به المولى إسماعيل عما سواه، وأصبح سنده في حروبه وفتوحه، ومعتمده في دولته وسياسته، وعين منه الولاة والقواد، وما زالت منهم بقايا إلى الآن ضمن الحرس الملكي.

سبب تسميتهم بعبيد البخاري

ميثاق وعهد

إن قيام نظام الحكم في المغرب على الإسلام، واتخاذ البيعة الشرعية أساسه ومعتمده، جعل مرافق الدولة المغربية وأجهزتها ودواليبها تقوم هي نفسها على الإسلام، وبمقتضى أوامره ونواهيه، وعلى هدى مقاصده ومكارمه، مما وفر لبلادنا طوال تاريخها استقرارها ووحدتها ورخاءها. وهكذا استمر خلفاؤنا وملوكنا يحتكمون إلى الإسلام ويأتمرون بأوامر القرآن، ويهتدون بهدى سيد الأنام، وجاءت بيعاتهم مسجلة لهذا الالتزام، مؤكدة لهذا النظام.

ومن هنا نجد المولى إسماعيل عندما اكتمل له اجتماع جيشه، والثمام أعداده، وانتظام أمره، بما يفوق مائة وخمسين ألف رجل، جمع أعيانهم، وأحضر نسخة من صحيح البخاري وخطب فيهم قائلا: «أنا وأتمم عبيد لسنة رسول الله ﷺ وشرعه المجموع في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل» فعاهدوه على ذلك، فأمرهم أن يحتفظوا بتلك النسخة وأن يحملوها عند ركوبهم، ويقدموها أمام حروبهم، فاستمروا على ذلك وعرفوا بعبيد البخاري.⁽¹⁵⁾

(15) الاستقصا 58/7 - 59.

جنى الأزهار.

المنزوع اللطيف في ترجمة مولاي إسماعيل بن الشريف عبد الرحمان بن زيدان ص 148 وما بعدها.

(14) يذكر الأستاذ محمد الفاسي أن اسمه هو محمد لاعتداده على رسالة خطية للباشا المذكور وقعها باسم محمد وجهها إلى الوزير البيهدي.

أنظر مجلة هسبريس تمودة سنة 1962 ص 15 و67.

5) قبائل تامسنا ودكالة جمعت ما عندها من العبيد، وزادت عليهم آخرين بالشراء ممن يملكونهم، وسلحتهم وجهزتهم وأرسلتهم إلى السلطان وكان عددهم أربعة آلاف، وقد ظلت عملية الجمع والتجهيز لأفراد جيش عبيد البخاري مستمرة متجددة، حتى فاق عدد أفراد الجيش مائة وخمسين ألف رجل⁽¹⁶⁾ وقد فرقه على قسمين :

القسم الأول : ويبلغ تعداده ثمانين ألف رجل وزعمهم على قلع المغرب لتوطيد الأمن، وقمع عتاة القبائل المتمردة.

والقسم الثاني : ويبلغ عدد أفراده سبعين ألف رجل، وضعهم بالمحلة يقاتلون ويدافعون كأنهم رجل واحد، يخوضون الملاحم، ويفتحون الفتوح.

وقد بلغ من عناية المولى إسماعيل بهذا الجيش أنه كان يعرفهم بأسمائهم، وأنسابهم، وصفاتهم، ويدفع لهم مرتباتهم بيده، ويتولى استعراضهم بنفسه.⁽¹⁹⁾

وما زالت بقايا هذا الجيش إلى اليوم تستعمل في القصور الملكية، منهم من يعمل في الحرس الملكي، ومنهم من يشتغل في داخل القصور للعناية بالخيل والسيارات وبقية الخدمات وهم المعروفون بالفرايكية، ومنهم أصحاب الوضوء الملكي وغيرهم.⁽²⁰⁾

أسلوب فريد

لم يكتف المولى إسماعيل بجمع العبيد ولم شتاتهم، ولم يستعملهم للسخرة ومختلف الأعمال الشاقة، كما كان الأمر جاريا مع العبيد في كل مكان من العالم، بل اتبع معهم أسلوبا فريدا في تربيتهم وتكوينهم وتعليمهم، وأشرف على ذلك بنفسه، وجعلهم من خاصة أمره واهتمامه، فقد أصدر أمره بالاتيان بمن بلغ أولادهم عشر سنين ذكورا وإناثا.

وهكذا اتخذ المغاربة صحيح البخاري ميثاق عمل، ورمز وحدة بين الرعية والقائد، وبين الجند وملكهم، مما يدل على المنزلة العظيمة التي بلغها صحيح البخاري. والمقام الكبير الذي لم يبلغه عندهم أي كتاب آخر غير القرآن، وهو دليل قوي ورمز عظيم على تمسك المغاربة بدينهم، واعتزازهم بسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام.⁽¹⁶⁾

تعبئة شاملة في المملكة

لجمع أفراد الجيش

لقد كان تصميم المولى إسماعيل قويا على تعبئة جميع عماله ورجاله، لتجميع بقايا الحرس الأسود من جيش المنصور الذهبي وغيرهم، بل إن السلطان نفسه جمع ألفي معتق منهم في حملته سنة 1089 / 1678، عندما غزا الصحراء وتخوم السودان، فجهزهم وسلحهم، وعين عليهم رؤساءهم وبعثهم إلى المحلة.

وقد تضمنت حملة التعبئة هاته كيار رجاله وقواده الذين أرسلهم إلى جهات المملكة نذكر منهم :

1) أبا حفص عمر بن قاسم المراكشي الذي توجه إلى مراكش ونواحيها، حيث بلغ ما جمعه في خلال سنة ثلاثة آلاف عبد، أمره بشراء الإماء للعزاب منهم، ودفع أثمان المملوكات منهن لأربابهن⁽¹⁷⁾ وكساهم ووجههم إليه، فأرسلهم إلى مشرع الرملة من أعمال سلا.

2) أبا عبد الله محمد بن العياشي المكناسي بعثه إلى قبائل الغرب وبنى حسن، وقد جمع ألفي عبد وجههم هو بدوره إلى السلطان.

3) عمال الأقاليم بفاس ومكناس وغيرهما جمعوا ثلاثة آلاف عبد، أرسلوها إلى السلطان فألحقهم بالمحلة.

4) القائد أبا الحسين علي بن عبد الله الريفي صاحب بلاد الهبط. قام بشراء الإماء للعزاب وسلحهم وكساهم ووجههم إلى السلطان.

(19) أنظر تفصيل الموضوع في المنزوع اللطيف ص 151 وما بعدها.
(20) المصدر السابق ص 152 و153.

(16) مدرسة الإمام البخاري في المغرب للكاتب 550/2 - 552.
(17) كان ثمن كل عبد أو أمة عشرة مثاقيل - الاستمقا 57/7.
(18) الاستمقا 58/7.

تربية وتأديب الاماء اللائي وجههن لهم، ويعتبر تكليفهم بمهمة تعليمهم وتربيتهم نعمة من الله تستحق الشكر، حاشا إياهم على عدم السماح لهم بالخروج من غير فائدة، متوعدا بأن من خالف في ذلك ولم يقم بواجب التربية فإنه تقطع رأسه.

كما أصدر أمره إلى الباشا أن يكتب عنده اسم ومن كل أمة ومن هو عنده.

وأن يحرضه على تعليمها وتأديبها، ويشهد عليه العدول بذلك. وأن من ضيع أمة أو فرط في تعليمها ورعايتها تقطع رأسه، كما جاء ذلك مفصلا في الظهير الملكي الذي كتبه للسيد الطاهر معينو وأهل سلا في هذا الشأن بتاريخ رابع ربيع النبوي المبارك عام 1137 هـ.⁽²¹⁾

وقد كان المولى إسماعيل يتبع طريقة شرعية في جمع المصاليك من القبائل المذكورة والذين بلغ عددهم 221320 من ذكور وإناث، وكهول وصبيان، وصغير وكبير، بالشراء الصحيح من أصحابهم حتى بلغ المال المدفوع في شرائهم لأربابهم ألف قنطار من الدراهم الفضية، وبعضهم قبض الثمن ذهباً، وبعضهم الآخر قبض القيمة إبلا وبقرا وغنما.

وقد كان الشراء يتم بعد موافقة أهل العلم والورع وتوقيعاتهم على رسوم الشراء التي تحرر من طرف العدول، وإشهاد القاضي عليها.⁽²²⁾

☆☆☆

لقد رمى المولى إسماعيل من تأسيس جيش عبيد البخاري، وتنظيمه وشديد العناية به ورعايته، أن يستغنى به عن العصبية القبلية التي كانت معتمد بعض ملوكنا السابقين، هذه المبادرة الإسماعيلية التي وفرت للمغرب جيشا قويا منظما موحد يحرس حدوده، ويقوى سلطانه،

فأما الإناث فيفرقن على نساءه وذوي الحثيات العارفين بالتربية والآداب الملكية، لتهديب أخلاقهن، والتأديب بالآداب السلطانية، وتعلم أنواع الطبخ والخياطة وسائر الأشغال البيتية الملكية.

وأما الذكور فيفرقون على الصنائع والحرف كالبناء والنجارة والحدادة والفلاحة، ويلزمون بركوب الحمر تدريبا لهم على الفروسية فإذا بلغوا الحادية عشرة من السنين ألزمهم بركوب البغال التي تحمل الجير والأجر والزليج لبناء قصوره.

فإذا بلغوا الثانية عشرة ألزمهم بضرب المراكز، وخدمة ألواح البناء، تدريبا لهم على تحمل الأعباء الشاقة.

فإذا أكملوا الثالثة عشرة دفعهم إلى الجندية وكساحم ودفع لهم السلاح ليشتغلوا بالخدمات العسكرية، ويتعلموا فنونها راجلين.

فإذا بلغوا الرابعة عشرة دفع الخيل لهم دون سروج، وألزمهم ركوبها في بكرة وعشى، ويتعلمون الكر والفر والسباق حتى يتقنونه.

فإذا بلغوا الخامسة عشرة دفعت لهم السروج، وألزموا تعلم الكر والفر والسباق والرماية عليها.

فإذا بلغوا السادسة عشرة صاروا من جملة الجند تجري عليهم الجرايات، ويكتبون في الديوان، ويزوجهم بالبنات اللائي جئن معهم، ويدفع للرجل عشرة مثاقيل، وللمرأة خمسة مثاقيل، ويعين واحد من آبائهم الكبار رئيسا عليهم، ويعطيه من المال ما يكفي لبناء دور لسكناهم ثم يوجههم إلى الرملة. ولم يقتصر المولى إسماعيل على هذا المنهج التربوي الصارم، الذي اتبعه وحافظ عليه في تربية أفراد جيش البخاري وأبنائهم، بل ظل يراقب ويتتبع ذلك، ويوجه الظهائر للمسؤولين ولذوي الحثيات، يحضهم على

(21) أنظر تفصيل ذلك في الرسالة الملكية إلى الطاهر معينو المنزوع اللطيف ص 150 - 152 مخطوط الخزنة الحسنية عدد 12155.

(22) أنظر رسوم الأثرية المذكورة في جنس الأزهار ص 8 - 17.

ويسند عرشه، ويحمى حوزته، وقد بلغ من علاقته وعنايته بجيشه أن اختصه لنفسه فلم يكونوا يعرفون سواه، ولم يكن هو نفسه يترك أمر هذا الجيش لغيره، حتى اعتبر المؤرخون جيش البخاري من أسباب طول حكمه⁽²³⁾ وامتداد امبراطوريته، واتساع أطرافها وتقوؤها وقوتها، كما سجل ذلك أحد ضباطه طوماس بيللو بقوله :

لقد حافظ مولاي إسماعيل على امبراطوريته الواسعة، التي تتألف من عدة ممالك ضمت بعضها إلى بعض في سلام وهدوء واطمئنان... لقد ضمت امبراطوريته بين جوانبها، جميع ذلك القطر الذي كان يسميه الرومان بموريطانيا الطنجية، مع مقاطعات أخرى إلى الجنوب موازية للرأس الأبيض، حيث تحد ببلاد العبيد جنوبا، وبالبحر الأبيض المتوسط شمالا، وكانت تحدها من الشرق مملكة الجزائر، وجزء من بلاد الجريد، ومن الغرب المحيط الكبير، مشتملة بذلك على ممالك فاس، ومراكش، وتافيلالت، وسجلماسة، ودرعة، وسوس، ثم تلمسان.⁽²⁴⁾

المولى إسماعيل معلمة

الدولة العلوية ورائدها

لعل تاريخنا المغربي العريق لم يعرف ندا للمولى إسماعيل في شدة بأسه، وعزة ملكه، واستقرار دولته، وانتشار

نفوذه وسلطانه، ومدة ملكه، عدا يوسف بن تاشفين الذي كان تاجا على رأس الدولة المرابطية، وأسدا من أسد الله في الجهاد والنضال، مما يجعل المولى إسماعيل مرسى أسس الدولة العلوية، وبناني أمجادها، ورافع بنودها وأعلامها، ومحقق انتصاراتها وإنجازاتها، وصاحب الدولة والسلطان في تاريخها، والذي لو لم يكن له من أمجاد وأعمال إلا هذا الجيش العتيق الذي أقامه وبنى أسسه على هدى سنة رسول الله، التي جعل منها عهدا وميثاقا، ورمزا خالدا لتمسك ملوكنا بدينهم، واعتزازهم بإسلامهم.

وهكذا كان عهد هذا الملك العظيم عهدا مزدهرا مشرقا، مليئا بجلائل الأعمال وعظيم الإصلاحات، تطبعه سيرته الكريمة، وعزمه القوي، وهمة العالية وطموحه العظيم، فكان بحق بطلا من أبطال تاريخنا، وقائدا محتكما من أعظم قاداتنا، ومصلحا كبيرا جدد لأمتنا ودولتنا شبابها ومجدها، حتى أصبحت على كل لسان وصار يخشاها الخاص والعام، وتوطدت علاقاتها وصلاتها بالدول والأقطار وسعت للتقرب منها وكسب ودها، حيث بذلت من أجله أقصى الغايات، كل ذلك بفضل هذا القائد العظيم، والملك المصلح الكريم، الذي سيظل معلمة خالدة من معالم تاريخنا، ومثلا حيا رائعا لأجيالنا، وقدوة صالحة رائدة لملوكنا وحكامنا.

سلا : يوسف الكتاني

(23) مختصر تاريخ المغرب، كوستافيو كاينت ص 113.

(24) مقامرات ص 136.

انطباعات تلميذ بالابتدائي عام 1944

مُساهمة ثانوية مولاي يوسف بالرباط في الكفاح الوطني وعناية محمد الخامس بسليبيها

لأستاذ أحمد مصطفى عاشور

المدارس الحكومية، التابعة لإدارة التعليم العمومي، التي كانت تعد على رؤوس الأصابع، وقد كان جل أولياء التلاميذ يعتقدونها بؤرة لإفساد الأخلاق، وتلقين الكفر والزيف والإلحاد، وأثناء الحرب العالمية الثانية، غادر كثير من المعلمين الفرنسيين المدارس المغربية، ليلتحقوا بجهة القتال، ضد النازيين، دفاعا عن وطنهم، الذي سقط بسهولة، أمام الزحف الألماني مع أنهم بصفتهم أوروبيين، كانوا متكافئين في أغلبية الميادين. أما في الشجاعة والإقدام، فقد كان الله وما يزال أعلم بذلك... فاضطرت إدارة التعليم إلى تعويض الذكور المجندين، بالنساء والأونس الفرنسيات، ريثما تضع الحرب أوزارها. مما تسبب إذذاك في تدهور سير المؤسسات التعليمية القليلة العدد، وانخفاض مردودية نتائجها وبعد انتصار الحلفاء، وكان للجنود المغاربة، دور كبير في ذلك، عاد الفرنسيون، الذين سلموا بأعجوبة من الموت، إلى مدارسهم، ليقتصوا لتلاميذهم الصبيان، صورا من مصائب قومهم، ووحشية أعدائهم

إذا كانت المدارس الحرة قد لعبت دورا هاما في الميدانين التربوي والوطني، وتعرضت لكثير من الأتعاب والمحن، فإن ثانوية مولاي يوسف بالعاصمة، كمثيلتها الإدريسية بفاس، قد ساهمت مساهمة فعالة في التوعية والنضال الوطني، وأنجبت رجالات وشخصيات، فرضت وجودها، وقدمت خدمات... وذلك بفضل رعاية محمد الخامس، رحمه الله للحركة العلمية، وبعمل المريرين المخلصين أيضا، الذين كانوا في ظروف عسيرة يجدون لإتقاذ الناشئين من الجهل والغواية، وإعداد شبان متعلمين واعين، ولاشك أن معهدنا اليوسفي قد أسس في عهد السلطان المقدس، مولاي يوسف بن الحسن الأول رحمهما الله. وكان الآباء الأولون، يجلسون به أبناءهم، رغم تقدم سنهم قليلا إذ لم تكن هناك مقاييس للتسجيل، بالمعنى الذي نعرفه اليوم. فالمغاربة كانوا، على ما يظهر مضطرين لإبقاء أبنائهم في الكتاتيب القرآنية، إلى أن يشيخوا، أو توجيههم إما إلى حلقات الدروس العلمية بالمساجد، أو إلى

الجرمانيين، أولئك الذين قالوا عنهم، إنهم لم يرحموا الأطفال والمرضى، ولم يحترموا العجزة والنساء. وكان المتعلمون الصغار، يضعون إلى معلمهم، فيتأثرون، وبعد رجوعهم إلى منازلهم، يحكون بدورهم ما تلقوه من أخبار عن أهوال الحرب وويلاتها وكان الأذكىء بالابتدائي، كعبد اللطيف عاشور - رحمه الله - وعبد الكريم الجزولي، وعبد الفتاح الرجرجاني يناقشون مدرسيهم الأجانب في الموضوعات التي تتعلق بالوطن والاستعمار، ويشعرونهم، غير مباشرة بأن الاحتلال الذي تسبب للفرنسيين بالأمس القريب في أنواع من الفظائع، هو نفسه الذي يعاني منه المغاربة في قعر ديارهم وكان الناجون من نيران المدافع، يندهشون لأفكار هؤلاء الصبيان المشاغبين، ويتضايقون أحيانا من صراحتهم وتجربتهم، وخروجهم عن الموضوع، وتعديهم الحدود، ونطاق المعقول. ولقد كان لعبد اللطيف عاشور، وعبد الكريم الجزولي، وعبد الفتاح الرجرجاني، أشباه وأمثال في بعض الأقسام من ابتدائية مولاي يوسف وثانويتها، يحملون أفكار الرجال، وتجارب الشيوخ، وغيره المومنين الصادقين، وكان من البلاد أن لا يتحرك هؤلاء الناشئون في محيطهم، ولا يشخصوا تلقائيا أدوارهم. ذلك أنهم، رغم صغر سنهم، تلاميذ ينتسبون إلى أوساط وأسر، لها وزنها وثقلها والصفار، قبل كل شيء هم سر آبائهم، كما يقولون، وصور طبق الأصل لذويهم، فالمرحوم عبد اللطيف بن الحاج عبد الحميد عاشور، هو ابن فقيه، عرف رحمه الله، بالخيار والاستقامة، وكان ينتسب إلى طريقة «الشيخ سيدي فتح الله بناني» الصوفية، التي كانت ترفض الاتصال والتعامل مع الاستعمار، على حساب المصلحة العليا للبلاد. كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد الرشيد ملين، شفاه الله، في الجزء الثاني من نضال ملك ص : 147 - وعبد الكريم الجزولي أشرف على تربيته أخوه الأكبر شاعر الرباط، الأستاذ سيدي محمد الجزولي، الذي شرفه الله بأن يكون من الموقعين على وثيقة 11 يناير 1944. كما كان كاف لعبد الفتاح الرجرجاني، أن يبرهن على أنه شقيق الأستاذ

الفقيه سيدي محمد الرجرجاني، الذي تخرج على يديه عدد لا يستهان به من المثقفين. وذلك بفضل منهجه التربوي الموفق الناجح، الأمر الذي جعله يلتحق بالمدرسة المولوية، التابعة للقصر الملكي، لمتابعة رسالته النبيلة، لخدمة أشبال محمد الخامس، قدس الله روحه، وإعدادهم - حسب توجيهات والدهم العاهل المصلح - للتعبير بواجبهم في الحياة الدنيا، وعلى رأسهم، ولي العهد إذذاك، جلالته الملك الحسن الثاني، وصنوه الأمير، مولاي عبد الله - رحمه الله - مع نخبة من أبناء الشعب النجباء، هذا وبعد مغادرة الفقيه الرجرجاني للمعهد اليوسفي، قدر لثلاثة من زملاء له مثقفين، أن يعينوا به، ويسيروا في نفس خطته الواضحة، واتجاهه الرصين، ويعملوا بإخلاصه وصدقته، وهؤلاء المرربون هم الأستاذ النابغة سيدي عبد الكريم القلوس، رحمه الله، وزميله، الأستاذ السيد عبد الموجود الإيلالي، أحد تلامذة المحدث سيدي المدني بن الحسني، رضي الله عنه، والفقيه سيدي محمد العروسي - المدعو بالجبلي - والأستاذ المقدم السيد الهاشمي بناني المدير العام للمنتظمة العربية، هؤلاء، درسوا بالقسم البيداغوجي، الذي كان مقره بثانوية مولاي يوسف، وكانوا من أوائل متخرجيه، يضاف إليهم، فقهاء محترمون، قاموا بواجبهم خير قيام، وهم السادة، محمد فرج، اللوز، وعبد العزيز لحو، رحمهما الله، والسيد محمد بنسعيد السلوي. وكلهم كانوا أكفاء وأمناء، ومثالا يقتدى بهم في التربية والتبليغ والسلوك والأخلاق وكان محمد الخامس يتصل بالمربين والأساتذة الذين عرفوا كثيرا باستقامتهم، وجاهروا بوطنيتهم وكانت اتصالاته الكريمة، تستغرق بعض الدقائق، ولكنها كانت تحمل في طياتها فوائد وإيجابيات، ولقد عرف الأستاذان عبد الكريم وعبد الموجود نوعا من هذه الاتصالات المحمدية، التي كان لها مغزى وأهداف، لصالح التعليم والمتعلمين والمعلمين على السواء. كما كان العاهل المغربي، طيب الله ثراه، يمر أحيانا في الصباح الباكر، بباب المعهد، مشيا

على الأقدام، فيهتف له من يكتشف مرور»، ويتعرف على وجهه الصبوح. وكان أكثر ديناميكية ونشاطا وتحركا في الميادين التي كان يراها تعود بالخير والنفع، وتساعد على التحرر والخلاص، وتعمل لصالح الوطن والمواطنين. ولم يكن يخشى عيون الاستعمار وطابوره الخامس، وبيادقه المباشرة في كل مكان، وعملاءه المختلفين خلف ألقاب جوفاء، وأجسامها الضخمة، ووجوهها النحسة، تلك التي لم تكن مجهولة لدى قائد عظيم، ومحرر واع، وملك مومن، كمحمد الخامس، الذي كان ينظر بنور الله، ويتكل عليه في أعماله ونضالاته، لإنفاذ المعذبين في الأرض، كان إذا قال فعل، وإذا خطط نفذ وإذا حوَصر شعبه، أوجد له بتوفيق من الله، منفذا ومخرجا. وكأنه كان يقول للاستعماريين وعملائهم، أنتم تعملون بطريقتكم لتجهيل الشعب وتنويم الشباب وإفساده، وأنتم فاشلون مسبقا في أدواركم الشيطانية، ومحاولاتكم اليائسة. وأنا بفضل الله، موفق في حركاتي واتصالاتي بأفراد شعبي، الملتف حول عرشي المنيف، وسهري على إعداد ناشئة مملكتي، فليعمل كل واحد من مجانينكم ما يريد... فربنا الأحد الصمد، أعلم بمن هو أهدي سبيلا، والبقاء للأصلح. والخزي والنزوال للفساد والمكر.

☆☆☆

كان تلاميذ معهد مولاي يوسف يحظون، صباح يوم الثامن عشر نونبر، من كل سنة، بالحضور إلى القصر الملكي، للاستماع إلى خطاب العرش، ومساء، يشاركون في الحفلات الشعبية التي يقيمها وطنيو عدوتي الرباط وسلا. فتلقى فيها الخطب الرنانة، والقصائد الطنانة، ويردد خلالها الشبّاب. الأناشيد الحماسية، والشعارات الوطنية، فإذا يمّموا في اليوم التالي مدرستهم، وحضروا دروسهم، شعروا

بارتفاع في معنويتهم، واعتزاز بمغربيّتهم، واستحضروا ما استفادوه من خطاب العرش، وزودوا به من إيضاحات ومعلومات، كانوا يستخدمونها عند الحاجة والضرورة، إذا سوا في شرفهم، أو سمعوا لغوا في حق مقدسات بلادهم.

وبالإضافة إلى أن سيدي عبد الكريم الفلوس، كان يث عبر دروسه، حب الوطن والإخلاص للمدين، والوفاء لعرش محمد الخامس، والتضحية بكل نفيس من أجل هذه المبادئ المقدسة، والشعارات الوطنية، التي توحد القلوب، وتجمع الشمل، وتعزز الصفوف، ويأتي بأمثلة ملموسة من تاريخ المسلمين والبلدان الحرة التي ناضلت وحررت أوطانها من الأبريالية والاحتلال. وكان السيد عبد الموجود في حصصه يتأثر إذا قارن بين ماضي المغرب المجيد، وحاضرته المتدهور، إثر سقوطه في الحضيض، على يدخونة ومرترقين، ومتأمرين استعماريين، ويدعو طلابه إلى الإقبال على الجد والاجتهاد والتحصيل، للتحرر من الجهل والخرافات، لتصل البلاد إلى مصاف الدول الراقية المتطورة، أما الفقيه العروسي، فكان إذا أتم عمله، تحدث عن أخطار الاستعمار الفرنسي الإسباني. ويركز على مساوئ المقيم العام الفرنسي م.بيور، وتصرفاته الخرقاء تجاه الشعب المغربي، ويؤكد لسامعيه أن الوجود الأجنبي، على وشك لفظ أنفاسه الأخيرة بأرض المغرب. ويثني الثناء العطر على قيادة محمد الخامس الرشيدة لتحرير المغرب كما كان تلاميذ السيد الهاشمي بناني يحبونه ويوقرونه ويثقون في أقواله ونصائحه، وذلك لوطنيته وإخلاصه لمهنته حفظه الله.

وباختصار، فقد كان هؤلاء المرَبون، يلتقون حول العمل الجدي، والإخلاص للإسلام والوطن والعرش، عن طريق تربية تلاميذهم، حسب إرشادات محمد الخامس الذي كان يوصي بإعداد الجيل الصاعد إعدادا يتفق وطموحات الشعب الكبيرة وآماله العريضة، ومتمنياته الغالية، في التخلص من الجهالة والخيانة اللتين هما مصدر انحطاط الشعوب وتأخرها وانهازمها، حتى إذا طالب الوطنيون باسترجاع عهد الحرية



مجموعة من أساتذة كولييج مولاي يوسف بالرباط في بداية الثلاثينيات، وتضم الأساتذة السادة من أعلى على اليمين : عبد العزيز لعلو، وعبد القادر الخلافي، وابن يعقوب، والطيب الصديقي، وعبد الرزاق البرنومي، والسيد بنعبد النبي، ومحمد افرج (اللوز)، وعمر بدري..



تلاميذ السلك الأول الثانوي بكولييج مولاي يوسف 1932

والاستقلال، بالاتفاق مع عاهل البلاد، كما هو معلوم ومخطط، انتهز مربونا المذكورون أنفا، الفرصة التاريخية السعيدة، فأسهوا في الحديث عن أحقاب المغرب الماضية، ومالعه فيها من أدوار حاسمة، أبطال عظام وملوك أماجد، وكان قصد هؤلاء المعلمين من ذلك، تذكير رجال المستقبل بعظمة وطنهم، وبوعي محمد الخامس كملك مصلح كان ينجم مع شعبه في نضالاته ضد المستعمرين، ويقاسمه آلامه ومعاناته، ويؤيد مطالبه العادلة، وحقوقه في الحياة الحرة الكريمة، وفي الانعتاق نهائياً من حكم دخيل استبدادي، مبني على القمع والجور والظلم واختلاس أرزاق العباد وخيرات البلاد، وإهانة الإنسان الذي كرمه الله في الأرض أيما تكريم.

☆☆☆

ويحل يوم التاسع والعشرين من يناير 1944 بويلاته وأخطاره، كما خطط له أبالسة الإقامة العامة ومهندسو «الشؤون السياسية الأهلية»، وتمناه الخونة المرتدون. ولم تكد شمس الصباح ترسل أشعتها الفضية على الوجود، حتى اختطف الاستعماريون السفاكون الزعيم الأستاذ المجاهد الحاج أحمد بلافريج، وكاهيته، المناضل الشعبي، الأستاذ محمد البيزدي، وزميليهما في الكفاح، الأخوين الشقيقين المخلصين سيدي إدريس وسيدي المختار رودياس. فانتشر النيا في العاصمة كالصاعقة. وذهل الناس من جراء الفعلة الشنعاء، والهجمة الحرقاء. وكنت تقرأ في أعين المارين، وأنت تقطع الطرزيق، سمة الاستنكار والغضب، وتترقب على الأقل، صدور احتجاج من طرف السكان والجماهير الوطنية ضد هذا التصرف البوليسي الوضع، وعلى الأكثر، حدوث مظاهرة عارمة تعرب عن الاستياء والسخط على ساسة فرنسا، الذين تنكروا للعهود والمواثيق، ورفضوا تسليم السلطة الشرعية إلى ملك البلاد، محمد الخامس رضوان الله عليه وذلك ما حصل بالفعل بعد سويغات، فبمجرد ولوج تلاميذ معهد مولاي يوسف أقسامهم، وشروعهم في أداء واجباتهم وإجراء تعاريفهم، حمل الصدى لأسماعهم، هتافات

المتظاهرين المتجهين إلى القصر الملكي العامر، ملجأ المضطهدين والمظلومين وحامي الشعب من طغيان الحكام الجائرين. وكان من المنتظر أن يعلق المعلمون الوطنيون على الحدث الخطير لأنهم كانوا، كما رأينا، يقومون بواجبهم خير قيام، ويزنون كلامهم، ولا يحرضون على إثارة الشغب والفوضى، كما كان بعض المعلمين الفرنسيين ظرفاء ولبيقين مع تلاميذهم «كمدام سينيستي» «وم. لوكارني» ومن كان يشابههما في سلوكهما، وفي جو هذا الصباح المكفهر، دق الجرس، معلنا بذلك عن انتهاء حصص الدروس، وعند خروج التلاميذ من الأقسام مع معلمهم، فوجئوا بتواجد المدير «م. روكس» بالساحة. فأمر مساعديه بجمع الأطفال. ففعلوا... ثم بعد ذلك، أوقف بجانبه في لطف السيد عبد الكريم الفلوس، وعبد الموجود الإيلالي، وأطلق العنان لصوته الجهوري مخاطباً الصغار باللهجة الدارجة المغربية ونصحهم بالذهاب إلى دورهم، وعدم اشتغالهم بما لا يعينهم، وبالرجوع بعد الغداء إلى مدرستهم، دون بطء أو تأخر ولم يزد شيئاً على ذلك فلم يعقب عليه أحد... إلا أن التلاميذ الخارجيين، بعد تخطيهم عتبة المؤسسة، أسرعوا لتقائياً، فرادى وزرافات، نحو القصر الملكي، دون أن يسوقهم وكان بعض الجواسيس الفرنسيين والمغاربة الأشقياء، واقفين بباب السفراء. فلم يتدخلوا، ولم يمنعوا ماراً، ولا اعتدوا على أحد، وكان شغلهم الشاغل، كما هو معروف، يهدف إلى التعرف على وجوه المشاركين، ليقتنصوهم، بعد هدوء الزوبعة. وبعد وصول صغارنا الخارجيين في أمن وسلام إلى دار المخزن، التحق بهم التلاميذ الداخليون. وكان الأستاذ رحمه الله «محمد المدور» المجاهد محمولا على الأكتاف، يرتجل كلمة حماسية. انتقد فيها سياسة المستعمرين وتصرفاتهم. ولوحظ أن موظفي المكاتب قد وقفوا بأبوابها صامتين، ينظرون دون أن ينضموا إلى الجماهير الغفيرة. وحالما فرغ الأستاذ من ارتجاله، امتلأ الجو بالضجيج. فبلغ للذين كانوا بعيدين عن قلب المعركة، أن الفقيه المعمرى فاه بكلام غير متزن، في حق



تلاميذة كوليج مولاي يوسف القسم الخارجي



مجموعة من أساتذة كوليج مولاي يوسف فرنسيين ومغاربة، ويظهر في الصف الأول من اليمين الأستاذ السيد محيي الدين المشرفي، والأستاذ المجاهد السيد محمد بن زيان شفاه الله.

هذا، وبعد انتفاضة سكان الرباط التاريخية الموفقة، التي ساهم فيها تلاميذ مولاي يوسف بطورها الابتدائي والثانوي تضامنا مع الشعب، الملفت حول قائد البلاد، لاسترجاع حريته الغالية، أوقفت مديرية التعليم العمومي الدراسة بمولاي يوسف إلى أجل غير مسمى، نظرا لتعرض مدير هام «روكس» إلى ضرر يؤسف له، أثناء خروج الداخلين، والتحاقهم بزملائهم الخارجيين، في القصر الملكي، فنظم بعض المعلمين والأساتذة بعض الدروس، وتطوعوا لإلقائها في المنازل فكان «السيد الجيلالي مدون» رحمه الله، يستقبل بيئته وفود المتعلمين، ويفضل عليهم بدرس في الفرنسية والحساب وكان سيدي عبد الكريم الفلوس، نور الله قبره، هو الآخر يلقي في مادته درسا بمنزل قاضي الرباط والوزير الراحل السيد محمد الرندة بشارع الجزاء، وكان السيد عبد الموجود الإيلالي يساهم بدروس في النحو والنصوص الأدبية بالمدرسة الرحمانية كما كان الأستاذ محمد الرشيد ملين، لطف الله به، يقدم عروضاً في تاريخ الأدب، في نفس المدرسة، وكان العلامة، سيدي محمد بلمهدي العلوي يعززها بحصتين في النصوص والبلاغة وبذلك لم يترك هؤلاء المربون الملتمسون أبناء شعبهم يتسكعون في الطرقات، لكن بعد مرور أسابيع، أذنت الإدارة لثانوية مولاي يوسف بفتح أبوابها للتلاميذ ففوجئ هؤلاء، في اليوم الأول أولاً : بمرور كاهية المدير «م. ماني»، عبر الأقسام الابتدائية - وكان إنساناً هادئاً وظريفاً - وحث الصغار على الاشتغال بدروسهم، وترك السياسة للرجال ذوي اللحي، وثانياً : بتغيّب سيدي عبد الكريم الفلوس وزميله السيد عبد الموجود الإيلالي، وإعفاثهما من وظائفهما - كما حدث ذلك في إدارات أخرى لموظفين وطنيين - فاضطر الأول إلى متابعة مهمته التربوية في المدارس الحرة، واستغنى نهائياً رحمه الله عن العمل بابتدائية مولاي يوسف، أما الثاني، فقد أتاحت له

الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج، مما دفع ببعض الساخطين أن يعاملوه معاملة سيئة، في وقت كان عليه أن يتجنب كل ما من شأنه أن يزيد في الطين بلة، ويعرضه إلى ما لا تحمد عقباه. ولكنه رحمه الله، ذهب ضحية مؤامرة خبيثة، دبرها ضده دون شك، سياسيون استعماريون خساس، كانوا يحقدون عليه لتفانيه في خدمة محمد الخامس، ورغم ذلك، صمد الشيخ أمام الإعصار، وأعرب عن تعلقه ومحبته واستقامته. في هذا الوقت، حاول الأستاذ محمد الرشيد ملين في كلمة ارتجلها، أن يدعو إلى الهدوء ومعالجة الأمور بحكمة، ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح، إذ كان غضب الناس وسخطهم على المختطفين الاستعماريين أقوى من كل دعوة.^(*)

ولم يهدأ الهيجان إلا بعد أن أحضر «بونيفاس»، وأنتفه راغم، الأستاذ اليزيدي مرتديا جلبابه الصوفية، وحينما مثل أمام العاهل المغربي، وتلقى من جلالته فحوى الإجراء الذي اتخذه للدفاع عن الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج المتهم من طرف الفرنسيين، انتقاماً لهم منه على دوره الكبير في المطالبة باسترجاع عهد الحرية والاستقلال وتَوَّأ أبلغ اليزيدي نص القرار الملكي إلى علم المتجمهرين، وطلب «نهم» حسب جلالة الملك الحفاظ على النظام وضبط الأعصاب فقوبلت المبادرة الملكية والالتفاتة المحمدية بهتافات عظيمة. ثم غادر الجمع ساحة القصر في ارتياح وتفاؤل. وعند وصولهم إلى باب المدينة، بدأت عناصر الشعب وعملاء الاستعمار المقدسون، يقومون بدورهم لتعريض المسالمين إلى نيران بنادق الجنود السينيغاليين الذين أزهقوا بعض الأرواح، وكان من بين الضحايا، شقيق صديقنا المقرئ السيد عبد الحميد احساين، الطفل الصديق احساين رحمه الله فكان على المغاربة الغزل، أن يدافعوا عن أنفسهم وإخوانهم، برميهم أعداء الله، بحجارات وحصى دقيقة وصغيرة كان لها بعض الأهداف والآثار...

* (راجع في الموضوع الجزء الأول من «فضال ملك»، للأستاذ الرشيد ملين، وأيضاً «صفحة من صفحات الماضي للكتلة» للأستاذ عبد الله الجراي، رحمه الله ص : 38.

كان في طبيعتهم «عبد الكريم الجزولي» الذي أرسل إلى فرنسا من طرف أسرته، لمتابعة دراسته، وعبد الفتاح الرجراجي الذي استطاع هو الآخر، أن يبرهن على ذكائه ويعود إلى معهد مولاي يوسف - رغم أنف الاستعمار - ليشارك في مباراة الدخول إلى القسم البيداغوجي، ويتخرج منه، بل ويدرس به كعنصر هام وأستاذ أصبح يحسب له حسابه في ميدان التربية والتعليم.

الفرصة ليصبح مديرا للمدرسة الرحمانية الحرة، وبعد رجوع المياه إلى مجاريها عاد إلى وظيفه الرسمي. وبالنسبة لتلاميذ الابتدائي، فقد ألقى القبض على فريق منهم، وحوكموا في المحاكم، الباشوية التقليدية محاكمة صورية وسجنوا ظلما وعدوانا، وفريق ثان حرمتهم الإدارة الاستعمارية من متابعة دراستهم، ليقظتهم ووعيمهم وارتباط ذويهم بخدمة وطنهم، وإخلاصهم لملك بلادهم،

الرباط : أحمد مصطفى عاشور



المدخل الرئيسي لكوليج مولاي يوسف أمام مسجد السنة بالرباط

ظواهر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش من المولى الرشيد إلى المغفور له محمد الخامس

للدكتور حسن جلاب

عرفت مدينة مراكش رباطات وزوايا عديدة بعد تأسيسها بقليل منها
رباط جبل جيليز في ضاحية المدينة، ورباط أبي إسحاق بباب آيلان،
ورباط الغار بباب اغمات، وزاوية أبي العباس السبتى بحي أكدير...
وستعرف الحركة الصوفية بالمدينة ازدهاراً كبيراً مع ظهور الطريقة
الجزولية، وإنشاء تلامذة الجزولي وأتباعهم لزواياهم بالمدينة، من
أمثال : عبد العزيز التباع، وعبد الكريم الفلاح، ومحمد الغزواني،
وغيرهم...
ومن أشهر الزوايا التي عرفتها المدينة «الزاوية البوعمرية» بحومة
زاوية الحضرة.

خاصة نسه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب⁽³⁾، وكان
المقدمون يتناقلون وصية أبي عمرو بعدم التباهي بالنسب
الشريف، مع ذلك كان الحلفاوي لا يذكر مترجمه وشيخه
الكامل إلا بلفظ «مولاي»⁽⁴⁾.

بن محمد بن موسى بن عمران بن صفوان ابن خالد بن زيد بن عبد
الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الكامل بن الحسن المشي
بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.
(4) شمس المعرفة، مخطوطة خاصة.

مؤسسها :

أبو عمرو بن أحمد الأمين بن قاسم القسطلي
المراكشي⁽¹⁾، في شمس المعرفة أنه قرشي الأصل، أموي
يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان⁽²⁾، وترفع وثيقة

(1) انظر ترجمة أحمد الأمين القسطلي في الأعلام لعباس بن ابراهيم
241/2.

(2) مخطوطة خاصة، ص 48.

(3) نسب أبي عمرو كما ورد في الوثيقة، هو (أبو عمرو بن أحمد الأمين
بن قاسم بن موسى ابن عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى بن سعيد

ولد أبو عمرو سنة 912 هـ بحي قاعة بناهض، وكان والده من تجار الحرير، وأحد أتباع ومريدي الشيخ عبد العزيز التباع⁽⁵⁾.

وكان مداوماً على حضور مجالس العلم حتى بعد كبر سنه، خاصة من تومس فيهم الصلاح. كثير السؤال لهم، حتى إن أحداً منهم قال له ذات يوم (يا سيدي هذه المسائل التي تسألني عنها قل من يبحث اليوم عليها)⁽⁶⁾. ويعتبر عبد الكريم الفلاح أهم شيوخ أبي عمرو في الطريقة، فقد كان ملازماً له ويشيع بين الناس أنه خليفته، كأن يقول: (نهايتنا هي بداية أبي عمرو)⁽⁷⁾.

طريقته :

تباعية، جزولية، فقد أخذ أبو عمرو :

- عن عبد الكريم الفلاح،

- عن عبد العزيز التباع،

- عن محمد بن سليمان الجزولي.

ويذكر له الحلفاوي سندا آخر ينتهي إلى زروق :

- عن عبد الكريم الفلاح،

- عن عبد العزيز التباع،

- عن السهلي،

- عن زروق. والمعروف أن السهلي لزم الجزولي أكثر

من لزومه لزروق وهو شيخه الأول في الطريقة⁽⁸⁾.

الزاوية البوعمرية :

فتح أبو عمرو زاويته بحومة حمام الذهب بزاوية

الحضر حوالي سنة 952 هـ. وعرفت منذ تأسيسها إقبالا

كبيراً..

- لقرئها من مسجد ابن يوسف وجامعته التي يقصدها طلبة العلم من كل مكان.

- لمستواها العلمي العالي.

- لما كانت تقدمه لروادها ومريديها من أصناف

المأكولات، حتى قيل بأن عدد المتخرجين على الشيخ بلغ

حوالي سبعة عشر ألف مريد⁽⁹⁾.

كان يلقنهم الأوراد والأذكار التالية :

- ورد الصبح : حزب الفلاح، وحزب البحر، ومجموعة

من التصليات، ووظيفة النجا لزروق، وسورة يس.

- ورد الظهر : حزب الفلاح، الهيللة، الشهادة،

ومجموعة من التصليات.

- ورد المغرب : حزب الفلاح، فاتحة الكتاب، سورة

الإخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسي، ومجموعة من

الدعوات.

- وتلى البردة ليلتي الإثنين والجمعة، وأذكار

الششتري أحياناً⁽¹⁰⁾.

وكانت الزاوية تعرف حلقات الدرس والعلم يتصدرها

الشيخ أبو عمرو، وبعده ابنه الكامل وحفيده محمد الكبير،

وغيرهم من العلماء، أما الكتب التي كانت تدرّس فيها،

فهي :

- الحكم العطائية وشرح محمد بن عباد عليها، كان

أبو عمرو يحلله ويعلق عليه بما يذهل العقول، كما كان

ابنه معجباً بالكتاب يثني على المؤلف والشارح ويعلق

على آرائهما⁽¹¹⁾.

- مختصر الشيخ خليل.

- الحقائق القلبية لزروق

- تنوير ابن عطاء الله.

(5) تحكي كتب التراجم أن والد أبي عمرو وهب للتباع الأرض التي بنى عليها زاويته بحي التجارين، فدعا له أن يرزق ولداً صالحاً، فحملت أم أبي عمرو في تلك الليلة. وبعد ولادته حمل إلى الشيخ لمباركته، فسأل عن اسمه فقيل له : «أبو عمرو» فقال : (نعمره ونشره) ثلاث مرات. انظر شمس المعرفة 52، والأعلام 331/1.

(6) شمس المعرفة 86.

(7) الأعلام 331/1.

(8) شمس المعرفة 43 - 46.

(9) الأعلام 342/1.

(10) انظر الأوراد مفصلة، والدعوات بنصها في كتاب شمس المعرفة

210 - 216.

(11) الأعلام 326/1.

- رائية الشريشي، وشرح محمد الدقاق عليها.

- كلام أبي عمرو في الطريقة : كان الكامل يتناوله بالشرح والتعليق.

وحسب الحلقاوي - أحد تلامذة الزاوية - أن هذه الكتب كانت تدرس في الصباح، أما بعد الظهر فمخصص لتلاوة القرآن الكريم، وبعد العصر تتلى نبذ من الشفا للقاضي عياض، ومن كلام ابن عباد على الحكم.

ومن أبرز خريجي الزاوية البوعمرية :

- أبو بكر المجاطي الدلائي : مؤسس الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط بأمر من شيخه⁽¹²⁾.

- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري التستاوتي، أسس بدوره زاوية ببلاده بعد ملازمة طويلة لشيخه⁽¹³⁾.

- الحسن المداح الزعري : لازمه زهاء ثلاثين سنة، وعنه روى الزروالي كثيرا من أخباره في كتابه شمس القلوب لكل محبوب⁽¹⁴⁾.

تضاف إليهم أسماء عديدة من كبار صوفية القرن الحادي عشر، ذكرهم محمد المهدي الفاسي في التحفة⁽¹⁵⁾.

وبالإضافة إلى العلم والأوراد كانت الزاوية تقدم الطعام لمريديها وطلبتها والوافدين عليها. وفي المصادر تفاصيل عن أصناف الطعام المقدم للناس حسب طبقاتهم وأقاربهم، وما ألفوا تناوله⁽¹⁶⁾.

كان هذا دأب الزاوية منذ تأسيسها إلى فترات متأخرة⁽¹⁷⁾. وكان يعتقد أن أبا عمرو ينهض بذلك بفضل

دعاء شيخه الفلاح (أعطاك الله حالة أهل الجنة ثياب لا تبلى وطعام لا ينقطع)⁽¹⁸⁾، أو بفضل سر خاص به، إلا أن الوثائق التي وقفنا عليها تبين أن لغنى الزاوية واتساع مداخيلها دوراً أساسياً في ذلك، وهي كالتالي :

- المحاصيل الزراعية، وغلل بساتين مراکش : سيدي عباد، المخالص، أحريللي، البطم، التوايز، تلجاسين... وغيرها.

- المعاملات الرعوية مع مسقوية وغيغاية.

- الأكرية الخاصة بالأراضي (اغواطيم) وبالمياه (توريكت، ترزنت، تالينت...)) وبالحوانيت والمحلات التجارية.

- مداخيل الحوانيت والطاحونات والأفرنة والدرازات.

- الهبات والهدايا والأعشار المحمولة للزاوية.

ولا تخفى أهمية هذا الدور الاجتماعي خاصة في فترات الحروب والمجاعات والأوبئة التي عرفتها المدينة.

- علاقة البوعمريين بالملوك :

اختلفت بحسب الظروف والأحوال بين مد وجزر. إلا أن الزاوية البوعمرية في أغلب تاريخها كانت تمثل في مراکش الزاوية الموالية للمخزن والسائرة في خطه السياسي، ولم تعرف اصطدامات حقيقية معه.

وكان شيوخها - باعتبارهم جزوليين أصلاً - ماندين للدولة السعدية مع ما كان يصدر عن أبي عمرو من

يأكل خبز البر وخلامة التمر والعسل واللحم والتريد والدجاج. ومن هو أعلى قدراً من الطيقتين يقربون له الحسو المتخذ من لسان الخبز الخالص، وفصوص البيض مفضوها بالقرفة والزعفران، ولحم الضأن المطبوخ بالمرق... وأنواع الفواكه التي لا توجد في خزائن الملوك.

(17) تحكي الرواية الشفقوية أن المنادي كان ينادي كل عشية عند أبواب المدينة أن من أراد الطعام فليتوجه إلى الزاوية البوعمرية إلى وقت قريب.

(18) الأعلام 331/1.

(12) متع الأبحاث 144 - 147، والصفوة 16، والزاوية الدلائية لمحمد حجي.

(13) متع الأبحاث 143 و 144، الصفوة 9.

(14) الأعلام 149/3.

(15) انظر تحفة أهل الصديقية 53 - 55.

(16) الدوحة 108، جاء فيها «وكانت له همة زفيعة في إطعام الطعام، فلا يدخل أحد زاويته إلا بادر الخدم له بإحضار الطعام على قدر طبقته، فسائر الناس يأكلون خبز الشعير وما وجد من الفاكهة ممها، وفي الصبح الدشيش وفي المساء الكسكس، ومن هو أعلى مرتبة

شطحات يدعي فيها أنه السلطان وصاحب الوقت⁽¹⁹⁾ ومن تنقاد للسلطان السعدي أحمد الأعرج⁽²⁰⁾، فلم تتعرض لزواوية لامتحان محمد الشيخ عند امتحانه للزوايا سنة 958 هـ. ومع انتقاد محمد الكامل للمنصور السعدي أحياناً، نقد كان يكن له الاحترام والإعجاب لأخلاقه ونبوغه⁽²¹⁾. كما كانت الحرة مسعودة والدته تحترمه وتلجأ إليه في لمللمات⁽²²⁾.

وقد تلقوا منهم بانتظام ظهائر التوقير والاحترام : من عبد الله الغالب المعاصر لأبي عمرو، إلى أحمد العباس بن محمد الشيخ آخر السعديين، بلغ عددها سبعة ظهائر⁽²³⁾.

وكانت علاقتهم بالعلويين ممتازة تتجلى :

- في تقديم شيوخهم فروض الطاعة والولاء في المناسبات والأعياد.

- تلقيهم ظهائر التوقير والاحترام، وتجديد كل سلطان لها.

- رعايتهم وتقديم العطايا والهيئات لهم، والعمل على حل ما يطرأ بينهم من نزاعات.

أما الملوك العلويون الذين قدموا لهم رسائل وظهائر فهم :

عدد الظهائر	الملوك
2	المولى الرشيد
1	المولى عبد الله بن اسماعيل
1	المولى محمد بن عبد الله
4	المولى سليمان
2	المولى عبد الرحمن
2	المولى محمد بن عبد الرحمن
2	المولى الحسن
1	المولى عبد العزيز
1	المولى يوسف
1	المولى محمد بن يوسف

وهذه الظهائر أربعة أنواع :

- التوقير والاحترام الموجه للزواوية وشيوخها وتجديد كل سلطان له.

- تعيين مقدم الزواوية أو إقراره في منصبه.

- حل الخصومات الواقعة فيما بينهم أو مع منازعيهم.

- الإنعام عليهم.

ولكل نوع خصائصه ومميزاته تقدم في مجموعها نماذج للكتابة الديوانية المخزنية في العصر العلوي المجيد.

1 - ظهائر التوقير والاحترام، وهي بدورها نوعان :

- صيغة مختصرة، لا تتعدى بضعة أسطر، تشتمل على الأمر باحترام الزواوية وشيوخها وأملاكها دون الدخول في التفاصيل⁽²⁴⁾. وعادة ما تصدر عن ملوك وجهوا أكثر من ظهير توقير للبوعمريين. فتكون هذه الصيغة بمثابة تذكير أو تجديد للظهير المفصل الموجه من قبل.

- الصيغة المفصلة، يتم فيها التوسع في الموضوع، وتتضمن معلومات الظاهر أنها مقتبسة عن الظهائر الأولى التي تلقاها البوعمريون من ملوك الدولة السعدية. ويمكن اعتبار ظهير أبي فارس عبد الله الواثق بالله المؤرخ في منتصف ربيع الثاني عام 1012 هـ⁽²⁵⁾ نموذجاً لهذا الصنف المفصل.

أما مضمونه فيمكن تفصيله كالتالي :

أ) التوقير والاحترام : (... إننا جددنا لهم ما بأيديهم من ظهير مولانا قدسه الله، ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله، وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، والحمل على كاهل المبرة

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

المفصل.

(1) يقصد الجانب الباطني للسلطان والتطبيقية، انظر متع الأشباع 95.

(2) سئل عن تجربته عليه فقال : «أخاف من المذبوح ؟ ووالله إنني أرى الذبحة في عنقه من الأذن إلى الأذن، ووالله إن لم أرفع فريسته لم يرفعها أحد، إشارة إلى مقتله على يد القائد علي بن أبي بكر أزنالك سنة 964 هـ، وبقاء جثته (وجثت أولاده) مطروحة دون أن يجزأ أحد على دفنها، إلى أن قام بذلك أبو عمرو. المتع 96 والاستقصا 32/5 - 35.

(21) شمس المعرفة 206 - 209.

(22) خاصة عندما تأخر ابنها بفاس لإخماد ثورة بعض أقاربه، ووقوع الزلزال في المدينة سنة 995 هـ، فطمأنها وخفف من روعها وأعادها إلى قصرها. شمس المعرفة 354.

(23) محافظة الوثائق البوعمرية.

(24) انظر الوثائق 12/9/6/5، الملحق بهذه المقالة.

(25) محافظة الوثائق البوعمرية.

والانعام⁽²⁶⁾. ويظهر هذا التوقير في عبارات التقدير والإجلال الواردة في حق جدهم، من مثل : البركة، القطب، المرابط، العابد، الخير، القدوة في الأنام... وفي حق أولاده وحفدته : السادات، المرابطين، الأخيار، الأجلة...

(ب) إبقاؤهم على عاداتهم القديمة والحديثة : (... بحيث لا سبيل لمن يمد إليهم في ذلك يد الطلب بوظيف، ويرومهم مزاحم بتعسف أو تكليف موقرين مما يطالب به غيرهم من إحصاء مستفاد أو خرص، منزهين بحول الله من كل شائبة أو نقص، محترمين في كل ما ذكر على العموم والإطلاق... وأبقيناهم على ما عهدوه من سلفنا وتعودوه من تفريق اعشارهم على أيديهم، موكلين فيها على ما جلوا عليه من الأمانة، واشتهروا به من العفاف والديانة⁽²⁷⁾).

وكان تحريرهم من التكاليف المخزنية والوظائف الجماعية ماعدا لهم على التفرغ إلى العلم والعمل الاجتماعي والفلاحة، وغير ذلك... وفي هذا الإطار نص ظهير المغفور له محمد الخامس على إعفائهم من خدمة الطرق التي كانت معروفة في عهد الاستعمار (وحاشيناها من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام⁽²⁸⁾). كما أن إعفاءهم من الأعشار والضرائب دعم التوجه الاجتماعي الإحساني لزاويتهم، فخصصت كل إمكاناتها للإطعام.

(ج) احترام أملاكهم الموجودة داخل مدينة مراكش وخارجها، ورفع أي تزام عليها، ومنع مصادرتها كلا أو جزئا. وقد دأبت الظهائر على تحديدها بأسبائها، ومن ذلك : (وأبقيناهم على كل ما هو على ملكهم، وتحت يدهم من ساقية جدّهم المذكور، الطالع سدها من وادي أزات، وبلدها المعروفة لهم بالويدان، مع أكدير الذي هو بها الشهير لهم هناك. ومن النوبتين الاثنتين من الماء في ليلة الإثنين ويومه من ساقية ترزّينت، وليلة الأربعاء ويومه من

ساقية توريكنت، الطالع سدها من وادي غيغاية، وبلدهما المعروفة لهم بأغطيهم⁽²⁹⁾، وأكدير الشهير لهم بها⁽³⁰⁾).

ويبدو من الظهائر أن الأملاك التي يشار إلى احترامها هي تلك الواردة في وصية أبي عمرو⁽³¹⁾، وأهمها : سيدي عباد، وجنان شرف، وروضة الخير، وماء تدقا، وتلجاسين... وخارجها أرض أكفي بأغواطيم، وماؤها الطالع من ساقيتي ترزّينت وتوريكنت، أما أرض الكفيان بزعيير فقد استثنيت مادام الشيخ قد تصدّق بها على أولاد أخيه الشيخ الوالي.

كما لم تدخل في هذا الإطار الأملاك التي أضافها المقدم محمد (فتحاح) بن محمد الكبير حفيد أبي عمرو والمحصاة سنة 999 هـ، ولا تلك التي أضافها المقدم أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكبير البوعمري المحصاة سنة 1231 هـ، وغيرها من المضافاة المتأخرة بين 1312 و1320 هـ.

ومن مظاهر هذا الاحترام الإشارة الصريحة الواردة في ظهير المولى عبد الله بن اسماعيل (وكما نامر خديمتنا بوشعيب أن يقبض لهم كل ما نهب لهم من مسفوية، بحيث لا يترك لهم شيئا عليهم⁽³²⁾). وقد دخل البوعمريون في نزاعات مع بعض الأفراد من مسفوية وغيغاية من الذين كانوا يستأجرون منهم أرض أكفي بأغواطيم، فكانوا يمتنعون من دفع الإيجار أو يدعون امتلاكهم لبعض القطع الأرضية، خاصة وأن هذه الأرض شاسعة الأطراف تبلغ حوالي ألفي هكتار، ثلثها صالح للفلاحة والباقي مخصص للرعي.

حدث بعض هذه النزاعات خلال سنوات : 1128 هـ، 1148 هـ وهو المذكور في هذا الظهير 1281، 1326، 1348، 1349، 1351 هـ.

(30) الوثيقة 4.

(31) خلف أبو عمرو وصية مهمة سيكون لنا معها لقاء آخر إن شاء الله.

(32) الوثيقة 3.

(26) وثيقة 11، وهي صيغة متكررة في أغلب الظهائر.

(27) وثيقة 1.

(28) وثيقة 17.

(29) تعرف بأغواطيم، على مسافة قريبة من المدينة.

(د) ويشمل التوقير والاحترام - بالإضافة إلى حفدة الشيخ أبي عمرو - كل من احتضى بزايته الكائنة بحومة حمام الذهب في زاوية الحضرة، أو ضريح جدهم بحومة روض العروس. وقد عينت هذه الظواهر حد هذا الحرم بالضبط كما هو منصوص عليه في هذا النموذج: (... وبأن من احترم بضريح جدهم المذكور من دربهم الذي بروض العروس، وبحرم زاويته من حومة حمام الذهب من فحل المفرج إلى فحل بوزناد الموالي باب فندق الأرنجة ودخلها... كان آمناً على نفسه وماله، لا يطالب بشيء مما تطالب به العامة)⁽³³⁾.

وقد تعود الناس على ذلك حتى أن اليوسي عندما وصل ضريح عياض أثناء تجديده لزيارة سبعة رجال بمراكش بتكليف من المولى إسماعيل، تحلق حوله سكان حي باب ايلان وسألوه عن حد «حرم» ضريح عياض، فأجابهم بعبارة المشهورة: (المغرب كله حرم لأبي الفضل)⁽³⁴⁾.

وكان من نتائج ذلك أن اعتكف بعض المجرمين والمحكوم عليهم وكذا المظلومين والخائفين على أنفسهم واحترموا (زاوكوا) في حرم الزاوية أو الضريح. فكانوا يجدون الأمن والغذاء والرعاية. وفي كناشات حسابات الزاوية إشارات إلى الفبالغ التي كانت تصرف على الزاوية، منها بنود خاصة بالمزاوكتين. والظاهر أن هذه المسألة قد شاعت في المدينة نظراً لكثرة الزوايا والأضرحة بها، فأثارت جدلاً بين العلماء في بداية حكم المولى إسماعيل منهم من دعا إلى إخراجهم، والقبض عليهم ولو داخل هذه الملاجئ، في حين دعا البعض الآخر إلى احترام نصوص الظواهر التي تخول الحق للمقدمين في قبولهم وحمايتهم. وحتى لا يتشعب بنا

الحديث نشير إلى موقف المؤرخ المشهور محمد اليفرني في هذا الموضوع، فقد دعا إلى تركهم في ملاجئهم سدا للذرائع ومراعاة للمصالح كما في مذهب مالك، وحثه في ذلك أن (... هذا المغرب كثر فيه الحيف من الولاية في الأموال والدماء وغير ذلك، فجعل المظلومون يلوذون بضرائح الأولياء، فيتحصنون بذلك منهم، لما في أنفسهم من الولاية من تعظيم أمر جانب الأولياء، ولما يرون من العقوبة النازلة بمن يهتك حرمة الأولياء، إذ جرب ذلك حتى صار أمراً محققاً عند الخاص العام، ثم صار من كان ظالماً إذا دخل تلك الأحرام أمن على نفسه ولا يعرض له أحد... فلو كنا نخرج الجناة وأرباب الجرائم لكون الشرع أخرجهم... ربما أدى ذلك إلى إخراج المظلومين لأن الولاية ربما يقيمون عليهم حججاً شرعية، فسد الناس هذا الباب كله رعيًا لهذه المصلحة العامة التي تحققنا فائدتها ورجونا منفعتها)⁽³⁵⁾.

2 - تعيين مقدمي الزاوية أو إقرارهم في مناصبهم :

أوصى الولي أبو عمرو بأن يختار مقدمو زاويته من حفدته المنحدرين من صلب ابنه محمد الكبير، وأن يكون لهم الحق وحدهم في التصرف في مستفادات أملاك الزاوية وما يصلها من هبات وعطايا... ولم تحدث نزاعات تذكر في هذا الباب، إذ كانت مطالبات أبناء عمومتهم حفدة الشيخ السوالي - دفين زعير، وأخ أبي عمرو - مقتصرة على المشاركة في الاستغلال، لا على شغل منصب المقدم⁽³⁶⁾.

وقد نفذت وصية أبي عمرو بصفة عامة، فلم يكن المقدمون بحاجة إلى ظهير لتولي شؤون الزاوية بعد فراغ المنصب، وإنما يتم ذلك بالتراضي بين الحفدة والمرابطين

- عبد القادر بن الطيب بن محمد بن محمد بن أحمد بن الكامل بن السوالي (أواسط القرن 13 هـ).

- محمد بن الكامل بن محمد بن الكامل بن عمر بن عبد العزيز بن الكامل بن السوالي (أواخر القرن 13 هـ).

(33) الوثيقة 4.

(34) درر العجال لليفرني 79، مخطوطة خاصة.

(35) درر العجال 41 - 42.

(36) شغل بعض حفدة السوالي المذكور هذا المنصب بصفة استثنائية منهم :

3 - حل النزاعات الواقعة بينهم، أو مع غيرهم : تعرض الوثائق البوعمرية النزاعات الحادثة، وهي أنواع :

- بين الحفدة حول الميراث والمستحقات والمداخيل.
- بينهم وبين أبناء عمومته حفدة الشيخ الوالي بن أحمد الأمين.

- بينهم وبين الأجانب، من مستأجري أملاكهم أو أصحاب المعاملات معهم : من سكان غياية وسفيوة أو سكان مراكش نفسها.

وإذا كانت هذه النزاعات تلك طريقها الشرعي العادي حتى تجد حلاً، فإن الخطير منها غالباً ما يرفع إلى السلطان أو خليفته في المدينة أو الباشا، وينتهي إما بأمر جازم وحل صارم، أو باستدعاء المرابطين والشرفاء وأعيان المدينة للنظر في النزاع، ومصالحة الأطراف، وبأيدينا وثائق عديدة ورسوم عدلية ومراسلات مخزنية في مثل هذه الأحوال. أما الرسائل السلطانية فقد وصلتنا منها :

- رسالة المولى سليمان في شأن تصفية ميراث، وحل نزاع بين حفدة أبي عمرو وحفد مولاي عبد الله بن حسين - دفين تامصلوحت - وكان هذا التدخل الملكي بسبب خروج شرعية وجب وقفها لرفع الضرر عن الورثة وإصلاح ذات البين بين مرابطين يرجع نسبهم إلى شيخين محترمين مقدّرين في المنطقة(43).

- ظهير حسني موجه إلى القائد عباس بن داوود - باشا مراكش - في شأن أعمال الصلح بين حفدة أبي عمرو، وحفدة أخيه الوالي، المتنازعين فيما بينهم في أمر قسمة المداخيل واستغلالها، على أن يكون الصلح موافقاً للشرع ولرسوم التحبّيس التي بأيديهم(44)، دزءاً للفتنة وحفظاً للمروءة ومراعاة لأسباب التراحم بينهم.

المقيمين بالزاوية، ومع ذلك أتاحت لبعض المحظوظين منهم فرص الحصول على ظهائر تزكّي ذلك الاتفاق، منهم حسب ما بأيدينا من وثائق :

● محمد (فتحاً) بن محمد الكبير المقدم من طرف المولى عبد الله بن اسماعيل(37).

● محمد (فتحاً) بن أحمد بن عبد الرحمن المقدم من طرف المولى سليمان(38) ومن طرف المولى عبد الرحمن(39).

وتحدد هذه الظهائر بعض مهام المقدم ومسؤولياته، كاستغلال أملاك الزاوية بالكراء، وقبض المحاصيل، وتوزيع المنح والأعشار على الفقراء، ودفع أجور الحزبية والعمال والمستخدمين... (وبسطنا لهم اليد في التصرف في الجنان المذكور والبلاد والزاوية وما يليهما، يتصرف فيهم (كذا) بأنواع التصرفات من زكاة وأعشار، يقبضها من الأغنياء ويصرفها على الفقراء والمساكين منهم)(40).

ولا يخلو الظهير من دعوته إلى الصدق والتقوى في أداء هذه الواجبات (وعليه يتقوى الله العظيم في ذلك)(41). كما أنها تحميه وتشد أزره (من غير منازع ولا معارض، ومن نازعه أو عارضه يجفر بدره ويقطع رأسه) وهذا كفيل بيسط يده ورفع كل مزاحمة عنه وعن ممتلكات الزاوية.

وينص ظهير المولى سليمان على تقديم محمد (فتحاً) ابن أحمد وأولاده بعده ما تناسلوا، فيكون بذلك معضداً لوصية الشيخ أبي عمرو، ومؤكداً لمضمونها (قدمنا المرابط الناسك، المسن البركة، سيدي محمد (فتحاً) بن أحمد بن عبد الرحمن... على كافة أملاك الزاوية البوعمرية... يتولى النظر فيها هو وأولاده من بعده، ما تناسلوا وامتدت فروعهم اقتداء بلفظ المحبّس، وأن يصرف مستفادها في مصالح الزاوية المذكورة...)(42).

(41) وثيقة 7.

(42) وثيقة 8.

(43) وثيقة 8.

(44) وثيقة : 14.

(37) الوثيقة 3.

(38) الوثيقة 7.

(39) الوثيقة 10.

(40) الوثيقة 3.

ولهذا النزاع الذي حاول الظهير الحسني حله جذور وخلفيات من المفيد التذكير بها : فقد نصّت وصية أبي عمرو صراحة على تحبب الأملأ والمستفادات على أولاد وحفدة ابنه محمد الكبير دون غيرهم، مع الإنعام على أبناء وحفدة أخيه الوالي - دفين زعير - بأراضيه الشاسعة المسماة (الكفيان) والواقعة في زعير. وقد احترمت بنود هذه الوصية خلال القرنين الحادي والثاني عشر للهجرة، إلا أنه مع نهاية الربع الأول من القرن الثالث عشر، ومع ارتفاع مداخيل الزاوية واتساع أملاكها، أبدى حفدة الوالي المذكور طمعا فيها.

ففي جمادى الأولى من سنة 1228 هـ طالبوا بنصيبهم في أملاك الزاوية وحضروا مجلس القاضي محمد بن المزوراري، ورفع الخصام إلى المولى سليمان بعد ذلك، فتكونت لجنة من المرابطين والأعيان للنظر في النازلة، فبين بعد تقديم المستندات والفتاوي زيف هذا الادعاء. وطالب المحكوم ضدهم أن تكون لهم الأسبقية في كراء أملاك الزاوية بأغواطيم مراعاة لقرابتهم، فتم لهم ذلك.

في محرم 1283 هـ قدم محمد بن محمد (فتحاً) البوعمرى شكوى للسلطان محمد بن عبد الرحمن في شأن مزاحمة حفدة الوالي له بدون حق، وسعى الوزير موسى بن أحمد لإقامة الصلح بين الأطراف.

في ذي الحجة عام 1303 هـ تجدد النزاع بين المقدم محمد بن محمد (فتحاً) البوعمرى، ومحمد المهيمر وأخيه محمد البناء وابن عمهما العربي ابن الطيب من حفدة الوالي. تلقى القاضي أبو عمرو بن العربي بناني شهادة لقيف بأن المقدم المذكور هو المنتسب لحفدة أبي عمرو دون غيره.

في جمادى الأولى عام 1304 هـ بعد انتقال الكراء من الآباء إلى الأبناء، امتنع هؤلاء عن دفع المستحقات، وأتابوا عنهم الحاج البشير ابن العربي. واشتد النزاع بين الأطراف، فاقترح عليهم الوجهاء بإبقاء ما كان على ما كان

(45) وثيقة : 86 من الوثائق البوعمرية.

عليه فأجابهم حفدة أبي عمرو درأ للفتنة، مع أن حجّتهم واضحة بين أيديهم ثم رفعوا أمرهم للوزير أبي الحسن علي المسفيوي الذي قدم النازلة للباشا العباس بن أحمد بن داوود، فجمع لجنة من الوجهاء والمرابطين لحل النزاع وإبرام الصلح.

في ذي الحجة 1304 هـ قدم حفدة أبي عمرو مجموعة من فتاوي علماء المدينة في ضرورة احترام رغبة المحبس ومنع حل الحبس، وهم : العربي الرحمان الحسن الهزميري - أبو بكر بن العربي بناني - عمر بن محمد عاشور - محمد أزنيط - محمد بن الصدي - محمد بن المعطي السرعيني.

في ذي القعدة 1305 هـ تحول الوالي - بعدما تم الصلح لفائدتهم - إلى المطالبة بحقهم في المستفادات والفتوحات فرفعوا أمرهم إلى المولى عثمان (أخ السلطان مولاي الحسن) فجمع العلماء والقضاة للنظر في النازلة، واتفقوا على إقرار الصلح بين الأطراف من جديد، وأنهى الباشا عباس بن داوود إلى علم السلطان بذلك، فأصدر هذا الظهير الذي تحدّث عنه الآن بإقرار الصلح، والدعوة إلى احترامه.

ومع قبول البوعمرين له، قدموا شهادة استرعاء واستحفاظ للنظر في قضيتهم من جديد في ذي القعدة 1306 هـ.

وقد جاءت نازلة الشريف بن بوعزة لتضع حلا نهائياً للموضوع، وذلك في رجب ورمضان 1326 هـ. وكان حكمها كالتالي : (لا يدخل مع حفدة أبي عمرو في القسمة المعتادة بينهم عند رأس كل سنة من الذين يقدمون من زعير - أي حفدة الوالي - إلا من جاوز بمراكش ثلاث سنوات، وكان متأهلاً)⁽⁴⁵⁾.

4 - الإنعام عليهم : من مظاهر احترام الزاوية وتقديرها ورعاية شؤونها الإنعام عليها بالعطايا والهبات والزيارات. وإذا كانت الوثائق لا تسجل مبلغ هذه العطايا،

فإنها لحسن الحظ احتفظت لنا بنموذج لها وهو إنعام المولى الرشيد عليهم بعين ماء وأرضها وغربها ومنافعها الواقعة خارج المدينة في حوز جبل جيليز. وقد حدها الظهير تحديدا دقيقا (وملكنا لهم ذلك تملك أبد، بحيث لا يعد بحد ولا أمد)⁽⁴⁶⁾.

وهذه الوثيقة تدعو إلى التأمل والنظر فيما قيل عن أسباب تخريب المولى الرشيد للزوايا في كل أنحاء البلاد قبيل توليه الحكم.

كما أن رعاية المولى سليمان للبوعمرين وتعدد ظهائره إليهم تؤكد احترامه للتصوف السني ودعائه، ووقوفه ضد البدع والمواسم وغير ذلك مما يدخل ضمن التصوف السلبي كما جاء في رسالته الشهيرة في منع المواسم، ومحاربة البدع. وتقدم هذه الظهائر أسباب هذه الرعاية التي أحيط بها البوعمريون، وهي :

- ابتغاء وجه الله تعالى،

- ملاحظة لجانبهم الديني،

- رعا لما كان عليه سلفهم الصالح من الجري على سنن الاستقامة والتحفظ على كمال المروءة والميل إلى طريق العافية والسلامة⁽⁴⁷⁾.

- مراعاة لمنصبهم، ولصدق محبتهم في الجانب المولوي الشريف⁽⁴⁸⁾.

- أهم خصائص هذه الظهائر الشريفة :

يمكن إجمال هذه الخصائص كالتالي :

(1) إنها تغطي العهد العلوي الزاهر في أغلبه من المولى الرشيد إلى المغفور له محمد الخامس، يبدأ أولها من 9 ربيع الأول 1079 هـ ويقف آخرها عند 17 شوال 1361 هـ الموافق 4 نونبر 1942 هـ. فهي دليل على أن عناية العلويين بالزوايا البوعمرية عناية شاملة ومستمرة، لاتقطع مع مرور الزمن وتطور الأحداث.

(2) إنها ذات موضوعات متنوعة متجددة، من توقير واحترام لشيخ الزاوية وأملاكها، إلى تعيين مقدميها وإقرارهم في مناصبهم، إلى حل خصوماتهم، إلى الإنعام عليهم وإكرامهم، مجسدة بذلك تنوع هذه الرعاية وتفرع مجالاتها.

(3) والمنهج المتبع في الظهير، وهو :

- الحمدلة والتصلية على النبي وآله وصحبه.

- الطابع الشريف : وقد تمكنا من التعرف على ما

بداخله بالنسبة للصغير وما بالداخل والدائرة بالنسبة للكبير، إذ أن بعض الملوك استعملوا الصغير في حالة التجديد. وعندما يكون الظهير عبارة عن نسخة⁽⁴⁹⁾، فإنه يتم التوثيق بما يسمى بنص الأعمال يذكر فيه المدول مطابقة النسخة للأصل، ويثبتون أسماءهم وتوقيعاتهم وأشكالهم.

- الاستهلال : لاحظنا أنه لا يخرج عن أحد الصيغ

التالية :

(أ) (جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته... لحملته المرابطين حكم ما بأيديهم...) عدد الظهائر المبدوءة بها : 7.

(ب) (كتابنا هذا أسماء الله... يتعرف منه أننا قدمنا...) وترد نفس الصيغة هكذا (يتعرف - أو يعلم - من كتابنا هذا أسماء الله أننا قدمنا - أو جعلنا) عدد الظهائر المستهلاة بها : 5.

(ج) (يستقر هذا الظهير الكريم... بيد حملته المرابطين...) عدد الظهائر المبدوءة بها : 3.

وظهيران لهما بداية أخرى لأن موضوعهما حل النزاع بين البوعمرين لا التوقير والاحترام.

- الموضوع : بعد الاستهلال يتناول الظهير الموضوع بإيجاز (المختصر) ويتوسع بالنسبة للظهير المفصل. وقد سبقت الإشارة إلى الفقرات التي أصبحت ضرورية ولا

(48) وثيقة 4.

(49) الوثيقتان 7 و 10.

(46) وثيقة 2 من الوثائق الملحقة بهذه المقالة.

(47) وثيقة 2.

يرتاج شیوخ الزاویة إلا إذا تم التَّنصيص علیها : التوقیر، الامتیازات...

- الأمر بالتنفیذ : كما ینص الظهیر علی الأمر بالتنفیذ الموجه إلى الولاة والقضاة وكل واقف ومطلع علیه، وصیفة هذا الأمر علی العموم هی : (الواقف علیه یعمل ولا یحید عنه ولا یتعداه)⁽⁵⁰⁾ أو (فنامر الواقف علیه من خدامنا وولاة أمرنا أن یعمل بمقتضاه، ولا یحید علی کریم مذهبه ولا یتعداه)⁽⁵¹⁾.

- التاریخ : ویختم الظهیر بصیغة (به صدر أمرنا المعتز بالله بتاریخ...) ولا یخلو أي ظهیر من الظهائر العلویة التي وقفنا علیها من التاریخ الهجري وفي حالة النسخة یدکر تاریخ صدور النسخة وتحریرها. وفي ظهیر المغفور له محمد الخامس تمت الإشارة إلى التاریخ المیلادي الموافق، وختم هذا التاریخ بتوقيع جلالتہ.

4) وقد کتبت هذه الظهائر بلغة فصیحة، سلیمة، تفرغ الألقاب علی المخاطبین علی عادة اسلافنا رحمهم الله : القدوة، البركة، البركة، الجلیل المقدر، ولا تخلو من سجع مقبول جمیل المذهب (الظهیر الکریم، والأمر المطاع الجسیم... ید حملته السادات الأخیار، الذین لهم لهدینا المكانة الجلیلة المقدر...) (52).

ومثل (کتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فی سماء المعالی شمس المنيرة ویدره، ومثل (وأقررناهم علی ما عهد لهم من التوقیر والاحترام، والرعي الجمیل المتسدام، والحمل علی کاهل المبرة والإنعام، والمحاشاة عما تطالب به العوام، فلا یطالبون بوظیف، ولا یسامون بتکلیف، قوي أو ضعيف...) (53). ولا عجب فهو صادر عن ملوک اتصفوا بالعلم والأدب، ونهلوا من ینایع اللغة، وتفننوا فی أسالیبها وبلاغتها.

ونذکر فی باب اللغة أننا لاحظنا - وأشرنا إلى ذلك فی مكانه من النص - أن بعض أسماء الأماكن تکتب بخلاف ما ینطق بها : (روض العروس) بالصناد بدل السین، (اعظیم) بدل اغواطیم، وتبسط تاءات (قضاة، ولات، ...) أحياناً.

5) ولا تخلو هذه الظهائر من معلومات نفیسة یمکن أن یتنفید منها المؤرخ، والفقیه، والأدیب... لا یسع المجال للتوسع فیها وحسبی أن أشیر إلى بعضها :

- النقاش الفقهي حول الوصیة ومتى تكون مضرة بالورثة فیتحتم إلغاؤها، وحول الحبس وشروطه، ومتى یجوز حله...

- أسالیب فض النزاعات بین المرابطين وتدخل خلیفة السلطان، والباشا والأعیان لتطویقه وحصره حفاظاً علی أواصر التراحم والمودة.

- أسالیب توثیق الظهائر المتبعة لدى القضاة والعدول علی عهد العلویین ونماذج أشكال هؤلاء وتوقعاتهم. ومن الأسماء الواردة فی هذه الظهائر :

- محمد بن محمد المزورای قاضي مراکش وناحيتها وخطیبها ومدرس العلم الشریف بها (1226 هـ).
- القاضي محمد بن العربي الأندلسي (1255 هـ).
- القاضي محمد بناني (1305 هـ).

6) ومن حسن حظنا أن وصلتنا هذه الظهائر الشریفة سلیمة حتى تضاف إلى تراثنا الزاخر المحفوظ فی المكتبات العامة والخاصة والذي یقف شاهداً علی أصالتنا وکریم محتدنا. نستثنی من ذلك الخروم والثقب القلیلة التي أصابت بعض هذه الذخائر بفعل الارضة أو بسبب الطی، ومحوا أصاب الأسطر الأخيرة من ظهیر المولی الرشید⁽⁵⁴⁾. وفضل وصولها سلیمة عائد إلى مقدمی الزاویة

(53) الوثيقة 9.

(54) الوثيقة 1.

(50) الوثيقة 2.

(51) الوثيقة 11.

(52) الوثيقة 1.

الذين كانوا يحرصون على تجليدها وحفظها، فبقي أغلبها كما وصلهم.

خاتمة : تلكم جملة من خصائص هذه الظواهر العلوية الشريفة نسوقها بهذه المناسبة العزيزة علينا جميعا، لنؤكد أن العناية التي يلقاها العلماء والمثقفون اليوم، هي عناية لها جذور ممتدة في التاريخ تبدأ مع بداية هذه الدولة المجيدة، وستستمر إلى ما شاء الله تعالى.

نصوص الظواهر

تعميما للفائدة، وتعريفا بهذه الوثائق التي لم يسبق نشرها، نثبها في آخر هذه المقالة، عسى أن يجد فيها الباحثون بعض الفائدة.

الوثيقة الأولى

ظهير صادر عن المولى الرشيد العلوي في توقيير واحترام حفدة الشيخ أبي عمرو.

الحمد لله وحده وصلى الله على مولانا محمد وعاله وسلم.

عن الأمر العالي الإمامي الرشيد العلوي أيده الله بعزیز نصره، وأمهه بمعونته ويسره بمنه.

الطابع الشريف

يستقر هذا الظهير الكريم، والأمر المطاع الجسيم، أسماء الله تعالى بيد حملته السادات الأخيار، والمرابطين الأجلة، الذين لهم لدينا المكانة الجليلة المقدار، أولاد الولي الصالح البركة والقُدوة السيد أبي عمرو نفع الله به، السيد محمد وجميع السادات إخوانه وأولادهم ومن بعدهم من

أعقابهم، وتابعيهم من أحفادهم، ليصدر لهم أمرهم الله به منا التوقيع الجامع لأقسام التنويه والترفيح، بإمضاء ما تعودوه من العوائد الحديثة والتقديمية الموجبة لهم الإحترام التام، والرعي الجميل المُستدام، في جميع ما هو بأيديهم، وتحت حوزتهم من الأملاك التي دار بها سياج حضرتنا العلية المراكشية من الرباع والعقار، بحيث لا سبيل لمن يمد إليهم في ذلك يد الطلب بوظيف، أو يرومهم مزاحم بتعسف أو تكليف، موقرين مما يطالب به غيرهم من إحصاء مستفاد أو خرص، منزهين بحول الله من كل شائبة أو نقص، محترمين في كل ما ذكر على العموم والإطلاق، لا يقرب أحد من أملاكهم أو يجول فيها ولو بالمأقي والأحداق، وأبقيناهم على ما عهدوه من سلفنا وتعودوه، من تفريق أعضائهم على أيديهم موكلين فيها إلى ما جبلوا عليه من الأمانة، واشتهروا به من العفاف والديانة، لا تزال بأيديهم نوبتا الماء الاثنتين اللتين عينتا لهم بساقيتي تاوريكيت وترزينت من غير أن يطرف لهم أحد في هذا كله بجانب أو ساحة، أو يغير عليهم ما ألفوه من الدعة والراحة،... (55)

الوثيقة الثانية

ظهير صادر عن المولى الرشيد بالإنعام على حفدة الولي أبي عمرو بعين، وأرضها واقعة في حوز جيليز من مدينة مراکش.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعاله وسلم.

عن الأمر العالي الإمامي الهمامي الحسني الرشيد العلوي أيده الله بعزیز نصره، وأمهه بمعونته ويسره بمنه.

المفهومه أنها تتحدث عن حد حرم زاوية أبي عمرو : من فندق الارنجا إلى فحل المقارج...

(55) بقيت أربعة أو خمسة أسطر من الظهير غير واضحة يعترتها محو وخرم كثيرة من جراء الأرضة، ويبدو من الكلمات القليلة

الطابع الشريف

يستقر هذا الظهير الكريم،⁽⁵⁶⁾ بالإشارة والتعظيم أسماء الله تعالى، بيد السادات الأجلة أولاد المرابط الخير البركة القدوة سيدي أبي عمرو⁽⁵⁷⁾ عليه من خدامنا الأنجاد، وسائر العمال والقواد، وكل من هو حاضر أو باد، أننا أنعمنا عليهم بجميع العين المعروفة بالإضافة للشريف مريم بنت أحمد الشريف الكائنة بحوز جيليز، بما اشتملت عليه من النخيل والزيتون، والأرض البيضاء وغير ذلك من منافعها ومرافقها المتناولة لسائر حقوقها. كمصرف مائها المعروف بالاستمرار لها من ساقية عزوز بن سعيد، استمرارا تايديا، وملكننا لهم كل ذلك تملك أبدا، بحيث لا يحد بحد ولا أمد، ابتغاء وجه الله تعالى، وملاحظة جانبهم الديني، ورعياً لما كان عليه سلفهم الصالح من الجري على سنن الاستقامة والتحفظ على كمال المروءة والميل إلى طريق العافية والسلامة.

والواقف عليه يعمل بمقتضاه، ولا يحيد عنه ولا يتعداه، والسلام. وفي التاسع من ربيع النبوي سنة تسع وسبعين وألف.

الوثيقة الثالثة

ظهير صادر عن المولى عبد الله بن اسماعيل في شأن توقيير شيوخ الزاوية البوعمرية واحترام أملاكهم، وإقرار المقدم محمد بن محمد الكبير في منصبه.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الطابع الشريف

جددنا بحول الله وقوته، وشميل يمنه وبركاته، وجميل عنايته وسنته، لحملته المرابطين الخير من نجل

الولي الصالح سيدي أبو عمرو (كذا) القسطالي حكم⁽⁵⁸⁾ بأيديهم من ظهير سيدنا الولد قدس الله روحه، وظهائر إخواننا رحمهم الله، المتضمنة توقييرهم واحترامهم. فقد جعلنا لهم حرم الزاوية المذكورة كما هو مسطر عندهم من فحل داربو الزناد إلى فحل المنفرج. بحيث لا يطوف أحد بساحتهم، وجميع من انضاف إليهم وانتسب، وجميع بلادهم المعروفة بالنوبتين التي لهم باغواطيم، وجنان سيدي عباد، ومن انتسب إليهما، تجديدا تاما.

وقد قدمنا ولد السيد محمد الكبير⁽⁵⁹⁾ كما قدمه والده أبرد الله ضريحه وبسطنا له اليد في التصرف في الجنان المذكور والبلاد والزاوية وما يليهما. يتصرف فيهم (كذا) بأنواع التصرفات من زكاة وأعشار، يقبضها من الأغنياء ويصرفها على الفقراء والمساكين منهم. وعليه بتقوى الله العظيم في ذلك، من غير منازع ولا معارض. ومن نازعه أو عارضه يجفر يدره، ويقطع رأسه، ولا⁽⁶⁰⁾ إلا رسمه. والواقف عليه يعمل بمقتضاه، ولا يتعدى ما أمره الأمر الشريف وأمضاه.

وكما نامر خديمنا بوشعيب أن يقبض لهم كل ما نهب لهم من سفوية بحيث لا يترك لهم شيئا عليهم. ويشد روحه في الزاوية، في توقييرها واحترامها. وكتابتنا هذا يبقى ظهيرا بأيديهم. والسلام.

وكتب في الثامن عشر من ذي القعدة الحرام عام تسعة وأربعين ومائة وألف.

وكتب في هامش الظهير ما يلي : الحمد لله وحده الطابع الشريف المرقوم أمامه هو لأمر المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله أبي الحسن الشريف العلوي السلطان المكرم الأفضل المعظم أبي المحاسن السنية والأخلاق الربانية، كان حين تاريخ الكتاب الشريف ولاء الله الملك،

(59) اسم هذا الابن هو (محمد) - بفتح الميم ابن محمد الكبير بن أبي عمرو.

(60) الورقة متلاشية في هذا الموضع بسبب العتي.

(56) بياض أو خروم في الظهير.

(57) بياض أو خروم في الظهير.

(58) سقطت كلمة (ما) كما هو واضح من السياق.

وكلفه بالحكم في مصالح المسلمين وقلده، ولا زال ملكا معظما إلى أن قبضه الله إليه.

قاله عارفه معرفا بطابعه وكتابه من غير شك يلحقه في ذلك ولا ريب. قيده لسائله شاهدا به بقصد التعريف عام اثنين وتسعين ومائة وألف⁽⁶¹⁾.

الوثيقة الرابعة

ظهير صادر عن سيدي محمد بن عبد الله العلوي في شأن توفير شيوخ الزاوية البوعمرية، واحترام ممتلكاتهم.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

الطابع الشريف

جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته، للمرابطين الأجلة أولاد الولي الصالح، والقطب الواضح، سيدي أبي عمرو نفع الله به، على ما بأيديهم من ظواهر أسلافنا الكرام قدس الله أرواحهم في الجنان، المتضمنة توقيروهم وتعظيمهم واحترامهم، وأن لا يكلفهم أحد بشيء قل أو جل من الوظائف المخزنية، والتكاليف السلطانية⁽⁶²⁾، بسوق من الأسواق العطارين أو غيره، فلا يلزمه شيء من كل ما تكلف به العوام، وأبقيناهم على كل ما هو على ملكهم وتحت يدهم من ساقية جدهم المذكور، الطالع سدها من واد أزات، وبلدها المعروفة لهم بالويدان مع أكدير الذي هو بها، الشهير لهم هناك. ومن النوبتين الاثنتين من الماء في ليلة الاثنين ويومه من ساقية ترزينت، وليلة الأربعاء ويومه من ساقية توربكت الطالع سدهما من واد غيغاية. وبلدهما المعروفة لهم بأعظيم، وأكدير الشهير لهم

بها. وبأن من احترام بضريح جدهم المذكور من دريهم الذي بروض العروص، وبحرم زاويته من حومة حمام الذهب من فحل المشرح إلى فحل أبو زناد المؤالي باب فندق الأرنجة ودخلها⁽⁶³⁾ بدار من دور أملاكهم المذكورة، كان آمنا على نفسه وماله، لا يطالب بشيء مما تطالب به العامة.

وكما انعمنا عليهم بأعشار أملاكهم بصرفونها على الضعاء من إخوانهم، رعيانا منا لمنصبيهم (ولصدق)⁽⁶⁴⁾ محبتهم في جانبنا الشريف.

فعلى الواقف عليه (من ولاية) أمرنا وقضائنا، أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه. السلام.

صدر الأمر الشريف به منا في العشرين من المحرم فاتح 1200 هـ.

الوثيقة الخامسة

ظهير صادر عن المولى سليمان في توقيرو واحترام المرابطين شيوخ زاوية أبي عمرو.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله.

الطابع الشريف

جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركاته، لحمالته⁽⁶⁵⁾ المرابطين أولاد سيدي أبي عمرو - نفع الله به - ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا المتضمنة توقيروهم واحترامهم، وألسناهم أردية التوقير والاحترام، وحاشيناهم عما تطالب به العوام.

فالواقف عليه من ولاية⁽⁶⁶⁾ (كذا) أمرنا يعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه. والسلام. في 17 من شعبان 1212 هـ.

(64) محو بقدر كلمة، تم استدراكه من ظهير مشابه.

(65) الصحيح لحملته.

(66) وردت كلمة (ولاية) هكذا في كثير من الظهائر.

(61) يختتم الهامش بتوقيعات العدول وأشكالهم.

(62) تلاش من فعل الطي.

(63) خروج في الورقة.

الوثيقة السادسة

ظهير صادر عن المولى سليمان العلوي في تجديد التوقير والاحترام لشيخ الزاوية البوعمرية من حفدة الولي أبي عمرو.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

الطابع الشريف

كتابتنا هذا أسماه الله يتعرف منه أننا بحول الله أرخينا جلاب التوقير والاحترام، والبرور والإكرام على مالكيه المرابطين أولاد سيدي أبي عمرو نفع الله به، بحيث لا يهضم جانبهم، ولا تهتك عليهم حرمتهم، وهو تجديد لهم على ما بأيديهم من ظهيرنا وظهائر الأسلاف تغمدهم الله برحمته.

وحيث فأنمر كل من وقف عليه من ولاة أمرنا أن يستوصوا بهم خيرا ويقدرهم قدرهم، ولا يمدوا إليهم يد اعتداء. والسلام.

في منتصف المحرم الحرام فاتح عام 1223 هـ.

الوثيقة السابعة

نسخة من ظهير سليمان في تقديم الشيخ سيدي محمد (فتحاً) بن أحمد ابن عبد الرحمن على زاوية جده سيدي أبي عمرو القسطلي المراكشي.

الحمد لله وحده : نسخة من ظهير شريف سلطاني مولاي علوي، وطابعه الشريف مرقوم بين الحمدلة والتصلة، وفي وسطه : سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له، ومستدير بدائرته، وما توفيقه إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والأعمال عقبه، نصه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم.

يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، واطلع في سماء المعالي شمه وبدره، يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أننا قدمنا المرابط الناسك الفن البركة سيدي محمد (فتحاً) بن أحمد ابن عبد الرحمن، حفيد الولي الصالح، القطب الواضح، سيدي أبي عمرو ابن أحمد القسطل المعروف بالأمين، دفن مراكش بروض العروس، نفع الله به أمين، على كافة أملاك الزاوية البوعمرية، المخلفة عن جده المذكور، حيث ما كانت داخل المدينة وخارجها، حسبما هي مفصلة في رسم الحبس بيد المقدم المذكور.

يتولى النظر فيها هو وأولاده من بعده ما تناسلوا وامتدت فروعهم، اقتداء بلفظ الحبس. وأن يصرف مستفادها في مصالح الزاوية المذكورة، وما فضل من استفاد الأملاك المذكورة في الحبس المذكور يكون مقصوراً على حفدة الشيخ المذكور.

نأمر من وقف عليه من عمالنا رولات (كذا) أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه. صدر به أمرنا المعزز بالله والسلام.

في ثالث عشر ربيع النبوي عام ستة وعشرين ومائتين وألف.

ونص الأعمال : الحمد لله وحده اعلم به محمد بن محمد المزوراري لطف الله به، قابلها بأصلها فمائلته وشاكلته، وشهد بصحة المقابلة والمماثلة من أشهده الفقيه الأجل النبيه الأكمل، العالم العلامة الأفضل قاضي مدينة حمراء مراكش ونواحيها وهو محمد بن محمد المزوراري لطف الله به أعزه الله بعز طاعته، وجرسها بثبوت الأصل المنتسخ منه الثبوت التام لديه. شهد على إشهاده أرشده الله

وحفظه بما فيه عنه، وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر.

في سادس صفر الخير عام سبعة وعشرين ومائتين وألفاً⁽⁶⁷⁾.

الوثيقة الثامنة

حول حكم سلطاني سليمان في شأن تصفية ميراث، بعد منازعة بين بعض حفدة أبي عمرو وحفدة مولاي عبد ابن حسين.

الحمد لله وحده وصلى الله على مولانا محمد وواله وصحبه وسلم تسليمًا

الطابع الشريف

في وسط سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له، مستديراً وبدائرتة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وفي أركان رايته : الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي.

لما أمر مولانا أيد الله عساكره، وأدام بمنه مفاخره ومآثره، بسجن الشريف عبد السلام بن إدريس حفيد سيدي عبد الله بن حسين في شأن دعوى ميراث السيد محمد بن الحاج البوعصري، وأمر خديمه السيد محمد بوسنة بإحضار القضاة⁽⁶⁸⁾ الثلاثة في شأن قضيتته وأعمال النظر في رسوم قسمة تركته وإحصائه عنداً، وأمرهم بقسمة على فرائض الله سبحانه، وإلغاء الوصية الصادرة من بنته فاطمة لولد زوجها عبد العزيز ابن عبد السلام المذكور، وإلغاء الوصية الصادرة من صغية المذكورة لصرها عبد السلام وولده عبد العزيز المذكور بالثلث من متخلفيهما، لما فيه من المحاببات وقصد الأضرار بالورثة.

فقابل الأمر المطاع بالتبطل والامثال والبيع والطاعة، واحضر القضاة الثلاثة سدهم الله وقال لهم : إن سيدنا نصره الله قال لي : إن بقي حق من الميراث المذكور للورثة ولم يتوصلوا به، فأنت المواخذ به عند الله سبحانه، وعهدته في رقبته، وتحاسب به لديه.

فاحضرت رسوم ميراث فاطمة وصغية التي اعملت فيها وصيتها من متروك الهالك المذكور فيه، فكان جملة نصيب فاطمة من ذلك ألفي مثقال تثنية، ومائتي مثقال وزيادة أحد وسبعين مثقالاً بتقديم المهمل، وثلاث أواق ونصف. ونصيب صغية منها ألفا مثقال تثنية، وزيادة تسعة وثمانين مثقالاً وموزونتان. ونصيب عصبته الأحد عشر رجلاً ألفا مثقال وزيادة سبعمائة مثقال، وتسعين مثقالاً، وسبع أواق.

ولما أوصت فاطمة بثلث متخلفها لولد زوجها عبد العزيز المذكور وأوصت صغية لصرها عبد السلام وولده عبد العزيز بثلث متخلفها سوية بينهما، وماتتا وقسمت تركتهما بعد موتتهما، المجموع فيها أربعة آلاف مثقال وثلثمائة وستون مثقالاً وأربع أواق، أخذ منها الموصي لهما بالثلث ألف مثقال أفراداً، وأربعمائة مثقال وثلثة وخمسين مثقالاً وخمس أواق غير موزونة وأخذ ورثتهما باقي ذلك، وقدره ألفا مثقال تثنية وزيادة تسعمائة وستة مثاقيل وتسع أواق.

ولما أمر مولانا نصره الله بإلغاء الوصيتين ألزم السيد محمد المذكور الموصي لهما بالتخلي على ما حازاه من المتروك المذكور بحكم الوصيتين المذكورتين، وحوزه منهما ليقسم على ورثتهما بموافقة السنة المطهرة، ويأخذ كل ذي حق حقه منه بوجه شرعي، ويسلم الموصي لهما من درك تباعته عند الله سبحانه في الدنيا والآخرة. ففعلاً ذلك ونفذ القضاة أمر سيدنا وعملوا به، فكان ما هو مجموع

(67) تلي نص الأعمال توقيعات العدول واشكائهم، وهم :

- توقيع وشكل محمد بن محمد المزوري.

- الحمد لله أعلم بأعماله محمد عاشور الأندلسي لطف الله به.

- الحمد لله أعلم بأعماله محمد بن المدني السمرغيني لطف الله به.

- الحمد لله أعلم بأعماله محمد بن الهادي لطف الله به.

(68) يورد كاتب الرسالة أغلب التاءات مبسوطه، وقد تركناها كما جاءت.

صدره تقبل الله من سيدنا عمله، وبلغه من خير الدارين
أمله. شهد على إتهاد القضاة بذلك بحيث يجب لهم ذلك.
في رابع رجب عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف.

- ملحق الرسالة - إقرار تنفيذ الحكم

المولوي :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً.

لما أطلع الفقهاء الأجلة، البدور الأهلة، القضاة
الثلاثة أيدهم الله بمجلس الخليفة السيد بوثة على الحكم
الصادر من مولانا أيد الله عساكره وأدام بمنه مفاخره
ومآثره، وقابلوه بالامتثال والسمع والطاعة، حضر الشريف
عبد السلام وولده عبد العزيز وأشهدا أنهما سلما الوصيتين
المشار لهما حوله، وتخليا عن ذلك ورفعوا عنه يد النزاع
والاعتراض. على أن يقسم ذلك بين الورثة على فرائض الله
سبحانه بموجب شرعي، وأبطلا حكم الوصيتين والغيابها من
أصلهما وأسقطا الاحتجاج بهما من الآن بمجلس الفقهاء
ومقعد حكمهم بحيث يجب لهم ذلك. وشهد على إتهادهم
حفظهم الله بما فيه عنهم وعلى الشريفين بحال كماله
وعرفهم، في عشرين رجب عام أربعة وثلاثين ومائتين
وألف.

(توقيعات العدول وأشكالهم)

الوثيقة التاسعة

ظهير صادر عن المولى عبد الرحمن في
توقير واحترام المرابطين حفدة أبي عمرو.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الطابع الشريف

كتابتنا هذا أعلى الله قدره وأطلع في سماء المعالي
شمسه المنيرة ويدر، يتعرف منه أننا جددنا للمرابطين

الأجلة أولاد سيدي أبي عمرو نفع الله به، على ما بأيديهم
من ظواهر أسلافنا قدس الله أرواحهم، بحيث لا يهضم
جانبيهم، ولا تهتك عليهم حرمتهم، ولا يكلفهم أحد بشيء قل
أو جل من الوظائف المخزنية، رعيانا منا لمنصبهم ولصدق
محببتهم في جانبنا الشريف.

فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل
بمقتضاه ولا يتعداه إلى ما سواه بهذا صدر أمرنا المعترف
بالله، في 26 من ربيع النبوي عام 1242 هـ.

الوثيقة العاشرة

نسخة من ظهير المولى عبد الرحمن بن هشام في
موضوع تقديم محمد (فتحاً) ابن أحمد البوعمرى
على زاوية جده بمراكش.

الحمد لله نسخة من ظهير شريف ثابتة لدى من
يجب أعزه الله ونصره.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا محمد
وآله وصحبه وسلم.

نسخة من ظهير شريف سلطاني مولاي علوي وطابعه
المنير مبسوط.

بين الحمدلة والتصلية، وفي وسطه عبد الرحمن
بن هشام الله وليه ومولاه ومن تكن برسول الله نصرته ان
تلقه الأسد في آجامها تجم، والأعمال عقبه. أعيد لأجل
تلاشي الأصل المتسخ منه، نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم.

يتعرف من كتابنا هذا أعلى الله قدره وخلد في
الصالحات ذكره، إننا جعلنا المرابط البركة السيد محمد
(فتحاً) بن أحمد بن عبد الرحمن من أحفاد سيدي محمد
الكبير، نجل القطب الأكبر الشيخ سيدي أبي عمرو أبقى
الله فضله مقدماً على الزاوية البوعمرية بحيث يتصرف في

الطابع الشريف

يستقر هذا الظهير الكريم والأمر المحتم الصميم المقابل بالإجلال والتعظيم، بيد حملته المرابطين الأجلة أولاد السولي الأشهر، والعارف الأكبر سيدي أبي عمرو القسطلبي المراكشي نفعنا الله ببركاته.

ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته إننا جددنا لهم على ما بأيديهم من ظهير مولانا قدسه الله ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام والرعي الجميل المستدام والحمل على كاهل المبيرة والانعام، والمحاشاة عما تطالب به العوام، فلا يطالبون بوظيف ولا يسامون بتكليف، قوي أو ضعيف، ولا تخرق عليهم عادة، ولا يحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، تجديداً تام الرسم نافذ الحكم. فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد على كريم مذهبه ولا يتعداه.

صدر به أمرنا المعزز بالله في 17 ربيع الثاني عام

1280 هـ.

الوثيقة الثانية عشرة

ظهير المولى محمد بن عبد الرحمن في تعظيم الزاوية البوعمرية بمراكش.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الطابع الشريف

يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع في فلك العادة شمه المنيرة وبدره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، أقررنا ما تقرر عليه العمل وجرى به وكان معروفاً معرفة ضرورية لدى الخاص والعام، من تعظيم حرم زاوية الشيخ الأكبر، والعارف الأشهر سيدي بوعمر ونفع الله به، بحيث لا يزداد عليها ولا ينقص منها شيء مما نسب إليها. وزدناها إجلالاً واحتراماً، وتوقيراً وإكراماً.

أجنتها حيثما كانت داخل هذه الحضرة أو خارجها، وأن يصرف استفاد الأجناد في مصالح الزاوية المذكورة، وما فضل على ذلك مع الفتوحات والذبائح الواردة على الضريح يكون مقصوراً على أحفاد الشيخ المذكور. وذلك لما بيده من ظواهر الملوك قبلنا قدس الله أرواحهم، وتبعاً لمن اختص بالتقديم أولاد سيدي محمد الكبير في رسم الحبس بيد المقدم المذكور ولا مدخل لأحد فيه من الأحفاد.

وعليه بتقوى الله العظيم في السر والإعلان. نأمر من وقف عليه من عمالنا وولات أمرنا يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يتعداه.

صدر به أمرنا المعزز بالله في سادس عشر ربيع النبوي الأنور، عام خمسة وخمسين ومائتين وألف.

ونص الأعمال :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أعلم به عبيد ربه تعالى محمد بن العربي الأندلسي عاشور وفقه الله تعالى بمنه وبخط من يجب أعملته، قابلها بأصلها فمائلته وشاكلته، وشهد بصحة المقابلة والمماثلة من أشهده الفقيه الأجل النبيه الأجل العالم العلامة الأفاضل قاضي حمراء مدينة مراكش ونواحيها وخطيبها ومدرس العلم الشريف بها القدوة الأعدل الفهامة الفصيح البليغ وهو محمد بن العربي الأندلسي عاشور لطف الله به، وأعزه الله بعز طاعته، بثبوت الأصل المنتسخ منه الثبوت التام بواجبه لديه شهد على إشهاده أرشده الله وحفظه بما فيه عنه، وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، في رابع محرم الحرام عام ستة وخمسين ومائتين وألف.

الوثيقة الحادية عشرة

ظهير صادر عن المولى محمد بن عبد الرحمن في توقير واحترام المرابطين حفسدة الشيخ أبي عمرو القسطلبي المراكشي.

فأمر الواقف عليه من عمالنا وولات أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ويعمل حده كلما انتضاه.
صدر به أمرنا المعتر بالله تعالى في 26 من المحرم الحرام فاتح عام 1283 هـ.

الوثيقة الثالثة عشرة

ظهير حسني شريف في توقيير المرابطين حفدة أبي عمرو واحترام أملاكهم وإبقائهم على عاداتهم.

الطابع الكبير

بداخله : الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه.

وبدائلته : ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في اجامها تجم.

من يعتم بك ياخير الوري شرفاً فالله حافظه من كل منتقم.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لحملته المتمسكين بالله ثم به، المرابطين الأجلة أولاد الولي الأشهر العارف الأكبر، قطب المشايخ الأعلام، الشهير البركة في الأنام، سيدي أبي عمرو القسطلي دفين مراكشة نفعنا الله ببركاته، على ما بأيديهم من ظهير مولانا قدسه الله، ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله، وأقرنناهم على ما عهد لهم من التوقيير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والمحاشاة عما يطالب به العوام.

بحيث لا يطالبون بوظيف، ولا يسامون بتكليف قوي أو ضعيف. ولا تخرق عليهم عادة، ولا يحدث في جانبهم تقص ولا زيادة. وأبقينا لهم ما هو على ملكهم، وتحت

أيديهم من سواقي جدهم كما هي في ظواهر أسلافنا رحمهم الله، وإن من احترام بضريح جدهم المذكور من دريهم الذي يروض العروض، وبحرم زاويته من حومة حمام الذهب، من فحل المفرج إلى فحل بوزناد الموالي باب فندق الأرنجة، كان أمنا علي نفسه وماله لا يروع له سرب، ولا تمد فيه يد، تجديداً تام الرسم، نافذ الحكم.

فأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه. والسلام.
صدر به أمرنا الشريف المعتر بالله في 5 محرم الحرام فاتح عام 1293 هـ.

الوثيقة الرابعة عشرة

ظهير حسني شريف موجه إلى باشا مراكش القائد العباس بن داوود في شأن أعمال الصلح بين حفدة أبي عمرو القسطلي المتنازعين فيما بينهم.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الطابع الصغير

بداخله : الحسن بن محمد الله وليه.
خديمينا الأرضي القائد العباس بن داوود وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله. وبعد فقد وصل كتابك وعرفنا ما شرحته في شأن القضية الواقعة بين أولاد الولي الصالح سيدي بوعمر نفع الله به، من أنه لما طال النزاع بينهم فيها بمجلس الشرع، أشار عليك أخونا مولاي عثمان بأن تجمع القضاة والعلماء على نازلتهم، ولما اجتمع اتفق رأيهم على أن العمل على ما صدر به أمرنا الشريف من أعمال الصلح، ويتمادي الفريقان على ما كانوا عنه من الاشتراك في الاستغلال والفتوحات، ثم ان الفريق الذي يريد الاستبداد بما ذكر لم يحضر لعدم حضور القاضي بناني في الجمع، ولما رأيت ذلك اعلمت بالواقع وصار بالبال، فقد

العروض وبحرم زاويته من حومة حمام الذهب، من فحل
المفرج إلى فحل بوزناد الموالي باب فندق الأرنجة كان
أمناً على نفسه وماله، لا يروع له سرب ولا تمد فيه يد،
تجديداً وإقراراً تامي الرسم، نافذي الحكم.
فنامر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل
بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، والسلام..
صدر به أمرنا الشريف المعترز بالله في 25 ربيع
الثاني عام 1314 هـ.

الوثيقة السادسة عشرة

ظهير المولى يوسف بن الحسن في توقيير
واحترام المرابطين حفدة الولي أبي عمرو
القسطلي المراكشي.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم تسليماً دائماً.

الطابع الشريف

بداخله : يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه.
جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لحملته
المتسكين بالله ثم به، المرابطين الأجلة أولاد الولي
الأشهر، والعارف الأكبر، قطب المشايخ الأعلام، الشهير
البركة في الأنام، سيدي أبي عمرو القسطلي دفين مراكش،
نفعنا الله ببركاته على ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد،
قدس الله روحه، ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله،
وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقيير والاحترام، والرعي
الجميل المستدام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام،
بحيث لا تخرق عليهم عادة، ولا يحدث في جانبهم نقص ولا
زيادة.

وأبقينا لهم ما هو على ملكهم وتحت أيديهم من
سواقي جدهم، كما هي في ظهائر أسلافنا رحمهم الله.

كان القاضي بناني كتب في ذلك، وأجيب بأنه حيث كان
وقع الصلح بينهم في القضية. فالعمل عليه إن كان موافقاً
للشريع. وقد أقررناهم عليه، وأبطلنا العمل بما ينافيه. ثم إن
كان رسم الصلح مستجماً للشروط المطلوبة فيه شرعاً ولم
يطبع عليه فليوجه لنا نسخة منه ليطلع لهم عليها. ومن أبي
ذلك منهم يجبر على العمل به. والسلام.
وفي 20 قعدة الحرام عام 1305 هـ.

الوثيقة الخامسة عشرة

ظهير المولى عبد العزيز بن الحسن في
توقيير واحترام المرابطين حفدة أبي عمرو
القسطلي المراكشي.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وآله.

الطابع الشريف

بداخله : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه.
جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لحملته
المتسكين بالله ثم به، المرابطين الأجلة أولاد الولي
الأشهر، والعارف الأكبر، قطب المشايخ الأعلام، الشهير
البركة في الأنام، سيدي أبي عمرو القسطلي دفين مراكش،
نفعنا الله ببركاته، على ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد،
قدس الله روحه، ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله،
وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقيير والاحترام والرعي
الجميل المستدام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام،
والمحاشاة عما يطالب به العوام، بحيث لا يظالبون بوظيف،
ولا يسامون بتكليف، قوي أو ضعيف، ولا تخرق عليهم
عادة، ولا يحدث في جانبهم نقص ولا زيادة.
وأبقينا لهم ما هو على ملكهم وتحت أيديهم من
سواقي جدهم، كما هي في ظهائر أسلافنا رحمهم الله. وإن
من احترم بضرخ جدهم المذكور من دريهم الذي بروض

وبدائلته : الله خير حفظاً وهو أرحم الراحمين.

جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، لحملته المتمسكين بالله ثم بنه، المرابطين الأجلة أولاد الولي الأشهر، والعارف الأكبر، قطب المشايخ الأعلام، الشهير البركة في الأنعام، سيدي أبي عمرو القسطلي نفع الله ببركاته، على ما بأيديهم من ظهير مولانا قدسه الله، ومن تقدمه من أسلافنا رحمهم الله، وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام والرعي الجميل المستدام، والحمل على كاهل الميرة والإكرام، وحاشيناهم من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام، بحيث لا تخرق عليهم عادة، ولا يحدث في احترامهم نقص ولا زيادة، تجديداً وإقراراً تامين.

فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاية شريف أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، والسلام.

صدر به أمرنا المعزز بالله في 17 شوال عام 1361 هـ.

قد سجل هذا الظهير الشريف الوزارة الكبرى بتاريخ 25 شوال عامه، الموافق 4 نونبر سنة 1942م.

توقيع صاحب الجلالة

وان من احترام بضريح جدهم المذكور من دريهم الذي بروض العروص، وبحرم زاويته من حومة حمام الذهب، من فحل المفرج إلى فحل بوزناد الموالي باب فندق الأرنجة، كان أمنا على نفسه وماله، لا يروع له سرب، ولا تمد فيه يد، تجديداً وإقراراً تامي الرسم نافذي الحكم.

فنأمر الواقف عليه من خدامنا، وولاية أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه. والسلام.

صدر به أمرنا الشريف المعزز بالله في 22 محرم الحرام فاتح عام 1331 هـ.

الوثيقة السابعة عشرة

ظهير المفضور له محمد الخامس في توقيير واحترام المرابطين أولاد الولي الصالح أبي عمرو القسطلي المراكشي.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الطابع الشريف

بداخله : محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه ومولاه.

للشاعر الأستاذ مالك محمد بنونة

ضوء يقبّر

فلا بد أن يستجيب القدر
ونزرع مجدا تليدا أغر
ولا بد للحب أن ينتشر
وفينا رجاح النهى والفكر
وخطت يمينه تلك الصور
ترأت بأفق كلمح البصر
قريب القطوف شهى عطر
ينير طريقنا على المنحدر
إذا ما نسينا (جميل العبر)
وعدنا إلى فرقة لا تذر
وعشنا بليل الأسى والحذر
لنرفع ما قد وهى واندر
ففي أفقنا تزدهي بالدر
يعيد السكون لقلب ضجر
وفي جنة بالصبا قد سكر
وقد هزه شوقه المستر
نعيد بها مجدنا المعبر
فحيا سلاما، ونجبي السير

(إذا اليوم نحن أردنا للحماما
فترعى للحماما بأرواحنا
(ولا بد للجفو أن ينثني
فلا جفو منبعث بيننا
كما قال عنا (أمين الإله)
فأبدي بها فكرة طالما
نراها كحلم بعيد المنال
كبرق مضيء خفى ومضاه
فلا الدهر يعلي لنا راية
إذا ما أقمنا سجوف الظلام
وعدنا إلى هتك جبل الوصال
ألمسوا بني الغرب نحو العلا
هلمسوا لجني ثمار النهى
وفي أفقنا نورها المشتهى
بـزهر على ربوة يرتمي
فمال على غصنه ينثني
هلمسوا هلمسوا إلى وحيدة
هلمسوا لسلك دروب الهدى

وما العمر إن لم تنال المنى ؟!
فكم باعدت بين أرواحنا
وكم هطلها سد عنا الفضا
هلموا، هلموا بني مغرب
فقد وفق الله منا الخطا
فلله كم آية روضها
يميل الجنان إلى دوحه
نرى مجدنا مزهرا حولها
فنحن بنو مغرب عربي
نهيم كفاحا لنحمي سلاما
نعيش جميعا على سنة
على مذهب (مالك) للحجا
أنار لنا نوره في السدجى
لننهل منه صفاء النفوس
(فلا بد ليلى أن ينجلي)

وما العمر دون الإخاء العطر !
رياح تهب بغيم عكر
فلم يحي زرعها بها والشجر
فهأذي يدي يدكم تنتظر
بعزم وحزم (سديدي النظر)
يهز الفؤاد بحسن نضر
تروق العيون وتحيي البصر
ففي قطفه عزنا يزدهر
على العهد نبى، وتقنى العصر
بجمع الشتيت، ونيل الوطر
على مذهب جامع للأثر
بأي الحكيم دعا فانصر
فقمنا إلى قبسه في السحر
ونشكر ذا الفضل والمؤتمر
وللضوء والله أن ينفجر

تطوان : كرمه شيخ الجبل
مالك امحمد بنونة

هكذا كتبت الحركة الوطنية في الثلاثينيات عن عيد العرش المجيد :

عيد العرش عيد القومية المغربية

لقد كان الوطنيون المغاربة، هم أول من دعا الشعب المغربي للاحتفال بعيد العرش... وتناول الكتاب والمفكرون هذا الموضوع بغيرة وحماس.. ولعل أول مقال وضع فيه المغزى الوطني والسياسي لتأسيس عيد العرش تحدياً للاستعمار الذي فرق وحدة المغرب، هو ما كتب، إذ ذاك بتوقيع : «أبو الفداء» الشيخ محمد المكي الناصري، عن «عيد العرش»، في جريدة «الحياة» التي كانت أول جريدة بمدينة تطوان يكتب فيها أدباء من الشمال والجنوب، وذلك يوم 19 نونبر عام 1934.
ويسرنا أن نقطتف من مقال «أبو الفداء» ما كتبه في تلك الفترة عن عيد العرش.

هذه السياسات المتناقضة... ولماذا ولماذا...؟؟ في المغرب اليوم ثلاث مناطق معروفة، كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى إدارياً، وقضائياً، وتشريعياً، وعسكرياً، ومالياً، واقتصادياً، وفي المنطقة السلطانية وحدها توجد 12 منطقة، يكاد بعضها يستقل عن المناطق الأخرى استقلالاً تاماً، عملاً بالمبدأ الاستعماري الروماني القديم : فرق تسد.

حقاً إن «مغرب اليوم» مغرب عجيب غريب !
مغرب اليوم مغرب مفكك الأجزاء، مقطوع الأوصال....
مغرب اليوم أصبح عدة مغارب.... وإلا فلماذا هذه الحدود الفاصلة بين منطقة وأخرى، ولماذا هذه الجمارك والجوازات المتعددة داخل المملكة هنا وهناك، ولماذا هذه الإدارات المختلفة، ولماذا هذه التشريعات المتباينة، ولماذا

اللجنة الرباطية للاحتفال

* بعبير العرش *

مجاناً

المهر نقد ومهر

نحية وسلاماً ناظرين :

حضرة رومية الادب سير

إن اللجنة الرباطية للاحتفال بعيد العرش تشرف باعلامكم أنها عازمت بمناسبة ذكرى التتويج القادمة في ١٨ نونبر الآتي ، على اقامة حفلة ادبية تاريخية لعرض قطائل العائلة العلوية الشريفة منذ استوائها على العرش العربي ، تكون تحت رئاسة تقيب العائلة العلوية المؤرخ الكبير مولاي عبد الرحمن ابن زيدان .

ونظراً لما تعتمد فيكم من الخبرة والاستعداد ، رأيت أن تكتب الي حضرتكم طالبة منكم أن تهينوا هذه الحفلة ما تجود به قريحكم تراثاً او شعراً ، وذلك إما بالكلام عن بعض الملوك العربيين المقدسين دون البعض ، او الكلام عن بعض الشخصيات العلية والادبية التي نشأت في عبودهم ، او بالكلام اجلا عن العائلة العلوية الشريفة منذ استوائها على عرش المملوك الى الآن .

واللجنة تقترح على حضرتكم أن يكون الكلام مختصراً جامعاً ، وأن لا يتعدى حدود الحوادث والوقائع التاريخية المشروطة ، وتتمنى أن يتحقق رجاءها في مساعدتكم الادبية ومشارككم الحمسية ، وتقبلوا من اللجنة خالص تحيات والطيب الاماني ما

اللجنة الرباطية للاحتفال بعيد العرش

ملاحظة الاجوبة ترسل باسم كاتب اللجنة : محمد بن عامر القباح - سفاية بن المكي - رباط

وآخر موعد لتسلم الاجوبة ٧ نونبر ١٩٣٤ قبل الحفلة بعشرة ايام .

فكندرا كانت اللجنة الوطنية التمهيدية

للاحتفال بعيد العرش

توتية الخطاب الى الكتاب ورجال الفكر والادب

لبلدية هاس في عهد العرش

في عام 1934

العرش المغربي هو حامي «الراية القومية الحمراء»،
التي لا تزال مرفرفة فوق مباني الإدارات والمؤسسات
العامّة.

ولو لا أن العرش المغربي موجود، لا نمحت الجنسية
المغربية من الوجود، ولا صبح مغاربة كل منطقة مندمجين
في جنسية الأجانب المسيطرين أو المشرفين عليها.

ولو لا بقاء العرش المغربي في عالم القانون
والحقيقة، لأصبح المغرب مستعمرة من المستعمرات
الأجنبية، ولما كانت له حكومة تعتبر حكومة محمية،
ولسقط من قائمة الدول اسم الدولة المغربية، ولمنع المغرب
من عقد المعاهدات وتقديم الاحتجاجات الدولية، ولألغيت
الوزارة السلطانية والوزارة الخليفة، ولأقفلت المحاكم
الشرعية والمحاكم المخزنية، ولما بقي في بلادنا أي أثر من
أثار السلطات الوطنية، ولما كانت هنالك حاجة إلى إصدار
الأحكام باسم جلاله السلطان داخل المحاكم الأجنبية في
المملكة المغربية، ولمزقت من بين رايات الأمم رايتنا
القومية.

لهذا كله، كان العرش المغربي في نظرنا هو حارس
القومية المغربية، وحافظها من الانحلال والاندماج في
غيرها من القوميات، ولهذا وغيره، كان العرش المغربي
عنوان الحيوية المغربية، وعماد السلطة الوطنية، ورمز
الوحدة القومية، دينيا، ومدنيا، ودوليا.

تطوان - أبو الفداء

نعم كل هذا واقع، وحاضر المملكة سيء، ومستقبلها
مجهول، ولكن بقي مع ذلك شيء عظيم، وجامعة كبرى
تجمع المغاربة من أقصى البلاد إلى أقصاها.

لقد بقي العرش المغربي قائم الدعائم ! وكفى به
ضمانة أدبية وراثا خالدا !

العرش المغربي قائم، يمثله جلاله الملك في المنطقة
السلطانية، ويمثله سمو خليفته «المفوض العام» في المنطقة
الخليفة، ويمثله سعادة مندوبه في المنطقة الطنجية.

العرش المغربي يمثل سلطته الدينية، رجال الشريعة
والقضاء الإسلامي، ويمثل سلطته الزمنية، رجال الأحكام
السلطانية من باشاوات، وقواد، وعمال، وأشياخ، ممن
يفصلون بين مواطنهم المغاربة في مناطق المغرب، إلى
جانب المحاكم الاسبانية، والمحاكم الفرنسية، والمحاكم
الدولية، القائمة في مختلف المناطق.

العرش المغربي هو الضامن الوحيد «للجنسية المغربية
الموحدة» التي لا تزال محفوظة لجميع المغاربة في كافة
المناطق، معترفا لهم بها إلى اليوم.

العرش المغربي هو الحارس الأمين «للأرض
المغربية»، التي لا تزال من الوجهة القانونية والدولية،
منفصلة عن الأراضي الأوربية، غير ملحقة بها، ولا معدودة
من مقاطعتها.

العرش المغربي هو عماد «الدولة المغربية» التي
لا تزال قائمة معترفا بوجودها في عالم السياسة والقانون.

السَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالفؤاد

للأستاذ عبد الله الكديرة

«...ولنتسلح لمواجهة مسؤولياتنا الثقيلة والمتنوعة في هذا العصر، باكتشافات القوة الفكرية التي هي «قوة العلم»، وأدوات القوة المادية التي هي «قوة السلاح»، وكشافات القوة الروحية التي هي «قوة الأخلاق». ولنجعل شعارنا اليومي الدائم «العلم النافع، والعمل الصالح، والإنتاج المستمر، والكسب المشروع، والرقي المطرد، والتنافس المحمود، والسير الدائم إلى الأمام، وضرب المثل لبقية الأقاليم»، ولنحول دنيا الإسلام الواسعة التي لا تغيب عنها الشمس إلى «مسجد كبير» نعبد الله جميعا في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عن الله في الأرض، طبقا لما جاء في كتابه، كل بقدر ما آتاه الله من علم وفهم وخبرة وتجربة، وما وهبه من مواهب فطرية ومكتسبة...».

من رسالة أمير المؤمنين الحسن الثاني إلى الأمة الإسلامية
بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

- 1 -

القدسي الشريف، قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :
«يقول الله تعالى : ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبنه، ولئن استعاذني لأعيذنه،

إن من أجل وأعظم ما امتن به الله سبحانه وتعالى علينا نحن بني آدم أن جعل لنا السمع والأبصار والأفئدة لنشكر ولا نكفر، لنحمد لا لنجحد...»

وواصلنا إلى الشكر والحمد هي ما جهزنا به الله تعالى من أجهزة السمع والبصر والفؤاد، نحسن استخدامها فيما يرضي الله، وينفع خلق الله عيال الله، فأحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله. وهدفتنا الواضح الرائع الذي نرفع لواءه أماننا ونصب أعيننا هو قول الله تعالى في الحديث

وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض
نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا
يُدُّ له منه.

هذا هدف كل مؤمن في الحياة... أن يستغل ما أنعم
الله به عليه من نعم السمع والبصر والفؤاد، وكل الجوارح،
لما خلق هو له، ولما خلقت له من أجله تلك الأعضاء
والجوارح... يستغلها ويسخرها لذكر الله وشكره وحسن
عبادته... فيكون سمعه تذكرا وتذكيرا، وبصره وتبصيره
تفكرا وتفكيراً، وسكونه وتسكينه تدبيرا وتدبيراً، وعمله
لنفسه ولغيره صبرا وتصبيراً أو شكراً وتشكيراً...

والشكر هو الغاية القصوى التي يرتفع إليها العبد
المؤمن : أن يكون عبداً شكوراً... شعاره في الحياة هو
قول الله ذي العزة والجلال : ﴿والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة لعلكم تشكرون﴾. ما خلق الإنسان إلا
لشكر... من أجله زود بالسمع والبصر والفؤاد...

والشكر إخلاص لله، وتجرد له، وتفان في طاعته،
وثبات على نفع خلقه، واستمرار في العمل لمصلحتهم
ومنفعتهم... وغاية الغايات عند العبد أن يحبه الله...
فيكون ياذنه وسمعه له وبه، فهو تعالى بهذا سمعه، ويكون
ياذنه بصره له وبه، فهو تعالى بهذا بصره... فيما يرضيه عن
الله ويرضى الله به عنه تتحرك يده، فيه تعالى تحركت
وإليه اتقادت في حركتها، فعدت ياذن الله يد الله في يده
تقويها وتوقفها وتسدها... وتوسل إلى محبته تعالى واتقاء
غضبه سبحانه تسمى رجله... فيه تعالى سعت وإليه مضت
في سعيها... فتوفيق الله هو الذي قوم مشاها وسدد
خطاها ووفق مسعاها، فهو كله لله وبالله وليس له أو فيه
من شخصه أو نفسه شيء لغير الله... فهو عبد شكور قدوته
في ذلك رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه، حين كان
يقضي نهاره في تبليغ رسالة ربه إلى الناس، والسعي فيما

يصلح معاشهم ومعادهم... ويبيت ليله لربه قائماً، بعد أن
يقضي حقوق أهله كلها من مساعدتهم في أمور البيت
وغيرها... بساما ضحاکا لنا سهلاً عطوفاً رحيماً... ثم بعد
هذا يقوم الليل لربه حتى تتفطر قدماءه، فرقت له حبيبته
الصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وعن
والدها الكريم، وقالت له : أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فأجاب : «أفلا أكون عبداً
شكوراً؟».

إن على العبد أن يتذكر يوم مولده... يوم خرج من
بطن أمه جنيناً... قطعة لحم مخلقة مشكلتة... بقدرة الله
الخلق العليم... لا تعلم ولا تعي شيئاً... مشروع إنسان -
وأستغفر الله العظيم عن هذا التعبير إن كنت به مخطئاً -
قلب يزن حوالي 20 غراماً فقط... رثة لا يتعدى وزنها
30 غراماً... دماغ لا يتعدى وزنه 350 غراماً... الغدة
الدرقية التي سخر الله تعالى إفرازها لتنظيم وتوازن
السلوك والعواطف عند الإنسان لا تكاد ترى... بل إن سيدة
غدد الإنسان وهي الغدة النخامية لا تتعدى نصف غرام...
أين وعيه حينئذ ؟ أين عواطفه يومئذ ؟ أين سمعه وبصره
آنئذ ؟ كل هذا فيه جنين يتدرج في النمو بقدرة العزيز
العليم القادر الرحيم... وينمو الإنسان وينشأ ويكبر ويتم
خلقه إنساناً بكامل قوى الإنسان وملكاته وهباته التي أنعم
الله بها عليه... بسمعه وبصره وفؤاده... والمقصود بالسمع هنا
السمع الواعي الجامع بين الإصغاء والإنصات والفهم... وإلا
فلا سمع... وكثير من الناس يسمعون كل الأصوات والأقوال
والعبر والعظات وأسماعهم حادة مرهفة قوية... ولكن وعيهم
وأفئدتهم مغلقة صماء، فتمر بها الأمور المفيدة كأن لم
تسمعها... والمقصود بالبصر لا مجرد النظر والرؤية، وقد
فرق الله تعالى في كتابه الحكيم بين مجرد النظر وبين
البصر بمعناه الحق حيث قال جل وعلا : ﴿وإن تدعوهم
إلى الهدى لا يسمعون، وتراهم ينظرون إليك وهم لا
يبصرون﴾ خاطب الله تعالى نبيه الكريم عليه الصلاة

ويعنى هذا أن البصر من ناحية الكم قد استأثر بنصيب الأسد من حيث المعلومات التي يزود بها الإنسان... وقد ثار في ذهني تساؤل : لماذا في كل آيات ﴿السمع والبصر والأفئدة﴾ بدأ الله تعالى - وهو الحكيم العليم - بالسمع قبل البصر؟ وقد توصلت إلى جواب أكاد أطمئن إليه : لقد جعل الله تعالى المعلومات البصرية ذات صبغة كمية في الغالب تغني عنها - نوعا ما - المعلومات السمعية التي هي قليلة من حيث الكم، ولكنها جليلة من حيث الكيف... ولهذا نرى أن المولود الأعم الأبكم، إذا لم يجد الرعاية اللازمة ينشأ أقل إدراكا من الذي يولد ضريرا... والحق أن السمع والبصر لا يمكن أن يبلغا بالإنسان مبلغه من العلم الذي أقدره الله عليه - رغم أن ما أوتيته منه ليس إلا قليلا - فالمسلمون ومعهم حكماء العالم من غيرهم يعتقدون أن هناك الوحي، وهو لنوع خاص من البشر هم الرسل والأنبياء المصطفون الأخيار، ثم الحدس والإلهام والرؤى الصادقة وكرامات الصالحين من عباد الله، وما زود به الله تعالى هذا المخلوق العجيب الذي هو الإنسان من طاقات وقوى خفية... يقف العلم الحديث إزاءها مذهولا حائرا عاجزا، قد يجحد فينكر، وتصدمه الحقائق الثابتة فيستلم شاكا مشككا...

ونجمع نحن المسلمين هذه الحقائق في (الفؤاد) الذي يجمع الله تعالى فيه كل مدارك الإنسان الواعية - المكتسبة والموهوبة - التي يكون بحسن استخدامه لها - كما وكيفاً - مسؤولا مكلفا... محاسبا في الدنيا والآخرة... محاسبا بميزان دقيق لا يخطئ ولا يحابي : فالثواب هنا وهناك... اليوم وغدا لمن استحق، والعقاب هنا وهناك... اليوم وغدا لمن استحق...

وها هي الحضارة الحديثة في جانبها المادي الضيق، الذي تهتم به وتنميته على حساب جوانبها الأخرى، فلها جوانب ومزايا أخرى طيبة لا ينكرها أحد يبصر ويسمع وله فؤاد يعقل... ها هي تقف اليوم بالبشرية على شفا جرف

والسلام وعلى آله وصحبه يبين له حال الجاحدين : إن دعوتك لا تصل إلى قلوبهم ليفقهوها ويعوها، فهي لا تتعدى آذانهم، وهم حين يجلسون إليك ينظرون إلى شخصك، ولكن أفئدتهم لا تستطيع أن تتأثر بما يمكن أن ينتقل إلى غيرهم من ذوي الأبواب - أي القلوب - والاسماع والأبصار السليمة من الهدى والرشد، فقلوبهم مطبوع مختوم عليها مريضة، والأبصار والاسماع منهم عليها غشاوة فصلتها مقطوعة بأفئدتهم، فهم قد يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا... قد يكون منهم علماء في أدق وأصعب العلوم المادية قد يجمع الله تعالى لهم القدرة على التعمق في عدد من هذه العلوم والاختصاصات... ولكن يبقى مع ذلك قول الله تعالى في كتابه المكنون المطهر منطبقا عليهم : ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾. إنهم علماء ظواهر فقط، يحسنون استخدام أبصارهم وأسماعهم وباقي حواسهم... إلا أفئدتهم فهم ينحونها جانبا في أعمالهم العلمية. وحتى إذا استخدموها فإنهم سيئون استخدامها، لأنهم يريدون أن يفرقوا بين العقل البارد المجرد، وبين العاطفة الحارة الفعالة المرتبطة بالأشياء والناس، بل وبكل الخلق ارتباط الحب والنفع العميم... بل حتى الذين اكتشفوا منهم أن الخطر كل الخطر في التفريق بين العقل والعاطفة، سقطوا في هوة العاطفة المشوّهة، بقصرها على عرق معين وحضارة معينة... ومن هؤلاء الطبيب الحكيم العالم (ألکسي كاريل)، فهو يمجّد العرق الآري الأبيض، ويكاد لا يرى إلا حضارة أوربا، رغم تعداده لمعاييرها ومخاطرها وأسوائها وأدوائها... رغم هذا كله، فهو يرى أنها وجدت لتبقى، بل هي الحضارة الوحيدة - في رأيه - التي ستبقى لأنها هي الحضارة الفريدة التي استطاعت أن تعي أمراضها قبل أن تقضي عليها.

في إحصاء علمي ثبت للعلماء أن 90 ٪ من معلومات الإنسان يصيبها عن طريق البصر، و8 ٪ فقط عن طريق السمع، و2 ٪ عن طريق الحواس الباقية...

تقريباً... إذا يبدو أن يحرنا الأبيض المتوسط مقدر له أن يصبح بعد فترة بالوعة للماء الآسن القدر!..

وسؤال الحيرة والمرارة الذي يرد على كل ذهن سليم : أهذا هو واجبنا نحو البيئة الطبيعية - بيئتنا المسخرة لنا - من بحار وأشجار وطيور وأنهار... التي خلقها الله لنا، وسخرها لنا... لصالحنا... لنفعلنا...؟! أرد الجميل لهذه المخلوقات الجميلة الرائعة النافعة أن نسخر قواها التي وهبها الله لنا من سمع وبصر وفؤاد وجوارح وأعضاء لتلويثها وإفسادها ؟

الجواب القرآني حاضر واضح : ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾. وفي آية أخرى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ وفي آية أخرى : ﴿والله لا يحب الفساد﴾.

الشهادة الثالثة : من الحياة والواقع... فهذا مرض جديد استشرى في دنيا الناس... وبث فيهم الرعب والهلع (إنه السيد أو الإيدز) هكذا يسمونه... وهو وباء معد رهيب، يشل مناعة الإنسان كلياً... ويفتك به... وهو يستشري بين الشواذ من البشر الذين استغلوا قواهم من بصر وسمع وفؤاد في تتبع واقتناص كل ما يرضي الشيطان، وما يبث في نفوسهم المريضة من أهواء دنيسة وشهوات بهيمية، يرضونها بإسراف وإفراط، وعلى غير ما طبعهم الله عليه في خلقتهم وفطرتهم السويتين المستقيمتين... إنهم يفرقون فيما يزينون لأنفسهم، ويدعوهم إليه الشيطان من الفحشاء والخبائث... وأما الخمر والمخدرات بأنواعها... وما فشت الفحشاء والخبائث في قوم إلا عميت أبصارهم وصمت آذانهم وطبع على قلوبهم... وعمهم من البلاء ما كان وما لم يكن فيمن قبلهم... وفي الإسلام والتزامه والتشبث به الدواء من كل داء، وبه نتأصل كل الخبائث ونقضي على كل فحشاء... فنحفظ أسماعنا وأبصارنا وأفئدتنا للفقهاء الحق والعلم النافع وحب الخلق عيال الله كلهم... فنزكي أنفسنا... وتركوبنا الحياة... وتحل بنا بركة الله... فتصبح أرضنا

هار قد ينهار بها في الدنيا إلى الدمار والخراب وسفك الدماء والفساد... ثم في الآخرة يهوي بأهلها والسائرين في ركابهم عن عمه وضلال في نار جهنم... وبئس القرار وبئس المصير... لهذا الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها ويزينها بحضارة العلم والعبادة والشكر والحمد والحب... فاشتكى الملائكة المقربون خوفاً من أن يفسد فيها ويسفك الدماء... فكان أن نهبهم الله تعالى إلى أنه واسع العلم... يعلم ما لا يعلمون... وعلم آدم الأسماء كلها... وجعله خلقاً سوياً بالسمع والبصر... وفطرة سوية بالفؤاد... يعقل ويفقه الهدى الذي يأتيه من الله بشتى طرق العلم والتعلم... وإلا فالعداء والاعتداء والشقاء... ولا أريد أن أعدد أنواع المصائب التي أصابت الإنسانية بسوء استخدامها لما وهبها الله (من مواهب فطرية ومكتسبة)... ومنها : أساعها وأبصارها وأفئدتها... فالمجال هنا لا يتسع لي إلا بثلاث شهادات :

الشهادة الأولى : للعالم «هانز ألفتين» حين قال في بحث له بعنوان (وسائل الإبادة الشاملة) : «... الأسلحة النووية تهدف أساساً للقضاء الجماعي على المدنيين الأبرياء أو بعبارة : لتذبيهم حتى الموت. ولذلك فإن العبارة التي تصف تلك الأسلحة بشكل أدق هي وسائل الإبادة...».

مهل للإبادة خلقنا الله تعالى وجعل لنا السمع والبصر والأفئدة ؟ ما حر الجواب القرآني عن هذا السؤال : «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

الشهادة الثانية : للعالم «إدجار كارتز» في بحث له بعنوان : «البحر الأبيض المتوسط بحر ميت عام 2000» يقول فيه : «... يستقبل هذا البحر ويشكل مستمر الفضلات المطروحة من حوالي 125 مليون كائن بشري، وهو عدد السكان المقيمين على شواطئه، والذي يتضاعف في الصيف بسبب السياحة... ولكن مياهه لا تتجدد إلا كل 180 سنة

في تناسق وإبداع بين «قوة العلم» و«قوة السلاح» و«قوة الأخلاق»... وبذلك يكون لنا الله في كل شيء منّا، لأننا نكون له بكل شيء فينا.

الطيبة فعلا «مسجدا كبيرا» يعبد الله في محرابه الجميع بأمن ويمن وأمان، وسلم وسلامة وإسلام... ولهذا بعث الله تعالى محمدا خاتم أنبيائه ورسله رحمة مهداة للعالمين ليحلل الطيبات ويحرم الخبائث، وليجمع في باقة جميلة

الرباط : عبد الله أكديرة



فلسفة الحكم عند الحسن الثاني

تتمحور حول الأمّة الوسط

لدؤستاذ عثمان بن خضراء

العلوية التي كان لها رجال أفذاذ قدموا لأمتهم خدمات جلية يشهد لها التاريخ !

ولقد قامت كل دولة من هذه الدول بتجديد عناصر الأمة وتمتين الروابط التي منها تتكون حيوية الشعب ويقظته وشعوره... فقد تولت نهضات مختلفة في تلك المهود، فانتشر العلم انتشارا ذهب بخره الركبان، فكان المغرب كعبة القصاد من سائر أنحاء الممالك الإسلامية، يقصده الطالب للارتواء من ينابيع العلم الفياضة، يرحل إليه العالم للارتواء من ينابيع العلم وربط الصلات العلمية والتعرف برجال الاطلاع والدراية والمشاركة وازدهرت الثقافة الإسلامية بسائر فروعها، من «فقه» رسخ معه قدم العدل الذي كان يشمل الجميع في مساواة وإنصاف منقطع النظر... و«تصوف» أنجب رجالا خدموا هذا الفن وتركوا إنتاجات متنوعة... و«فلسفة» شارك بها المغرب في الانتاج العلمي الإسلامي... و«تقنية عسكرية» كون بها العرش المغربي امبراطورية واسعة الأرجاء تتصل بتونس من ناحية، وبالأندلس من ناحية أخرى... وحرر مناطق الأندلس من المغيرين بجيوشه الجزاره، وبقوة الإيمان والعمل الصالح للأمة الإسلامية، بنظم الأقطار المجاورة

إن التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها لفخور بما يرضه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكن الذي تعز به العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الملك الحسن الثاني أطال الله بقاءه.

نعم... ففي كل الأمم الحية أعياد دينية، وأخرى وطنية ترمز لأحداث تاريخية لها أهميتها وخطورتها بالنسبة لتلك الأمم في غابرها وحاضرها... وبما أن المغرب أمة تنبعث من جديد لتكون نفسها من نفسها وتريد أن تعيش في المستوى اللائق بها فهي تأخذ بأسباب النهوض وتعمل في سبيل التقدم العلمي والحضاري مع الاحتفاظ بالطابع العربي والروح الإسلامية... فشعرت بإدئ ذي بدء بأهمية عرشها وفضلها عليها وما قام به في غضون التاريخ من خدمات جلى لمصلحتها، فقامت قومة رجل واحد تلتف حول هذا العرش المنيف وتثبت به تثبتا عظيما، تقيم له الأفراح وتبتهج به وتفخر بذكراه... فكان للأمة أول شعور بكيانها واعتزاز بقوميتها !

ولا بدع، فقد تعاقب عليه ملوك صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الدولة الإدريسية وفي الدولة اللمتونية، ودولة الموحدين، ثم المرينيين، والسعديين، ثم الدولة

وقادها في فترة من الزمان لوجهة الصلاح... فوجدت الخزانة المغربية في كل فن مجلدات وموسوعات عديدة أدركنا قيمتها ولا زلنا وتاريخ المغرب السياسي والعلمي يكتب بأسلوب حديث مبرز الفاضل والمزاي.

لقد سجل التاريخ المغرب الشيء الكثير عن الأسرة العلوية المجيدة من المكارم والأمجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية... فكانت هجرتهم من الحجاز إلى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد وأهلها، وسجل في حقهم التاريخ المغربي التسابق إلى المعالي وتسهم ذروة المجد والاسراع إلى الاغائثة والنجدة وتحرير الثغور من الاحتلال الأجنبي...

فإذا أخذنا صفحات هذا العرش العلوي المجيد لنجلو ميزات الإنسانية، وتفتحهم إلى أي مدى اتسعت أعماله الإصلاحية، وامتدت أطر مجاهيده الكبرى إلى آفاق إنسانية عليا من الصالح الشامل والنفع العام... نجد البطولة الحق في أروع صورها الإنسانية تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى علي الشريف إلى الحسن الثاني... ونرى المجد الإنساني النباذخ والسمو الروحي الأمثل الذي يتعالى في مقاصده عن المدارك والأهواء الضيقة هو الذي يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش...

وان عظمة هذه الدولة... وهم بناء صفحاتها التاريخية ليقفون بين تواريخ كثير من الأمم موقف التحدي في كثير من صور البطولة والشهامة، وفي كثير من مناهج العمل والاخلاص وقد ورث الحسن الثاني عن أجداده العبقريّة والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالأعمال الجليلة والمنجزات الأصيلة في نطاق بعث إسلامي لا ينحصر في سنة أو جيل، بل يمتد مدى العصور ومدى القرون في تجدد وابتكار وخلق وتجديد - إن فلسفة الحكم عند الحسن الثاني ترتكز على الثورة الاقتصادية والاجتماعية المبنية على أسس النظام الإسلامي، والاشتراكية المغربية التي ترمي إلى إيجاد الثروة فتوزعها أحسن توزيع... فهي كما قال هو نفسه: «لا تفقر الغني

بل تغني الفقير» وهي بعد ذلك انطلاقة اجتماعية واقتصادية تهدف إلى خلق اشتراكية مغربية محضة تطابق أصولنا وأصالتنا، لا اشتراكية مستوردة من الخارج !

بالثورة لا تنحصر في إنسان ولا في جيل ولا في كتاب يقرأ... ولكن هي قبل كل شيء عقيدة، لأنها عمل مستمر للتجديد، للتفكيح، للإنتاج... هكذا يراها الملك الحسن الثاني لأنها عمل كل يوم، كل شهر، كل سنة، كل جيل ! الثورة لا تنقطع لأنها فلسفة وليست معركة دامية... هي إيمان في القلب وفي التفكير والابداع والإنتاج - والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي لن يقبلوا أن تطيعهم شعوب أخرى بطابعها، ولن يتوردوا أنظمتها.

فالأشراكية المغربية هي العمل المستمر الذي يستهدف رعاية المصالح العامة للبلاد والعناية بالمصالح التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالشعب مثل استصلاح الأراضي وتشجيرها ومد قنوات خلالها يجري فيها الماء الصالح للسقي والري وتوسيع شبكة السدود وإنشاء المعامل القروية لإصلاح الأدوات الفلاحية وغيرها مما تدعو إليه حاجة القرية وشق الطرق وتمهيدها، وتشبيد دور للسكنى لأصحاب الدخل الضعيف، والزيادة في بناء المدارس لاستيعاب المزيد من الأطفال المهيئين للتدريس، وتأسيس الأندية الثقافية والملاعب الرياضية للشباب وكل ما يشع في نفس الطفل والشاب الارتياح الكامل لما يأنس في تلك المشاريع من طائفة اقتصادية أو اجتماعية، أو يتوقع من مكسب خلقي أو فائدة تمت إلى العلم والعرفان والخبرة المهنية بصفة خاصة - فهذه الثورة الفلاحية المباركة واسترجاع الأراضي لصغار الفلاحين وعملية الحرث الجماعي... كلها وسائل ناجعة لتعزيز اقتصادنا ودعم إنتاجنا وتعميم الرخاء والازدهار وتحقيق الرفاهية لأكثر عدد من المواطنين... فأرض المغرب ملك للمغاربة بحكم القانون... ويوجه جلالته رعاياه من طبقة الفلاحين بأنه يجب عليهم أن يمتلكوها كذلك بحكم عملهم، ودأبهم،

ومشاربتهم، فيتصرفوا فيها ويستغلوها وهم مؤدون لثمن إنتاجها بعرق جيبنهم وكد سواعدهم وقد شق الحسن الثاني أول خط في تلك العملية المباركة وتبعتها آلاف الجرارات في عزم لا يلين وإرادة فعالة، وفي نطاق مفهوم الاشتراكية المغربية التي ستوفر للمواطنين في البوادي وسائل تحسين حالتهم ومعيشتهم، وذلك باستغلالهم المحكم للأراضي التي يملكونها وبالإسهام في استثمار الأراضي التي استرجعتها الدولة.

فهذه المسيرة وهذه الحرث بالجرارات تشكل حلقة مباركة في العقد الذهبي الذي سبكته إرادة ملكنا الصالح والتي ترمى في الميدان الفلاحي إلى تحقيق تلك الانطلاقة التي عرفتها قطاعات أخرى وسقي المليون هكتار في عام 2000 والثورة الصناعية بدورها شقت طريقها على نهج الاشتراكية ومشاركة العمال في أرباح وملكية مصانع البلاد - وكانت المرحلة الأولى قد تمثلت في مصنعين للسكر ثم امتدت إلى باقي المصانع والقطاعات التعاونية الأخرى تطبيقا لمبادئ الإسلام ولقد رسم جلالته الخطوط الرئيسية لهذا النظام الذي يهدف أساسا إلى خدمة البلاد على إشراك العمال، وهم العمود الفقري للإنتاج، في الاستفادة من الأرباح ومن أجل تهيء الأطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري فإن المبادئ الأساسية التي أعطت لتعليمنا ميزته الخاصة تلخصت في التعريب والمغربية ومجانية الدروس... وقررت عزيمة ملكنا المثقف أن تتحمل الدولة اثنان عبه في هذا الباب حتى يستكمل شبابنا الطموح تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا أو في غيرها بالخارج... وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها أن تكون عائقا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي يفسح لهم أوسع الآفاق ويحقق النتائج التي تنتظرها الأمة - والمغرب اليوم ولله الحمد يتوفر على أطر عليا في الطب والتربية والهندسة والأدب والتكنولوجيا وغيرها من الميادين الحيوية.

هذا، وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... فإن أرشد الحكومات في نظر الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الخضم العالمي الصاحب المتلاطم بالأراء والنظريات المختلفة، وتخط للشعب سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته، مرتكزة على مقوماته، مليئة لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مؤول في الأسرة الدولية وأمام هذه التيارات المختلفة فإن جلالته يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأبالية ذات النظام الأهوج التي لا تترك حرية لأي ضعيف... ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث والأحداث الأخيرة بأوروبا الشرقية وداخل الاتحاد السوفياتي على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها فأحرى معاشتها... نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين، وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تكون في يد الدولة، وأن تؤمم، وبين الميادين والقطاعات التي يجب أن تبتعد منها الدولة، وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرة الحرة - ففري الدولة تشرف على القطاعات الاستراتيجية والضرورية للاقلاع الاقتصادي وللاستمرار في النمو... مثل الطاقة، والصناعة الثقيلة، والمواصلات والقروض، ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة، والخيرات الباطنية برا كانت أم بحرا... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة كانت مائية أو كهربائية أو معدنية أو مالية أو نووية إن شاء الله لا يمكن للدولة أن تتنازل عنها إذا أرادت أن تطلع وأن تستمر في النمو والازدهار.

وهناك ميادين أخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه

وتحدث جلالته في رسالته التاريخية عن «الأمة الوسط» التي هي الأمة التي تركز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا إفراط ولا تفريط، وإنما الانسجام والتكامل والألفة والتوفيق بين الدين والدنيا باعتبار أن العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة الشمولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات التزاماً دنيوياً في نفس الوقت بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل.

ويعتمد جلالة الملك الحسن الثاني في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة إلى ينبوع العقيدة الإسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الإسلامي، ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة، وبالنسبة للرعاي وأفراد الرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثنى أحد، ومن هذا المنطلق فإن الدعوة الرائدة لأمر المؤمنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعني استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الإسلامية وترسيخ المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للإسلام - وأن توجيه جلالته لهذه الرسالة التاريخية لأمة الإسلام نابع أساساً من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

إن عهد الحسن الثاني حافل بالعطاء والبطولات والأمجاد، ملئ بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... وأن الحماس الوطني والإيمان الصادق هو الحافز الذي يحرك أبناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث أثناء المسيرة الخضراء المظفرة سنة 1975 حيث تحول المغاربة إلى شخص واحد يحس بنفس الإحساس ويعيش نفس المواقف، وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية إلى حظيرة المملكة بفضل عبقرية ملك شهم وكفاح شعب بطل، وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار وأذنابه يذكونها لأن سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام إلى

الخاص، وخلق الرواج، والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين : فنرى الصناعة، والصناعة الصغيرة، والفلاحة، والتجارة، والسياسة وخلق شركات داخل المغرب وخارجه حتى يمكن للمغرب أن لا «يتزوج» دائماً بخلاياه وسلالاته الخاصة... بل أن يأتي بدم جديد وتلقيحات جديدة، ويعرف بنفسه وإنتاجه... كما يمكنه أن يصدر للخارج مفكرين وفنيين ونخبة طيبة من شبابه.

ومن جهة أخرى فإن أمير المؤمنين الذي يومن بأن الإسلام هو سبيل النصر والتقدم والقوة، ولا سبيل غيره، كان هو البداية والنهاية لمؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد بالرباط سنة 1969، من أجل اتحاد كلمة المسلمين ضد الظلم والطغيان والاحتلال... وأن الرؤية الواضحة والنظرة البعيدة لهذا الرائد المؤمن كانت في محلها - ثم نرى جلالته يجمع شمل العروبة في «مؤتمر فاس» ليرغم العالم على تأييده فيما كان من حلول لمشكلة فلسطين، وانتصرت الجيوش العربية في سنة 1973 لأول مرة على الصهيونية بفضل تدخل جلالته بتجريدتين من الجيش الملكي - كما انتصرت القضية الفلسطينية لأول مرة بتأييد الرأي العام الدولي لجلالته فيما اتفق عليه من حلول لها.

وفي مطلع القرن الهجري الجديد 1400 وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله رسالة ملكية إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها معلنا عن بعث إسلامي يطبع حياتنا اليومية ويتجلى في مظاهر شؤوننا ويعيد للأمة الإسلامية سابق عزها ويكون باعثاً لتحرير نفوسنا من عقد النقص التي نعانيها، ونعمل في إطاره لتحرير أراضينا العربية الإسلامية التي ابتليت بالكفر والالحاد، والصهيونية والصليبية والاستعمار حتى تقيم حضارة صحيحة، سامقة الذرى، ساطعة الشعاع، عالية الارتفاع، مؤسسة على تقوى من الله ورضوان، تفتح عهداً جديداً من الاستقرار والاستمرار تدخله الأمم الإسلامية في ثياب الاحرام وقد ظهرت نفوسها من الأحقاد وقلوبها من الشهوات وميولها من نزغات الشيطان.

بأقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحياً وسلالياً وتاريخياً... فهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمر المومنين جلالة الملك الحسن الثاني، ورفعت أعلام النصر مرفرفة فوق ربوع الصحراء خفاقة منيعة وستبقى كذلك رغم كيد الكائدين.

ولا غرو، فقد سجل التاريخ بفخر واعتزاز كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من أجل وحدة التراب عموماً والصحراء على الخصوص، الشيء الذي أكدته الوثائق التاريخية والمستندات الوطنية والأجنبية... فقد وصل إلى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملكة خنائة ابنة الشيخ بكار المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاي الحسن الأول بدوره إلى تخوم شنقيط وأوغل فيها إلى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقداً أحوال الرعية.

ثم أرسل السلطان مولاي عبد العزيز وفداً إلى شنقيط لينصب بعض القواد والموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم، ويتفقد الأحوال ويصلح من شأنها، فقصدت هذه البعثة مدينة «السمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وأدت مهمتها أحسن أداء هذا، وإن أعظم وثيقة تاريخية أدلى بها المغرب حول مغربية الصحراء أنه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب، وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية فكانت تحد بالجزائر وإفريقيا الوسطى والسينغال وتوجد الصحراء المغربية داخلية في هذه الحدود... وقد عمدت فرنسا إلى إدماج الصحراء المغربية في إفريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها، مما يجعل هذا الأمر ملغى ومناقضاً للقوانين الدولية.

وبعد احتلال المغرب أكثر من أربعين سنة استطاع العرش والشعب من تحرير جزء من أراضيه سنة 1956، وقد أثار الملك المنعم محمد الخامس ونجله الياز جلالة الملك الحسن الثاني وهما يوقعان وثيقة الاستقلال أن يحتفظ

فيما يخص الأجزاء غير المحررة منه، ويسجلا حقهما الكامل في تحريرها واستعادتها إلى حظيرة الوطن المحرر، وتواصل الكفاح حتى استرجعت طرفاية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع إسبانيا، ثم بعد عشر سنوات عادت منطقة إيفني سنة 1969 وذلك بعد مفاوضات مضنية مع إسبانيا.

وأخيراً جاء دور الساقية الحمراء واهتم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع إسبانيا أو هيئة الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية وأثبت حفظه لله مغربية الصحراء تاريخياً وسياسياً واجتماعياً ودينياً وقانونياً... فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية ماعد الذين أعمى الله بصيرتهم وفي قلوبهم مرض.

ثم بعد النطق بحكم المحكمة الدولية بلاهاي سنة 1975 قرر حفظه الله القيام بمسيرة سلمية والدخول إلى الصحراء في موكب سلام، وأبدت جل دول العالم... مقدمتها الدول العربية والإسلامية موقفنا، مباركين هذه المسيرة الشعبية وهذا الزحف المقدس، الشيء الذي دفع بالحكومة الإسبانية إلى التفاهم مع المغرب والاستجابة لإرادة الشعب وملكه وقرار محكمة لاهاي... ورفعت الأعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء وتعال هتافات الغبطة والنصر والحب والولاء تغمر أرجاء الوطن... وهب أبناء الصحراء بأجمعهم مؤكدين الولاء ومجددين البيعة والطاعة لجلالة الملك ورافضين رفضاً مطلقاً كل محاولة لتزييف واقعهم وفصلهم عن أجدادهم مهما كانت التضحيات ! وفي سنة 1979 جاء انسحاب موريتانيا من ملف الصحراء ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعني أولاً وأخيراً... فخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها وشبابها وأطفالها إلى الشوارع هاتفة بمغربيته ورافعة للعلم المغربي وللشعارات التي تؤكد صدق الولاء - فكان يوم 17 رمضان 1399 هـ موافق

11 غشت 1979م عيداً بالنسبة لسكان المنطقة، ودعوة الحكومة المغربية إلى بظ السيادة الوطنية على إقليم وادي الذهب - وكان تتويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو إيفاد وفد من سكان الإقليم المحرر لتمثيل السكان في تجديد البيعة إلى الملك الحسن بن محمد بن يوسف ابن الحسن، طبقاً للتقاليد المرعية وتأكيداً لتمسك السكان بالوحدة.

فالمعركة مستمرة من أجل عظمة البلاد لأن الخطة التي يسير عليها صاحب الجلالة تتم بسمه الخلق والإبداع، وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين... والأمة التي يقودها ملوك من طراز الحسن الثاني تستطيع حقاً الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة أبنائها لتشق طريقها نحو العظمة والمجد والبناء والازدهار ! إن بلادنا ستبقى في مستوى رسالتها التاريخية، وهي رسالة من محاورها الأساسية الوحدة والسعي الحثيث إليها، ذلك أنه فوق الأرض المغربية انعقد أول مؤتمر إفريقي كان للبنية الأولى لتأسيس منظمة الوحدة الإفريقية سنة 1961، وفيها انعقد المؤتمر التأسيسي لأحزاب دول المغرب العربي سنة 1958، وفيها انعقد المؤتمر التأسيسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي سنة 1969... وصفحات تاريخ المملكة شاهدة على سعي الحسن الثاني الحثيث لجعل دول المغرب العربي تتكتل وتتجاوز المصاعب لتحقيق الإنجازات الحضارية التي يفرضها مسار التطور والنظام الاقتصادي والسياسي في عالمنا المعاصر واستجابة لهذا السمو في المبدأ ووفاء له وبروراً به، كانت قمة مراكش في السنة الماضية 1989 التاريخية حيث سعى القادة سعياً مباركاً إلى التخطيط الموضوعي المنبثق

من إدراك واع وواسع للاحتياجات والطموحات والإمكانات لوحدة تخدم السلام وتخدم التنمية في وقت واحد - إنها خطوات ميمونة تتم على أرض المغرب يباركها جلالة الملك الحسن الثاني ويعبد لها الطريق ويسر أمامها السبيل ويزيح عنها كل العوائق المصطنعة، فكان القادة في مستوى تطلعات شعوبهم.

إننا نحن نحتفل بالذكرى التاسعة والعشرين لترتيب جلالة الملك على أريكة العرش، فإننا في الواقع نحتفل بالأمجاد الخالدة والمآثر التاريخية التي أضاءت السبيل إلى العزة والسعادة وأشرق بها تاريخ أمتنا المغربية... نحتفل حقاً بالبطولات التي حققت لنا الحياة الهنيئة وظلت وضاعة لاتزيدها الأيام إلا جدة وإشراقاً !

فحق على الشعب المغربي أن يحتفل بعيد العرش الذي هو رمز الأمانى ومعقد الرجاء... وحق عليه أن يقيم الزينات ويرفع أعلام المسرات ابتهاجاً بهذه الذكرى السعيدة وأن يجدد أفراحه ويعلن شعوره ومحبه لهذا الملك العظيم ولهذا البيت العلوي المجيد.

نسأل الله تعالى أن يطيل عمر مولانا أمير المؤمنين في عز وتمكين وأن يديم له النصر المبين وأن يفتح على يديه للمسلمين أبواب اليمن والسعادة بجاه جده المصطفى ﷺ، كما نسأله سبحانه أن يحفظ ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة ويسوأ أمتنا المغربية مكاناً عالياً وذكراً حميداً ويحقق لها وسائل الرقي والنهضة الشاملة والازدهار.

ما أحمل الذكريات إذا كانت نابعة من القلوب، وما أروع الأعياد إذا أقامتها الشعوب.

سلا - عثمان بن خضراء

بَيْنَ الْقِمَّةِ وَالْقَعْدَةِ

للدُّسْتَاذِ مُحَمَّدِ بَخَات

رسالته إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

كانت خطبة حجة الوداع الوصية الربانية لنجاح وصلاح القاعدة البشرية، كما كانت حجة دامغة وبالغة على نجاح القمة الحاكمة المتمثلة في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذي تجسدت فيه الرسالة الخاتمة لدعوة الله المكملة للديانات السماوية السابقة والمهيمنة عليها - وهنا أرى من الضروري أن ألقى بعض الأضواء الكاشفة على أسباب وأسرار الترابط والتجاوب بين القاعدة والقمة عبر التاريخ البشري، هذا التاريخ الذي كاد يكون مظلمًا مدلهما بسبب الجاهلية الطاغية لولا رسالات السماء ودعوات الأنبياء عليهم السلام.

إن تقبل القاعدة للدعوة يعود لكون القمة كانت خير قمة لما تتميز به وتتصف به من صدق خالص وتتحلى به من خلق رفيع، وهي نظافة تجمع بين الجوانية والبرانية لا تضارعها نظافة فهي النظافة المطلوبة دوماً في رسالات السماء.

إن أنبياء الله ورسله هم دوماً في القمة بل هم قمم البشرية بلا منازع وبالنسبة لشعوبهم فهم القادة والرواة

(إن من منن الله على خلقه ورحمته بهم أن بعث فيهم سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه برسالة إلهية هي خاتمة الرسالات، تهديهم إلى محجة الصواب، وتفتح لهم من وجوه الخير والبر كل باب فأدى الرسالة، وبلغ الأمانة وترك من بعده كتاباً محكم الآيات من تمسك به لم يضل وسنة وثيقة الأسانيد والروايات، من اقتضى أثرها لم يزل، واقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافتهم في الأرض فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبین، وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، في طبيعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام). من درر الملك الحسن الثاني حفظه الله في

والهداة والرعاة والحماة والبنائة، والقلة المؤمنة من شعوبهم هي القاعدة، وهذه القاعدة كانت خير قاعدة لأن القمة كانت خير قمة.

والحقيقة التي يجب أن نؤمن بها وتقبلها هي أن خيرية وصلاحية ونظافة هذا النوع الوحيد من القواعد كانت وتحققت لخيرية وصلاحية ونظافة القمة التي لم يكن لها في تاريخ البشر نظير.

ونفي وجود نظير لها لكون أناس تلك القمة هم صفوة البشر وأساتذة الحياة وأطباء الأرواح وهداة العقول ورسل الخير ودعاة الحق، وكيف لا يكونون هم أطيب صفوة والاسوة الحسنة، وهم الصالحون والمصلحون بشهادة القرآن من أجل دعوة القرآن :

﴿...ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾⁽¹⁾

لقد كانوا هم الصالحين بحق لأن دعوتهم كلها صدق وإيجابية ربانية، والصدق والإيجابية الربانية نتيجة فورية حتمية للتوحيد الذي رباهم الله به واصطفاهم من أجله، ولذلك كانوا صالحين قبل أن يكونوا مصلحين مما جعلهم أختيارا وأطهارا، أشرافا وأبرارا، مصطفين صديقين، متخصصين في الدعوة مخلصين في التقوى، وهنا تتجلى حقيقة إيجابيتهم وتوضح واقعية دعوتهم.

وكل هذا الحق في دعوتهم دلائل ساطعة وحجج بالغة على صلاحهم، وتدل على أنهم أهل الإصلاح باختيار الله، والمؤمنون بهم هم الفائزون وحدهم دنيا وأخرى.

ولكي نترشد ونكتشف المزيد من صلاحهم وصلاحية دعوتهم نقصد القرآن فماذا نجد؟ ما أعظم ما نجد فيه من تخليد الله لهم وتشريفه، ونجد شهادة القرآن لهم، وأعظم بها من برهنة : ﴿إن ابراهيم كان أمة قانتا لله

حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتنابه وهداه إلى صراط مستقيم. وأتيناها في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾⁽²⁾ ﴿ولو طأ أتيناها حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث أنهم كانوا قوم سوء فاسقين. وأدخلناهم في رحمتنا إنه من الصالحين﴾⁽³⁾

﴿...واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين. وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾⁽⁴⁾ ﴿واذكر عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار. إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأختيار﴾⁽⁵⁾ ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا...﴾⁽⁶⁾ ﴿...ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾⁽⁷⁾ ﴿وزكرياء ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾⁽⁸⁾

وكيف لا يكونون هم قمة الإنسانية، وكيف لا يكون المؤمنون بهم أصلب قاعدة ودعوتهم إنما هي الحق والخير : أساسها اعتصام بالله والتزام دينه وصبغتها إخلاص لله، وذروتها جهاد في سبيل الله على الدوام لإحياء البشر وهدايتهم رحمة بهم : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾⁽⁹⁾ ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾⁽¹⁰⁾ ولماذا هذا الإحياء وهذه الهداية؟ وكيف تكون تجليتها والبرهنة عليها؟ عن الهداية أقول : بأن من يحظى بالهداية ويهتدي للإيمان الحق يتحول إلى مؤمن ملتزم يميز ويفرق، يدري ويعي، يستقيم ويتقي، يجعل له ربه فرقانا وهكذا يدعو إلى الله وتنمو به القاعدة الصلبة.

(6) (مريم : 51).

(7) (الأنبياء : 72).

(8) (الأنعام : 85).

(9) (الإسراء : 9).

(10) (الأنفال : 24).

(1) (هود : 88).

(2) (النحل : 120 - 121 - 122).

(3) (الأنبياء : 74 - 75).

(4) (الأنبياء : 85 - 86).

(5) (ص : 45 - 46 - 47).

إن جاهلية الماضي والحاضر ما هي إلا جرثوم وخطر وضرر وانتكاسة ورجعية وارتكاس وإبلاس، ارتكاس في حمأة الشرك والكفر وإبلاس من رحمة الله، فالجاهلية تمثل دوما قمة الرسوب في امتحان التوحيد، وهيئات لإنسانها أن ينجح لأنه منحرف من الأصل. وفي دعوة الأنبياء والرسول إنجاح مضمون له وتخليص أبدي له، وتحرير أصيل وحققي له. تحرير من نير الجاهلية بل من نارها وظلمها وضيقها وشقتها. وفي هذا التحرير إخراج له من ظلماتها إلى نور الإسلام وعدالته ورحمته وسعته، وتحريرها له وأقمي وإيجابي لأنه طيبات وخيرات وفضائل. أما تحرير الجاهلية والجاهلين الموهوم المزعوم، المزور المأساوي ما هو إلا تخطيط في حمأة الخبائث وانضهار في بوتقة الكفريات، انه تحرير يذوي أصالة الإنسانية ويطمس حقيقة البشر ويفضي إلى أسوأ مصير دنيوي وأخروي.

ولولا تحرير الأنبياء والرسول لهذا الإنسان لصار حديث خرافة بل لباد وأقرض ولكن رحمة لهذا الإنسان مما يدل على القيمة التي له عند الله كانت دعوة الله عبر التاريخ الطويل تحريرا ربانيا ضروريا فيه النظافة والشرف له، والطيبة والموثوق مما جعل أهله طيبين من المؤمنين الذين يمثلون القاعدة الصلبة لأنهم اقتدوا بأنبياء الله ورسله قمة الإنسانية.

وما كان الاقتداء بهم إلا اهتداء حقق لهم حياة سعيدة في هذه الدنيا بالإيمان، وضمن لهم فوزا برضوان الله الأكبر في الأخرى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾⁽¹³⁾ ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده...﴾⁽¹⁴⁾ ﴿لقد كان لكم

وعن الإحياء نتيجة الاستجابة أقول : بأن استجابتهم لله ولرسول الله تكون حينما يتحلى بها مجتمع المحبة في الله وتجعلهم في وفاق بدين الله وتتجلى فيما يتصف به المستجيبون من مكارم أخلاق والتزام حق وصفاء وهناء ينعمون بهما، وهذا التحلي والتجلي هما عنوان الصلاح ودليل لمن أراد النجاح ورغب في الفلاح.

إن دعوتهم الخالدة هي حجة الله البالغة التي ليس بعدها دليل والتي هي هدية للبشرية رحمة بهم وتكريما لهم لمن أراد أن يستقيم فيحيا حياة طيبة.

على هذا الأساس فدعوتهم تلك لا تقبل الجاهلية من قريب أو بعيد، تبارئها دوما بالبرهان الحق وتجهز عليها بالإعجاز الرباني، تبتدأ من ضروبها وبناتها وأخواتها ومن نتائجها ومباهجها وتياراتها وتربأ بالإنسان في أي زمان عن أي انحراف وانجراف ناتجين عن هذه الجاهلية التي لا تؤدي به إلا إلى الضعف العقلي والقصور العقلي والتقصير في معرفة الله ونفي طاعته، ولا تجعله إلا ضحية لشياطين الإنس والجن، ميدانه الحياتي شهوات محرمة، عيشة بلا فضائل، همه كل الرذائل، فهو طالح بما يعمل من خبائث : إنسان صفر لأنه غير طيب.

إنه لكون حالاته هكذا ومصيره هو ذا فالحل والخلاص في التغيير الجواني والتطهير البراني بدعوة الحق : دعوة الأنبياء والرسول عليهم السلام، تلك الدعوة التي لا تساوم ولا تتنازل على حساب دين الحق ومبدأ الحق، أنها دعوة لربانيتها وإيجابيتها تغير الباطن باطن هذا الإنسان لإصلاحه، ولتصحيح واقعه وتقويم سلوكه في الحياة، بغية تحريره دائما من الجاهلية القديمة ومن هذه الحديثة : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾⁽¹¹⁾ ﴿...أعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾⁽¹²⁾

(13) (الأنفال : 24).

(14) (المتحنة : 4).

(11) (الرعد : 11).

(12) (المؤمنون : 23).

فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد،⁽¹⁵⁾ لقد
كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً،⁽¹⁶⁾

ومن أراد المزيد من التعمق والاكتمال في موضوع
طيبة وصلاح القاعدة والقيمة في عالم البشر فعليه بحديث
رسول الله ﷺ حيث يجد أسراراً مكشوفة وأنواراً ساطعة
من الطيبة والصلاح تشرف الطيبين والصالحين وتشتهر
بالخبِيثين والظالمين، والحديث المقصود هو خير حديث
في هذا الصدد، ولعله الوحيد في موضوعه خصوصاً وكلام
الله يؤكد ما يدعو إليه ويوجهه، والحديث الشريف هو
هذا : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله
تعالى أمر المؤمنين بما أمر المرسلين، فقال تعالى : ﴿يا
أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً...﴾
(الآية)⁽¹⁷⁾ وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه
تعبدون﴾،⁽¹⁸⁾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر،
يمد يديه إلى السماء : (يا رب ! يا رب ! ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب
له).⁽¹⁹⁾

على ضوء هذا الحديث النبوي نكتشف جانباً جديداً
بل فريداً من طيبة وصلاح القاعدة والقيمة وهي المساواة
بين رسل الله وعباده المؤمنين التي تجسدت في مطالبة الله
لهم بأكل الطيبات وعمل الصالحات وهي مساواة عادلة لأن
الله عادل، وأصيلة لأن دين الله أصيل، ومفروضة لأن
الإيمان يحتمها ويدعو إليها.

وعند الله فيها بين في عدم التفريق بين رسل الله
هداة الناس وبين أتباعهم من المؤمنين فيما يتعلق

بالتكاليف التي عليهم أن يلتزموها كمعلمي الخير والبشر،
وعدم التفريق هنا هو المطلوب حتى ينعدم على الدوام أي
تناقض مقوض لأساس الانسجام والتجاوب بين الحكام
والمحكومين وحتى تبقى عروة الوفاق والاتفاق بين القاعدة
والقمة وثقى لا انفصام لها.

والحقيقة التي يشير إليها الحديث بل ينطق بها
مباشرة جد مهمة، عظيمة وأساسية لكل حكم صحيح
ولسعادة أي أمة تتبناه : وهي الحفاظ على نظافة وسلامة
القاعدة والقيمة اللتين بفضلهما يعيش الرؤساء والمرؤوسون
في نظام ووثام والتزام.

وهذا ثلوث إيجابي وواقعي وضروري تحقق في عهد
أنبياء الله لأنهم كرؤساء كانوا قدوة صالحة برهنوا بصلاحهم
على صدقهم وإخلاصهم، وهو برهان منهم كاف وداع
للاقتداء بهم والاهتداء بهم عن رغبة وبطمأنينة. وهكذا كان
أنبياء الله قادة ربانيين ورؤساء دنيويين من أفاضل الحكام
تجاوبوا مع المؤمنين من أممهم، وعاشوهم بكامل الطيبة،
وعاملوهم بكامل الحسنى. وما تجسدت فيهم هذه الطيبة،
وما تحققت فيهم صلاحية الدعوة التي دعوا إليها إلا لكونهم
رسل الرب الطيب الذي لا يقبل إلا طيباً.

وحقيقة طيبتهم إنما أنتجت عن الإيمان الذي هم
رسله والذي تحققت فيهم فضائله ومكارمه، فكيف لا
يكونون طيبين طاهرين وكذلك كل مؤمن بهم. أن الإيمان
الحق لا يمكن أن يجعل المؤمنين إلا عباداً متقين وناساً
مخلصين وبشراً طيبين، يفعلون الصالح من الأعمال،
ويقولون الطيب من الأقوال، يحيون وهم أطهار البواطن
والظواهر، يحللون الحلال ويحرمون الحرام، يميزون بين
الطيبات والخبائث في حالة المطعم والمشرب والملبس،
يعيشون وهم مهتدون لما يرضي الرب ويبقون وهم هداة

(18) (البقرة : 172).

(19) (رواه مسلم).

(15) (الممتحنة : 6).

(16) (الأحزاب : 21).

(17) (المؤمنون : 51).

للمساواة بينهما، فرجحان الوزن وصحة القيمة والأصالة
والقمة للطيب، أما نتيجة الخبيث فهي حصاد الفساد
والنزول إلى الحضيض والاصرار على الذنب وسوء العقاب :
﴿قل : لا يستوى الخبيث والطيب، ولو
أعجبك كثرة الخبيث﴾. (21)

ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة
كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء،
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله
الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من
قرار﴾. (22)

وهكذا فربنا قال قوله الفصل في موضوع الخبيث
والطيب، فطيبة المسلم نتيجة حتمية لطيبة دينه لانتمائه
الأصيل والتزامه الصحيح لأن هواه يكون دوما تبعاً لما جاء
به المعصوم عليه الصلاة والسلام.

الرباط - محمد بخات

إلى صراط الحميد، فكيف لا يستجاب لهم وهم الاتقياء
الأوفياء ؟

إنهم أقرب العباد بل أحب العباد إلى المعبود فهم
الذين شكروا له وعبدوه كما أمر وأراد سبحانه : ﴿يا أيها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وأشكروا
لله إن كنتم إياه تعبدون﴾. (20)

أما عن أولئك الذين لا يتورعون، ولا يراعون عن
الخبائث ولا يعرفون الصالحات ولا يتعرفون على الطيبات
ولا يعملون الحسنات ولا يفكرون فيها، فهم يعيشون عالية
رغم أنهم كثرة لأنهم خبيثون فاسقون. وهم عالية لأنهم فقراء
إلى الحلال مفلسون منه كلية، وهم كثرة ولكن بالحرام
فأين الوزن لهم ؟ ولذلك فهم كلاً شيء مفلسون في ميدان
الحسنات خاسرون يوم الحساب فأنى يستجاب لهم ؟

وصدق الله وما أعظم ما قال عن الطيب والخبيث،
يأمر وينهى، يرغب ويرهب يبشر وينذر، فهو سبحانه
يقارن بين الخبيث والطيب، فهما لا يتويان وهيئات

(20) (البقرة : 172).

(21) (المائدة : 100).

(22) (ابراهيم : 24 - 25 - 26).

يا لها من فرحة طابت !!

للشاعر الأستاذ أحمد الجمالي

وابعثي الشـدو بلحن شيق
وقرانا الفائقات الرونق
في ربوع المغرب المنطق
للمليك المفتدى بالحدق
كل نفس بفنون الأنق
وبدت آياته في الأفق
وضياء مثل نور الفلق
سوف يشدو تحت بدر مشرق
يتغنى في عموم الطرق
يتلاقى في جموع الحلـق
وبليغ وأديب مفلـق
عن ولاء للمليك الحدق
طيب الروض عطور السمـق !!
لسوى عاهلنا لم نعشق
وحبناه الله حسن المنطق
أو يحدث فبقول لبق
وساحا، يا الحسن الخلق !!
من خداع الماكر المختلق

يا طيوراً في سمانا حلقي
فوق نهر وسهـول وربى
شاطرينا ها هنا أفراحنا
واحلمي تهنئة من شعبنا
إن عيد العرش ذكرى غمرت
لاج عيد العرش في أوطاننا
تملاً الكون جبورا شاملا
كل شب أو عـجوز في الحمى
بل تراه اليوم من نشوته
يتهادى قبل العيب إذا
سره من قد رأى من شاعر
ينشد الشعر سخيا معلنا
يا لها من فرحة طابت كما
عمت الشعب فأوحت أننا
لطف الله به بين الملا
إن يخاطب تراه منشرحا
حاز علما وسدادا في الرؤى
هو للشعب العزيز جنة

إن يكن قوم عموا عن قصدنا
فأرادوا صدنا عن أرضنا
فلنا في كل ركن قلعة
حسدونا في نهوض شامل
ويجهم قد جهلوا أن لنا
فليخب قسدهم ومهمنا بغوا
نحن لا نركع إلا للذي
من يرم صحراءنا بالشتر في
أيها الصحراء عيشي في الهنا
في ظلال «الحسن الثاني» الذي
عند الاستفتاء غداً سوف تخيد
أيها الحاسد من أهل الخنا
لا علينا إن تكن أو لم تكن
أغاظ الحاسد استقرارنا
بينما العاجز من يدنه
ملكنا الحر ذكي نابيه
هو للشعب العزيز كاخ
شاد للشعب سدوداً جمّة
كي يمد الزارعين في القرى
وشباب القطر في العلم بها
لجلاء الجهل عن أوطاننا
فنون العلم أضحت للفتى
لا تسلمي عن صناعات لنا
إن أردت اليوم تعداد المنا
عشق المجسد صغيراً فغدا
ما رأيت عيني له من مثل
هو - والله - نعماً هو بين
شرف العرب جميعاً ومضى

ثم صموا وجاهل مطبق
بنفوس شحنت بالقلق
حصنت دوماً بأسد الفيلق
إذ سلكننا كل نهج أليق
ملكنا يحيى بفكر سامق
وليموتوا كلهم بالحنق
برأ الكون بشكل مونق
أرضنا يا ويله مما لقي !!
لا تهـأبى أي أمر مقلق
صد عنك كل خطب موبق
بظنون الطامع المرتزق
كن كما شئت أو ارعد وابرق
فبنار الحقد مت واحترق
في ظلال الأمن والجو النقي !
أنه ينهج سبل الزلق
يتحدى كل خب أحرق
في الوفاء وأبيه المشفق
لاحتواء المطر المفترق
بعطاء مائها المغدودق
تبتاري كخيول سبق
وليمحي سمرمدا ما قد بقي
واجبات وأساسا للرقى
أقذت كل فقير مملق
قب للعاهل لا لم أطق
للمعالي في الدنى لم يسبق
أبداً في مغرب أو مشرق !
الملوك مثل عقد العنق
ذائع الصيت كطيب عبوق

ولله فضل عليهم كلما
 ذاك لبنان وفي أزمته
 فعساه اليوم يأتي أو غداً
 وفلسطين التي مـا برحت
 تعقد العزم على طرد الـدخيل
 هو أمال بنهـا كلهم
 يا رئيس «القدس» يا من دأبه
 فكرك النور الذي يخرجـه
 يا ملك الشعب أنت المرتجى
 عشت للعرب جميعـا ولنـا
 ووقى الله «ولي العهد» زين
 ورعى الله «الرشيد» كلما

حل كرب وغدوا في مـأزق
 يتردى في خلاف ضيق
 أهل لبنان بحل أوفـق
 تتشكى من وثاق موثق
 العزم على طرد الـدخيل
 لزوال عارها الملتصق
 فتح باب في الصراط المغلق
 عن قريب من ظلام النفق
 في الظروف الحالـكات الغسق
 مثل نجم في السما مؤتلق
 الشبـاب في الـذين سيقى
 طار طير فوق دوح مـورق

البيضاء - أحمد الجمالي

للشاعر
الاستاذ
أحمد
الخبياطي

عرشُ الصمود والبناء

وبالمنى مهلا
وعطره ما أجملا !
كباقية مكللا
بين الغصون للملا :
وبالمنى مهلا

عيد العرش أقبلا
والروض فاح زهره
والكون كله بدا
والطير تاه منشدا
عيد لعرش أقبلا

☆☆☆

عرش الصمود والبناء
قد فتحت له السماء
من كل مكر وادعاء
نبغي السلام والنماء
عن حصرها ضاق الفضاء

مرحى بعيدي عرشنا
صمودنا على العدا
وضاع ما لخصمنا
فنحن أمة الهدى
كم من أياد عندنا

☆☆☆

بكل أرجاء الوطن
من عزة ومن منن
تجيبكم عن الحسن
سمت بروعة الزمن
بعضمة من الفتن

مفاخر تعددت
سلوا العلوم كم لها
سلوا السدود ها هنا
سلوا القباب والقصور
سلوا الثبات كم أتى

☆☆☆

بحكمة قد حررا
والآن دور سبتة
عن حنكة لعاهل
كذا مليليتنا
من الحنين نحو
تنادي : حرر تربتي
صحراءنا إذ شمرا
قد جاءنا معبرا
وملهم بين السورى
مدت إليه صورا
مع جيوب أخرا
إني سئمت الغيرا

☆☆☆

الله صان عرشنا
ومن للعهد قد علا
مع الرشيد صنوه
هيا جميعا إخوتي
هيا افرحوا، هيا اطربوا
وملكننا على الدوام
كالبدر ليلة التمام
وباقى دوحه الكرام
إلى الفنى، إلى الأمام
بعيد العرش، بالإمام

طنجة - أحمد الخياطي

☆☆☆

☆☆☆

للشاعر
الأستاذ
المهاشمي
الهوري

سعد الشعب في حماك قريراً

وتباهى في عزة قعساء
صوته في مسالك الغبراء
حسن المجيد لاهجاً بثناء
يملاً الدنيا بالعلاء والنماء
وأساس العمران صدق الوفاء
ناعماً في تقدم ورخاء

رفل العرش في ذرى العلياء
وتغنى بلحن خلعد ودوى
واتشى الفخر زاهياً بمزايا
يبعث الله للفضائل شهماً
إنما تبتنى المعالي بعزم
سعد الشعب في حماك قريراً

☆☆☆

منك حتى من أبلغ الشعراء
وسليل الهدى ورمز العلاء
وعرفت النضال جم العطاء
وطناً قد أعطيته في سخاء
مخلصاً في السراء والضراء
صرح مجيد مخلد لألاء

إيه مولاي ما ينال بيان
أنت سر ابن يوسف ومنه
قد تمرست بالعظائم غضاً
وتعشقت صادقاً في تفان
وحملت اللواء برا غيوراً
قد بذلت الوفاء للشعب ترسي

☆☆☆

وملاذا في زحمة الأرزاء
كالنسيم العليل في الأرجاء
حيث تعطي الأدوية خير دواء
لك عز ومنعة الأصفياء
وزعيما موفوق الإيماء
وأشربت أغناقها للقاء
شاكرات لفكرة عصماء
يصطفي من يشاء للإطراء
تلمس الكنه قبل كشف الغطاء
وتكون الآراء خير وقاء
أو ستسى سناء عهد الإخاء
تبذل الجهد كاشف الغماء
قبسا تذكي هممة النجباء
مشخر يقضي بسر مضياء
وتحث الأبطال في إذكاء
صوب شط الوفاق والإبقاء

يا منارا يضيء كل سبيل
ذكرك العاطر المعطر يسري
تضع الأمر في مواضع حزم
ملا العالمين صيتك فاهنا
عرف العرب فيك رائد يمن
إن حضرت الجموع كنت سناها
وإذا ما خطبت أضحت وفود
ذاك فضل أوتيته من إله
لم تدع فرصة تمر هباء
فتزيل الستار عما تواري
هل ستسى الجولان عزمك يوما
كلما عن حازب كنت غوثا
كنت للمسلمين في كل صقع
وتعيد الآمال في بعث مجد
تبذل السعي كي تضم شتاتا
أنت وجهت قمة بعد أخرى

☆☆☆

لك في عيد عرشك الوضاء
تتملى في بهجة ورواء
بمزايها تربو على الإحصاء
ولك النصر في مزيد ارتقاء
في سماء العلا نجوم السناء

أيها العاهل المفدى تحايا
كل نفس تراك أسمى مناهها
تسامى بك البلاد وتشدو
فلك الفوز والعناية دوما
وليعش شبلك الهمام وتحيا

مراكش - الهاشمي الهواري

شهادات صادقة في ملك صالح

على
المستوى الدولي
الرفيع

صياغة وتنسيق : الأستاذ محمد بن محمد العالين

في نداء موجه إلى الشعب المغربي : «هذه الأيام ستكون مناسبة طيبة للتعاون، وتبادل الخبرات بين دول اتحاد المغرب العربي، وتوحيد الوعي الصحي بين شعوبها».

وقد تبين من الزيارة الملكية الرسمية الأخيرة لإسبانيا، أن تلك الزيارة تفتح آفاقا جديدة في طريق إنجاز الربط القار، من أجل ترسيخ الصداقة المغربية الإسبانية، وخلق نقطة وصل عبر مضيق جبل طارق.

كما أكد رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية أن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يحظى بتقدير كبير، بفضل حكمته وتواضعه... إن اتحاد المغرب العربي يشكل خطوة هامة جدا، ستمكن من تعزيز أواصر السلم بين دول هذه المنطقة، وتدعيم التعاون فيما بينها. ويمكن لهذا الاتحاد أن يدعم العلاقات بين المجموعة الاقتصادية الأوربية، وبلدان منطقة المغرب العربي. وقد أصبح من الضروري إقامة تجمعات جهوية لتوفير أرضية صالحة للتعاون. وفوق هذا وذاك، يقوم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بدور فعال، لإيجاد تسوية منطقية لقضية الشرق الأوسط وسياسته في هذا الصدد، تحظى بتقدير كبير... فلا بد من تكريس وتوطيد وتدعيم وتعزيز وبلورة

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا، وَالَّذِينَ آمَنُوا، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. فقد جمع لهم بين خير الدنيا وكرامة الآخرة. وفعلا، فقد أنجز الله وعده، وأيد عبده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده. ومن أصدق من الله قيلا ؟ ومن أوفى بعهده من الله ؟

فها نحن نرى هذه العناية الإلهية متجسدة في مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني - دام له العز والتمكين، والفتح المبين - فعلى جميع الأصعدة والمستويات، تظهر له الكرامات تلبوا لكرامات، في المجالات الحسية والمعنوية. وما علينا إلا أن نتجول في بعض وقائع الأيام الأخيرة، لنلمس عن كثب النعم السابغة التي أغدقها على عبده الخاضع لجلاله، والطائع لعزته وسلطانه، فهناك نرى المنعم عليه، يغدق من فضله على رعاياه الأوفياء، ويكرس جهوده لتعزيز المغرب العربي الكبير، وخدمة قضايا العروبة والإسلام، وتدعيم حركات التحرير، وتوطيد قواعد السلام الإنساني في مشارق الأرض ومغاربها.

وعلى سبيل المثال، وبمناسبة الأيام المغاربية للتفكير، كان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قد قال

وإن إيماننا بالديانتين السماويتين، دليل على التفتح، خصوصا وأتانا نعيش قرنا فريدا من نوعه.

...وفي ميدان الشغل قالت صحيفة (لوفيفارو) :
زيارة رئيس هيئة العمل الفرنسي للمغرب، من شأنها الدفع بالتشارك بين البلدين، علما بأن الجهود التي قام بها الجانبان المغربي والفرنسي مؤخرا، من أجل القيام بعمليات تشاركية، أسفرت عن نتائج إيجابية، ما دامت قد سمحت بعقد 500 اتصال بين الشركاء الفرنسيين والمغاربة، كان من نتيجتها خلق 201 مشروع نظري للتعاون.

☆☆☆

وأكدت صحيفة (لوموند) الفرنسية في عددها الصادر يوم الأربعاء 10 ربيع الأول 1410 هـ الموافق 11 أكتوبر 1989 م، أن الجولة الجديدة من المفاوضات بين المغرب ولجنة الأبنك الممثلة للمؤسسات المالية الدائنة التي تسعى للتوصل إلى اتفاق حول تخفيض الديون الخارجية الخاصة، وفق خطة «بوادي»، تتوفر على حظوظ النجاح... فالمغرب يتوفر على رصيد مهم في هذه المفاوضات، يتمثل في السمعة الطيبة التي يحظى بها لدى الهيئات المتعددة الأطراف... والمغرب الذي طبق سياسة تقويم هيكلية صارمة، بعد أزمة الأداءات لسنة 1981، يعتبر أحد البلدان القلائل، ذات الدخل المتوسط، التي حققت حسابات جارية متوازنة سنة 1988. والتي قدمها السيد (باربركونابل) رئيس البنك العالمي، كنموذج... ومجموع الدين التجاري الذي تعاقدت حوله الرباط مع الأبنك الفرنسية، يصل إلى 3,2 مليار دولار، وهو بذلك أقل بكثير من ديون المكسيك من نفس النوع، البالغة 54 مليار دولار، وكذا من ديون الفلبين البالغة 7,2 مليار دولار، وهما البلدان اللذان سبقا المغرب، على طريق التوصل إلى اتفاق من أجل تخفيض الديون الخارجية... والمغرب يطالب بتخفيض قدره ثلاثون في المائة من ديونه... وهو يعتزم شراء جزء منها من السوق الثانوية.

حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وإنشاء دولة مستقلة فوق أرضه، تكون فيها منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الرئيس ياسر عرفات، هي ممثله الوحيد، وأن تكون القدس هي عاصمته. وبما أن تعنت إسرائيل أصبح في تضاعد، فالواجب الإسراع في إيجاد حل للأراضي العربية المحتلة.

...ويرتفع صوت جلالة الملك الصالح المصلح مولانا الحسن الثاني - أبقاه الله وسدد خطاه - في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية السادسة، ليقول في خطابه التوجيهي السامي :

- نحن في حدودنا آمنون مطمئنون. ومن صمد 15 سنة، فهو مستعد أن يصمد 15 و 20 سنة، و100 سنة أخرى.

- سنبني مساكن في الصحراء للذين سيلتحقون بنا يوم الاستفتاء، وليعلم الذين سيقولون (نعم)، أن دارهم مبنية، وأن عشهم موجود، وأن شغلهم ينتظرهم.

- لقد أعطانا الله خصلة الاقتداء، ولكن أعطانا كذلك قوة الاختيار في الاقتداء.

والحقيقة الناصعة تنبض في الحديث الذي خص به جلالة الملك الحسن الثاني، مجلة «بوان دوفو إيماج دوهوند»، إذ قال على الأخص :

- حياة المغرب كانت حياة مليئة بالنشاط والحركة. ولم تعرف أبدا رقابة أو فترة فتور.

- أمثل نظام للحكم، هو الحوار، ثم الحوار، فالحوار.

وقد جاء كذلك في نفس المجلة أعلاه :

- مسجد الحسن الثاني حصيلة عمل شعب بأكمله، استجاب لهداء ملكه.

- كل الإشارات يجب أن تكون حاملة للضوء الأخضر... وأنا قد ترعرعت في ظل أعرق تقاليد تريتينا...

والملموس في قضية الصحراء... وإن إنشاء مجموعة ذات مصالح مشتركة، على غرار المجموعة الاقتصادية الأوروبية لفائدة اثنين وستين مليون مواطن مغاربي، يجب أن تضع هذه القضية في إطارها الحقيقي، باعتبارها مشكلة ثانوية.

☆☆☆

أبرز السيد (جون كيللي) الوزير الأمريكي المساعد لشؤون الشرق الأوسط، وجنوب آسيا، في تصريح أدلى به لوكالة (تونس افريقيا للأنباء) الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي يكتسبها المغرب العربي، من وجهة النظر الأمريكية. فشمال افريقيا يمثل جزءا مهما، استراتيجيا واقتصاديا من المنطقة المتوسطة. والولايات المتحدة الأمريكية، تولي اهتماما كبيرا لعلاقتها مع تونس والمغرب والجزائر. فمن المهم أن تستغل المنطقة طاقاتها كاملا الاستغلال، إذ تتوفر على إمكانيات عديدة في مجال التجارة والاستثمارات، وكذلك بخصوص النهوض بمبادرات السلام في المنطقة، ونحن نساند دوما التجمعات التي من شأنها أن تدعم إقليميا، الازدهار والاستقرار والديمقراطية. كما نساند تنفيذ إصلاحات تسعى إلى النهوض باقتصاديات السوق في المغرب العربي، لما يتضمنه ذلك من منافع، لشعوب المنطقة، وما يجلبه من استثمارات أجنبية. ونحن نقدر الدور البناء الذي تضطلع به تونس والمغرب والجزائر ومصر، من أجل النهوض بالسلام في المنطقة. فلقد قدمت تونس مساهمات جلية جدا في هذا المجال من خلال الدور الذي تضطلع به كبلد يحتضن منظمة التحرير الفلسطينية، ويسر سبل الحوار بين الولايات المتحدة والمنظمة الفلسطينية، ومن خلال إيوائها لمقر جامعة الدول العربية.

☆☆☆

...وقد أعرب الحزب الاشتراكي الحاكم في السنغال عن تهاوته لكل الأحزاب المغربية الأعضاء في الرابطة الافريقية، للأحزاب الاشتراكية والديمقراطية، وخاصة التجمع الوطني للأحرار، على التنظيم المحكم لندوة

كما أكدت الأسبوعية الأمريكية (التايم) على صواب الاستراتيجية التي ينهجها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في استرجاع الأقاليم الجنوبية للمملكة والدفاع عنها. وأوضحت الأسبوعية في مقال لها بقلم الصحفي (رفائيل ميرغي) تحت عنوان «تحدي السلام» ضمن سلسلة من المقالات حول الصحراء المغربية، أن صاحب الجلالة نجح في قلب معطيات النزاع، لصالح الحكم، وضمن التحكم في الوضع، والحصول على انتصارات رائعة، في الميادين العسكرية والدبلوماسية، والتنمية الاقتصادية... فمنذ اندلاع نزاع الصحراء سنة 1975، يلتحق بالمغرب أحد قادة البوليساريو، السيد عمر الحضرمي، مما يعكس التفكك الذي تعرفه حاليا قيادة البوليساريو... وهذا التفكك جاء ليؤكد ما يعتقدده الجميع، ألا وهو أن المغرب، قد كسب حرب الصحراء، أو على الأقل، لا يمكنه في الوقت الحالي أن يخسرها... وتبرز أمامنا مختلف الجهود التي بذلها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، في أجل تضاوي اللجوء إلى القوة خلال عملية استكمال الوحدة الترابية للمملكة، سواء عبر المسيرة الخضراء التي مكنت المغرب من استرجاع أقاليمه الصحراوية دون إطلاق رصاصة واحدة، أو في علاقات المملكة مع الجزائر. ويدخل في نفس السياق، ونفس النوايا السلمية للمملكة، قبول صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلال قمة منظمة الوحدة الافريقية سنة 1981، لمبدأ تنظيم الاستفتاء في الصحراء.

وإن خيارات المغرب بحكم سياسته المتفتحة المتمثلة في إقامة علاقات تعاون مع جميع الدول، سواء في الغرب أو الشرق، أو العالم العربي، وإفريقيا، تنبع من الحوار الذي يدعو إلى فتحه سواء مع المسيحية أو مع اليهودية.

وإذا نحن حللنا السياسة الخارجية للمغرب، وخاصة على الصعيد المغاربي، فإننا نذكر الخطوات التي قطعها المغرب من أجل تحقيق التقارب مع الجزائر وليبيا، إلى أن تم إعلان قيام اتحاد المغرب العربي، وقد كانت هناك طبعا انعكاسات إيجابية مؤكدة على هذا التطور المحسوس

وحسب ارتسامات أحد رجال الأبنك المغاربة الذي يرى أن قيام أوروبا موحدة، يقتضي توفر قاعدة صناعية منخفضة الثمن، فإن إسبانيا والبرتغال واليونان، ستفقد جزءا من بعض الامتيازات التي تتمتع بها، وهو ما يشكل فرصة تاريخية بالنسبة للمغرب...

إن المغرب استطاع تحقيق نتائج لم تكن متوقعة. فمثلا عام 1974، ولأول مرة، استطاع المغرب أن يوازن بين موارده وحاجياته، بحيث إن ميزان الأذونات الجارية، سجل فائضا وصل إلى 2,9 مليار درهم، وأن المملكة تمكنت من تحقيق احتياطي من العملة الصعبة... وهذه النتيجة المشجعة - ولو أن سنة 1989 سجلت بعض التراجع، تبين أن المملكة تسير في الطريق السليم، لأن أسس ومقومات التنمية متوفرة، كما يلاحظ ذلك جميع المراقبين، فضلا عن توفر الطاقات. وأما عن القطاع السياحي، فهو يعد مصدر العملة الصعبة، وما يزال غير مستغل بأقصى ما يمكن. وكذلك نفس الشيء بالنسبة للصيد الصناعي الذي بإمكانه أن يدر مليار دولار من المداخيل. كما أن القطاع الفلاحي لا ينتج إلا ثلث طاقته الإنتاجية. وإذا ما تواصلت عملية التحديث، فإنه سيتمكن من تحقيق الاكتفاء الذاتي بعد خمس أو سبع سنوات... إن الصناعات القوية بصفة أخص - نظرا لتوفر العديد من المقاولات الصغرى والمتوسطة التي يتركز نشاطها على قطاعات النسيج والجلد والبناء والزراعة الغذائية الأساسية، لحد الآن، قد بدأت تنظم هياكلها، وتلج قطاعات متطورة، كالإليكترونيك، والمواصلات، وغيرها.

☆☆☆

وعن تجربة التعددية في المغرب، والتي هي من أسبق التجارب العربية، نشرت صحيفة (الأهرام) المصرية تحقيقا مطولا عن النظام السياسي في المغرب، وما تتميز به التجربة الديمقراطية المغربية من تعددية حزبية... وقد تطرقت الصحيفة في هذا التحقيق الذي أنجزه مبعوثها في الرباط، إلى الدورة البرلمانية الأخيرة التي

العلاقات الافريقية الأوروبية، في أفق 1993، وللمجلس العام للرابطة المنعقدين أخيرا بالرباط... ونوه المكتب السياسي للحزب الذي اجتمع يوم الثلاثاء متم ربيع الأول 1410 هـ الموافق 31 أكتوبر 1989 م، تحت رئاسة أمينه العام عبدو ضيوف، بصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، كما عبر عن ارتياحه للكيفية التي يدير بها الرئيس عبدو ضيوف، الرابطة الافريقية للأحزاب الاشتراكية والديمقراطية. وعبر المكتب كذلك عن ارتياحه لنجاح أشغال كل من الندوة والمجلس العام للرابطة، وللحضور المتزايد لهذه الأخيرة التي تبرهن على أنها منظمة سياسية افريقية كبيرة ذات بعد قاري.

☆☆☆

...وقد أشادت جريدة (لوموند) الفرنسية الباريسية بالظفرة التي حققها اقتصاد المملكة مشيرة في هذا الصدد إلى أن نسبة النمو وصلت إلى 10,1 بالمائة، وحين تقلصت نسبة التضخم إلى 2,3 بالمائة. وسجلت الصادرات ارتفاعا بلغ 27 بالمائة، وتضاءلت نسبة عجز الميزانية ثلاث مرات على ما كانت عليه قبل خمس سنوات، بينما وصلت نسبة الاستثمارات إلى 20 بالمائة.

وأشارت الصحيفة في مقال مطول لمبعوثها الخاص في الدار البيضاء، إلى أن المرء ما تطأ قدماه أرض المغرب الذي لا تفصله عن جميع مراكز القارة الأوروبية، إلا ثلاث ساعات فقط عن طريق الجو، فإن ما يشد انتباهه، هو الإقبال المتزايد للمستثمرين الأجانب، منهم من يقوم بمهمة استطلاعية، ومنهم من يبرم صفقات... وأوضحت الصحيفة أن بعض المؤسسات التي أقامت منذ مدة فروعها بالمغرب - وعلى سبيل المثال : «كطومود» و«أسترال»، بدأت تستثمر من جديد... والأكثر من هذا أن أولئك الذين غادروا في بداية العقد، قد عادوا من جديد.

وتشهد الإدارات والأبنك والمؤسسات الصناعية، بل حتى المصانع الصغرى للملابس الجاهزة، حركة ودينامية متصاعدة، استعدادا لاستحقاق السوق الأوروبية الموحدة.

افتتحها جلالة الملك الحسن الثاني، فأشارت إلى الأفكار التي تضمنها الخطاب الملكي، وأبرزت على الخصوص أن جلالة الملك أكد بأن المعارك التي يخوضها المغرب على مختلف الواجهات، هي أساس الكرامة التي لا يمكن بدونها لشعب أن يستمر ويعيش... وقد طلب جلالة الملك من البرلمان والحكومة دراسة كيفية تدبير المبالغ التي ستخصص لبناء مساكن في الأقاليم الصحراوية، وتوفير مجالات العمل للذين سيلتحقون بالمغرب، بعد الاستفتاء.

ثم تناول التحقيق الصحفي محاور النظام السياسي في المغرب من خلال ما ينص عليه الدستور، حيث أبرز بأن نظام الحكم في المغرب هو نظام ملكية دستورية ديمقراطية واجتماعية، وأن السيادة للأمة تمارسها مباشرة بالانتقاء، وبصفة غير مباشرة، بواسطة المؤسسات الدستورية، والأحزاب السياسية، والمنظمات النقابية، والمجالس الجماعية، والغرف المهنية التي تساهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم... أما عن التعددية الحزبية، فإن تجربتها في المغرب، تعتبر أسبق التجارب الحزبية العربية. ولا أدل على ذلك من العناية الخاصة الممنوحة لمختلف الأحزاب واتجاهها السياسي، وقرار جلالة الملك الحسن الثاني القاضي بتخصيص إعانة سنوية من الدولة للصحافة الوطنية، والأحزاب السياسية، والمنظمات النقابية، على أداء مهمتها ورسالتها.

☆☆☆

وعلى نفس النسق من الإشادة والتنويه، كان رئيس الوفد السوداني قد أثنى الثناء العاطر، لدى اجتماعه برؤساء الفرق البرلمانية، على الدور الذي يقوم به جلالة الملك الحسن الثاني، خدمة للعروبة والإسلام، بكل اقتدار، وتقان وإخلاص. فقد عقد رؤساء الفرق البرلمانية بمجلس النواب، أو من يمثلهم، يوم الثلاثاء 14 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 14 نونبر 1989 م، بمقر المجلس، جلسة عمل مع وفد سوداني، برئاسة عميد أركان حرب، كمال علي مختار،

الذي يقوم بجولة في دول المغرب العربي، لإطلاع المسؤولين بهذه الدول على تطور الأوضاع في السودان.

وفي بداية الجلسة، ألقى عبد العزيز العسوي الحافظي، رئيس فريق التجمع الوطني للأحرار كلمة رحب فيها بالوفد السوداني، وعبر عن اهتمام المغرب، ملكا وحكومة وشعبا بتطور الأوضاع في السودان... كما قدم نظرة موجزة عن تركيبة البرلمان المغربي، مبرزا أن مختلف الفرق البرلمانية، تعمل في جو من الانسجام في أجل المصلحة العليا للبلاد.

وفي عرضه، أوضح السيد كمال علي مختار، أن الحكومة السودانية عملت مؤخرا على عقد مؤتمر الحوار الوطني للسلام الذي ضم مختلف الاتجاهات السياسية والفئات الاجتماعية بالسودان، بهدف إيجاد حل للمشكل الحرب الدائرة جنوب هذا البلد... وأبرز أن التوصيات التي أفرغتها هذا المؤتمر، تمت المصادقة عليها من طرف مجلس الثورة السوداني، ومجلس الوزراء، مشيرا إلى أن زيارة الوفد السوداني للمغرب، تدخل في إطار جولة عبر عدد من الدول العربية، للتعريف بهذه التوصيات.

وفي الكلمات التي تناولها عدد من رؤساء وممثلي الفرق البرلمانية، عبروا عن الاهتمام الذي يوليه المغرب للأوضاع في السودان... والمملكة المغربية على استعداد لمساعدة الشعب السوداني من أجل إيجاد حل لمشكلاته.

وقد صرح العميد أركان حرب، كمال علي مختار، أن الدور الذي يقوم به صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، خدمة للعروبة والإسلام، يعتبر دورا عظيما، وأكد أن السودان حكومة وشعبا، يقدر هذا الدور، ويساند جميع الجهود التي يقوم بها جلالاته من أجل استتباب السلم والأمن في العالم...

كما صرح رئيس أركان الحرب السيد التجاني آدم الطاهر، بأنه أطلع المسؤولين المغاربة على نتائج مؤتمر الحوار الوطني للسلام، وكذا جهود ثورة الإنقاذ الوطني السوداني لوضع حد لحرب الجنوب... وأشاد بالتفهم الكبير

الذي وجده لدى المسؤولين المغاربة بخصوص هذه الجهود، مؤكداً أن المسؤولين السوّدانيين سيعملون في المستقبل على إطلاع المسؤولين المغاربة، على كل ما يتعلق بالقضايا السوّدانية... ونوه المسؤول السوّداني بصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ودوره الفعال على الساحات العربية والإسلامية والأفريقية والدولية، وبمستوى العلاقات العريقة التي تربط البلدين، فهذه العوامل كلها، تجعل ما يدور في السوّدان، يهم بنفس القدر المملكة المغربية.

☆☆☆

وجاء استفتاء فاتح دجنبر 1989، ذلك العرس الوطني الكبير الذي قال فيه كل المغاربة، من طنجة إلى الكويرة «نعم» لنداء جلالة الملك الحسن الثاني... «نعم» للمشروعية وللحوار الديمقراطي، باعتبار أن الاستفتاء، هو أفصح تعبير عن الإرادة الشعبية.

وحقا، فإن التصويت بـ «نعم» كان توكيدا للمحافظة على رأس المال الأساسي الذي هو التلاحم بين الملك والشعب لأن الانصهار والانجمام بين القمة والقاعدة فيه دلالة ناصعة - إن كان النهار يحتاج إلى دليل - على الوعي العميق المتبادل، والشعور بالمسؤولية المشتركة، والتشبث بالأرض والصحراء، وعلى أن يد الراعي في يد الرعية على أساس من الثقة المتأصلة في التقاليد والتاريخ والوجدان والعقل.

فلقد أشاد مسؤول بالبرلمان الأوروبي، بمبادرة جلالة الملك الحسن الثاني، بتمديد انتداب مجلس النواب سنتين. ونعني به السيد (سوترادي جيرما) النائب الأوروبي من الحزب الاشتراكي الفرنسي المكلف بعلاقات البرلمان الأوروبي مع المجلس الأوروبي، فقد أعرب عن ارتياحه لاقتراح صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لتمديد فترة انتداب مجلس النواب الحالي لمدة سنتين، مؤكداً أن المبادرة الملكية السارة التي تعطي مهلة إضافية للسيد (دي كويلار) لإنجاح مهمته، تدير في الاتجاه الصحيح. كما أعرب عن أمله في أن تتم الاستفادة من مهلة السنتين التي

حددها المبادرة الملكية من أجل تسوية قضية الصحراء... وجدد الأمل في أن تكفل المهمة التي أوكلتها منظمة الأمم المتحدة، لأمينها العام السيد (دي كويلار) بتنظيم استفتاء في الصحراء، بالنجاح، وأن تتم معالجة المشكل بالطرق السلمية. وختم السيد دي جيرما تصريحه بالتأكيد على أنه سبق له أن قال لمسؤولي البوليساريو الذين عاد عدد منهم مؤخرا إلى المغرب: إنهم لن ينجحوا أبداً في هزم شعب من بضعة وعشرين مليون نسمة، عاقد العزم على الدفاع عن وحدته الترابية.

وكان السيد حسن العبادي وزير التشغيل قد غادر صباح يوم الثلاثاء 28 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 28 نونبر 1989 م مطار الرباط سلا متوجهاً إلى بلجيكا، ثم فرنسا، للمشاركة في الحملة التي ينظمها رعايا صاحب الجلالة في هذين البلدين تلبية للنداء الملكي السامي، بشأن تمديد الفترة الحالية لمجلس النواب، والمجالس الجماعية. والجدير بالذكر أن أفراد الجالية المغربية بالخارج، كانوا قد استقبلوا النداء الملكي السامي بحماسة كبيرة، وتعبئة شاملة، حيث عبروا عن استعدادهم للتصويت بنعم، وأعربوا من جديد عن تجندهم الدائم، وتعلقهم المتين بشخص صاحب الجلالة، والعرش العلوي المجيد، مباركين كل الخطوات الكريمة، والمبادرات السامية التي يتخذها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من أجل نهضة البلاد، وضمان وحدتها، وتثبيت دعائم الديمقراطية الحسنية.

وكان سفير صاحب الجلالة بالجزائر، السيد عبد القادر بنسليمان قد ترأس يوم الإثنين 27 ربيع الثاني 1410 الموافق 27 نونبر 1989، بمقر البعثة الدبلوماسية بالجزائر، جلسة عمل، مع قناصل المملكة بالجزائر، خصصت للتخضير والتنظيم لمشاركة الرعايا المغاربة المقيمين بالجزائر، في استفتاء فاتح دجنبر حول تأجيل الانتخابات لمدة سنتين. وخلال هذا اللقاء الذي حضره القنصل العام للمملكة بالجزائر، وقنصلي مدينتي وهران وسيدي بلعباس، وعدة أطر من السفارة، أكد السيد عبد القادر بنسليمان على أهمية

مسيرة التنمية سواء في الأقاليم الصحراوية أو الشمالية، والافتتاح على العالم الذي تجري فيه أحداث قلبت التاريخ، من شأنها أن توضح أكثر فأكثر، أن المشكلة المطروحة الآن، ليست مشكلة جغرافية، ولا إيديولوجية، بل إن الصراع أصبح حول طرق التنمية.

وقد علق السيد (ديتير كرونير) مراسل صحيفة (نوزوريشر زوتينغ) السويسرية، بإسبانيا والبرتغال والمغرب العربي على النداء الذي وجهه جلالة الملك الحسن الثاني، بخصوص تمديد الفترة النيابية إلى سنتين، بأنه (قرار مشروع، لا يتعارض وروح الدستور المغربي، وخاصة المادة 98 منه)... ولقد أقبل جلالة الملك على هذه المبادرة بهدف تعزيز التلاحم حول قضية الصحراء، وخاصة عقب الهجومات الأخيرة للبوليساريو، التي خلقت ردود فعل قوية، داخل صفوف المعارضة المغربية ضد الجزائر... ومن الأكيد أن نتائج الحملة الاستفتاءية، قد أعطت فريدا من الثقل لموقف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الضامن للمصالح الوطنية العليا للمغرب... وتشكل هذه الاستشارة كذلك مهلة بالنسبة لأعداء المغرب، وللأمم المتحدة، من خلال منحهم أجل سنتين، لإنهاء نزاع الصحراء، عن طريق الاستفتاء.

☆☆☆

وأما مجلة (جون أفريك) فقد أكدت أن استفتاء فاتح دجنبر 1989، بشأن تمديد فترة انتداب مجلس النواب الحالي، يعطي أبلغ دليل على تجذر الملكية بالمغرب.

وأشارت نفس المجلة في مقال (فرانسوا سودان) بعنوان: «تفاؤل الخبراء بخصوص مستقبل المغرب» إلى أن قبول الخيارات الوطنية الكبرى، كقضية الصحراء، تشكل إحدى النقط الأساسية في الميثاق السياسي الضمني الذي يربط بين الملك والأحزاب، مبرزة أن المعارضة يتم التشاور معها على نطاق أوسع، وتتمتع بالحرية، وتحصل على نسبة من الموارد، وتساهم في تسيير المؤسسات

الخطاب الذي وجهه صاحب الجلالة إلى الأمة يوم الأربعاء 22 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 22 نونبر 1989 م... ذلك الخطاب الذي دعا فيه جلالتة الشعب المغربي إلى التصويت على تأجيل الانتخابات التشريعية، لمدة سنتين. وكان السيد السفير قد طلب من جميع قناصل المملكة، اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لضمان سير حسن لهذه الانتخابات التي يشارك فيها حوالي ثمانية آلاف مغربي من البالغين للسن القانونية، والذين يوجد ثلثان منهم شرق الجزائر، مؤكدا على ضرورة التحسيس بأهمية هذا الحدث، وتمكين الرعايا المغاربة في الجزائر من التصويت بنعم، استجابة للنداء الملكي، وذلك بواسطة إجراءات عملية كفيلة بإجراء الانتخابات في أحسن الظروف.

وقد أبرزت صحيفة (الجمهورية) المصرية الصادرة يوم الثلاثاء 28 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 28 نونبر 1989 م، أن قرار جلالة الملك الحسن الثاني بتنظيم استفتاء لتمديد فترة البرلمان لمدة سنتين، يعتبر فرصة أخيرة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء. فقد دعا جلالة الملك الحسن الثاني في خطاب وجهه إلى الأمة، إلى تنظيم هذا الاستفتاء، لإتاحة فرصة عامين أمام منظمة الأمم المتحدة، وأمينها العام (بيريز دي كويلار)، والقوى الصديقة، لتنظيم الاستفتاء المقترح في المناطق الصحراوية. وكان جلالة الملك قد أعرب في هذا الخطاب عن أمله في أن لا يتأخر تنظيم الاستفتاء عن هذه المدة، إذ قال: علينا أن نستنتج من ذلك التأخر أو التماطل أو التباطؤ، النتائج التي يجب أن تستنتج بروح المسؤولية التي يجب أن تخامر كل بلد مستقل وذو سيادة... إننا نريد لاستفتاء الصحراء، أن يكون استفتاء دوليا، يعترف لنا من خلاله المجتمع الدولي بحدودنا نهائيا.

وأوضح جلالة الملك أيضا أنه لم يكن معقولا إجراء الانتخابات النيابية في جميع أنحاء المغرب، في الوقت الذي يحرص فيه المغرب على عدم استفزاز أحد، بإجراء انتخابات في مكان هو موضوع استفتاء. علما بأن مواصلة

المحلية والوطنية، ومؤكدة أن هذه الحالة فريدة من نوعها في القارة الافريقية.

وبخصوص الوضعية الاقتصادية والمالية وتطورها في السنين المقبلة، ذكرت (جون أفريك) بما جاء في وثيقة لبنك شيكاغو (فورست ناشيونال بنك أوف شيكاغو) : أكدت أن المغرب له حظوظ وافرة لإنجاح إقلاعه الاقتصادي في المستقبل القريب. إن التمويل الاقتصادي، والتطهير، والاستقرار السياسي، والسلم الاجتماعي، وطموح المغرب في أن يصبح - تينا - جديدا على أبواب أوروبا 1993، والنمو الاقتصادي المتوسط، ولكن المتواصل، والتحسين المرتقب للميزان العام للأداءات... هذه كلها عوامل تطبع الوضعية الاقتصادية بالمغرب.

إن نسبة النمو في الفترة ما بين 1990 و1993 هي بمعدل ستة في المائة، بينما سترتفع الصادرات بنسبة عشرة في المائة سنويا، والواردات بخمسة عشر في المائة خلال نفس الفترة. ومن بين دواعي التفاؤل، الاستقرار السياسي الذي ينعم به المغرب، ذلك أن الملك الحسن الثاني يتمتع بحظوة كبرى، وبلده متفتح سياسيا... والبرلمان المغربي برلمان شاب من حيث أعمار نسبة كبيرة من النواب الذين ينتمي عدد كبير منهم إلى الطبقة المتوسطة التي يمثل تطورها إحدى الخاصيات الرئيسية لمغرب الثمانينيات... وهناك الكثير من العوامل التي تساهم في جعل نوعية الحياة الحضرية، بالنسبة لهذه الفئة هي الأفضل في المغرب العربي، بالنظر إلى المرافق العمومية الفعالة، ونظام تربوي، دون ضغوط انتقائية وجمالية المدن وغيرها... إن المغرب حافظ على أفضل فلاحية في المغرب العربي القروي، منذ الاستقلال، فالجفاف الذي عرفته البلاد في مطلع الثمانينيات، أظهر في نفس الوقت أن الدولة المغربية تتوفر على موارد، لأن النسيج الاجتماعي للعالم القروي الذي يمثل نسبة خمسين في المائة من السكان، لم يطرأ عليه انهيار كما حدث سنة 1945، وساهم في الإسراع

بمسلسل التمركز العقاري لصالح الفلاحين، المتوسطيين والكبار الذين أبانوا عن تكيفهم وروح المبادرة بإدخالهم في بضع سنين، تقنيات حديثة مهمة.

☆☆☆

وتحدثت صحيفة (لانوفيل غازيت) البلجيكية يوم الخميس 23 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 23 نونبر 1989 م عن الاستفتاء الذي نظم بالمغرب يوم الجمعة فاتح دجنبر 1989، الذي دعا إلى تنظيمه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوم 22 نونبر الماضي. فأكدت في مقال لمبعوثها الخاص بالمغرب (ميشال ديويش)، أن المفارقة أكدوا مرة أخرى وحدثهم وراء عاهلهم، وشاركوا في الاستفتاء الذي دعا إليه صاحب الجلالة، وصوتوا لصالح تأجيل الانتخابات الجماعية والتشريعية التي كان من المقرر إجراؤها في الصيف المقبل، لمدة سنتين... إن هذا الإجراء يهدف إلى تمكين منظمة الأمم المتحدة، خلال هذه المدة، من تنظيم الاستفتاء في الصحراء.

ولقد عاد بالفعل عدد من أطر (البوليساريو) إلى المغرب، حيث استقبلوا بالأحضان، فقد كان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وجه نداء إلى الضالين، وطمانهم بقوله: «إن الوطن غفور رحيم».

ومن المعلوم أن نتائج الاستفتاء وهي 9998 من الأصوات كانت لصالح تأجيل الانتخابات. وهذا الإجراء كان الوسيلة الوحيدة المقبولة دستوريا لتمديد فترة انتداب المنتخبين... إن المغرب يعتبر الصحراء جزءا لا يتجزأ من ترابه. وهو لم يكن يريد حرمان جزء من سكانه من التصويت. ولقد عبر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عن إرادة المغرب في حدود دولية معترف بها من قبل المجموعة الدولية من خلال استفتاء نزيه وعادل. كما حرص جلالته على أن لا يتخذ تنظيم انتخابات في الصحراء ذريعة كعرقلة الاستفتاء. وعليه، فقد كان تأجيل الانتخابات موضوع إجماع الشعب المغربي. والأحزاب

مخيمات تندوف بالجزائر، العودة إلى أرض الوطن، تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة... وأنا بكل وضوح، صحراوي مغربي».

☆☆☆

وتقول صحيفة (الوسلوي) السنغالية : إن المغرب استعاد زمام المبادرة على الصعيد الدبلوماسي بشكل يلفت النظر في قضية الصحراء. وهذه الحقيقة تظهر بشكل جلي بعد الاستفتاء الذي نظمته المغرب يوم فاتح دجنبر 1989، لتأجيل الانتخابات التشريعية والمحلية لمدة سنتين، حتى تتمكن الأمم المتحدة من تنظيم الاستفتاء في الأقاليم الصحراوية.

وأوضح الصحافي محمد وديا، المبعوث الخاص لصحيفة (الوسلوي) في مقال على امتداد صفحة كاملة مزينة بصورة لصاحب الجلالة، وهو يؤدي واجبه الوطني، في مكتب للتصويت، وصورتين أخريين لمهرجان شعبي بالدار البيضاء، وآخر بالعيون، أن قضية الصحراء تعد في المغرب، من القضايا التي تحظى بالأولوية، وتمس الروح الوطنية، لكل مواطن. والاستفتاء الذي نظم أخيرا بالملكة، يعد دليلا جديدا صارخا على ذلك... إن المغاربة صوتوا بما يشبه الإجماع (99,98 في المائة) لفائدة تأجيل الانتخابات التشريعية والمحلية لمدة سنتين، لتسهيل مهمة الأمم المتحدة التي ستقوم بتنظيم استفتاء لتقرير المصير بالأقاليم الصحراوية، من أجل وضع حد لنزاع الصحراء بشكل نهائي. ومبادرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كانت مناسبة جدا. أولا على الصعيد الداخلي حيث إن الأسباب التي تم تقديمها من أجل استشارة الشعب المغربي عن طريق الاستفتاء، كشفت عن وجود إجماع لافت للنظر، في بلد يأخذ بالتعددية الحزبية، وله معارضة سياسية نشيطة. فالروح الوطنية تغلبت على مصالح السياسة المباشرة... ونجاح المبادرة السلوكية دعم أولا وقبل كل شيء وحدة الشعب المغربي حول عاهله الذي يعد أكثر من أي وقت مضى رمزا للوحدة الوطنية... إن الاستفتاء أعطى في

السياسة، بما فيها أحزاب المعارضة، قالت بصراحة ويأجمع خلال الحملة الانتخابية «نعم» لتأجيل الانتخابات. والآن أصبح أمام منظمة الأمم المتحدة سنتان لتنظيم استفتاء لتقرير مصير السكان الصحراويين... ومما يلفت النظر، العودة التاريخية لعدد من (البوليساريو) إلى الوطن الأب، بما فيهم عمر الحضرمي، أحد الأعضاء المؤسسين، والذي صرح للمبعوث الخاص للجريدة، أن العالم قد تغير ونحن أيضا. ولم نعد نقول بإمكانية قيام دولة صحراوية مستقلة... - فبعد خمس عشرة سنة من المواجهة مع المغرب، قرر السيد عمر الحضرمي، العودة إلى الوطن. وقد سبق لصاحب الجلالة أن قابل بمدينة مراكش مسؤولين عن جهة (البوليساريو)، ودعاهم في شهر غشت الماضي إلى العودة إلى المغرب. وهو ما استجاب له العديد منهم.

إن السيد عمر الحضرمي عاد إلى العيون، ليلة إجراء الاستفتاء، بعد غياب دام إحدى عشرة سنة. واستقبل استقبالًا حارًا من قبل أعيان المدينة الصحراوية، وآلاف الأشخاص في تجمع نظم بعد الظهر... وصرح السيد الحضرمي : «إننا عندما أسسنا (البوليساريو)، كنا شبابًا غير ناضجين. كنا نؤمن بما تقوم به. والآن أدركنا أن العالم تغير. فهناك اليوم نزوع في كل أنحاء العالم إلى الاندماج في مجموعات أكبر... والمغرب قد أقام في الصحراء تجهيزات ذات أهمية، في حين نجد أن القبائل الصحراوية أقل اندماجًا في البلدين الآخرين. فالحل يمكن أن يقدمه المغرب العربي الكبير : اتحاد المغرب، وليبيا، والجزائر، وتونس، وموريتانيا... وحول استفتاء تقرير المصير بالصحراء، أكد السيد الحضرمي أن (البوليساريو) لا يقبل بإجراء هذا الاستفتاء على عكس ما يدعيه، بل يهدف إلى نفسه. فهو لا يرى التطورات التي تطرأ على العالم، وهو يسبح ضد التيار، حينما يشنها حربًا انتحارية ! إن حق التصويت على أساس قاعدة الإحصاء الذي أجرته إسبانيا، سيتيح للسكان الحقيقيين للصحراء الذين يعيشون حاليًا في

نفس الوقت دفعة قوية للديمقراطية، لأن الحملة الاستفتاءية أعطت دعما قويا للحياة السياسية. والأهم من ذلك يبقى هو أن استفتاء فاتح دجنبر 1989، أعطى دفعة قوية لقضية الصحراء، ومكن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من استعادة زمام المبادرة على الصعيد الدبلوماسي من أجل التوصل إلى حل شامل ونهائي لمشكلة الصحراء. إن المسؤولين المغاربة، طمأنوا الصحافة الدولية التي قامت بتغطية الاستفتاء، على مستقبل العلاقات بين المغرب والجزائر، واتحاد المغرب العربي، ما دام هذا الخيار يساهم في التخفيف من حدة التوتر في المنطقة بكاملها.

ويهيئ بذلك الأرضية للنشاط الدبلوماسي. وإذا كانت هناك عراقيل يتعين إزالتها من أجل تنظيم الاستفتاء بالصحراء، فإن الزائر للصحراء، وخاصة العيون، يستطيع أن يعرف سبب ثقة المغاربة في نتيجة الاستفتاء، وذلك بحكم التجهيزات الأساسية العظيمة التي تم تحقيقها : مطار من مستوى دولي، وميناء موسع، ومركب رياضي يسع لـ 30.000 متفرج، والذي احتضن مهرجانا ضخما يوم 30 نونبر 1989، وهناك طرق معبدة، وخطوط كهربائية وتليفونية إضافة إلى فنادق ومساكن ومرافق عمرانية أخرى.

إن (البوليساريو) يدرك كل ذلك، مما يفسر تصلب موقفه، لكن ما هو أساسي، يتجلى في الرغبة السياسية للمغرب في التوصل إلى تسوية سلمية... إن المغرب قد طرح تحديا، فالواجب على الأمم المتحدة، استغلال الفرصة وكذلك جميع النيات الحسنة بأفريقيا وفي العالم، خاصة وأن النزاعات الجهوية في مختلف مناطق العالم، أصبحت متجاوزة في وقت يشهد انتهاء الحرب الباردة، فالعالم شرع في عهد جديد من التعاون الدولي، بما في ذلك أفريقيا التي إذا لم تنجح في تحقيق وحدتها، وتنمية طاقاتها، فإنها ستدفع الثمن غاليا.

☆☆☆

وأما المجلة الشهرية (لؤلؤة الخليج) التي تطبع في قبرس، فقد أصدرت في عددها الأخير، ملفا خاصا عن

المغرب، باللغتين العربية والانجليزية، أشادت فيه بشخص جلالته الملك الحسن الثاني، وبعبقريته الفذة في تدبير شؤون المغرب بنجاح كبير، مستعرضة الإنجازات الكبرى التي تحققت في عهد جلالته في شتى المجالات... وعلى من يود أن يتلمس الحقيقة عن المنجزات الاقتصادية والاجتماعية التي تم تحقيقها، أن يزور المملكة المغربية لي شاهد بأأم العين، مدى التقدم الحضاري الذي أنجز في سنين ليست كثيرة في عمر الزمن.

واستعرضت المجلة في هذا الملف المزين بصور لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، الأهمية التي يكتسيها المغرب بحكم موقعه الجغرافي المتميز، ودوره التاريخي في تمازج الحضارات. كما أبرز الملف المعزز بصور لمختلف الانجازات التنموية التي حققها المغرب بالخصوص في مجالات التعليم، والصحة، والسياحة، والاقتصاد، والرياضة، والفلاحة، الدور الحيوي الذي تضطلع به المملكة المغربية في المجال السياسي على الصعيد العربي والافريقي والإسلامي، مما مكنتها من لعب دورها المرموق في السياسة العالمية، وأكسبها الاحترام والتقدير من الجميع... وكل هذا يجد الشخصية الفذة التي تشرف على مصير المغرب منذ أزيد من سبع وعشرين سنة، فاستطاعت أن تستوعب كل طموحات الشعب المغربي، وتجسدها أروع تجسيد، لدرجة أننا لا نستطيع أن نفصل بين صورة المغرب المعاصر، عن صورة باني نهضته جلالته الملك الحسن الثاني... فلقد قطع المغرب الأشواط تلو الأشواط في مجال الديمقراطية لبناء هيكل دولة قوية، قادرة على مسايرة التحولات السريعة للمجتمع، ومواجهة تحديات القرن المقبل... إن الخطوط العريضة لدستور المملكة، والتعديلات التي أدخلت عليه، تجعله يساير هذه التحولات... ومجلس النواب يحظى بالتنظيم الجيد. وله اختصاصاته، ودوره الذي يضطلع به لتعزيز الممارسة الديمقراطية في المملكة... ولقد خاض

بالمجهودات التي يبذلها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، لأن جلالته يعد من بين الذين يعملون بفاعلية من أجل وحدة القارة الإفريقية وتقدمها، ولكون جلالته أيضا رجلا ذا ثقافة واسعة، يوحد عوض أن يقسم.

وأكد السيد سنغور في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، على هامش افتتاح أشغال الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية حول موضوع أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية إلى تأسيس مجموعات اقليمية، اتفاهه التام مع محتوى الخطاب الذي وجهه جلاله الملك يوم 22 نونبر 1989، إلى شعبه، بخصوص تصديد الانتخابات البرلمانية والمحلية... إن افريقيا مدينة كثيرا لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي إذا كان قد حقق هذه المنجزات الكبرى، فإن ذلك يعود أساسا إلى كونه رجلا ذا ثقافة واسعة، ويؤمن بانتمائه الإفريقي.

☆☆☆

وعلينا أن لا ننسى في افتتاح أشغال الدورة الخريفية لأكاديمية المملكة المغربية بمديره، أن المؤرخ المغربي الأستاذ عبد الله العروي قال: الحوار المغربي الإسباني يبقى هو الحوار المفضل لدى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ففي الزيارات المتبادلة بين عاهلي البلدين، ترجمة لاستمرارية وشمولية وعمق العلاقات البشرية والاقتصادية والثقافية التي تجمع بين المغرب وإسبانيا منذ قرون، فالبلدان يساهمان في مختلف أنواع الحوار التي يشهدها العالم كالحوار العربي الأوروبي، والحوار الإسلامي المسيحي، والحوار الإفريقي الأوروبي، وغيرها، يقينا بأن العالم في الوقت الراهن على عتبة حوار ذي جوانب مختلفة. فصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ما فتى يدعو منذ أكثر من عشرين سنة، إلى الحوار بين البلدان الشقيقة، والبلدان المجاورة لبعضها البعض... وفي هذه الروح بالذات، أراد جلاله الملك الحسن الثاني، إنجاز الربط القار بين افريقيا وأوروبا، ليكون هذا المشروع شاهدا على ديمومة هذا الحوار.

المغرب بنجاح المعركة بقيادة جلاله الملك الحسن الثاني، لاستكمال وحدته الترابية التي توجت باسترجاع صحرائه التي أصبحت منذ ذلك الحين، تعيش عملية تنموية كبرى.

☆☆☆

...وأكد السيد (أنطونيو ماركونيا) أستاذ العلاقات الدولية بجامعة (كومبلوتوني) بمديره في مقال نشرته «المجلة الإسبانية للدفاع» التابعة لوزارة الدفاع الإسبانية، أن موقف البوليساريو ضعف من جراء التصدع الداخلي العميق الذي يعاني منه، والذي كان وراء عمليات الفرار الأخيرة لعدد من أعضائه... ثم إن زيارة السيد (دي كويلار) الأمين العام للأمم المتحدة للمنطقة في شهر يونيو 1989، وإنشاء لجنة تقنية لتطبيق مخطط السلام في الصحراء، كشفنا عن عدم حصول أي تقدم في هذا الموضوع... وعن الهجومات التي شنت على كتلة زمور، والحوزة، أوضح السيد (ماركونيا) أنه في هذه المرة، وبالنظر لضعفها العسكري، سمحت موريتانيا بأن تتم إنطلاقا من أراضيها. وإن قبول المغرب لتوصية أممية (معتدلة)، تعطي للمغرب أوراقا رابحة جديدة، داخل المنظمات الدولية، استفادته من عامل الزمن في ظل محيط جهوي جد مناسب... ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار كذلك مسألة توسيع وتعميق النظام اللامركزي المتقدم بالمغرب.

☆☆☆

كما أكد السيد (ألفونسو دولاسيرنا) سفير إسبانيا الأسبق بالمغرب، وعضو أكاديمية المملكة المغربية، أن قرار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بإعطاء مهلة لمنظمة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء، وبالتالي تأجيل الانتخابات التشريعية، قرار جد حكيم، لأن كل قرار بشأن هذا المشكل المعقد والدقيق، يتطلب الحكمة وشيئا من الوقت. وعليه، فإن إعطاء هذه المهلة، وترك الوقت للتفكير في هذه القضية، كان إجراء حكيما.

☆☆☆

وصرح الرئيس السنغالي السابق السيد (ليوبولد سيدار سينغور) بأنه كلما أتحت له الفرصة، فإنه يشيد

طريق الحق والمشروعية، أهم عندي ! إنها الآن قضية وطن، وقضية مصير... إن مصلحة الصحراويين ليست في الانفصال. فمن الضروري تصفية الجو المتوتر السائد في المخيمات، والسماح للأشخاص الراغبين، في العودة والالتحاق بوطنهم، وإيقاف المساعدات المقدمة للبوليساريو.



وكتبت مجلة (الأهرام الاقتصادي) المصرية في عددها الصادر يوم الإثنين 11 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 11 دجنبر 1989 م، أن سر الالتفاف الشعبي الكبير، وراء جلالة الملك الحسن الثاني، والذي ظهر جليا في عملية الاستفتاء الأخيرة، هو الاتفاق الكامل للمغاربة على قضية وحدة التراب الوطني... إنه لا يوجد أي خلاف بين أي مواطن مغربي، على أن الصحراء هي جزء من المغرب، وأن الصحراويين هم مغاربة... وأما البوليساريو، فقد وقف وحيدا في الساحة بعد أن قطعت عنه سبل الدعم... وقد تمكن المغرب من السيطرة على الوضع العسكري في الصحراء، بفضل بناء جدار أمني، طوله 1.500 كيلومتر. إن مشكلة الصحراويين ليست مع المغرب. فهؤلاء يدركون أن عدم إقامة دولة مستقلة لهم، معناه ضياع الامتيازات الممنوحة لهم، فضلا عن أن دولهم لم تعد ترغب أصلا في عودتهم، لأنهم أصبحوا ميليشيات عسكرية قادرة على إثارة الاضطرابات.

ومما لا يمكن إنكاره، التنمية الشاملة التي تشهدها الأقاليم الصحراوية في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية. وهذه الجهود التنموية كانت هي الرد الذي قدمه المغرب على السؤال الذي طرحه الصحراويون حول ما قدمه المغرب للصحراء. ولم يقف صاحب الجلالة عند هذا الحد، بل اتخذ خطوة أبعد في هذا الاتجاه بالتصالح مع الذات، والعفو عن كل الصحراويين الذين يريدون العودة إلى المغرب.

اهتمت وكالة أنباء الشرق الأوسط وصحيفة (الأهرام) المصريتان بالحديث الذي خص به السيد عمر الحضرمي أحد مؤسسي البوليساريو الذي عاد مؤخرا إلى أرض الوطن تلبية لنداء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي جاء فيه على الخصوص أن الوطن غفور رحيم، الوفد الصحفي المصري الذي قام بتغطية عملية الاستفتاء، بشأن تمديد فترة مجلس النواب والمجالس الجماعية لمدة سنتين.

وأبرزت الوكالة المصرية أن السيد الحضرمي تقلد عدة مناصب في البوليساريو، كان آخرها مدير الأمن العسكري، وممثل البوليساريو في واشنطن، كما يعتبر أحد المؤسسين الرئيسيين للبوليساريو مع مصطفى السوالي الذي لقي مصرعه سنة 1976.

...وقال السيد الحضرمي : إن قيام اتحاد المغرب العربي لم يقابل بالارتياح من جانب قيادات البوليساريو، لأنه يعني توقف المساعدات التي كان يحصل عليها من بعض الدول الأعضاء في الاتحاد، مشيرا إلى أن الوقت لم يعد وقت حروب. وقد انتهى ذلك العهد. ولا يمكن أن يتحمل ذلك، لا المغاربة، ولا الجزائريون، ولا الموريتانيون، لأن ذلك يعني السير ضد التاريخ...

وعن الاستفتاء الأخير الذي دعا إليه جلالة الملك الحسن الثاني، قال السيد الحضرمي : إن هذه الخطوة تأتي في إطار جهود جلالة الملك المتواصلة، لإنهاء هذه المشكلة، وإتاحة الفرصة أمام هيئة الأمم المتحدة، لتحمل مسؤولياتها تجاه هذه القضية، وتنظيم الاستفتاء في الصحراء، مؤكدا أن نتائج الاستفتاء، ستكون في صالح المغرب، وبذلك ستحسم هذه القضية نهائيا، بعودة المواطنين المغاربة إلى الوطن الأب.

وأضاف السيد الحضرمي يقول : إن العودة بالنسبة لي قرار فرضته الظروف التي آلت إليها جبهة البوليساريو. فلقد اتخذت قراري بالعودة إلى أرض الوطن رغم أن زوجتي وأطفالي مازالوا هناك. وأنا أعرف أنني بذلك أعرضهم لأخطار هائلة. ولكن كانت مصلحة الوطن، وسلوك

المحلات والنوادي من ترتيب ولا إشعار سابق. وتلك التلقائية أو العفوية، كانت هي المفاجأة الحقيقية. والاجابة عن جميع التساؤلات الممكنة، قد وردت بكل وضوح في خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 22 نونبر 1989، حين قال جلالتة : لقد قررنا أن نجري الاستفتاء كأسى تعبيرا، وأسمى تفسير للإرادة الشعبية... فالمأمول أن تتمكن الأمم المتحدة وأمينها العام السيد (بيريز دي كويلان)، وكل ذوي النيات الحسنة خلال فترة السنتين، من تنظيم الاستفتاء في الصحراء وبدون تأخير... وكسل من حضرة التجمعات الشعبية التي شارك فيها ممثلون لجميع الأحزاب المعارضة والمؤيدة، يستخلص جملة من الملاحظات، منها أن المغاربة قد تدافعوا بروح من الفطرة والتلقائية، والانتماء الوطني، لتلبية نداء جلالة الملك، بغير تردد، كواجب وطني، ومسؤولية تاريخية، هدفها يتعلق بالوحدة الترابية، وتمهيد الجو في إطار سلمي مؤول، لإتاحة الفرصة للأمم المتحدة، من أجل إجراء استفتاء، في الصحراء المغربية.

☆☆☆

وكتبت مجلة (مونتو) السينغالية عن المكتسبات الكثيرة التي تحققت في العيون، أن الصحراويين لن يقبلوا انحباب المغرب من المنطقة، لأنهم يشعرون بأنهم مغاربة، كباقي إخوانهم، سواء في الشمال، أو الغرب، أو الشرق... ومما أثار انتباه المراقبين السياسيين، وبصفة أكثر، البلدان المجاورة للمملكة المغربية، علاوة على الفقرة التي حدها جلالة الملك الحسن الثاني، ومدتها سنتان، لإيجاد تسوية نهائية لهذا المشكل الصحراوي، هو الفقرة التي حذر فيها جلالة الملك في خطابه، جميع الأطراف المعنية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والتي قال فيها جلالتة : إذا كنا سنسحب، فإننا سنسحب جميعا : فنسقط أسلاك الهاتف، ونفكك جميع وسائل المواصلات، ونردم جميع الآبار، ونأخذ معنا جميع السيارات، ونسحب السكان.

ويكفي أن السيد عمر الحضرمي قد أكد أن الجزائر، أصبحت تعتبر منذ عام 1985، أن الاستقلال التام للصحراء،

وأمام هذه الدعوة الملكية الكريمة، انفرط عقد البوليساريو، وشهدت مخيماته حركة نزوح جماعية لسكانها، مما اضطر قيادات البوليساريو للتدخل، لاحتجازهم بالقوة، بحيث أصبحوا في وضع أشبه بوضع الرهائن. وإذا كان من الممكن تفسير هروب الصحراويين العاديين على أساس البحث عن ظروف حياتية أفضل، فإن هروب قيادات البوليساريو، لا يمكن فهمه إلا على أن الرجوع للحق فضيلة.

☆☆☆

وأما صحيفة (الوفد) المصرية، فقد أكدت أن السياسة التي نهجها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، في التعامل مع قضية الصحراء، كانت نموذجا من فن إدارة الصراع... فلقد أدرك العاهل المغربي أن هناك حلفا غير معلن تجمع أعضاؤه من أجل هدف واحد، هو حرمان المغرب من صحرائه، فعمل على اختراع هذا الكمين من أجل إحباط ذلك الحلف، وفض الحصار المفروض حول المغرب، دون أن ينجر لمواجهة عسكرية، كلما كان ذلك ممكنا. ولتحقيق ذلك، رسم جلالة الملك استراتيجية شملت كافة الأصعدة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية. ولقد اتخذ المغرب خطوات، خاصة منها ضمان حياد موريتانيا، ووقف الدعم الليبي للبوليساريو، وخروج إسبانيا من حلبة الصراع، لأن سياسة جلالة الملك كانت بالتأكيد تقوم على تفادي خوض حرب مع الجزائر، مهما كان الثمن.

إن الهدف من إجراء استفتاء لتمديد ولاية البرلمان، هو منح جميع الأطراف، وخاصة الأمم المتحدة، فرصة نهائية لإجراء الاستفتاء في الصحراء المغربية وفقا لقرار الأمم المتحدة. فلقد كان من الطبيعي أن نذهب إلى الصحراء المغربية للتعرف على طبيعة الأرض التي هي الصحراء المغربية. والشعب هناك هم المغاربة. ولا تزال أصداء هتافات الصحراويين ترن في الأذان : نحن مغاربة ! نحن مغاربة ! يتردد ذلك في المنازل، والشوارع، وشتى

وحاضر ومستقبل وطنه، بنفس الشجاعة والحزم اللذين كان يتحدث بهما الأمير.

وأضاف أنه أعجب كذلك آنذاك بإتقان جلالة الملك للغة الفرنسية، وبدقة وجمال تعبيره، وكذا بحزمه على القيام بمهمته الأولى كاملة، ومساعدة أبيه على تحرير بلاده من الحماية الفرنسية، وروحه الهادئة، ومعرفته للرجال العظام، وحبهم، وفرنسا والفرنسيين، بالرغم من تصرفاتهم الاستعمارية إزاء بلاده.

وذكر السيد (جورج ماني) بعد ذلك بلقاء آخر جمعه بصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، بعد عشر سنوات بالرباط، وبما أعجب به لدى جلالاته خلال هذا اللقاء من حب للبيولوجيا، والطب، وعلم النفس.

وتحدث عن التاريخ الحديث للمغرب وقال : إن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ليس رمزا للمغرب فحسب، كما هو الشأن لوطنه، من أجل رقي ورفاهية شعبه.

كما تحدث السيد (جورج ماني) عن صاحب الجلالة بصفته أمير المؤمنين، ورجل القانون الذي يستلهم من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. ووصف جلالاته بأنه يعد من أنبل حكماء التاريخ ورجال الإسلام، ورئيس الدولة الذي شيد دولة عصرية وفيه لتقاليد شعبها، ورجل الاقتصاد الذي عرف كيف يطور بلده، والقائد العسكري الذي يمارس خلافا لعدد من رؤساء الدول الذين لا يقاتلون، إلا في الواجبات الانتخابية. وهو شاب يافع، قد عالج مهام القيادة في الميدان، وأبدع طريقة سلمية ورائعة للفتح، متمثلة في مسيرة شعب ملتبس حول عاهله.

ووصف جلالاته بالدبلوماسي السامي الذي عرف بعد هذه المسيرة، وعن طريق التفاوض، كيف يسترجع أراضي هي من حيث الشرع والقانون، جزء لا يتجزأ من ترابه... وهو رجل السلام، ورجل السياسة البارِع، والداعي على السلام، إلى وحدة الصف، ولم الشمل. وهو المثقف الذي

ضرب من ضروب الخيال. وهناك حقيقة يجهلها الأفارقة، ألا وهي عدم وجود سفارة للجمهورية الصحراوية في الجزائر... والسكان الصحراويون لن يتركوا المغرب ينسحب. فكل من زار مدن الصحراء، وخاصة عاصمتها العيون، وشاهد سكان الصحراء عن كثب في مخيماتهم، يتبين له مكتسباتهم الاجتماعية التي تحققت منذ أن استرجع المغرب هذا الجزء من ترابه. ومن المعلوم أن مدينة العيون مدينة حديثة ذات مستقبل زاهر، تتوفر على تجهيزات طبية ومدرسية وسكنية بالإضافة إلى الميناء والمطار، وكذا الجهود التي بذلت لفائدة سكان القرى، والتي عوضتهم عما حرّمهم منه الاستعمار الإسباني... إن البوليساريو يدرك مدى تعلق سكان الصحراء بهذه الحياة الجديدة... وهو على علم بعودة الصحراويين إلى وطنهم الأصلي المغرب دون أن يستطيع وقف هذا التيار الجارف. إن سكان الصحراء كانوا بالفعل كثيرين. وهم يحون الحياة الكريمة، بالإضافة إلى أن البعض منهم أصبحوا رجال أعمال، وأرباب شركات، تعمل في بناء الموانئ.

☆☆☆

ولقد قام السيد عبد اللطيف بريش الأمين الدائم لأكاديمية المملكة المغربية، خلال افتتاح أشغال الدورة الثانية للأكاديمية لسنة 1989، بتقديم البروفيسور (جورج ماني)، كعضو جديد بالأكاديمية.

وقد ألقى البروفيسور ماني كلمة جوازية بهذه المناسبة، ذكر فيها بأول لقاء له مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عندما أقام عميد جامعة بوردو السيد (ليون بينين) حفلا على شرفه، سنة 1948، وهو ولي للعهد آنذاك، حيث وجهت له الدعوة، لإلقاء كلمة أمام الطلبة الفرنسيين.

وقال السيد ماني إنه أعجب آنذاك ببلاغة صاحب السمو الملكي ولي العهد مولاي الحسن، وهدوئه، وقال : أعتقد أنه من بين الرجال العظام الذين كنت أعرف عن طريق القراءة، مرحلة شبابه. كان هناك (شارل ديغول) وحده يتحدث عندما كان من نفس عمر الأمير، عن ماضي

يتميز بفكر ثاقب، ساهم في إغناء الرصيد الثقافي، خاصة في كل ما يتعلق بإشعاع اللغة الفرنسية.

وبعدما استعرض ذكرياته الشخصية الطيبة مع جلالة الملك، أكد في الختام، أنه يكن احتراما كبيرا لجلالته، مشيرا إلى كتب ذات يوم، أنه باستثناء الجنرال ديفول، لم يتعرف طوال حياته على رجل، له من سعة الفكر، ما لجلالة الملك الحسن الثاني، رجل الثقافة والفن والأدب.

☆☆☆

وصرح كاتب الدولة الأمريكية الأسبق السيد (هنري كيسنجر)، أن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يلعب دورا مهما جدا على صعيد المغرب العربي... مؤكدا أن قرار صاحب الجلالة بمنح مهلة سنتين لمنظمة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء، يرجع إلى أهمية الموقع الجغرافي للمغرب العربي الذي يجعل منه منطقة ربط بين أوروبا، وإفريقيا، والشرق الأوسط... مشيرا إلى أهمية الاستقرار السياسي، والتنمية الاقتصادية في المنطقة بالنسبة لأوروبا وإفريقيا، والشرق الأوسط.

☆☆☆

ووصف السيد مختار امبو، المدير العام السابق لليونيسكو، قرار جلالة الملك، بإعطاء مهلة للأمم المتحدة، لتنظيم الاستفتاء في الصحراء، بأنه قرار حكيم. فالجميع يوافق على تنظيم الاستفتاء في الصحراء، بعد أن اقترحه جلالة الملك الحسن الثاني في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية بنairobi. والوقت قد حان فعلا للمبادرة بتنظيم الاستفتاء.

وأشار السيد امبو، إلى أن الفرصة أتحت له قبل سنتين، لتوجيه سؤال إلى السيد دي كويلار، الأمين العام للأمم المتحدة حول موضوع الاستفتاء، فأجابه المسؤول الأممي، بأن أعلى أمنية لديه، هي أن يتم تنظيم الاستفتاء، في أقرب الآجال.

☆☆☆

وأما عن التلفزة المصرية، فقد تطرقت القناة الثالثة منها، في برنامجها الأسبوعي : (ما وراء الصحافة) مساء يوم الإثنين 11 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 11 دجنبر 1989 م، إلى الاستفتاء الشعبي الذي جرى في المغرب في بداية دجنبر 1989، والذي لبي فيه الشعب المغربي نداء جلالة الملك الحسن الثاني بالموافقة على تمديد فترة البرلمان الحالي... إن موافقة الشعب المغربي بنسبة 99,98 على تمديد فترة البرلمان، تؤكد الإجماع الوطني الحاصل في المغرب حول قضية الصحراء. كما تجسد التفاف جميع المغاربة حول جلالة الملك الحسن الثاني، في الدفاع عن مغربية الصحراء.

وتحدث في هذا البرنامج الصحفي المصري، السيد عصام رفعت، رئيس تحرير مجلة (الأهرام الاقتصادي) الذائع الصيت، والذي تابع ضمن وفد مصري عملية الاستفتاء، وما واكبها من تجمعات شعبية، سواء في الأقاليم الصحراوية، أو في باقي المدن المغربية... فأبرز بتفصيل ظروف وملابسات تطورات قضية الصحراء المغربية، وظهور ما يسمى بالبوليساريو وتجمعه في معسكرات تيندوف، على الحدود المغربية الجزائرية، مشيرا إلى أن تأجيل الانتخابات العامة في المغرب يرمي إلى إعطاء الأمم المتحدة مهلة سنتين لتنظيم الاستفتاء في الصحراء.

☆☆☆

وأكد رئيس دولة النيجر الجنرال علي سايبو، أن موقف بلاده ظل واضحا، وأنها لم تعترف بالجمهورية الصحراوية، في الوقت الذي كانت دول أخرى تفعل ذلك. فلا يعقل أن تقوم نحن بذلك في آخر لحظة... وإنه في الوقت الحاضر يتعين تلافى التسرع، مادام الوضع الراهن يستلزم إقامة أسس صلبة قبل تنظيم الاستفتاء في الصحراء، وأعتقد أن ذلك هو الدافع وراء القرار الملكي.

☆☆☆

ولقد خص السيد عمر الحضرمي، العضو المؤسس لجهة (البوليساريو) خلال مقامه بمدير، برنامج السيدة

أونكارا الذي تبثه الإذاعة الكاثوليكية (كوبي)، والذي يتبعه حوالي مليوني مستمع، بحديث تطرق فيه لعدة قضايا، منها ظروف إنشاء (البوليساريو)، وتقاليد سكان الصحراء، وأحلام الجبهة التي لم تتحقق، والانشقاق في صفوف المرتزقة. وقال في هذا الصدد: لقد أنشأنا البوليساريو مبدئياً للكفاح ضد الاحتلال الإسباني للصحراء الغربية، لأنه كان يتعين تحرير ترابنا من الهيمنة الاستعمارية، ولم نكن أبداً نفكر في إقامة دولة منفصلة عن المغرب.

☆☆☆

وقد أبرزت مجلة (المصور) المصرية الاجماع الحاصل حول قضية الوحدة الترابية للمغرب، والذي تجلى خلال عملية الاستفتاء على تمديد ولاية البرلمان، الذي دعا إليه جلالة الملك الحسن الثاني، لإفراج المجال للأمم المتحدة، لتنظيم الاستفتاء في الصحراء. إن هذا الاجماع تجلى في نتيجة الاستفتاء التي بلغت نسبته 99,98 في المائة، وعكس إجماع المغاربة، والتفافهم وراء جلالة الملك الحسن الثاني من أجل استكمال الوحدة الترابية. ولم يتخلف أحد عن الإجماع الشعبي. ويتجلى ذلك في البيان الموحد الذي أصدرته أحزاب المعارضة المغربية، والذي أعلنت فيه تأييدها لتمديد العمل بالبرلمان الحالي، لارتباط هذه الخطوة بقضية الصحراء المغربية التي يلتف حولها جميع المغاربة... إن ما يلفت النظر هو حماس المواطن المغربي، وتلقائته في إقباله على صناديق الاقتراع، رجاء ونساء، وشيوخا وشبابا. فقد كانوا كلهم يتسابقون للإدلاء بأصواتهم بكل حرية، مما أثبت الاجماع الشعبي على هذه الخطوة التي دعا إليها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ذي الحكمة البالغة التي أعطت مهلة تستعد فيها الأمم المتحدة لإجراء استفتاء في الصحراء المغربية. فمن المنطقي تأجيل هذه الانتخابات، حتى تتم في كامل التراب المغربي من طنجة إلى الكويرة، لأنه ليس من الحكمة ترك المناطق الصحراوية دون إجراء انتخابات فيها خاصة وأن لها ممثلها

في البرلمان. وهنا يجب التنويه بالحكمة السياسية لجلالة الملك الحسن الثاني - حينما سئل عن رد الفعل المغربي إذا لم يتم الاستفتاء في الصحراء، خلال هذين العامين، حيث أعرب جلالتة عن أمله في أن لا يتأخر إجراؤه عن هذه المدة، وأنه يظن الخير الكثير في الأمم المتحدة وأمينها العام (دي كويلار)، مع تأكيد جلالتة في نفس الوقت، على أنه إذا لم يتم الاستفتاء، فإنه سيكون على المغرب كدولة ذات سيادة، أن يستنتج من هذه المماطلة، النتائج الواجب استخلاصها، لا سيما وأنه لم يأخذ سوى ما هو حقه... إن قضية الصحراء شغلت المغرب منذ إعلان استقلاله؛ والمسيرة الخضراء كانت مسيرة مظفرة... وتسوية قضية الصحراء، تجب معالجتها في الكيان المغربي العتيق والقوي الذي يتجلى في الإعلان عن اتحاد المغرب العربي، لأن جذور هذه القضية تعود إلى الاستعمار الأوروبي القديم الذي حرص على تقسيم الأراضي الغربية... ولا تغيب عن الأذهان شواهد النهضة العمرانية والحضارية بمدينة العيون عاصمة الصحراء المغربية... ويكفي أن كبار قادة (البوليساريو) قد عادوا إلى أرض الوطن الأب، مما أحدث شرخا عظيما وعميقا في جدار الجبهة، والصحراء مغربية منذ الأجداد، ولا يمكن أن تنفصل عن جذورها. فبعد أن تركها الاستعمار خاوية، ها هي تنعم بالنهضة الكبرى... والحكومة المغربية كانت وما تزال تولي رعاية كبيرة، للأهل والعشيرة في الصحراء. ويكفي أن السيد عمر الحضرمي يؤكد أن ما يسمى بالجمهورية الصحراوية لا يمكن أن تستمر في ظل الأوضاع الحالية، لأنها تفتقر إلى مكونات الدولة كما حددها القانون الدولي... خصوصا وأن الصحراويين يعيشون أوضاعا متردية في مخيمات تيشدوف حيث ينقصهم العلاج والتغذية والت مدرس... وكل الذين شملهم الإحصاء الإسباني يريدون العودة إلى المغرب مع أسرهم.

يوقد أعرب السيد غروميكو، مدير قسم افريقيا بمعهد موسكو، وعضو أكاديمية المملكة عن اعتقاده كون الشعوب

الخبراء، ووزراء الخارجية، انسجاماً أيضاً مع قرار مجلس
جامعة الدول العربية.

إننا نشارككم الرأي يا صاحب الجلالة، بأهمية هذا
اللقاء نظراً للعلاقات التاريخية التي تربط بين شعوب أمتنا
العربية، والشعوب الأوروبية، والتي تتطلع جميعاً في
الظروف الراهنة التي يمر بها العالم، إلى إيجاد قواعد
جديدة، وقواسم مشتركة جديدة، لبناء وتمتين علاقات
الصداقة والتعاون والتفاعل الحضاري بينها.

وإننا نرى هذا اللقاء يمثل في ظل ظروف عملية،
الانفراج العالمي، والوفاق الدولي، وتلك مناسبة سانحة
وبالغة الأهمية، لتأكيد مجدداً على الدور الحيوي الذي
تضطلع به في أوروبا في المساهمة الفعالة في دفع عملية
السلام في الشرق الأوسط، وفي التأثير على موقف الإدارة
الأمريكية لكي تتوقف عن انحيازها الأعمى إلى جانب
إسرائيل وسياساتها وممارساتها التي تنتهك المواثيق
والأعراف الدولية، وحقوق الإنسان... وإننا لعلينا ثقة أن
مثل هذه المساهمة الأوروبية، من شأنها أن تساعد على
إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، على أساس إنهاء
الاحتلال الإسرائيلي، واستعادة حقوق شعبنا الوطنية غير
القابلة للتصرف، بما فيها حقها في العودة إلى أرضها، وإقامة
دولته المستقلة، وتقرير مصيرها. وإننا على ثقة أيضاً أن
ذلك، سيساهم مساهمة بناءة في خدمة الأهداف المشتركة
في تحقيق السلام العادل في منطقة البحر الأبيض
المتوسط، وتطوير التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي،
وإنجاح خطط التنمية العربية، وتمتين العلاقات على أساس
توازن المصالح.

وفي الختام، أرحب يا صاحب الجلالة بترأسكم بمعية
فخامة الرئيس فرانسوا ميتران، الجلسة الختامية لهذا اللقاء
متضمنين لكم ولهذا الحوار كمال التوفيق والنجاح.
مع أطيب تحياتي الأخوية، وخالص أمنياتي القلبية
لجلالتكم، ومعاً وسويماً، حتى القدس المحررة بعونه تعالى.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أصبحت حالياً في حاجة إلى التواصل. وهذا ما يسعى إليه
المغرب من خلال خلق جو السلام والتعاون الاقليمي... إن
مشاكل السلام ترتبط في الوقت الحاضر بالمشاكل
الاقتصادية، من أجل تحقيق سلام شامل، خارج إطار
الدولتين العظميين وجهودهما من أجل السلم، لأن تخفيض
حدة التوترات والصراعات، أصبح مسألة ضرورية لتحقيق
السلام... والمغرب خلق ظروفًا لم تكن موجودة من قبل
 بالمنطقة، مما سيضع حداً للتوترات والنزاعات، وبالتالي
سيؤدي حتماً إلى السلام. كما أن المغرب نادى بالتعاون
العلمي الذي يمكن منطقة المغرب العربي، من الرفع من
مستوى عيش سكانها. وهذا هو سبيل نجاح التعاون والتنمية
 بالمنطقة الافريقية. وهذه الشروط مجتمعة ستوفر بفضل
التفاهم، ومجهودات كل بلد على حدة، كما أنها ستتمكن من
التوصل إلى إنهاء النزاعات... ولقد حان الوقت لكي
يتغلب العقل على العاطفة. إذ من مصلحة الجميع المحافظة
على مصالح كل بلدان المنطقة.

☆☆☆

...وقد توصل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
ببرقية شكر وامتنان، من السيد ياسر عرفات، رئيس دولة
فلسطين، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير
الفلسطينية، على الدعوة التي وجهها جلالتهم إليه، والمتعلقة
بالمشاركة في لقاء الحوار العربي الأوروبي بباريس يومي
21 و22 دجنبر 1989 م.

وفي ما يلي نص البرقية :

صاحب الجلالة الأخ الملك الحسن الثاني

تحية مباركة، وبعد :

تلقيت ببإلغ التقدير رسالتكم الأخوية التي توجهون
فيها الدعوة لنا للمشاركة في لقاء الحوار العربي الأوروبي.
وإنه ليطيب لي بهذه المناسبة، أن أتوجه إلى جلالته
بالشكر العميق على دعوتكم، وأن أؤكد لكم، أن دولة
فلسطين ستشارك بوفد عالي المستوى في اجتماعات

وكدليل على وضوح وثبات الموقف المغربي من الاستفتاء، نشرت صحيفة (الوفد) المصرية مقالا تحليليا، تطرقت فيه إلى التطورات الأخيرة لقضية الصحراء، والواقع وراء الهجمات الأخيرة التي شنها مرتزقة البوليساريو على المواقع المغربية. إن تلك الهجمات على خطوط الدفاع بالصحراء المغربية، تزامنت مع الجهود الدولية الرامية إلى تنظيم الاستفتاء في الصحراء، وازدياد التفاوض بإنهاء هذه القضية. والواقع أن هناك عدة دوافع وراء قيام البوليساريو بهذه الاعتداءات: أبرزها قيام اتحاد المغرب العربي، وما أغلبه من تقارب بين المغرب، وكل من الجزائر وليبيا. ولقد تزايدت أعداد الراغبين من الصحراويين، في العودة إلى الوطن الأب (المغرب). فلقد عادت بالفعل قيادات البوليساريو إلى (المغرب) تلبية لنداء جلاله الملك الحسن الثاني، أمثال عمر الحضرمي، وماء العينين مريه ربه، ونور الدين بلالي، ومحمد بريكة، وبركني أحمد زين وفاضل ولد السالم... وهناك مظاهرات قد اجتاحت المخيمات في تيندوف، تطالب بالعودة إلى المغرب. وتضاعفت حالة التذمر بين الأمهات، بسبب تجنيد أبنائهن في سن السابعة عشرة، لتعويض الهاربين من أعضاء البوليساريو. وأمام هذه الرغبة العارمة، بدأت مخاوف قادة البوليساريو من نتيجة الاستفتاء، لتقرير المصير، المقرر إجراؤه تحت إشراف الأمم المتحدة، فبادر بهجوماته، في محاولة لسنف جميع المساعي الرامية إلى التعجيل بإجراء الاستفتاء... كما أن هناك مسألة تصفية الخلافات الحادة، داخل موريتانيا والجزائر، حول انعدام العدالة في توزيع المناصب القيادية، وقد بدأ وهم الانتصارات السياسية، إفريقيا ودوليا، ينهار مع اتجاه قوي داخل منظمة الوحدة الأفريقية في ظل رئاسة الرئيس المصري حسني مبارك للمنظمة الأفريقية، لتجميد عضوية الجمهورية العربية الصحراوية، وإعادة المغرب إلى مكانه الطبيعي، كإحدى الدول المؤسسة للمنظمة... وإنما قام البوليساريو بهجوماته الأخيرة، بهدف إثبات الذات فقط، ومحاولة الدخول مرة أخرى في دائرة الضوء، وتذكير

العالم بأن النزاع مازال قائما... وقد أصبحنا نرى أن الجهود الدولية لحل القضية سلميا، بدأت تتعثر في ظل عدم وجود رغبة لدى البوليساريو لإجراء الاستفتاء، حتى لا تنتهي أسطورة الجمهورية الصحراوية... إن كل الأمور تتجه إلى الاستفتاء بالرغم من كل هذه العراقيل. وموقف المغرب مازال ثابتا وواضحا: فجلالة الملك الحسن الثاني أكد التزام المغرب التام، وتمسكه بقبول تنظيم الاستفتاء، تحت رعاية الأمم المتحدة، كحل نهائي ودولي لهذه القضية، بعيدا عن المزايدات اللفظية، والتشدد المفتعل في المواقف... وإن القوات المسلحة الملكية تستطيع القضاء نهائيا على جماعات البوليساريو باستخدام الحل العسكري في ظل تراجع القدرة العسكرية للبوليساريو، بعد توقف معظم المساعدات الخارجية... غير أن جلالة الملك الحسن الثاني، فضل السير في اتجاه الاستفتاء، مما يعكس بوضوح رغبة المغرب في عدم إراقة دماء أبناء المغرب الواحد... والواقع يؤكد صعوبة قيام البوليساريو بأي عمل عسكري في الوقت القريب، حيث إن المعلومات الواردة من داخل البوليساريو نفسه، تشير إلى الخصاصة في الوقود والذخيرة، وقطع الغيار، والمؤونة، فضلا عن انهيار الروح المعنوية لقوات البوليساريو، وللإحساس بعدم جدوى عملياته الانتحارية.

☆☆☆

في حديث نشرته جريدة (المدينة) السعودية يوم السبت 16 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 16 دجنبر 1989 م، أشاد سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، بالجهود التي بذلتها اللجنة الثلاثية العربية العليا المكلفة بحل الأزمة اللبنانية. وأبرز أن هذه اللجنة استطاعت بقيادة جلاله الملك الحسن الثاني، والعاقل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز، والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، أن تحرك الموقف السياسي المتجمد منذ خمسة عشر عاما من عمر المسألة اللبنانية ففي وقت قياسي، استطاعت اللجنة أن تحقق ما لم تحققه أي

نهاية المطاف جلالة الملك القائل بأن الوطن غفور رحيم... إن الضرورة الملحة تدعو إلى تنظيم الاستفتاء بمشاركة الصحراويين البالغين سن الرشد، والذين تم إحصاؤهم سنة 1974 تحت الإدارة الإسبانية، كما ينص على ذلك مخطط الأمم المتحدة، بالرغم من العراقيل التي يضعها خصوم المغرب، لنسف مساعي الأمم المتحدة، بغية إرغام المغرب على المفاوضات المباشرة. وهو الأمر الذي لن يتحقق أبدا، ما دام المغرب سيد الميدان من الناحية العسكرية، وأكثر من ذلك، مقتنعا كل الاقتناع بمدالة قضيته.

☆☆☆

ولقد أكدت الجالية المغربية العقيمة بتورين بفرنسا، مساندتها للأفكار التي عبر عنها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، لدى رده على مختلف الأسئلة المطروحة في برنامج «ساعة الحقيقة» للقناة الفرنسية (أنتين 2)... وأوضح السيد اكنوش أن الجالية المغربية بتورين عبرت عن استعدادها التام للمساهمة في بناء المسجد الذي اقترحت المملكة المغربية تشييده بالعاصمة الفرنسية. وأكدت هذه الجالية أيضا أنها مستعدة لأن تدعم ماديا بناء هذا المسجد.

☆☆☆

وأكد وزير الداخلية الفرنسي، السيد (بيير جوكس) في تعليق عما ذكره صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مساء يوم الأحد 17 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 17 دجنبر 1989 م، بخصوص بناء مسجد جديد بباريس، أن بناء هذا المسجد تعتبر مسألة تم الجالية المغربية في فرنسا، وأنه من الطبيعي جدا أن يكون للمسلمين المقيمين في فرنسا، مكان للعبادة سواء بباريس أو خارجهما... وأوضح في تعليقه الذي خص به «الإذاعة الفرنسية - أوروبا» أن قرار بناء هذا المسجد لا يتوقف عليه، ما دامت فرنسا جمهورية علمانية، لا تقدم أية مساعدة لأية ديانة... إلا أن أغلبية المسلمين المقيمين بفرنسا معتدلون، وليست لهم أية علاقة مع المذهب الشيعي، أو النزعة الخمينية، أو الارهاب،

جهود أخرى، فقدمت البرهان الساطع على أن أي مشكلة عربية، يجب أن تحل عرييا، وداخل البيت العربي الواحد...

☆☆☆

وقد خصصت صحيفة (لوسوار) البلجيكية مقالا يوم السبت 16 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 16 دجنبر 1989 م للزيارة التي يقوم بها وفد مهم، عن الأقاليم الصحراوية، ستراسبورغ وبروكسيل، لشرح موقف المغرب من قضية الصحراء، والعراقيل التي يضعها خصوم الوحدة الترابية لنسف جهود السلام في المنطقة. فالتصريحات التي جاءت على لسان بعض الأعضاء المؤسسين للبوليساريو، الذين التحقوا مؤخرا بأرض الوطن، مليئة بالحجج والقرائن، وتبرز الأوضاع المأساوية التي يعيشها السكان، في مخيمات بتندوف، والخلافات الحادة بين الصحراويين المنحدرين من الأقاليم المغربية المسترجعة، وأولئك القادمين من موريتانيا والجزائر... والوفد المغربي الذي أطلع في البداية أعضاء البرلمان الأوروبي على حقيقة الوضع في الصحراء، يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، وسبق أن تقلد مناصب قيادية مرموقة في صفوف البوليساريو، حيث يضم بالإضافة إلى عمر الحضرمي أحد المؤسسين البارزين وعضو سابق في اللجنة التنفيذية للبوليساريو، نائبا عن إقليم العيون، وأحد نواب رئيس مجلس النواب، ونائبا عن إقليم سارة، وممثلين سابقين للجهة في ليبيا، وسوريا، وواشنطن، ولدى منظمة الوحدة الإفريقية، وكذا المدير السابق للإعلام بالبوليساريو... وقد أكد وفد الأقاليم الصحراوية أن استقلال الصحراء هو ضرب من الوهم، وأن إصرار خصوم وحدة المغرب الترابية على السير في الطريق المعاكس للسلام، لن ينال قيد أنملة من عزيمة المغاربة وإجماعهم... إذ هناك عمق الروابط التي كانت وما تزال تجمع بين الصحراء الغربية والمملكة المغربية، مع اقتناع أعضاء الوفد بأن العديد من إخوانهم الذين يعانون كل صنوف الاضطهاد والنؤس، سيلبسون في

وبوركيني أحمد الزين، قائد وحدة سابق، ورمضان ولد النص الممثل السابق لدى منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا.

وقد أشاد النواب البلجيكيون الذين التقى بهم الوفد المغربي بهذه المبادرة، ووعدوا بإطلاع أحزابهم وفرقهم البرلمانية بمضمون المباحثات التي أجروها مع الوفد المغربي، وأكدوا استعدادهم لتقديم مشروع قرار للبرلمان البلجيكي عند الاقتضاء لدعم تنظيم الاستفتاء في الصحراء. وقد عقد الوفد خلال مقامه ببروكسيل ندوة صحفية حضرها العديد من ممثلي الصحافة البلجيكية والدولية المقروءة والمسموعة والمرئية. وأعجب الحاضرون على الخصوص بأجوبة السيد عمر الحضرمي، ويتمكنه من المواضيع التي تمت مناقشتها، ووضوح تحليله، وقوة حججه.

وقد أذيع النص الكامل لهذه الندوة على أمواج الاذاعات المحلية العربية، مما أثار عند مستمعيها الحماسة في صفوف الجالية العربية في بلجيكا... والافتناع بأن استقلال الصحراء ضرب من الخيال، وأن المستقبل هو الاندماج في المملكة المغربية.

وأشارت الصحيفة إلى أن أعضاء الوفد، خطباء ممتازون، يدلون بحجج دامغة لتأكيد صواب قرارهم بالالتحاق بالمغرب، ويتفادون اتخاذ مواقف نظرية إيديولوجية أو شخصية، باستثناء إيمانهم بالمغرب الذي يأخذ بالتعددية والليبرالية... إن هؤلاء قد أبرزوا عمق الروابط بين الصحراء الغربية والمغرب، وفضحوا محنة السكان الصحراويين في مخيمات تندوف التي يشرف عليها البوليساريو، وأكدوا على ضرورة تحقيق المصالحة في المنطقة على ضوء بناء المغرب العربي الكبير.

☆☆☆

في الضيافة التي خصصها برنامج (ساعة الحقيقة)، ذو الشهرة العالمية، الذي قدمته القناة الثانية للتلفزة الفرنسية (أنتين 2)، يوم الأحد 17 دجنبر 1989 م، لصاحب الجلالة

أو العنف... والمسلمون المنتمون للجالية المغربية أو المغاربية، سالمون ومتسامحون. وإقامة أماكن للعبادة لهم بباريس أو غيرها مسألة طبيعية للغاية.

وكان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قد عبر خلال برنامج «ساعة الحقيقة» عن نية جلالة في أن يطلب من عمدة باريس، السيد جاك شيراك، إمكانية الحصول على قطعة أرضية لبناء مسجد عن طريق الاكتتاب.

وبخصوص سؤال حول تشكيل هيئة إسلامية تكون بمثابة مجمع ديني، أشار الوزير الفرنسي إلى أن الفكرة تبلورت في فرنسا، معبرا عن اعتقاده بأنه سيتم مستقبلا في فرنسا، تشكيل هيئة إسلامية، تكون بمثابة مجمع ديني، يتمكن من قياس إلى أي حد يكون اعتبار الإسلام ديناً له مكاتته في فرنسا، داخل إطار التسامح الذي يدعو إليه هذا الدين نفسه... ولقد تمكنت من تنظيم مجموعة صغيرة خلال لقائي بست شخصيات إسلامية، اجتمعت بها عدة مرات، وسألتي بها قريبا... وقد سبق لهذه الشخصيات أن عبرت عن رغبتها في تنظيم وتوسيع هذه المجموعة.

☆☆☆

وقد أشارت صحيفة (لوسوار) البلجيكية، إلى أن وفدا من المغاربة المنحدرين من الأقاليم الصحراوية، قد أنهى يوم السبت 16 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 16 دجنبر 1989 م، زيارة لبروكسيل، استغرقت يومين، أجرى خلالها مباحثات مع بعض المسؤولين البلجيكين في وزارة الشؤون الخارجية هناك، من مختلف الاتجاهات السياسية... وكان الوفد قد وصل يوم الخميس 14 جمادى الأولى 1410 هـ الموافق 14 دجنبر 1989 م، إلى العاصمة البلجيكية قادما من ستراسبورغ التي أجرى بها اتصالات مع عدد من النواب الأوروبيين... وقد ضم الوفد، النواب: الزروالي بريكة، وبيد الله محمد الشيخ، وكذا أعضاء سابقين في البوليساريو، هم: عمر الحضرمي أحد أعضائه المؤسسين، ومريه ربه ماء العينين مدير الإعلام السابق، ونور الدين بلالي الممثل السابق في ليبيا، وسوريا،

وذكرت صحيفة (لوفيفارو) الفرنسية في افتتاحية عددها الصادر يوم الثلاثاء 19 دجنبر 1989 م حول الحديث الذي خص به جلالة الملك الحسن الثاني، برنامج «ساعة الحقيقة» القناة الفرنسية (أنتين 2) أن الحسن الثاني فند بصدق ولباقة الرؤى السطحية للإسلام... وعند تحليلها لنتائج استطلاع الرأي الذي اختتم به البرنامج، أبرزت (لوفيفارو) أن نسبة 73 في المائة من العينة التي شملها للاستطلاع، خرجت في نهاية البرنامج بانطباع جيد عن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، واعتبر 59 في المائة أن المغرب يختلف عن باقي البلدان العربية، في حين اعتبر 35 في المائة بأنه تراجع للخلف. أما نسبة 68 في المائة من العينة، فقد اعتبرته متميزا بالتعصب.

وإن أجوبة صاحب الجلالة التي كانت غاية في الدقة والوضوح، تركت الفرنسيين منبهرين، رجوعا إلى جذور المستوى الفكري العالي لصاحب الجلالة الذي يعتمد على خاصية تاريخ المملكة المغربية الشريفة... فلقد أعطى الحسن الثاني باسم شعب عريق لبلد متفتح على المحيط الأطلسي وإسبانيا جغرافيا، توضيحات لها أهميتها، إذ إن هناك جذورا أخرى تتمثل في الإسلام الذي تحدث عنه جلالة الملك، والذي أسس فهمه، ومع ذلك، فهو منتشر أمام أعيننا في الشرق الأوسط، ومصر، والمغرب العربي، وفي جنوب إسبانيا.

☆☆☆

وذكرت صحيفة (لوباريزيان ليبيري) في عددها الصادر يوم الثلاثاء 19 دجنبر 1989، أن هناك إجماعا حول الاقتراح الذي قدمه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في برنامج «ساعة الحقيقة» مساء يوم الأحد 17/12/1989، للقناة التلفزيونية الفرنسية (أنتين 2)... إن وزير الداخلية الفرنسي السيد (بيير جوكس) كان قد أعلن تأييده لبناء مسجد جديد بباريس. وعمدة العاصمة الفرنسية لا يعارض هذا المشروع. وإن بناء هذا المسجد - بالإضافة إلى هذا الإجماع - لا يكتسي أية خلفية سياسية. وسيكون

الملك الحسن الثاني، كان من بين النتائج : السؤال الأخير وهو رأي الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع في صاحب الجلالة. إنه سؤال يمكن أن يبدو غير لائق، لأنه كما قال الملك قبل قليل، لا يمكن الحكم على شخصه. لكن ما دام أن العادة جرت بذلك خلال هذا البرنامج، فقد قمنا به على كل حال. وجاءت المعادلة إيجابية بحيث إنه في نهاية البرنامج، أعطى 73 في المائة في عينة (صوفريس) رأيا إيجابيا في جلالة الملك الحسن الثاني، و16 في المائة رأيا سلبيا. وفي بداية البرنامج، سجلنا 45 في المائة من الآراء الإيجابية، و18 في المائة في الآراء السلبية... لكن، مما تجدر الإشارة إليه، هو أنه في نهاية البرنامج، نلاحظ أن 63 في المائة من المتعاطفين مع اليسار، صرحوا بأن لهم آراء إيجابية عن الملك، وأنه من بين الفرنسيين الذين تقل أعمارهم عن 35 سنة، والذين يشكلون 65 في المائة، لهم آراء إيجابية عن الملك كذلك. إذن، هناك فئة عريضة لها رأي إيجابي عن شخص جلالة الملك... وإذا كان هذا البرنامج لم يكف لتغيير عدد من الأفكار والتصورات الموجودة حاليا حول الإسلام، فإنه عمل بكل تأكيد على تطوير فهم الفرنسيين أو على الأقل مشاهدي برنامج هذا المساء للمغرب.

☆☆☆

خصصت صحيفة (واشنطن تايمز) حيزا بارزا في صفحتها الخاصة بالأحداث الدولية في عددها الصادر يوم الثلاثاء 19 دجنبر 1989 م للتصريحات التي أدلى بها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، لبرنامج «ساعة الحقيقة» للقناة التلفزيونية الفرنسية (أنتين 2)، فأكدت أن العاهل المغربي ندد بالتعصب، إذ لا شيء في القرآن يلزم المرأة على أن تلبس دورا ثانويا... إن النساء في المغرب يرتدين الحجاب، ولكن بنسبة أقل من السابق، ومنهن من يشتغلن في ميادين الطب، والمحاماة، والبنوك، وعالم الأعمال.

☆☆☆

يامكانه استقطاب جزء من الجالية المسلمة المقيمة بباريس وضواحيها. فهذه الجالية موزعة حاليا على مختلف المساجد التي تعتبر بعضها خاضعة لتأثير التيار الأصولي.

☆☆☆

لقد كانت لأجوبة العاهل الكريم على الأسئلة المطروحة، أصداء طيبة واسعة في مختلف الأوساط السياسية، والدينية، والإعلامية، حيث تتبع أكثر من أربعة ملايين مشاهد فرنسي، برنامج (ساعة الحقيقة) الذي استضاف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ويثته مباشرة يوم الأحد 89/11/17، قناة التلفزة الفرنسية (أنتين 2). وكان مجموع المشاهدين قد بلغ حوالي 4.149.000 شخص.

وخصصت وسائل الإعلام الفرنسية المسموعة والمرئية والمكتوبة، مختلف نشراتها ومقالاتها يوم الإثنين 18 دجنبر 1989، للحديث الذي خص به صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني برنامج «ساعة الحقيقة»، مركزة على بعض المواضيع الواردة في الحديث الملكي، والخاصة بالهجرة غير الشرعية، وإدماج المهاجرين، وكذا حمل سترة الرأس.

وذكرت صحيفة (لوفيفارو) اليمينية في مقال نشرته يوم الإثنين 89/12/18، أن جلالة الملك الحسن الثاني حرص في إجاباته، على إبراز رؤيته المتسامحة، لدين لا يلقى الفهم الصحيح بفرنسا. فجلائته - خلافا لما عبرت عنه الأغلبية بفرنسا أثناء استطلاع للرأي، يرى أنه ليس هناك أي تعارض بين العلمانية والإسلام ويعتقد أنه بإمكان المجموعتين، الفرنسية والمهاجرة، التعايش بدون مشاكل. والجمهور الفرنسي، يرى أن جلالة الملك أكد بوضوح أنه بعيد عن أولئك الذين يتصرفون تصرفا متطرفا.

أما صحيفة (لوكوتيديان دوباري) فقد ذكرت في تعليقها بعنوان: «الإسلام... كلمة الحسن الثاني السديدة» أنه، إذا كان هناك شخص جدير بأن يتحدث عن الإسلام للفرنسيين الذين هم عرضة لعدة جهات نظر، ولعدة استفزازات تشعرهم بأن هذا الدين يتعارض مع الحضارة

الفرنسية، فهو جلالة الملك الحسن الثاني الذي عبر عن أفكار سديدة حول الطروحات المقدمة، والمتعلقة بمواضيع التوافق بين الإسلام، والمجتمع الغربي، واتجاه الأصوليين، واستيعاب المهاجرين، والتقارب بين الشرق والغرب، وتأثيره على إفريقيا.

وقالت صحيفة (ليبيراسيون) اليسارية، في موضوع سترة الرأس، ومعارضة إدماج المهاجرين، إن صاحب الجلالة نصح باتباع إسلام ليبيرالي ومتفتح.

واهتمت صحيفة (فرانس سوار) في عددها الصادر مساء يوم الإثنين 89/12/18، بتصريحات جلالة الملك الحسن الثاني لبرنامج (ساعة الحقيقة)، حيث أشارت في صفحاتها الأولى، وبحروف بارزة، إلى أن الحسن الثاني سيطلب من يشارك، بناء مسجد آخر بباريس... كما أوردت نفس الصحيفة، فقرات من حديث جلالة الملك تتعلق بالإسلام، وإدماج المهاجرين، وحمل سترة الرأس.

وأعدت القنوات الفرنسية (أنتين 2) و(تي إف 1) ضمن نشرتهما لمنتصف نهار الإثنين 89/12/18، بث فقرات من الحديث الملكي. وقد ركزت كل من القناتين على مواقف صاحب الجلالة، من إدماج المهاجرين، وحققهم في الاقتراع، والدفاع عن الإسلام المتسامح.

وتحدثت مختلف المحطات الإذاعية الرئيسية، في نشراتها الصباحية ونشرات منتصف النهار، عن آراء جلالة الملك الحسن الثاني، بخصوص هذه المشاكل الاجتماعية المرتبطة بالهجرة، وبالإسلام، والتي تعتبر من القضايا التي تتأثر بالاهتمام والنقاش السياسي بفرنسا منذ عدة أسابيع.

☆☆☆

وقد أكدت عدد من الشخصيات، من عالم السياسة والثقافة والآداب والإعلام التي حضرت استضافة التلفزة الفرنسية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ضمن برنامجها «ساعة الحقيقة» مساء الأحد 89/12/17، تألق جلالته، وبعد نظره بشأن مختلف المواضيع التي تناولها، وبصفة خاصة تفسير جلالته لتعاليم الإسلام. إن آراء العاهل

المغربي كان لها بالغ الوقع الإيجابي لدى الرأي العام الفرنسي، كما بينت ذلك استطلاعات الرأي التي رافقت البرنامج.

ومن تلك الشخصيات البروفيسور كابول، اختصاصي وجراح في أمراض القلب بباريس. فقد أبدى إعجابه بجلالة الملك، ولم يفاجأ بالطريقة التي أجاب بها جلالتة، فأوضح بمنتهى الكياسة واللياقة والتمكن القضايا التي تطرق إليها، مما جعل الفرنسيين يعترفون بذلك. فصاحب الجلالة رجل طيب، ورئيس دولة عظيم، وصديق كبير لفرنسا. وحلقة البرنامج كانت إيجابية.

وأما السيد عصمت عبد المجيد، نائب رئيس الوزراء، ووزير الشؤون الخارجية المصري، فقد أعجب بالطريقة التي فسر بها صاحب الجلالة تعاليم الإسلام، وتمنى أن يطلع الفرنسيون والأوروبيون بالخصوص على تفسيرات من هذا القبيل. ونداء جلالة الملك في ختام حديثه يوحي بالوعي والارتياح. فالتفسير الذي أعطاه جلالتة لدين المسلمين الحقيقي، هو ما يدل دلالة ناصعة على لباقتة، ويشكل متميز.

وقد أشار السيد جاك شانسيل مدير البرامج بالقناة التلفزيونية الفرنسية الثالثة (إيف 3) إلى أن البرنامج قد تم تسييره بطريقة جيدة. وكانت أجوبة جلالة الملك واضحة وصريحة، مما حقق نجاحا باهرا لجلالة الملك، وجعلنا نتعجب جيدا من معرفة ردود فعل الفرنسيين. وهذا أمر مهم. فلم يتألق أحد بالشكل الذي تألق به صاحب الجلالة. فالمغرب بلد محبوب، يتم تفهمه وتمييزه على امتداد رقعة العالم الإسلامي. ولقد كان البرنامج انتصارا لصاحب الجلالة بصفته ملكا للمغرب، كما كان نجاحا كبيرا جدا لشخص جلالتة.

ومن بين تلك الشخصيات أيضا السيد هير في بوج، المدير العام السابق (لأنتين 2)، فهو يعتقد أن اختيار العاهل المغربي ليكون أول قائد غير فرنسي يستضيفه البرنامج، كان اختيارا صائبا، نظرا لكون جلالتة على دراية

كبيرة بوسائل الإعلام، ويعرف كيف يتحدث للشعب الفرنسي الذي يعرفه جيدا.

وهناك السيدة ميشيل بارزاك، وزيرة الصحة الفرنسية السابقة، ونائبة برلمانية التي قالت: إن صاحب الجلالة قد فسر بعمق كبير عددا مهما من وجهات نظره بخصوص قضايا سياسية ودينية. وهذا شيء له قيمته العليا، لما يعرفه العالم في الوقت الراهن، والعلاقات المغربية الفرنسية. ولقد استوعب الفرنسيون جيدا تصريحات صاحب الجلالة. وذلك بالذات ما ستكون له نتائج هامة، خلال الأشهر القادمة.

كما أن هناك السيد جان بيرنار ريمون، وزير سابق للشؤون الخارجية الفرنسية، وسفير سابق بالمغرب، فقد أبرز البراعة والمهارة الكبيرة التي تحلى بها العاهل الكريم، مما يؤكد أن المغرب يسير في نهج التقدم، وعندما يكون للمرء إيمان واقتناع عميقان فيما يقوله، فإنه سهل عليه التبليغ، ويدركه الناس بتلقائية وعفوية... إن الطريقة التي تناول بها جلالتة الدين الإسلامي، قد جاءت لأول مرة، فاستمع فيها الفرنسيون إلى سلطة معنوية ودولية يعترفون بها، وتمثل بلدا يكون له كثيرا من التعاطف. فقد اطلموا على كثير من الحقائق حول الإسلام. وذلك بالغ الأهمية في الظرف الحالي.

ويأتي دور السيد ميشيل جويبر، الكاتب، والوزير الفرنسي السابق في الشؤون الخارجية فيبرز أن أهمية تصريحات جلالة الملك تأتي من كونها جاءت قبيل سفر جلالتة إلى باريس... والمجتمع الفرنسي في حاجة كبيرة إلى توضيحات حتى تكون أحكامه صائبة في قضايا دينية تطبع بعمق العلاقات بين الدول... وجلالة الملك يعرف جيدا كيف يقوم بهذه المهمة العظيمة.

وقد عبرت السيدة نيلي بيلاييف من قناة (تي - إيف 5 أوروبا) عن سعادتها الغامرة، لكون صاحب الجلالة قد تمكن في المشاركة في حديث دولي بهذا الحجم عن طريق القناة (تي إيف 5 أوروبا) التي تستقبل برامجها خمس وعشرون دولة. وهذا حدث بارز ينبغي تكراره. فقد

فجلالة الملك الحسن الثاني لا يريد أن يرحل لا الأصدقاء، ولا الهيئات الدولية.

☆☆☆

وذكرت صحيفة (ليبيراسيون) الفرنسية، أن مسجدا رسميا كبيرا، سيره إمام مغربي، سيساهم في تحسين صورة الإسلام في فرنسا، كما أنه سيلبي الحاجيات الحقيقية للمسلمين القاطنين بالأحياء الشمالية للعاصمة الفرنسية... إن الظهور المفاجئ للمغرب على الساحة الإسلامية في فرنسا، يستجيب لأمل وزارة الداخلية الفرنسية التي تتطلع إلى تمثيل أحسن للجاليات الإسلامية المتساكنة بفرنسا، مما سيجعل حدا لانتشار أماكن العبادة غير اللائقة في كل مكان، وكذا الصراع بين الأئمة من جنسيات مختلفة في الأحياء الشمالية لباريس.

وأبرزت صحيفة (لوفيفارو) أن «الحسن الثاني فند بلباقة وكياسة وحذق، الرؤى السطحية للإسلام».

وقالت (لوكونيديان دوباري) : «الأدلة الساطعة، والحجج المقنعة، ووضوح الرؤية التي تناول بها صاحب الجلالة مختلف المواضيع المعالجة، وخاصة فيما يتعلق بالإسلام والاندهاج، برهان على الثقافة الواسعة لجلالة الملك الحسن الثاني، الذي خاطب الفرنسيين، خصوصا وأنه سليل أسرة مجيدة عرفت كيف تؤسس أمة لها خصائصها ومميزاتها، إنطلاقا من عناصر كانت غير متجانسة في البداية، لكنها استطاعت منذ القرن الرابع عشر، أن تستوعب عناصر أخرى من أصل إيبيري، ومن ديانات أخرى غير الإسلام... وجلالة الملك هو كذلك وارث مذهب سني صرف، لا يشجع أي نوع من أنواع التعصب، كما يلاحظ في مصر وتونس، والحنين إلى نظام المؤسسة الخليفية التي كانت تحت حكم الامبراطورية التركية، والتي كان المغرب دائم التمرد عليها... إن موقف جلالة الملك تميز بالثبات والانسجام، فقد لمنا رجلا مرتاحا جدا لقناعاته الوطنية، لا يرفض تطور المجتمع، لأن هذا التطور قد يجعل منه مجتمعا شبيها بالمجتمع الغربي والفرنسي بشكل

كان جلالة الملك الحسن الثاني، وبكل صراحة، قويا جدا خلال البرنامج. فلقد تجلت الحقيقة للعيان، بالرغم من أن الكثير من القضايا تتداخل، مما يصعب معه على المشاهد معرفة حقيقة ما يجري.

وأما السيد تيبيري دويوسي كاتب الدولة الفرنسي في التعاون الثقافي الدولي، فقد قال عن أجوبة صاحب الجلالة إنها تتسم بالوضوح والوجاهة وبعد النظر، لأنها صادرة عن رجل تاريخ، يعرف كيف يتعامل مع مسار الأحداث. وأما عن وجهة نظر جلالتة في أمور الدين، فحدث عن البحر ولا حرج.

وقال السيد دومارانث، وهو شخصية فرنسية، لقد أبانت نسبة كبيرة من الرأي الفرنسي عن إيجابيتها في صاحب الجلالة، مما له أهمية خاصة في تعزيز العلاقات بين الشعبين. فلقد أجاد العاهل المغربي في التعبير عن الأمور التي تطرق إليها. وقد أضاف هذا البرنامج أشياء كثيرة ومفيدة إلى الرأي العام.

وأبى السيد آلان ديكو، الوزير الفرنسي المكلف بالفرنكوفونية، إلا أن جلالة الملك كان في مستوى ما ينتظر منه، موقفا للغاية، ولا سيما حينما قال جلالتة بخصوص الفرنكوفونية من أنها في تقدم.

☆☆☆

وقد أبرزت مجلة (الأهرام الاقتصادي) المصرية، إجماع المغاربة حول قضية الصحراء، فكتبت في عددها الصادر يوم الإثنين 19 دجنبر 1989، مقالا خصصته للحديث عن الأجواء الحماسية التي مرت فيها عملية الاستفتاء، والاجماع الحاصل حول قضية الصحراء... وعن تصريحات السيد الحضرمي، أشارت بالأخص إلى قوله : إن عهد النزعة الوطنية الضيقة قد انقضى. وقد أدرك الصحراويون ذلك بما فيه الكفاية. ومصالحهم ليست في الانفصال...

إن استفتاء التعقل يعني أن المغرب متمسك بصرائه، حتى يتم الاعتراف دوليا بالمشروعية المغربية.

الفيدرالية الأوروبية. ولا يمكن للفيدرالية المتوسطة، أن تشكل دون مشاركة جلالته الملك الحسن الثاني.

☆☆☆

في لقاء السيد ادريس البصري وزير الداخلية والإعلام، مع ممثلي الصحافة الوطنية والدولية :
- مباحثات جلالته الملك الحسن الثاني مع الرئيس فرانسوا ميتران، ستتناول العلاقات العربية الأوروبية والتعاون الثنائي.

العلاقات المغربية الفرنسية ممتازة. ووجهة نظر البلدين إزاء العديد من القضايا الثنائية والدولية متطابقة.

☆☆☆

وفي نفس السياق عبر السيد (ميشيل جويير) وزير الشؤون الخارجية الفرنسي السابق، عن يقينه في أن الحوار العربي الأوروبي بباريس، يأخذ بعين الاعتبار ضرورة توثيق أوروبا لروابطها مع البلدان الواقعة بحوض البحر الأبيض المتوسط، وتمكينها بصورة منتظمة من العملة الصعبة، في تجارتها الخارجية، حفاظا على استقرار عام، لا يقيد حرية المبادلات.

☆☆☆

ومن ناحية أخرى، أبرزت الصحافة القاهرية، أهمية الرسالة التي تلقاها جلالته الملك الحسن الثاني من الرئيس حسني مبارك، والتي تتضمن وجهة النظر المصرية، حول أبرز القضايا التي تهم مصر والمغرب، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وقضية لبنان، والحوار العربي الأوروبي، والتشاور المستمر بين البلدين... ونوهت صحف القاهرة، بحرص جلالته الملك الحسن الثاني، والرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، على متابعة أعمال المؤتمر، ورئاسة جلسته الختامية، علما بأن هذا المؤتمر قد بحث كافة الموضوعات السياسية والاقتصادية والفنية والتكنولوجية التي تشغل بال الجانبين العربي والأوروبي، وذلك بحضور وزراء خارجية 22 دولة عربية، و12 دولة أوروبية.

خاص، كما أنه إنسان يدعو بطبعه، وبحكم وظيفته وميولاته إلى الاندماج بدرجة يتعين معها إعطاء الأهمية القصوى لدعوته، وتأكيد على أن البيئة مسؤولة دائما بنصيب كبير، عن التجاوزات غير الملائمة لهذا المحيط... إن جلالته الملك، إذا لم يكن بحكم مصداقيته، قد قلب رأسا على عقب، الصورة المغلوطة عن الإسلام، فإنه استطاع على الأقل أن يلفظها بفرنسا.. إن جلالته الملك الحسن الثاني، لم يساهم فقط في إعادة النقاش حول هذا الموضوع إلى مستواه الحقيقي، بل أكثر من ذلك، شجع المسلمين على مقاومة التعصب الديني، سواء بالمغرب أو بالبلدان العربية الأخرى... وبعد تحليل معارضة جلالته الملك لفكرة الاندماج السياسي للمهاجرين المغاربة بفرنسا، اتضح أن جلالته يتحلى بروح وطنية وإيجابية وواقعية، إذ يرفض الاندماج الذي يضر بالبلد الأصلي، دون أن يعارض الاندماج الحضاري الذي هو في الحقيقة «تلاقح ثقافي» كما سماه الرئيس السنغالي الأسبق، السيد ليوبولد سيدار سينغور... ويبرز ذلك بوضوح في فقرات حديث صاحب الجلالة، وخاصة المتعلقة منها بمسألة سترة الرأس، والعلمانية، والهجرة، والاندماج، وحق تصويت المهاجرين».

☆☆☆

وقال البرفسور (جورج ماطي) عضو أكاديمية المملكة المغربية : «لقد حقق المغرب ففزة اقتصادية واجتماعية رائعة، بفضل عبقرية جلالته الملك الحسن الثاني. فهذا الرجل الذي نجح في الماضي، له كثير من الحظ في النجاح في المستقبل.

ولقد تبعت حياة جلالته منذ أن كان وليا للعهد، وعندما كان يدرس ببوردو، وأنا أعرف، ومعجب بشخصيته كرئيس دولة، وملك فذ... وفي معرض تنويهي، أمام أكاديمية المملكة المغربية بمدريد، بالمشاريع الضخمة التي تحققت في عهد جلالته الملك الحسن الثاني، أؤكد أن أوروبا ستلجأ إلى تأسيس مجموعة أخرى، بعد فشل

علينا أن نتذكر أن الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران) قال في الجلسة الختامية للمؤتمر الوزاري للحوار العربي الأوروبي باريس، بصفته رئيس المجموعة الأوروبية الاقتصادية: (القارة الأوروبية عازمة على البقاء كشريك من الدرجة الأولى للعرب). وذلك حينما ترأس تلك الجلسة مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، بصفته رئيس القفة العربية، إذ قال المعاهل الكريم - على سبيل التذكير والتأكيد: (اجتماعنا على هذا المستوى، بين أوروبا، والندول العربية، يحتم علينا أن نقرر بحماس، ونطبق بحكمة... إن هذا اللقاء العربي الأوروبي، أرادله الله سبحانه وتعالى، أن يخرج اليوم من حيز الأحلام والأمنيات، إلى حيز الجد والتطبيق، والتفكير والإنجاز).

☆☆☆

وأكدت صحيفة (إيل سيفلو) الكولومبية، احترام المغرب للشريعة الدولية بخصوص مشكلة الصحراء، وذلك من خلال اقتراحه في مؤتمر نيروبي، تنظيم استفتاء في الأقاليم الصحراوية... والمسيرة الخضراء ليست سوى اثتياق شعب لجذوره. ولقد عرفت قضية الصحراء عدة تطورات، منذ استرجاع المغرب لأقاليمه الجنوبية، وعودة العديد من الصحراويين إلى الوطن الأب، استجابة للنداء الذي وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وكذا التصدع الذي يتفاقم في جبهة (البوليساريو)، وأما عن معاهدة اتحاد المغرب العربي، فإنها قد بلورت التقارب الحاصل بين دول المنطقة، والرغبة الأكيدة لقادة الدول المغاربية، في تدعيم وتقوية هذا الاتحاد، الذي هو عامل أساسي لحل مشكلة الصحراء... ومن ناحية أخرى، فهناك عودة الصحراويين المغاربة إلى الوطن، استجابة للنداء الملكي، رغم الضغوط التي يمارسها على أبناء الصحراء المغربية أعضاء (البوليساريو) المنحدرون من أصل جزائري وموريتاني بشتى الوسائل. ومع ذلك، فقد تمكن عدد من المحتجزين من العودة إلى وطنهم، بمن فيهم أعضاء مؤسسون

إذا كانت الخالية المغربية بفرنسا قد استقبلت في عناق حار، رائد المسيرات المباركة، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، فإن لقاء القمة المغربية الفرنسية في حد ذاته تكريس للتقارب بين الشعوب، ونصرة الأمن والسلام في العالم، مما جعل الزيارة الملكية الميمونة لباريس تستأثر باهتمام سياسي وإعلامي دولي واسع...

فقد أكدت صحيفة «السياسة» الكويتية في طبعها الدولية، أن كافة الأوساط الإعلامية والدبلوماسية المجتمعة في مسقط لتغطية أشغال القمة الخليجية العاشرة، أجمعت على أن أهم ما يميز مؤتمر الحوار العربي الأوروبي الذي تحتضنه باريس، هو ثقل الرئاسة التي تقود حواراته، وعلى الأخص منها رئاسة الوفد العربي الموكولة لجلالة الملك الحسن الثاني. إن الأوساط الفرنسية تولي بالغ الاهتمام لرئاسة جلالة الملك الحسن الثاني لرئاسة الجانب العربي في هذا المؤتمر، بناء على ما جاء في الحلقة الأخيرة من برنامج (ساعة الحقيقة) في اللقاء مع المعاهل المغربي، وكذا الصدى الطيب الذي خلقتة الأجوبة الحسنية الباهرة لدى وسائل الإعلام الفرنسية، والعديد من الشخصيات البارزة.

وبعد أن ذكرت صحيفة «السياسة» بكون جلالة الملك يرأس أخر قمة عربية، وبدور جلالتة في إطار اللجنة الثلاثية العربية الخاصة بلبنان، وكذا لجنة القدس، أكدت أن هذه المواصفات المهمة، تجعل من المعاهل المغربي زعيما مؤهلا لامتلاك رؤية عربية شاملة بكل القضايا الرئيسية في المحيط العربي، وهي ذات المواصفات التي تؤهل الحوار برمته، لأن يكون أول حوار جاد في العلاقات العربية الأوروبية، قياسا إلى قدرات الجانب العربي برئاسة جلالة الملك، وقياسا إلى تحويلات السياسة المسارعة، سواء على صعيد الوحدة الأوروبية المرتقبة عام 1992، أو على صعيد التغيرات الهائلة التي تجري على جوانب أوروبا الغربية، حيث يموج المعسكر الشرقي بتحويلات اجتماعية وسياسية جذرية.

للبوليساريو... علما بأن عددا من الدول، أخذت تحب
اعترافها بالجمهورية الصحراوية المزعومة.

☆☆☆

رئيس مجلس الوزراء اللبناني (سليم الحص) يؤكد أن
حضور صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئيس القمة
العربية شخصيا في المؤتمر العربي الأوروبي المنعقد
بباريس، أعطى قيمة وأهمية خاصة للحوار العربي
الأوروبي، مما كان له الأثر البالغ في تطور وبلورة ذلك
الحوار؛ كما أن استقبال جلالاته للوفود العربية، عشية
انطلاق هذا اللقاء التاريخي، ساهم - على حد تعبير عدد
من وزراء الخارجية العرب، في رسم الخطوط العريضة
للتصور العربي للحوار، وفي توحيد المواقف للخروج
بالنتائج الإيجابية، التي تمخض عنها لقاء باريس.

☆☆☆

وفي الأيام الثقافية الإسلامية التاسعة، لطائفة
التيجانية المنظمة تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني، هناك إشادة واضحة بجهود العاهل
الكريم، في جمع كلمة المسلمين.

☆☆☆

وفيما يخص استفتاء فاتح دجنبر، وميلاد اتحاد
المغرب العربي، وقمة الدار البيضاء، أكدت وكالة الأنباء
المصرية، أن تلك بالذات، هي أبرز أحداث سنة 1989 م...
ومن جهة أخرى، فهناك إشادة عربية شاملة، بروح
التفاهم التي سادت أشغال الحوار العربي الأوروبي. فكما
أن مستوى التفاهم كان جيدا في هذا المؤتمر الذي أعطى
دفعة جديدة للحوار العربي الأوروبي، فإن التزام المجموعة
العربية بمقررات قمة الدار البيضاء، أصبح هو المدلول
الملموس، لخطة سلام يجب فهمها وتطبيقها على هذا
الأساس.

ويكتفي أن المشاركة العربية، في أشغال مؤتمر
الحوار العربي الأوروبي، قد امتازت بالموقف الموحد،
والانسجام في الرأي، والثبات على المبدأ، الذي ظهر به

الجانب العربي، على أرفع مستوى، أمام نظيره الأوروبي،
خاصة فيما يتعلق بالقضايا العربية المصرية المشتركة، بما
في ذلك، النزاع الإسرائيلي العربي، والقضية الفلسطينية،
والحرب العراقية الإيرانية. وعلى سبيل المثال لا الحصر،
أكد الدكتور عصمت عبد المجيد، أن حضور جلالة الملك
الحسن الثاني في مؤتمر الحوار العربي الأوروبي، عزز
الموقف العربي بالذات، خصوصا وأن هناك إجتماعا لوزراء
الخارجية العرب، على الإشادة والتنويه بدور العاهل الكريم
جلالة الملك الحسن الثاني، في عملية تحريك الحوار،
وإعطائه شحنة قوية جديدة من الأوكسيجين، في وقت
تدعمت فيه المصالح المشتركة بين المجموعتين العربية
والأوروبية، وبالأخص في ظل المتغيرات الجذرية الأخيرة
على الساحة العالمية، وظهور تجمعات إقليمية، كاتحاد
المغرب العربي، ومجلس التعاون العربي في الخليج...
فمما يلفت النظر، النتائج الملموسة التي تم تحقيقها خلال
مؤتمر الحوار العربي الأوروبي بفضل الدور الرائد لجلالة
الملك الحسن الثاني، وجهود الجانب العربي في هذا اللقاء
التاريخي الناجح بكل معاني الكلمة.

☆☆☆

وليس من قبيل الصدفة، أن تتحدث الصحافة الوطنية
بكل إعجاب وإكبار، عن اجتماع مجلس الشورى المغاربي،
وأهميته في تعزيز التعاون الاقتصادي بين المغرب والجزائر.
ويدخل في هذا السياق، ما قالته مجلة (المصور)
المصرية، من أن قمة الدار البيضاء، تعتبر أهم أحداث سنة
1989 على الصعيد العربي... وما قالته مجلة (آخر ساعة)
من أن قمة الدار البيضاء، فاتحة لعهد جديد، في العلاقات
العربية... وعلينا أن لا ننسى التنويه في هذا الصدد، بدور
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، في عقد لقاء ثنائي
بين الرئيسين المصري محمد حسني مبارك، والليبي العقيد
معمر القذافي من جهة، وبين الرئيس مبارك، والرئيس
السوري حافظ الأسد، من جهة أخرى.

☆☆☆

من عرف ما قصد، هان عليه ما وجد... ومن سار على
الدرب وصل...

وهذه مناقب وحسنات وشئائل، وآلاء ومبرات
وفضائل، كانت لها سوابق، وستكون لها لواحق، بإذن الله
تعالى، تترك مصايحها الوهاجة، وبصاتها القوية، على
مسيرات هذا الشعب المغربي العظيم، الذي هو جزء لا
يتجزأ من الوطن العربي والإسلامي والإنساني الكبير...
وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، كما أنه على قدر الكرام
تأتي المكارم. والشيء من مأتاه لا يستغرب... ومن جاء
على أصله فلا سؤال عليه !

حفظ الله مولانا أمير المؤمنين، الملك الصالح
المصلح، فخر العروبة والإسلام، ورائد الأمن والطمأنينة
والأمان والسلام، صاحب الجلالة القائد الرائد، الحسن
الثاني، بما حفظ به الذكر الحكيم... وأدم في شخصه
الكريم، تألق الروح النضالية التي ورثها عن جدوده
الأشواص الشجعان البررة، ولا سيما والده العظيم، بطل
الحرية والاستقلال، مولانا محمد الخامس - قدس الله
روحه، وخلد في الصالحات ذكره وأقر الله عينه بولي عهده
المحبوب، صاحب سمو الملكي، الأمير الجليل سيدي
محمد، وذنوه السعيد المولى الرشيد، وسائر الأمراء الأبرار
الأطهار، والأميرات المصونات الأقمار، وجميع أفراد البيت
العلوي الملكي الكريم...

وكم في عيد العرش من مكاسب ومفاخر، ودروس
من الماضي والحاضر، لبناء المستقبل المشرق الزاهر ! والعز
والتمكن، والنصر المبين، وكامل التأييد والتعزير
والتوطيد، لعرشنا العتيد، ذي العهد المجيد، ولشعبنا
المكافح ذي البأس الشديد، ولوطننا الحر الموحد السعيد !
وكل عام وأنتم بألف خير وسلامة !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

ولقد قال السيد جيرار بوير، الرئيس الشرفي للوفد
الفرنسي الذي يمثل (مجموعة الفكر الأساسي، وأصحاب
القرار) خلال إقامته بمدينة مراكش : «الديمقراطية المغربية
ترتكز على الحكمة والاحترام المتبادل، ونموذج لما ينبغي
أن تكون عليه العلاقات الإنسانية في المستقبل. وإن اختيار
الوفد للمغرب، يعود لكون هذا البلد عرف تحولات ناجحة
في ميادين الصناعة والفلاحة. وتجربته تعد مثالا يحتذى به
لما يمكن أن عليه الحال في عدد من الدول الأخرى.
فتحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك الحسن
الثاني، صار المغرب مجالاً مهماً بالنسبة للأوروبيين في
مختلف الميادين. فكما قال جلالتة : «المغرب شجرة لها
جذور في إفريقيا، وأغصان تمتد أوروبا» وهذه الصورة
توحي لنا بالعديد من المعطيات التي تجعل منه ملتقى
عدة حضارات...

وعلى صعيد الثقافات والديانات، يتيح لنا المغرب
فرصة التعرف على الإسلام...

وفي الاستجواب الذي خص به جلالة الملك مؤخرًا،
برنامج (ساعة الحقيقة) القناة الفرنسية الثانية (آتين 2)،
كان جلالتة، قد دعا فيه إلى التعرف أكثر، على الدين
الإسلامي ومبادئه. فصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قد
أكد غير مرة على ضرورة الاعتناء بالتربية. ويريد أن
يبين الأهمية التي تكتسبها التربية والاحترام، في العلاقات
مستقبلاً. ونحن نلمس فعلاً مبادئ التسامح والتوازن في
المغرب الذي يعتبر ملتقى الحضارات».

☆☆☆

وبعد... فإذا كان لا حد للكمال، ولا نهاية
للفضيلة... وإذا كان المجد كالعلم، إن أعطيته كلك،
أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً... فإن

جلالة الملك الحسن الثاني

يقدم للمسيرة الخضراء

شهادات ودراسات وتحليلات شخصيات وطنية وأجنبية
حول الحدث التاريخي

عنوان هذا الكتاب هو (الحسن الثاني يقدم
للمسيرة الخضراء).

وتشكل المساهمة القيمة لصاحب الجلالة
شهادة تعطي إيضاحات ثمينة وأساسية تنشر لأول
مرة حول منبع المسيرة الخضراء، ورهاناتها
وسياقها وتأثيرها على الصعيدين الوطني والدولي.
وتتسم درر وأقوال العاهل الكريم بالإحساس
والوقار وتشكل شهادة ذات قيمة سياسية
وتاريخية كبرى.

إن غنى هذا التقديم وثرائه يعطي دفعة
واحدة فكرة عن أسلوب الكتاب.

فهذا الأخير يتضمن أولا سلسلة من الشهادات
الهامة لشخصيات وطنية وأجنبية.

ويقوم كل واحد بحساسيته وصفته كرجل
سياسة أو كاتب أو صحافي، إذا صح القول برحلة

ظهر إلى الوجود مؤلف فريد من نوعه، جاء
مع مطلع عام 1990 ليثري مجموعة مؤلفات
«تشييد دولة حديثة» وهو صادر عن دار النشر
Plon بباريس.

وما من شك في أن هذا الكتاب الذي يكتفي
طابعا فريدا سوف يحظى باهتمام كبير للغاية لدى
القارئ ايا كان وذلك على الأقل لسببين :

الأول : وهو الجدير بالملاحظة كون تقديم
الكتاب تفضل بإنجازه مؤلف مرموق : صاحب
الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

أما السبب الثاني فيتعلق بطبيعة هذا الكتاب
الذي يضم في 480 صفحة، مجموعة لا نظير لها
من الشهادات والدراسات والتحليل بشأن هذا الحدث
الذي يتمثل في المسيرة الخضراء.

عبر ذاكرته ويتحدث عن ذكرياته حول المسيرة الخضراء.

واعتمادا على هذه الشهادات قم الكتاب إلى جزئين يتعلق الأول بـ «الجوانب الدولية» والثاني بـ «الأبعاد الداخلية» للمسيرة الخضراء.

وقد قدم للجزء الأول السيد جورج فيديل بينما قدم للجزء الثاني السيد إدريس البصري.

إن الفصل بين الجوانب الوطنية والدولية ليس بتمسفي ولا بمفتعل لأنه يستجيب لاهتمامات المجموعة المكونة من جامعيين فرنسيين ومغاربة مرموقين التي أشرفت على إعداد هذا المؤلف* وحرصها على تقديم مختلف أوجه المسيرة الخضراء بدقة وتناسق تامين.

وهكذا يغطي الجزء الأول مختلف مراحل المسيرة الخضراء على المستويات الدبلوماسية والجيوسراتيجية والقانونية في ثلاثة فصول.

ولم يتم إغفال أو نسيان أي جانب حيث درس مختلف المؤلفين بمعرفة عميقة وتبحر مستفيض تطور مسألة الصحراء ومغزى المسيرة الخضراء على مستوى القانون الدولي، ونذكر بالخصوص إسهامات بعض رجالات السياسة أو الدبلوماسية التي عايشت المسيرة الخضراء سواء

في حظيرة المحافل الدولية أو عبر مسؤولياتها في بعض البعثات الدبلوماسية أو في أمكنة أخرى.

ولن تفوتنا فرصة تقييم الحقائق التي كشفت عنها العديد من الإسهامات.

وحرص الجزء الثاني على إبراز مختلف جوانب المسيرة الخضراء على المستوى الوطني، فبكثير من الدراية تم تحليل الجوانب الدينية والتاريخية والسياسية واللوجستية لهذه المسيرة.

غير أن الوطني المغربي سيستعيد بكثير من التأثير حماس المسيرة الخضراء وجو التعبئة في المخيمات وأصدقاء وسائل الإعلام التي تتبعت عن كذب أحداث المسيرة.

وأخيرا سيتمكن القارئ المتلهف للإحصائيات وروح التنظيم من سبر أغوار الامكانيات الهائلة الموضوعية لضمان نجاح هذه المسيرة الحماسية والمثيرة.

وخلاصة القول فإن هذا المؤلف الفريد من نوعه يوضع اليوم رهن إشارة الجمهور وسيتمكن كل واحد من التعرف والاكتشاف والتأمل.

ويظل هذا الكتاب ممتع القراءة نتيجة جودة طباعته وربما يعتبر كتابا مرجعيا قل نظيره فيما يتعلق بحدث من أهم أحداث القرن الحالي.

* دانيل باردون، إدريس البصري، روني جان دويوي، أبو بكر القادري، عبد الله العروي، وجورج فيديل.



Des témoignages inédits et des révélations sur une épopée qui a mobilisé 350.000 marocains. Un ouvrage exceptionnel sur un événement exceptionnel

COLLECTION EDIFICATION D'UN ETAT MODERNE

فهرس

199.....	الفصل الثالث : الاتكاس النولي والجهوي	11.....	تقديم : صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
1.	المسيرة الخضراء وهيئة الأمم المتحدة :		شهادات
201.....	انيس السلاوي	17.....	المسيرة الخضراء : أبو بوبك سهار مئفور
2.	هيئة هيئة الأمم المتحدة : بعض التكرات الشخصية		المسيرة الخضراء واسترجاع الصحراء :
219.....	عن المفاوضات : النري لوفان	23.....	أحمد عصمان
245.....	مواقف المنظمات الجهوية : توفيق البهاج	41.....	ما وراء التاكرك : المعطي بوعبيد
4.	عصر جديد في اراء تكتيات المفاوضات الدولية :	47.....	المسيرة الخضراء : تكتيات، على بحث
271.....	محمد بونوة	53.....	ذكريات عن المسيرة الخضراء : انوار ساليمة
5.	الاستعدادات الدبلوماسية للمسيرة الخضراء :	61.....	شهادة : حوان كوينسونو
281.....	عثمان بوعبيد	67.....	شهادة : الطاهر بلجلون
	الجزء الثاني :		الجزء الاول
	الإبعاد الداخلية للمسيرة الخضراء		البواب الدولية للمسيرة الخضراء
309.....	مدخل : انيس البحري	73.....	مدخل : جورج فليل
317.....	الفصل الاول : لجواب الروحية والأندولوجية	79.....	الفصل الاول : أية جديدة لتسوية التقلات
1.	الفران : مصدر اسم للاثام : أبو بكر القادري		1. الصحراء : عصر وطول وقت
319.....	2. المسيرة الخضراء والوعي التاريخي : عبد الله العروي	81.....	أحمد رضا القوية
339.....	3. ملحمة كبرى للوطنية المغربية : أحمد بوسنة	93.....	2. مسألة الحدود المغربية : دانييل بارونتي
359.....	الفصل الثاني : دينامية المشاركة		3. الراي الاستشاري لمنظمة العدل الدولية :
375.....	المسيرة الخضراء : دينامية جديدة في السياق الديمقراطي :	117.....	رونس جان دوبوي
377.....	انيس البحري		4. المسيرة الخضراء طريقة جديدة لتصلية الاستثمار :
397.....	2. تمثلة ومشاركة سكان الصحراء : خلي هنا ولد الرشيد	129.....	بول أيزوار
411.....	3. نظرة على الصعافة الوطنية والاجنبية : شوقي السريغيني	155.....	الفصل الثاني : المسيرة الخضراء ولعبة التحالفات
429.....	الفصل الثالث : المسيرة تتحرك		1. التغيرات الجيوسياسية بمنطقة المغرب العربي :
1.	أدعائم التوجسية الفنية : حافظ بنهاشم ومحمد طرشة	157.....	بول بالطا
2.	المسيرة الخضراء عطمة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني :	175.....	2. تصدع التحالفات المعادية للمغرب : عمر الحضرمي
453.....	الجنرال محمد اشهبان		3- الدبلوماسية الموريتانية وتزاع الصحراء :
479.....	3. الحياة اليومية للمنطوعين : صالح زمراك	189.....	حمدي ولدموكتاس

disséminées sur un territoire plus étendu que la moitié de la France, relève de la plus pure utopie”.

La conférence ministérielle de l'O.U.A., dans sa 26^e session à Adis-Abeba, a évité de soulever le problème de la reconnaissance du “F. Polisario”, au cours d'un long débat qui dura douze heures, dans une séance nocturne. Malgré certaines agitations dans les coulisses et certaines interventions visant à faire entériner une décision, dans un sens favorable à l'indépendance du Sahara, l'issue de cette conférence se solde par un succès pour le Maroc et la Mauritanie.

“En adoptant cette attitude, l'O.U.A., a fait

preuve de maturité indiquant clairement qu'elle reste conforme à ses principes fondamentaux.

“En nous réjouissant de cette attitude empreinte de sagesse et de bon sens, nous nous permettons de considérer que le Maroc qui a abrité la naissance, en 1961, de l'organisation, a pu, encore une fois, apporter sa contribution pour sauvegarder les principes qui la régissent.

A la lumière de cette évaluation, le Conseil ministériel de l'O.U.A. a constaté qu'il appartient dorénavant aux Etats - membres de reconnaître individuellement ou non, l'“Etat sahraoui” nouvellement proclamé, et non à l'O.U.A., en tant qu'organisation.

le modèle démocratique que l'O.N.U. préconise"⁶.

Le président Bongo s'est déclaré opposé à l'examen de la question du Sahara occidental par l'Organisation de l'Unité Africaine. Le chef de l'Etat gabonais a déclaré: "si le problème du Sahara occidental est soumis à l'O.U.A., le Gabon votera contre".

"Je ne crois pas que cette question relève de la compétence de l'O.U.A. c'est une affaire qui est passée devant la Cour Internationale de Justice de la Haye. On a reconnu les droits du Maroc et de la Mauritanie sur le Sahara. Les Espagnols les ont reconnus (...); l'affaire est passée à l'O.N.U. Je ne pense pas que l'O.U.A. soit plus importante que l'O.N.U. qui groupe des pays du monde entier".

M. William Eteke Mboumoua, secrétaire général de l'O.U.A., a proposé à son homologue de la Ligue Arabe de prendre une initiative commune, en vue de résoudre la crise au Sahara. Il s'est entretenu au Caire avec Hosni Moubarak qui fit la navette, à cet effet, entre l'Algérie et le Maroc et qui réussit - affirma-t-il - à "désamorcer la situation explosive" provoquée à Amgala par des forces régulières algériennes, encore détenus dans les casernes marocaines. Cette initiative de l'O.U.A. a été précédée d'une série de médiations de l'Irak, de la Syrie, de l'Egypte, de l'Arabie Séoudite, de la Tunisie et autres. Mais, El-Moujahid, organe officiel algérien a mis fin à ces vaines tentatives, en déclarant expressément au "il n'y a pas matière à médiation, entre l'Algérie et le Maroc".

Réaction de l'opposition algérienne

Les premiers leaders de la Révolution algérienne, MM. Ferhat Abbas et Youssef Benkhedda, anciens Présidents du G.P.R.A., Hocine Lahoual, ancien secrétaire général du P.A. et du M.T.L.D. et du Cheikh Mohamed Kheireddine, ancien membre du C.N.R.A., ont lancé un appel au peuple algérien frère dans

lequel il est dit notamment:

"En moins de 14 ans, l'Algérie se trouve, pour la 2^e fois, en conflit avec le peuple frère marocain. Parmi nos soldats et nos enfants, les uns sont prisonniers ou blessés, et les autres sont morts, sans que la responsabilité de notre peuple ait été engagée.

"Nos morts, ceux des Marocains, le traitement indigne infligé à nos frères de nationalité marocaine expulsée d'Algérie, le drame et le désarroi des populations nomades de Seguia El Hamra et Oued Dahab, montrent que ce conflit a déjà exercé ses ravages.

"Demain, ce conflit risque de se généraliser et de plonger toute l'Afrique du Nord dans un bain de sang. Les haines qu'il engendre compromettront l'union du Maghreb arabo-islamique, espérances de nos peuples et fondement de notre prospérité et de notre bien-être.

"Les peuples marocain et algérien furent unis dans le combat pour leur indépendance. Ils ne peuvent se résigner, aujourd'hui, à la politique du pire. Durant plus de sept ans, la Tunisie et le Maroc nous ont apporté leur appui constant et positif".

"L'ingratitude est la marque des peuples faibles. Le peuple algérien est assez fort pour rendre le bien et affirmer sa solidarité maghrébine". M. Boudiaf, l'un des neuf fondateurs du F.L.N. algérien, appuie la position du Maroc dans l'affaire du Sahara occidental et soutient l'initiative des quatre leaders algériens dont il salue le courage politique et physique. "Stigmatisant la position des dirigeants algériens à propos de ce problème, il déclare notamment que "cet acharnement à vouloir à tout prix la naissance d'un nouvel Etat souverain au Sahara cache mal des arrière-pensées hégémoniques".

Pour lui, "faire un cheval de bataille du principe de l'autodétermination pour des populations n'excédant pas les soixante mille âmes et

⁶ (Sahara espagnol, Institut d'étude politiques, Madrid, p. 109 et 117).

La nomination de M. Reydsbeck a, conformément à une résolution de l'O.N.U., fait suite à de nombreuses consultations entre M. Waldheim et les gouvernements espagnol, marocain, algérien et mauritanien.

M. Reydsbeck reçut, en effet, les différents représentants de la population; des groupes sahraouis sont venus de tous les coins de la Sekiet et Hamra et de, ou, du Wadi ed-Dhahab, pour affirmer leur marocanité et démontrer que leur volonté de réintégrer la Mère-Patrie a été respectée, conformément aux principes et directives des Nations-Unies. Le problème est donc résolu et le dossier classé. C'est le leitmotiv de tous les Sahraouis, satisfaits de la réalisation de l'unité pour laquelle ils ont lutté.

Lors d'un entretien, à huis clos, avec les membres permanents de la Jemâa, M. Reydsbeck dut être étonné de l'unanimité des témoignages d'attachement à la marocanité:

"Nous voilà décolonisés et mieux encore, nous voilà intégrés de nouveau à notre Patrie. Si maintenant les Algériens veulent nous déraciner, pour mieux nous coloniser, il ne fait aucun doute que nous les combattons jusqu'à la mort. C'est une question que vous pouvez vérifier par vous même, si vous sortez dans la rue et si vous discutez avec n'importe quel passant."

L'ONU entérine l'accord de Madrid

L'Assemblée générale des Nations Unies a fini par entériner l'accord tripartite de Madrid et confirmer le Maroc et Mauritanie dans leurs droits.

L'accord tripartite de Madrid et les résolutions adoptées par le Comité des vingt-quatre, puis par l'Assemblée générale des Nations-Unies (R.3458) du 10 décembre 1957 qui a pris acte de cet accord, prévoient le respect de la volonté des populations sahraouies représentées par la Jemâa.

Mais l'escalade militaire suscitée à Amgala, en plein Sahara, par des forces régulières algé-

riennes est grave; une centaine de prisonniers et du matériel de combat en constituent les preuves vivantes que la presse internationale a pu constater au cours d'une tournée au Sahara.

Autodétermination ou autodestruction?

C'est pourquoi certains chefs d'Etat ont dû prendre nettement position, pour mettre fin à cette escalade. Le Président de la République tunisienne a déclaré, à maintes reprises, dans des interviews à la Presse et à la télévision que "le Sahara Occidental faisait partie du Maroc, qu'il n'y a jamais eu d'état Sahraoui". Faisant allusion à la position algérienne à propos de l'autodétermination, S.E. Habib Bourguiba précise que cette autodétermination est une bonne chose, mais il ne faut pas qu'elle arrive à démanteler des pays entiers, comme c'est le cas pour les Kurdes. L'Algérie est intervenue pour mettre fin à la guerre des Kurdes contre l'Irak; ceux-ci demandaient aussi l'autodétermination".

"L'autodétermination pour quarante mille nomades? Il ne faut pas exagérer", a poursuivi le chef de l'Etat tunisien ajoutant: "j'ai conseillé au Roi Hassan II de partager avec la Mauritanie. La solution de partage est en effet la meilleure. Un petit Etat fantoche serait soumis aux pressions environnantes. Quant à Boumédiène, il m'a dit une fois qu'il n'enverrait pas un soldat hors de ses frontières".

Des organes officiels espagnols avaient déjà stigmatisé, depuis longtemps, la formation d'un tel Etat. Le Sahara - affirme l'I.F.P.E - est un espace dépourvu de presque tous les éléments naturels nécessaires à l'existence d'un territoire, en tant que base naturelle suffisante pour abriter et soutenir une organisation collective, dotée de capacités, d'impulsions autarciques, ou, si l'on préfère, un Etat qui soit membre à titre individuel de l'ensemble mondial... Une société ainsi conçue peut servir à n'importe quoi, sauf comme base spontanée d'un Etat moderne, construit sur

La Marche et l'Opinion internationale

S.M. le Roi a été assailli de toutes parts par les représentants de la presse internationale et les envoyés spéciaux des agences d'information et des radiotélévisions. Avec amabilité, aisance, le souverain a daigné répondre à toutes les interviews, dont celle d'un journaliste américain de la N.B.C.. La ferveur et l'enthousiasme de l'accueil réservé par les populations à l'appel royal à la Marche Verte avait fortement impressionné ce dernier ainsi que ses collègues.

A une question qui lui était posée sur la tournure des événements, S.M. répondit: "Je suis très satisfait des résultats obtenus aussi bien auprès de mon peuple qu'à l'étranger, parce qu'ils répondent à mon attente. Au Maroc, c'était un test permettant de savoir si la nouvelle génération était aussi courageuse et nationaliste que celles qui l'ont précédée. Je rends grâce à Dieu de ce que cette nouvelle génération n'a rien à leur enlever.

"Pour ce qui est de l'étranger, c'était également un test; il s'agissait de lui faire connaître le problème de la décolonisation du Sahara. C'est un problème spécifique, différent des autres problèmes de décolonisation qui se sont posés en Afrique ou en d'autres continents. Là encore, je ne peux qu'être satisfait des réactions suscitées à l'étranger."

Un jeune français, Jean-Claude Ruel décrit ses impressions en ces termes⁵ :

"A l'heure "H", la Marche Verte commence: une page d'Histoire vierge est en train de s'écrire. Le destin inexorable s'accomplit. Psalmodiant des versets du Coran, d'une voix mélodieuse, qui semble venir d'ailleurs, hommes et femmes, unis par le dévouement, avancent avec une discipline mutuellement consentie."

Noël Darbroz écrit, dans le journal français "La Croix":

"L'initiative spectaculaire du roi du Maroc a reçu l'appui et l'approbation de plusieurs pays.

"Le Maroc demande le retour à la Mère-Patrie d'un territoire qui fut occupé par l'Espagne, comme l'était l'enclave d'Ifni, comme le sont encore les présides de Sebta et Mellilia...

"L'enthousiasme des volontaires, bien trop nombreux pour être tous acceptés, fait passer sur le Maroc tout entier, sur ses dix-sept millions d'habitants un souffle nationaliste, sans précédent depuis les jours de l'indépendance de 1956.

"Le Roi Hassan II a réussi à mobiliser son peuple, comme il avait déjà réussi, il y a an, à rallier l'opposition politique, autour de la question saharienne..."

Evoquant les richesses du sous-sol du Sahara marocain, Noël Darbroz poursuit:

"Il ne faut pas chercher plus loin les réticences de bien des pays à la mainmise marocaine sur un tel pactole. Les partisans de l'autodétermination et de l'indépendance des 60.000 à 80.000 Sahraouis, qui vivent dans un désert fabuleusement riche, ont en tête d'autres soucis que le paraissent de ce que peuvent bien vouloir des tribus nomades.

"Le recours à la Charte des Nations Unies, en la circonstance, pourrait relever de l'alibi. Les responsables marocains font remarquer que les nationalistes algériens, en 1961, n'ont rien voulu entendre, quand le général De Gaulle avait demandé l'autodétermination pour les populations du Sahara qui ne furent jamais algériennes."

Internationalisation du Problème du Sahara marocain

M. Olof Reydbeck, représentant permanent de la Suède à l'O.N.U. a été désigné par le secrétaire général Kurt Waldheim comme son représentant pour le Sahara occidental.

⁵ déclaration faite au journal "l'Opinion".

page glorieuse de notre Histoire, fait preuve de discipline, de courage et d'abnégation, et donné un exemple éloquent de patriotisme de maturité et de prise de conscience".

Couronnement de la marche: libération et avenir du Sahara

S.M. le Roi souligne que la Marche Verte a porté ses fruits et forcé l'admiration du Monde entier. Elle a atteint tous ses objectifs; par conséquent "nous devons - dit-il - revenir à notre point de départ et apprécier le problème sous une autre optique. Nous devons bâtir l'avenir des relations marocco-espagnoles sur de nouvelles bases, dans le cadre du respect mutuel et loin de toute pression. Ces rapports doivent être fondés sur le fait qu'il n'y a ni vainqueur ni vaincu".

Le Maroc et l'Espagne ont fait preuve de sagesse, puisque soucieux de préserver la paix dans la région, ils ont su éviter tout acte de nature provocatrice. Tenant à leur amitié séculaire et sauvegardant leurs relations de bon voisinage, les deux pays ont ainsi ménagé l'avenir.

Le 25 novembre 1975, S.M. le Roi Hassan II a tenu une conférence de presse, en présence des membres du gouvernement et des responsables des partis politiques. Rendant hommage à l'objectivité de la Presse internationale qui a réussi à serrer de très près la vérité, S.M. fait un long exposé sur les mobiles et les buts de la "Marche Verte", en précisant notamment:

"L'idée de la Marche n'importe qui aurait pu l'avoir, mais la marche dans la discipline, la force et la sérénité, seul un peuple, comme le Mien a pu la faire, en plénitude de son génie, en pleine possession de ses facultés de discernement et avec foi dans ce qu'il considère comme légitime.

"Cette marche, je tiens à le dire, est la marche de tout le peuple marocain. J'espère qu'il saura en tirer les leçons voulues, chaque fois que se présentera, pour lui, une situation délicate. Non pas qu'il sera appelé continuellement à mar-

cher. Non, mais il sera continuellement appelé à faire travailler son esprit, à rechercher les voies les plus appropriées pour parvenir à son but."

A l'occasion du XX^e anniversaire de l'indépendance, S.M. le Roi s'adresse à la Nation, pour l'inciter à penser à l'avenir du Sahara récupéré: "Le peuple était unanimement décidé - dit-Il - à tous les sacrifices; de ce fait, la Marche Verte n'était que le reflet de cet esprit d'abnégation, de la sagesse de notre peuple et de son attachement aux valeurs morales et spirituelles. Aujourd'hui, le problème de la souveraineté et de la récupération de nos droits a été réglé ou est sur le point de l'être. Les négociations ont pu aboutir à tous les résultats escomptés.

"Notre Sahara nous a été restitué, sans effusion de sang bien que tout le peuple fût fermement résolu à se sacrifier. Dans un avenir immédiat, nous allons donc retrouver nos frères. Cette marche constitue une véritable école politique, un peuple nouveau est né et un Maroc nouveau doit être édifié par tous, en tenant compte des nouvelles obligations dont les responsables doivent être à la hauteur".

S.M. Le Roi a rendu hommage aux unités de notre glorieuse armée stationnées au Sud du pays "qui défendent, sans tapage ni propagande, avec courage et héroïsme, les acquis de la Nation".

"Une page glorieuse de notre Histoire - dit-Il - a été tournée. Nous devons maintenant penser à l'avenir du Sahara et entreprendre des efforts pour le développement de cette région, car il ne faut pas compter uniquement sur les revenus des phosphates qui ne peuvent, aucunement, financer tous les projets envisagés: constructions minières, dessalement de l'eau de mer pour l'agriculture, création d'emplois, etc., etc.

"L'essentiel n'étant pas seulement de récupérer le Sahara, nous devons mobiliser toutes nos potentialités, pour ouvrir aux énergies des populations sahraouies longuement étouffées de nouveaux horizons".

Cette marche a rappelé au monde les voies pacifiques qu'il semble avoir oubliées pour le règlement de ses différends.

"La marche aura lieu demain jeudi. Une fois les frontières artificielles franchies, il faut rendre grâce à Dieu, le prier, et baiser le sol du Sahara".

"Cette étape nécessite de la discipline et le respect des ordres pour atteindre les objectifs escomptés..."

Le futur roi d'Espagne s'envole alors, pour Laayoun, accompagné du chef de l'armée de terre, le Général Francisco Coloma Gellejos. Là, le prince Juan Carlos, portant l'uniforme de Général, s'adresse aux forces de la légion étrangère et aux responsables militaires du territoire: "L'Espagne respectera - dit-il - ses engagements et s'efforcera de maintenir la paix au Sahara Occidental. On ne doit pas mettre en péril une seule vie humaine, alors que des solutions justes et désintéressées sont avancées et que l'on recherche avec ferveur la coopération et l'entente entre les peuples".

"Nous désirons protéger également les droits légitimes de la population civile sahraouie, parce que notre mission dans le monde et notre histoire l'exigent".

Auparavant, les officiers et sous-officiers marocains, ayant servi dans l'armée espagnole, avaient adressé un message à S.M. le Roi (le 10 octobre 1975), exprimant leur indéfectible attachement à Sa personne. Surpris par la position anti-marocaine du gouvernement espagnol qui vise les droits historiques et fondamentaux de la nation marocaine, ils "ressentent l'inébranlable devoir patriotique" de renouveler au Prince des Croyants, guide incomparable de la Nation, le serment sacré de leur fidélité et de leur dévouement. Ils affirment "avec l'ardeur du guerrier d'antan", leur entière disposition malgré leur âge, leurs blessures et maladies contractées au service de l'Espagne, à prendre les armes à nouveau, s'il le faut, pour mourir. Néanmoins, confiants que l'authentique esprit chevaleresque l'emporterait

finalement, dans les rapports maroco-espagnols, ils font appel à une entente commune des deux peuples, dégagée de faux problèmes et d'intérêts confus qui entraveraient leurs relations de sincère amitié.

Marche de l'Unité

Le 6 novembre 1975, le président de la "Jemâa" Sahraouie adresse à M. Jacob Malik, Président du Conseil de Sécurité, une lettre dans laquelle il rend hommage à la décision royale d'entreprendre "La Marche Verte". "La Marche pacifique - dit-il - à laquelle Sa Majesté le Roi Hassan II a invité le peuple marocain est une marche de l'unité, à laquelle les Sahraouis souscrivent et s'associent. Elle ne représente ni une menace pour les populations du Sahara, ni pour celles qui vivent encore dans le territoire et elle est encore moins une menace pour l'Espagne ou pour la paix dans la région".

La position de la Révolution palestinienne à l'égard de la cause marocaine a été exprimée avec clarté et transmise solennellement par la presse arabe et internationale: "j'avais déclaré, devant Votre Majesté, au cours du dernier Sommet Arabe de Rabat, que la Révolution palestinienne est prête à se tenir aux côtés des combattants pour la liberté, des défenseurs des causes justes et des révolutionnaires, partout où ils se trouvent dans la Nation arabe". En conclusion, M. Yasser Arafat exalte la solidarité arabe de la cause marocaine.

La Marche de 350.000 volontaires vers le Sahara, portant le texte du Coran et scandant le slogan de paix "El Kifah wa el Koran houa es-silah" (lutte avec le Coran comme seule arme) sensibilise le Monde entier. Les commentaires vont bon train. Le va-et-vient entre Agadir et Madrid suscite les conjectures les plus inattendues. Le 9 novembre, le Roi Hassan II, après quelques jours de marche au-delà des frontières factices, ordonne le retour des volontaires à Tarfaya. L'ordre royal est immédiatement et unanimement exécuté. Le souverain rend un vibrant hommage à ces volontaires "qui ont écrit une

formes, n'a pas toujours été une allégeance qui lie uniquement l'individu au Roi, l'individu à Amir et Mouminin, mais ce que représentait cet individu, les groupements, les tribus et les régions auxquels il s'apparentait. L'allégeance au Maroc a toujours fait l'objet d'un acte écrit qui a toujours revêtu, sous toutes les dynasties, un caractère spécifique; partout ailleurs dans le monde musulman, elle ne consistait qu'en un serment verbal⁴.

La Réintégration du Sahara: devoir national

"C'est dire que la Maroc se satisfait de l'avis consultatif rendu par la Cour Internationale de Justice, avis qui répond à nos aspirations et qui ne peut en aucune manière, aller à l'encontre d'un Droit International des plus anciens et des plus sacrés, en l'occurrence le droit constitutionnel musulman⁴.

"Cela dit, il ne nous reste plus qu'à réintégrer notre Sahara dont les portes nous ont été ouvertes légalement. Le monde entier a reconnu que le Sahara était en notre possession, depuis très longtemps. Le Monde entier a reconnu qu'il existait des liens entre le Maroc et le Sahara qui n'ont été altérés que par le colonisateur.

"Nous devons honorer nos engagements, parce que la période que le Sahara a vécue sous la colonisation n'a jamais pu parvenir à rompre les liens existant entre Nous et ce territoire.

"Il est donc devenu impératif, inéluctable et même il est devenu religieux, pour Nous, en tant que serviteur de ce pays, de cette nation, et notre qualité d'Amir el Mouminin, lié que Nous sommes par l'acte d'allégeance, d'honorer Nos responsabilités et d'aller rejoindre Notre peuple au Sahara.

⁴ L'Espagne écrivait à l'Ambassadeur de France à Madrid, en 1891, une lettre dans laquelle elle définissait la conception maghrébine de la souveraineté. L'ambassadeur français, acquiesçant à cette notion archaïque de l'Etat, dans la tradition marocaine, précisait alors: "il a toujours été reconnu que la souveraineté territoriale du Sultan s'étend aussi loin que sa suzeraineté religieuse et, comme il est hors de doute que les populations du Gap Juby lui sont soumises, au point de vue religieux, nous pourrions considérer sa souveraineté comme indiscutable".

"Comment allons-nous rejoindre le Sahara et quelle voie allons-nous emprunter? Il n'est pas concevable, à la fois, de demander l'arbitrage des Nations Unies et de la Cour Internationale de Justice et de recourir à la guerre. Cette manière d'agir n'a jamais été le fait du Maroc et ne le sera guère.

"Il ne nous reste donc, qu'à *entreprendre une marche pacifique du Nord au Sud et de l'Est à l'Ouest*".

Marche pacifique

S.M. Hassan II annonça, dans un discours radiotélévisé, le 16 Novembre 1975, le déclenchement de la "Marche Verte" vers le Sahara. Fort de son droit et du soutien inconditionnel de ses frères et amis, partout dans le monde, armé de sa ferme et inébranlable volonté, le Monarque, dans son dynamisme créateur et sa pondération éclairée, donna l'ordre à quelques centaines de milliers de ses fidèles sujets, de répondre à l'appel du Sahara, de le libérer pacifiquement et de le réintégrer à la Mère-Patrie.

"Nous avons tiré - affirme S.M. - quelques jours après la mise en branle de ce mouvement de masse - beaucoup de leçons de cette marche et nous sommes convaincus, à présent, que c'est entre de bonnes mains que se trouve l'avenir de ce peuple animé d'un fervent patriotisme fermement attaché à son territoire et prêt à tout sacrifier pour le protéger.

"Cette marche nous a permis de discerner nos amis de nos ennemis. Au départ, on n'a pas cru tellement à cette marche, pensant qu'il s'agissait d'une pure aventure. Il s'agissait pour certains d'une méconnaissance du Maroc; d'autres, au contraire, ont dit sciemment du mal de notre pays, par jalousie et par haine à son égard".

patrie et, d'autre part, le territoire du Sahara et les frères Sahraouis."

"Dès lors, la situation, pour Nous, était claire et il ne nous restait qu'à *répondre à l'appel du devoir*. Nous Nous sommes alors adressé à toi, pour analyser et expliciter les données du problème et les moyens à mettre en œuvre, pour récupérer ce qui nous revient de droit.

"A peine avions-nous terminé notre discours, en donnant le signal de départ de la Marche Verte, que tu t'es empressé, dans un élan spontané et unanime, à répondre à Notre appel".

S.M. Hassan II n'attendait effectivement que l'avis consultatif de la Cour Internationale de Justice pour agir. Tout le monde prévoyait le *déclenchement d'une action sensationnelle*. Mais personne ne pouvait imaginer que cette action se traduirait par une *marche sans précédent dans l'histoire*.

Le 16 octobre 1975, le Président Manfred Lacks (Pologne) donne lecture, au cours d'une séance de trois heures, du texte de l'avis consultatif rendu par la Cour Internationale de Justice à La Haye, à propos du statut du Sahara Occidental. Ce texte précise notamment: "**Les éléments et renseignements portés à la connaissance de la Cour montrent l'existence au moment de la colonisation espagnole, de liens juridiques d'allégeance entre le Sultan du Maroc et certaines tribus vivant sur le territoire du Sahara occidental**".

Souveraineté et allégeance

Quelles qu'aient pu être les divergences d'opinions entre les juristes, il ressort de la pratique étatique de la période considérée que les territoires habités par des tribus ou des peuples ayant une organisation sociale et politique, n'étaient pas considérés comme "terra nullius". On estimait plutôt en général que la souveraineté à leur égard ne pouvait s'acquérir, en tant que titre originaire, unilatéralement par l'occupation

de la "terra nullius", mais au moyen d'accords conclus avec des chefs locaux. Il est vrai que le terme "occupation" était parfois employé dans un sens non technique, comme désignant simplement l'acquisition de la souveraineté. Cela ne signifiait cependant pas que l'acquisition de la souveraineté, par voie d'accords conclus avec les autorités du pays, était considérée comme l'occupation d'une "terra nullius", au sens propre de ces termes. Au contraire, on voyait dans ces accords avec les chefs locaux, interprétés ou non comme opérant une cession effective du territoire, un mode d'acquisition dérivé et non pas des titres originaires acquis par l'occupation d'une "terra nullius".

Le matin même de la publication de cet avis, le Roi Hassan II tint à l'annoncer Lui-même, dans un exposé radiotélévisé; il en fit une analyse avec toute la sagacité, la profondeur et le sens juridique dont il fait souvent preuve. "La Cour - dit le Souverain - n'a pas précisé les liens de souveraineté; quelle est donc la différence entre souveraineté et liens d'allégeance, dans la loi européenne elle-même!... Nous ne devons guère ignorer - souligne S.M. Hassan II - que la Cour est consultée sur une affaire dont l'esprit et la portée remontent au début de notre siècle, c'est-à-dire à un moment où, en Europe, il n'existait que deux républiques: la France et Suisse. Les autres Etats, à savoir l'Espagne, l'Italie, l'Allemagne, l'Astro-Hongrie, la Yougoslavie, la Russie, la Pologne, la Hollande, la Belgique, la Norvège et le Danemark n'usaient pas, alors, du mot "souveraineté", mais plutôt de celui d' "allégeance". Là, nous nous permettons de dire aux professeurs européens de droit, ceux-là mêmes qui ont siégé à la Cour, que par leur emploi du terme "allégeance", ils nous ont procuré pleine satisfaction, beaucoup plus que s'ils avaient usé du terme "souveraineté". Ils ont de ce fait utilisé le terme adéquat, qui s'applique parfaitement au cas de la colonisation du Sahara. *Le droit international musulman a été la première législation qui a régi les rapports de l'individu avec la collectivité, ceux de la collectivité avec l'individu, et ceux des gouvernants avec les administrés et vice-versa. L'allégeance, dans le Droit musulman, même si elle a revêtu différentes*

de Son doigté, de Sa fermeté et Sa constance. Le risque est néanmoins grand: les slogans d'autodétermination commencent en effet à se répandre et à être repris avec insistance, dans un sens qui prête à confusion. Notre monarque, pénétré des principes que les hautes instances internationales ne cessent de proclamer, s'oppose, cependant, à tout acte ou geste subversifs, allant à leur encontre.

L'autodétermination ne doit pas aboutir à la "vietnamisation" du Sahara: c'est alors amputer un pays d'une partie intégrante, pour créer une entité fantôme, jouissant d'une indépendance factice. Si le principe d'autodétermination est retenu dans son acception absolue, l'intégrité des nations en souffrira et la paix mondiale sera dangereusement menacée. Le Maroc, conscient de ses droits légitimes, fort d'un legs millénaire, assuré de l'attachement du Sahara à la Mère-Patrie et au Trône alaouite, n'a cessé de se conduire dans le respect des principes de l'O.N.U., préférant les moyens pacifiques et les voies légales à toute réaction impulsive.

La foi dans la légitimité de notre cause et dans l'esprit de justice qui anime l'O.N.U., est la raison essentielle de notre confiance et de la pondération qui nous a toujours caractérisés devant les hautes instances internationales. Le Roi Hassan II sait que "toute tentative, visant à détruire partiellement ou en totalité l'unité nationale et l'intégrité territoriale d'un pays, est incompatible avec les buts et les principes de la Charte des Nations-Unies". C'est pourquoi, éminemment confiant dans les droits inaliénables du Royaume, Il s'est penché sur les plans de développement de la partie libérée du Maroc et a guetté le moment propice, pour agir avec efficacité et sérénité. S.M. nous rappelle ce processus dans le discours du Trône du 3 mars 1976: "les efforts tendant à asseoir notre développement économique et social sur des bases solides et à intensifier le prestige de notre pays sur les plans intérieur et extérieur, ne sont pas pour nous faire perdre de vue - cher peuple - une des causes majeures à laquelle nous n'avons cessé, depuis l'aube de l'indépendance, d'accorder toute Notre sol-

licitude. Il s'agit de nos territoires restés sous le joug de l'occupation, au moment où le reste du pays recouvrait son indépendance".

"Nous avons fait face à ce problème, avec les moyens les plus appropriés. Nous n'avons jamais cessé de formuler nos revendications, en usant de patience et de persévérance. Pour ce faire, nous avons eu, pour principal souci, de préserver les liens d'amitié traditionnelle et de bon voisinage, en empruntant la voie du dialogue qui, du reste, n'a pas tardé à donner ses premiers fruits.

"C'est ainsi que successivement la province de Tarfaya et l'enclave d'Ifni ont réintégré, avec quelques années d'intervalle, la partie libérée de la Mère-Patrie; cependant que la récupération de notre Sahara, qui représente une partie importante de notre territoire, se heurtait à des difficultés, malgré les démarches de toutes sortes que nous avons entreprises. Nous avons même craint, par moments que ne se perde un de nos droits imprescriptibles et qu'à cause d'une mesure unilatérale dictée par les convoitises et les appétits sordides, nous ne soyons frustrés d'un héritage qui nous a été légué depuis les temps immémoriaux et dont nous avons toujours été, à travers Notre glorieuse Histoire, les fidèles dépositaires.

"Cet état de choses nous a amenés à prendre une initiative tout à fait originale, en recourant à des moyens d'un genre nouveau, mus par l'espoir d'être rétablis dans nos droits et d'obtenir la reconnaissance de la marocanité du Sahara occupé, partie intégrante de Notre territoire. Nous avons alors suggéré à l'Organisation des Nations Unies de saisir la Cour Internationale de Justice. Une fois notre requête satisfaite, nous avons hâte de connaître l'avis de la juridiction internationale, convaincus que Nous étions de l'équité de cette Haute Instance.

"Et, effectivement, la Cour Internationale de Justice rendait son arrêt, mettant ainsi un terme au litige, en dévoilant la vérité et en proclamant l'existence de liens de parenté, d'allégeance et de droit entre, d'une part, ton roi et la

table d'œuvre en vue de libérer le Sahara du joug colonial et de sceller à nouveau les liens d'unité sous le signe d'une souveraineté pleine et entière. C'est le 25 février 1959 qu'Il prononça Son discours historique, au seuil du Sahara, dans les oasis du Dra, conformément à une tradition ancestrale très connue dans les annales glorieuses de notre Monarchie.

C'était la première fois que le peuple sahraoui, dégagé de toute contrainte, pouvait prendre contact avec son roi; ses sentiments d'attachement au trône alaouite symbole de notre unité et de notre intégrité, se manifestèrent dans l'enthousiasme et le délire. S.M. Mohammad V, très ému, les larmes aux yeux, rendit hommage à Son peuple qui exprimait à sa façon, dans des démonstrations effrénées, son allégeance et sa fidélité à Amir el Mouminin, digne descendant du Prophète.

Les engagements pris à cette occasion n'étaient que la confirmation des prises de position et des déclarations solennelles du discours prononcé, une année auparavant, jour pour jour, le 25 février 1958, à Mhamid el Ghizlane, porte du Sahara. Là, S.M. Mohammad V accueillit les descendants de ceux qui, des Reguibat, des Tekna et des Ouled Dlim, étaient venus acclamer, il y a près d'un siècle, son heureux aïeul, Hassan I et lui exprimer l'attachement indéfectible à la Mère-Patrie et au Trône chérifien.

"Ce qui fait notre joie - affirme notre roi Muhammad V - c'est d'être reçu au village de Mhamid qui est la porte du Sahara marocain, par les fils de ceux qui ont reçu Notre aïeul dans un autre village, des Reguidat, des Tekna, des Ouled Delim et d'autres tribus et de les entendre, accompagnés de leurs hommes de loi et de leurs lettrés, nous réaffirmer - comme leurs pères l'ont fait à Notre aïeul - leur attachement au trône alaouite et leur appartenance au Maroc, par des liens étroits qui ne peuvent être tranchés. Nous saluons leurs âmes généreuses et la ferme détermination qui les anime et Nous leur souhaitons la bienvenue dans leur patrie et parmi les leurs, comme nous leur réaffirmons, à notre tour - et

que les présents en informent les absents - que nous continuerons à œuvrer en tout ce qui est notre pouvoir, pour recouvrer Notre Sahara et tout ce qui, par le témoignage de l'histoire, et par la volonté des habitants, revient de droit à notre royaume³".

S.M. Hassan II continua l'œuvre grandiose entreprise par Son vénéré père. Dès 1961, il s'attela au travail, dans le cadre de Ses hautes responsabilités, en tant qu'Amir el Mouminin, seul dépositaire du legs national ancestral. Le dossier du Sahara est, alors, étayé par l'apport constant d'éléments nouveaux, dans le contexte des exigences rigoureuses du Droit des gens et des principes de l'O.N.U.. La signature de la Charte de l'O.N.U. en septembre 1963, fournit à notre Monarque éclairé l'occasion de proclamer solennellement, dans le concert africain, la position claire du Royaume, quant à ses droits. Parapher une telle convention ne saurait être interprété ni comme une reconnaissance, même implicite, du fait accompli que le Maroc n'a cessé de rejeter, ni comme un abandon de ses droits dont il recherche la disposition par les moyens légitimes à sa portée...

Les négociations avec l'Espagne se poursuivaient alors, pendant toute une décennie (1956-1966); S.M. Hassan II déclare au ministre espagnol qui représente son gouvernement, dans les cérémonies célébrées à Fez, à l'occasion du X^e anniversaire de l'indépendance, que "le Maroc réclame à l'amiable, le retour des régions spoliées du Sahara à la Mère-Patrie. Si l'Espagne s'y refusait, le Maroc ne manquerait pas de formuler officiellement ses revendications devant l'O.N.U."

C'est la première fois que le Roi agite la menace d'internationaliser le différend. Puis, dans une série de discours, d'interviews, S.M. Hassan II s'attelle à démontrer le bien fondé des revendications marocaines, sans se départir de Son sang froid ni de Sa pondération légendaire,

³ Renaissance d'une nation, Imprimerie royale, Rabat, 1957-1958, T. 3, p. 1377.

Sa Majesté Hassan II, Roi du Sahara

Abdelaziz Benabdellah

Membre de l'Académie du Royaume du Maroc et
des Académies Arabes

Pendant près de cinq décennies, on ne peut guère parler de S.M. Mohammed V, sans devoir citer le Prince Moulay Hassan, Héritier et Conseiller Intime de Son vénéré Père, dans les malencontreuses circonstances, vécues tout le long du triple Protectorat (français, espagnol et international). L'auréole sacrée du Souverain et de Son Héritier planait d'une lumière vivace, sur tout le Royaume, depuis Tanger jusqu'à El Gouira, ternissant le mirage factice des méfaits subversifs des ravisseurs. Le Protectorat français ne cessait de présenter au Sultan du Maroc, des notes de protestation pour l'action libératrice menée en Son nom, notamment dans le Sahara. La résistance se prolonge, néanmoins, jusqu'en 1934¹, soutenue par les groupes isolés qui n'avaient jamais déposé les armes, dans l'Anti-Atlas et ailleurs. Le Roi du Maroc, prisonnier des Français, dans sa "cage dorée", ne pouvait réagir. Il guettait le moment propice, qui survint, une décade plus tard, quand le monarque et son peuple purent revendiquer expressément l'indépendance. La visite de Mohammad V à Tanger, en 1947, fut une nouvelle occasion, pour lancer de l'ex-capitale diplomatique, devenue zone internationale, un appel à la Ligue Arabe et à la conscience internationale, dans le contexte des aspirations du Maroc à une émancipation totale et à une intégrité pleine et entière. La Conférence d'Anfa, tenue par Roosevelt, Churchill, De Gaulle et le Roi Mohammad V avait déjà suscité quelques espoirs; le Maroc fut alors considéré, comme un des pays "alliés", ayant participé efficacement à la victoire sur les Puissances de l'Axe.

D'autre part, l'autorité espagnole qui administrait le "Sahara occidental" était toujours convaincue que seule une procuration formelle du Sultan, ou de son représentant à Tétouan, lui conférait les pouvoirs dans les territoires du Sud. C'est pourquoi le Khalifa de Tétouan, capitale de l'ex-zone d'influence espagnole au Nord, promulguait des textes législatifs concernant les régions du Sud (Tarfaya, Sakiet El Hamra...), en tant que territoires marocains. On peut citer, entre autres, des décrets royaux (du 18/7/1913, 6/2/1934), des lois (12/4/1940 et 26/9/1941); "Par le dahir du 12/2/1945, le Makhzen a rendu expressément obligatoires pour la zone sud du protectorat les dispositions espagnoles"²

L'Espagne était surtout intéressée par les richesses minières au Sahara. Les phosphates de Boukraa, à Sekiet El Hamra, faisaient miroiter un avenir plein de promesses; l'Espagne s'y cramponnait; elle avait, certes, restitué Tarfaya au Maroc, dès 1958; mais elle continuait à temporiser pour la Sekiet El Hamra, où le centre phosphatien commençait à s'ériger. En 1974, le rendement atteint un niveau assez élevé pour un début. Les profits réalisés par la société dite "Foss boukraa" était, en effet, de l'ordre de 4.000 millions de pesetas, avec une production de 3.700.000 tonnes de phosphate, contre 109 millions, dans le monde (dont 40 millions aux U.S.A., 23 en U.R.S.S. et 19.500.000 tonnes au Maroc).

Dès la mise en place des rouages de l'administration marocaine, dans le cadre du Maroc indépendant, notre monarque vénéré, feu Muhammad V, réaffirma sa résolution inébran-

¹ Se référer à l'ouvrage de Mr Abdelaziz Benabdellah "Vérité sur le Sahara", Editions Horvath, Roanne, France 1977.

² Cordero Torres, ouvrage de droit colonial, p. 360.

The Ministry of Health and the State

by [Author Name]

[Publisher Information]

The Ministry of Health has been a central institution in the development of the state's health policy. Its role has evolved from a purely administrative function to a more active role in the provision of health services. This paper examines the historical development of the Ministry of Health and its impact on the state's health policy.

The Ministry of Health was established in 1945, following the end of the Second World War. It was created as a result of the merger of the various health departments that had previously existed. The Ministry's primary responsibility was to coordinate the activities of the various health departments and to ensure that the state's health policy was effectively implemented.

The Ministry of Health has played a significant role in the development of the state's health policy. It has been instrumental in the establishment of the National Health Service and in the implementation of various health reforms.

The Ministry of Health has also been a key player in the development of the state's health infrastructure. It has been responsible for the construction of hospitals and health centres, and for the provision of health services to the population. The Ministry's efforts have led to a significant improvement in the state's health status and in the lives of its citizens.

فهرس

- افتتاحية : عهد ومسؤولية والتزام...
9 دعوة الحق
- من ظواهر التاريخ الفريدة : العرش العلوي أقدم وأقوى عرش في عالم
العروبة والإسلام
15 للشيخ محمد المكي الناصري
- عظمة الذكرى : عيد الطموح الجماعي
17 للأستاذ أحمد مجيد بن جلون
- وسام الأكاديمية
21 للشاعر الكبير بهجت الأثري
- مسيرة المجد...
23 للشاعر محمد الحلوي
- أحيا ضياء السنة السحاء...
25 للشاعر الدكتور مختار الوكيل
- تحليل وتنظير نقدي للمصادر العربية والأجنبية لتاريخ إفريقيا
27 للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- نماذج من المصادر الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية
49 للأستاذ محمد المنوني

- جوانب من إحياء التراث الإسلامي في العهد الحسني
61 للأستاذ سعيد أعراب
- جامعة القرويين في عهد الدولة العلوية الشريفة
68 للدكتور مولاي ادريس العلوي العبدلاوي
- وحدة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبلوماسية
77 للدكتور عبد الهادي التازي
- عيد الوحدة...
87 للشاعر أحمد عبد السلام البقالي
- أول إضراب مدرسي بالمغرب سنة 1920
90 للأستاذ محمد الفاسي
- عظيم حقق العدل والسلام
92 للدكتور حمداتي شبيهناء العينين
- فاهناً فأنت مبارك وموفق
98 للشاعر عبد الكريم التواتي
- مسجد للاسكينة...
102 للشاعر المدني الحمراوي
- تكريم الأبطال وتمجيد البطولة
105 للدكتور عبد الله العمراني
- أدب العرش بين المناسبة والالتزام
110 للأستاذ محمد العثماني
- قصائد العرشيات في الشعر الملحون :
116 للأستاذ منير البصكري
- الخطاب الأدبي في كتاب «التحدي»
130 للأستاذ عبد الواحد ابن صبيح
- رمز التحرير والتوحيد
135 للشاعر عبد الواحد أخريف

- عيد العرش : عيد البيعة والوحدة والنضال
- 138 للشاعر محمد العربي الشاوش
- من المصحف العثماني إلى المصحف الحني
- 140 للأستاذ عبد القادر العافية
- الشعر والجهاد في ظل العرش المغربي
- 154 للأستاذ عبد الجواد السقاط
- الدبلوماسية المغربية : اختيار الأصالة والوحدة
- 165 للأستاذ زين العابدين الكتاني
- ارتسامات تاريخية حول المولى إسماعيل من خلال رحلة الوزير في
افتكاك الأسرى
- 174 للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
- الفكر الحسنی الإسلامي في التوجيه الإنساني
- 183 للأستاذ أحمد أفزاز
- العبقريّة الحسنيّة جعلت المغرب بلد الخير والأمن والقيم الروحية
والدولية
- 188 للأستاذ مقدم بوزيان
- جهاد الدولة العلوية من أجل تحرير البلاد وتحقيق الوحدة
- 191 للأستاذ محمد حدو أمزيان
- على هامش المؤتمر التاسع لمنظمة المدن العربية : عناية الأدب
الجغرافي بالمدينة الإسلامية
- 194 للأستاذ محمد بنعبد الله
- هذي مقاليد القلوب ملكتها
- 214 للشاعر وجيه فهمي صلاح

- بيضاؤنا غرقت في النور زاهية
217 للشاعر عبد الواحد السلمي
- الفجر الجديد...
221 للشاعر شهاب جنبكلي
- المولى اسماعيل - رائد الدولة العلوية الشريفة
223 للدكتور يوسف الكتاني
- انطباعات تلميذ بالابتدائي عام 1944 مساهمة ثانوية مولاي يوسف في
الكفاح الوطني وعناية محمد الخامس بشيبتها
200 للأستاذ أحمد مصطفى عاشور
- ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش من المولى الرشيد إلى
المغفور له محمد الخامس
238 للدكتور حسن جلّاب
- ضوء ينفجر...
260 للشاعر مالك امحمد بنونة
- 262 - عيد العرش : عيد القومية المغربية
- السمع والبصر والفؤاد
265 للأستاذ عبد الله اكديرة
- فلسفة الحكم عند الحسن الثاني تتمحور حول الأمة الوسط
270 للأستاذ عثمان بن خضراء
- بين القمة والقاعدة
276 للأستاذ محمد بخات
- يالها من فرحة طابت
281 للشاعر أحمد الجمالي

- عرش الضمود والبناء

284 للشاعر أحمد الخياطي

- سعد الشعب في حماك قريراً

286 للشاعر الهاشمي الهواري

- شهادات صادقة في ملك صالح...

288 للأستاذ محمد محمد العلمي

- جلالة الملك الحسن الثاني يقدم للمسيرة الخضراء

316

مكتبة جامعة القاهرة
1988

مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

دَعْوَةُ الْحَقِّ

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وَبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه

سنة
1376 هـ — 1957 م

توزيع: دار النشر، الرباط، المغرب
رقم الهاتف: 485-55

التحرير:

الهاتف: 623.60

الإدارة 636.93

627.03

627.04

608.10

و
التوزيع



الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهماً

في العالم: 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485 - الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55

à Rabat

وقد كمل التوحيد في فرجة الصحرا
فلم يكفه التوحيد في الساحة الصغرى
توحدّها من غير أن يمهل الأمرا
إلى فضله الرحمن فانتهجوا البرا

بني وحدة الأوطان فكراً وتربياً
إذا كان شمل الدار ملتئماً به
لذاك سعى نحو المغارب ناشداً
واقنع فيها قادة قد هداهم



رأوا عنده ما يطرد الخلف والهجر
بمؤتمرضمته "مراكش الحجر"
به غنت الأجيال تنتظر الفجرا
أحبّ، فإن الله في صنعه أدري

دعاهم فخفوا مسرعين لأنهم
وما انعقد الإجماع إلا موقفاً
وحقق حاماً لم يزل متجدداً
إذا الله ألقى سرّه بضواد من